تاريخ بني مزاب

دراسة اجتماعية و اقتصادية و سياسية



الطبعة الثالثة

طبعة منقحة و مزيد عليها

2467

تأليف يوسف بن بكير الحاج سعيد

تاريخ بني مزاب

دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية

الطبعة الثالثة

طبعة منقحة ومزيد عليها

تأليف: يوسف بن بكير الحاج سعيد

تصميم الغلاف: نور الدين بن محمد بكاي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

1435هـ / 2014م



11 نهج طالبي أحمد – غرداية
الهاتف / فاكس : (029) 88. 36. 53
المنطقة الصناعية : (029) 87. 34. 34
الإيداع القانوني رقم 914 / 2014
ردمك: I.S.B.N: 978-9947-845- 69-1

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الطبعة الثالثة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان مالم يعلم، والصّلاة والسّلام على من بعثه الله للنّاس كافّة، يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة.

لقد استفدت بعد صدور الطبعة الثانية، بعدد من المراجع يقارب العشرين، فأدرجت في هذه الطبعة الجديدة حوالي سبعين فقرة إضافيّة موزّعة على الأبواب الثمانية.

أمّا من حيث التهميش، فقد عدلت عن وضع الهوامش مجمّعة في نهاية كلّ باب، ووضعتها أسفل كلّ صفحة، تسهيلا للرجوع إليها.

رجائي ممّن بين يديه وثائق لها صلة بموضوع هذا الكتاب، يرى أنّني لم أطّلع عليها، أن يزوّدني بها مشكورا، علّها تفيدني في الطبعة اللاّحقة، بإذن الله.

أسأل الله أن يتقبّل منّي هذا العمل ويثيبني عليه، إنّه سميع مجيب.

بني يسقن، يوم الخميس 17 محرم 1435هـ

الموافق 21 نوفمبر 2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الطبعة الثانية

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد سيّد الأوّلين والآخرين.

إنّه لمن توفيق الله عزّوجلّ أن تصدر الطبعة الثانية من هذا الكتاب، بعدما نفدَت نسخ الطبعة الأولى خلال مدّة لم تتجاوز ثلاث عشرة سنة، وهو ما جعل الحاجة ملحّة لإعادة إصداره.

ولقد وجدتها فرصة لتصحيح ما ورد فيه من أخطاء، لأنّ الكمال لله وحده، وفوق كلّ ذي علم عليم. بالإضافة إلى هذا التنقيح، يجد القارئ الكريم في الطبعة الجديدة عددا كبيرا من الإضافات، ثمرة مواصلتي للبحث منذ صدور الطبعة الأولى.

رجائي أن لا يخلو بيت من نسخة من هذا الكتاب، وأن ينتفع به قارؤه.

وأسأل الله تعالى أن يكون فيه الخير والفائدة، والحمد لله ربّ العالمين.

بني يسفن، يوم الجمعة 25 رمضان 1426هـ

الموافق 28 أكتوبر 2005م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الطبعة الأولى

يتناول هذا الكتاب دراسة لتاريخ بني مزاب، من الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، إلى استعادة الجزائر لاستقلالها السّياسي عام 1962م، ويهتم بحياة بني مزاب داخل بلادهم وادي مزاب وخارجه.

يتمركز البحث حول التطوّر الحضاري لهذه الجماعة مدّة ما يزيد عن اثني عشر قرنا، وحول مميّزاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وتأثّرهم بغيرهم، وتأثيرهم في الأحداث العامّة في شمال إفريقيا والعالم الإسلامي.

يقول حمّود رمضان: «إذا جهلت أمّة تاريخها فقد جهلت مستقبلها، وإذا جهلت مستقبلها فقد أسرت نفسها بيدها، وألقتها في يد غيرها»[1].

إنّ بني مزاب، رغم قلّة عددهم، نالوا شهرة كبيرة في الجزائر خاصّة، وفي المغرب الكبير عامّة، وذلك لانتشارهم فيه منذ قرون، وللمستوى الاستثنائي الذي بلغه نشاطهم الثّقافي والاقتصادي والسّياسي. لذلك فإنّه من الإنصاف أن ينشر لهم كتاب يرسم مسارهم الحضاري عبر التّاريخ ويبيّن أهمّ معالم وجودهم.

والغرض من هذا البحث الاستفادة من الأحداث الماضية، بإدراك أسبابها وتقدير نتائجها، إيجابية كانت أو سلبية، وتفهّم مستجدّات الحاضر، وتحليلها على ضوء ماض حافل بالنّشاط والتّفاني من جهة، ومليء بالظّروف القاسية والأزمات المحيّرة من جهة أخرى.

ومن أهداف البحث كذلك تصحيح بعض الأخطاء الشّائعة في حقّ بني مزاب. من جملة هذه الأخطاء:

أوّلا- كونهم بقايا تاهرت بعد أن خرّبها العبيديون، هاجروا إلى الصّحراء فأسّسوا سدراته، ولمّا خربت هاجروا إلى وادي مزاب فاستقرّوا به.

1- صالح خرفي: حمود رمضان، 39.

ثانيا- تحوّل بني مزاب من الاعتزال إلى المذهب الإباضي جملة واحدة وبكلّ سهولة بمجرّد قدوم الشّيخ أبي عبد الله محمّد بن بكر إلى بادية بني مصعب.

ثالثا- تمركز حلقة العزّابة في مساجد قرى مزاب كسلطة إدارية وسياسية واجتماعية وثقافية وقضائية منذ عشرة قرون.

رابعا- تأسيس الشّيخ عمّي سعيد الجربي للمجلس الأعلى لقرى مزاب.

خامسا- انكماش بني مزاب وانعزالهم وابتعادهم عن الحياة السّياسية للمغرب الكبير، وحصر اهتمامهم في النّشاط الاقتصادي.

سادسا- المبالغة في عددهم وإمكانياتهم المادّية.

ولعلّي بهذا أكون قد ساهمت بلبنة في تشييد صرح الثّقافة الجزائرية، وذلك بتعريف بني مزاب إحدى مركّبات الشّعب الجزائري، التي يمكن عدّها مفخرة للوطن العربي والأمّة الإسلامية.

ولقد توخّيت في عملي هذا ما استطعته من الموضوعية، لأنّني لست أريد أن أبرهن من خلاله على مثالية هؤلاء القوم. فهم بشر مثل سائر البشر، لهم نقاط ضعف كما لسواهم، ولا تخلو كلّ هذه المدّة الزّمنية من فترات ركود وانحطاط، وما تفرزه من تعصّب وفتن، شأنهم في ذلك شأن جيرانهم.

أورد هنا ما قاله الشّيخ الفرادي: «إذا كنّا نريد أن نكتب تاريخنا كتابة تفيدنا وتفيد الأجيال، فيجب أن يتحلّى كتّابنا بروح الشّجاعة والنّزاهة والموضوعية، ويجب على جمهور القرّاء والمستمعين أن يتحلّوا بالرّوح الرّياضية وسعة الصّدر، إذا ما ذكرت الحقائق النّاصعة، وإلاّ فإنّ تاريخنا سيكون مجهولا تماما أو مزيّفا، ولا يمكن أن تنشأ أجيالنا الصّاعدة معتزّة بماضيها فخورة بأمجادها، إذا درست تاريخها بعيدا عن الحقائق، خاضعا لحساسيات، مراعيا للظروف». [1]

1- محمّد ناصر: الشّيخ الفرادي حياته وآثاره، 131.

يتضمّن الكتاب ثمانية أبواب:

الباب الأوّل: بلاد الشّبكة.

الباب الثّاني: العهد الأوّل من تاريخ بني مزاب، من الفتح الإسلامي إلى أواخر القرن الرّابع الهجري.

الباب الثّالث: العهد الثاني، من أواخر القرن الرّابع إلى نهاية القرن الثّامن الهجري.

الباب الرّابع: العهد الثّالث، من بداية القرن التّاسع الهجري إلى سنة 1269هـ/ 1853م.

الباب الخامس: الفترة الأولى من العهد الرّابع وتمتدّ من 1269هـ/ 1853م إلى 1299هـ/ 1882م.

الباب السّادس: الفترة الثّانية من العهد الرّابع وتمتدّ من 1299هـ/ 1882م إلى 1330هـ/ 1912م.

الباب السابع: الفترة الثالثة من العهد الرّابع وتمتدّ من 1330هـ/ 1912م إلى 1366هـ/ 1947م.

الباب الثامن: الفترة الأخيرة من العهد الرّابع وتمتدّ من 1366هـ/ 1947م إلى 1382هـ/ 1962م.

أتقدّم بالشّكر والثّناء لكلّ الذين مدّوا إليّ يد المساعدة، فمنهم من شجّعني بكلمة طيّبة، ومنهم من أمدّني بما لديه من الكتب والوثائق، ومنهم من فتح لي باب مكتبته الخاصّة على مصراعيه، فجزى الله عنّي خيرا هؤلاء الإخوة الذين لولاهم ما استطعت أن أقدّم للقارئ الكريم هذا العمل المتواضع.

بني يسقن يوم الجمعة 25 جمادى الثّانية 1411هـ

الموافق 11 جانفي 1991م.

يوسف بن بكير الحاج سعيد.

أهمّ الأودية التي تتخلّل بلاد الشّبكة هي وادي زَقْرِيرْ ووداي نْسَا ووداي مزاب ووداي متليلي.

أمّا وادي زقْرير فيترل من ناحية الضايات ويسقي واحة القرارة.

وأمّا وادي نْسَا فله رافدان هامّان هما وادي بَالُّوحْ ووادي السودان، أنشئت عند ملتقاهما مدينة برّيان.

وادي مزاب يستقبل مياه وادي لَعْدِيرَهْ ووادي لَبْيَضْ ووادي تُوزُوزْ ويسقي واحة غرداية وواحة مليكة، ثمّ تنسكب فيه من الغرب مياه وادي انْتِيسَا الذي يسقي واحة بني يسقن، ومن الشّرق مياه وادي أَزْوِيلْ الذي يسقي بدوره جزءا من واحة بونورة، ثمّ يتّجه إلى العطف فزلفانة، وينتهي في سبخة الهيشة على بعد ستّة عشر كيلومترا من نْقُوسَهْ شمال وَرَقْلَه.

إنّ هذه الأودية أودية جوفية يظهر أثرها على سطح الأرض، وتسيل مياهها على عمق ثلاثين مترا تقريبا، بينما لا يحدث سيلانها على وجه الأرض إلاّ نادرا وعلى أجزاء محدودة منها، وذلك عندما تتغلّب غزارة الأمطار على سرعة التبخّر في الجوّ وسرعة امتصاص الأرض لها. إنّ أكثرها سيلانا على وجه الأرض وادي زَقْرِيرْ وأقلّها وادي مزاب، فقد سجّلت مصالح الأرصاد الجوّية بين 1921 و1937 ثمانية عشر سيلانا لوادي زَقْرِيرْ بالقرارة، بينما لم يسل وادي مزاب في تلك الفترة بغرداية سوى تسع مرّات، أمّا وادي نْسَا فقد سال بحاسي ربيب خمس عشرة مرّة، ووداي متليلي اثنتي عشرة مرّة بمتليلي.

إنّ بلاد الشّبكة كانت عامرة منذ أقدم العصور، العصر الحجري الأوّل. فقد ألقى الدكتور بْيِيرْ رُوفُو[1] في الدّورة الحادية عشرة لمؤتمر ما قبل التاريخ المنعقد بفرنسا عام 1934م محاضرة، بيّن فيها حصيلة بحوثه الميدانية في بلاد

1 -Pierre Roffo.

الشّبكة، ذكر فيها بالتّفصيل إحدى عشرة محطّة من العصر الحجري الأوّل، وصف فيها ما جمعه من أدوات ذلك العصر التي بلغ عددها: 2959 أداة. بالإضافة إلى ذلك فإنّ المنطقة غنيّة بالرّسوم على الصّخور، تثبت أنّ إنسان ما قبل التّاريخ استقرّ حينا من الدّهر بهذه البلاد قبل أن تؤول إلى صحراء قاحلة، يوم أن كانت جنّة خضراء.

هذه الصّخور التي لا تعدّ، نقشت عليها رموز وحروف أمازيغية وأعداد، ولعلّها كانت بمثابة عقود بين البدو المتعاملين تسجلّ معاملاتهم الهامّة، وتوجد رسوم أكثر قدما للحيوانات على بعض الصّخور التي كلستها المياه الملحة يوم كانت أودية الشّبكة بحرا.

بلاد مزاب هي الجزء الأكبر من بلاد الشّبكة وتضمّ اليوم المدن السّبع: غرداية، مليكة، بني يزقن، بونورة، العطف، برّيان والقرارة. أمّا بنو مزاب فلا يسمّون بلادهم في لغتهم البربرية إلاّ (أَغْلاَن) ويطلقون على وادي مزاب اسم (إِغْزَرْ أَوَّغْلاَنْ)، علما أنّ (إِغْزَرْ) كلمة مزابية معناها وادي.

توجد في بلاد البربر مناطق أخرى باسم مزاب، ومنها مزاب شاوية جنوب المغرب الأقصى عاصمته قصبة ابن أحمد، وسكّانها من أولاد مغراوة الزناتية وأولاد مصمودة الصنهاجية[1].

2- التطوّر الحضاري لمزاب :

يمكن تقسيم تاريخ مزاب إلى أربعة عهود متمايزة:

العهد الأوّل يمتدّ من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرّابع الهجري، وكانت تعرف المنطقة فيه ببادية بني مصعب، وكان سكّانها يغلب عليهم طابع البداوة والبساطة. ويمتاز هذا العهد بأنّ سكّان أرض الشّبكة اعتنقوا الإسلام ببساطة ثمّ

1 -Gouvion : Monographie du M'Zab, 174.

إنّ البربر ينقسمون أصلا إلى قسمين: البرانس والبُتْر، كلّ قسم يتفرّع إلى شعوب كثيرة لا تحصى. أحد شعوب البتر زناتة. كان موطنها في جنوب طرابلس بجوار نفوسة، وفي جبال أوراس، ومن مليانة إلى وادي ملوية، وفي الصحراء مواطنها وَرَجْلَه ووادي مزاب والأغواط[1].

تتفرّع زناتة إلى خمسة فروع، من بينها وَاسِينْ، ومن بطونه بنو مرين وبنو راشد وبنو بادين.

2- من هم بنو مزاب ؟

يقول الشيخ مبارك الميلي: «ومن أفخاذ بادين مصاب، بالوطن المعروف بهم، المدعو اليوم مزاب. والزاي والصاد متقاربان»[2].

ومصاب هذا هو مصعب بن محمّد بن بادين، انتقل بنوه إلى الشبكة مع بني إخوته عبد الواد وتُجِينْ وزَرْدَال، وهم من الطبقة الثانية من زناتة.

حسب الشيخ أبي إسحاق طفيش، فإنّ هجرة بني مصعب إلى بلاد الشبكة تمّت في القرن الثاني من الهجرة[3]، ووقعت لأسباب سياسية حسب رأي ابن خلدون[4].

ينقل الدكتور بحّاز إبراهيم عن ابن خلدون قوله: «ومن بني واسين هؤلاء بقصور مصاب على خمسة مراحل من جبل تيطر في القبلة لما دون الرمال، على ثلاث مراحل من قصور بني ريغة في المغرب، وهذا الاسم للذين اختطّوها ونزلوها من شعوب بني بادين، وضعوها في أرض حرّة على أحكام وخراب ممتنعة في مسارحها بين الأرض المحجّرة المعروفة بالحمادة في سمت

1- نفس المصدر، 38-40.
2- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثاني، 214.
3- المنهاج، 156.
4- حمو عيسى النوري: دور الميزابيين، الجزء الأول، 27.

العرق، متوسطة فيه قبالة تلك البلاد على فراسخ في ناحية القبلة، وسكّانها لهذا العهد شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مصاب».

ويخلص الدكتور إلى الاستنتاج الآتي: «إنّ أهمّ ملاحظة يمكن الخروج بها من هذا النصّ هي أنّ زناتة، ومصاب خاصّة، هم الوحيدون الذين كانوا يسكنون هذه المنطقة التي حدّدها ابن خلدون بنوع من الدقّة، وهذا إلى عهده، وهو المتوفّى عام 808هـ/1406م. فالمنطقة للزناتيّين عموما، ونسبت للميزابيّين خصوصا، وهي إلى القرن الثامن الهجريّ الرابع عشر للميلاد، لا يسكنها إلاّ هؤلاء الزناتيّون، الذين غلبت عليهم تسمية بني مصاب»[1].

ينقل الشيخ مبارك الميلي عن ابن خلدون (1332م-1406م) قوله: «وقصور مصاب سكانها لهذا العهد شعوب بني بادين، من بني عبد الواد وبني تُوجينْ ومصاب وبني زَرْدَالْ، فيمن انضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب».

ويمضي الشيخ الميلي قائلا: «وبنو عبد الواد الذين بمزاب من بني مطهر بن يمل ابن يزقن بن القاسم. وقال أبو رأس: بمزاب لماية وأخلاط من صنهاجة وغيرهم».

وعلاقة النسب هذه بين بني مزاب وبني عبد الواد تجرّنا إلى إدراج الحادثة الآتية: لمّا احتل تلمسان السلطان المريني أبو فارس عبد العزيز عام 772هـ/1370م، خرج منها سلطان بني عبد الواد عليها أبو حمو الثاني، متنقلا متشردا في بلاد الصحراء إلى أن التجأ إلى وادي مزاب أين شعر بالأمان[2]. استضافته بلدة العطف في محلّ يُطلّ على ساحة السوق، اشتهر بـ(دار السلطان).

أمّا سبب تحريف مصعب إلى مزاب فلأنّ من البربر من لا يستطيع النطق بالعين محقّقة، وإنّما ينطق بها همزة، وقد يسهّلها إلى الألف. ونجد ذلك جليا في

1- مجلة الحياة-العدد الأوّل، 126.
2- Revue Africaine n° 37, 373. وعبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، الجزء الثاني، 185.

بعض المخطوطات القديمة التي نقرأ فيها أَمِّي سعيد وأَمِّي عيسى، بدلا من عمّي سعيد وعمّي عيسى. ثمّ إنّ اتّحاد الصاد والزاي في الصفات وتقاربهما مع الضاد في المخرج من جهة، وتعدّد اللهجات والألسنة من جهة أخرى، وتقادم العهد من جهة ثالثة، أدّت إلى اختلاف النطق لهذه الكلمة، فقالوا مصعب ومُصَاب ومُضَاب ومْزَاب ومِيزَاب. وممّا يؤيّد هذا الرأي إبدال بني مزاب الصاد زايا مفخمة في بعض الكلمات العربية، مثل الصلاة والصوم، اللتين أصبحتا تْزَالِيتْ وَأَزُمِي.

3- ديانة البربر قبل الإسلام :

يقول الشّيخ دبّوز: «كان للبربر دين وثني جاؤوا به من الشّرق، وكانوا يعتقدون بوجود إله يدبّر هذا الكون، ولكن لا ذات له ترى، وإنّما يتجلّى لهم في المظاهر التي تروعهم بقوّتها، أو بجمالها، أو بغرابتها، فلذلك يعبدون تلك المظاهر.

وهذا الإله الذي يعتقدون أنّه مصدر حياة الكون اسمه (أَمُونْ)، ومظاهره هي الكبش الأقرن القوي، وبعض الحيوانات الأخرى، وبعض الكواكب. فمن الكواكب التي راعتهم بقوّتها وجمالها... الشّمس والقمر».

ويضيف الشّيخ دبّوز قائلا: «من الحيوانات الجميلة التي قدّسوها الطاوس والحمامة والهر... وكانوا يعتقدون أنّ قتلها أو ضربها يلحق بهم أضرارا كثيرة وعاهات كبرى كالجنون والشّلل والصّرع وغيرها»[1].

ونجد أحمد توفيق المدني يتكلّم عن الفينيقيين ويقول: «وقد كان الفينيقيون كالبربر يعبدون الشّمس تحت اسم (بَعْلْ) ويعبدون القمر تحت اسم (تَانِيتْ)»[2].

إنّ تَانِيتْ كانت عند الفينيقيّين إلهة الخصُوبة وحامية الحصائد والنساء والأولاد. رمز تَانِيتْ كان شائعا في ورقلة، حيث يزيّن به أعلى مداخل المنازل وأبواب المدينة، بشكل مبسّط.

1- تاريخ المغرب الكبير – ج1، 69.
2- الجزائر، 7.

إنّ كلمة (تَانِيتْ) في المزابية تجمع على (تِنِتِينْ)، يطلق المفرد حاليا على أوجاع المخاض، بينما يستعمل الجمع للتّعبير عن المشاكل النّفسية التي قد تتعرّض لها المرأة الحامل في شهور الحمل الأولى، ولا نستبعد علاقتهما بمعتقدات الجاهلية عند أجداد بني مصعب.

من جهة أخرى فإنّ من عادات المرأة المزابية رسم خط نازل من الجبهة إلى أسفل الأنف بالزّعفران، على وجه العروس، يوم زفافها. هذا الرّمز يسمّى (أُمُول). ربّما كانت هذه الكلمة اسما للإله (أُمُون).

وكان البربر يعبدون موتاهم ويحترمونهم ويخشون غضبهم. وللاتّصال بهم، يصلّون ثمّ ينامون على قبورهم، ليتلقّوا منهم أوامرهم ونواهيهم في المنام. هذه العادة الجاهلية لا تزال منتشرة في بعض أنحاء المغرب الأقصى وبلاد القبائل بالجزائر. أمّا في الهقّار، فإنّ النّساء يرقدن بجانب القبور لمعرفة أحوال أزواجهنّ الغائبين[1].

من بقايا هذه الاعتقادات في مزاب ما يحرّم البعض على نفسه وذويه من إيقاد النّار في الأعياد الدّينية، وتربية الدّجاج، وإحراق غصون الكروم، وارتداء اللّون الأسود أو الأحمر، طاعة لأجداده الموتى، معتقدا أنّ كلّ مخالفة لهم تلحق به لعنتهم النّافذة.

ومِثل ما يقع في الهقّار كان ساري المفعول إلى أمد غير بعيد في مزاب فإنّ بعض النّساء كنّ يقصدن موقع قرية تِرِشِينْ وقرية أَثْنُونَّايْ المندثرتين، ويستغرقن في نوم عميق، لتلقّي أخبار الغيب في المنام.

من معتقدات البربر أنّ الجنّ ينتقلون جماعات في شكل زوابع الرّيح المثيرة للغبار، فإذا رأوها قالوا هذه جماعة من الجنّ مرّت.

وكان البربر يقدّمون النّذر من الأطعمة والأنعام لبعض الكهوف ويزورونها زرافات ووحدانا، يطيّبون رائحتها بالبخور.

1- حدادو: جريدة آفاق، 3و4 أوت 1990.

4- أوّل مذاهب بني مصعب في الإسلام :

عند انتهاء الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا عام 84هـ/703م اعتنق البربر الإسلام، وساهموا في نشره. ولمّا ظهرت المذاهب الإسلامية سبقت إلى بني مصعب أصول المعتزلة فأخذوا بها. وكانوا يسمّون واصلية، نسبة إلى واصل بن عطاء[1].

يقول الشّيخ إبراهيم مطياز: «فالمعتزلة الذين كانوا في هذا الوطن... كانوا منعزلين عن بني رستم، بل كانوا يحاربون الرّستميين»[2].

وقد سبقه القطب بقوله: «وليس أهل هؤلاء القرى إباضية من أوّل، بل كانوا معتزلة، يسافرون إلى تاهرت لقتال الإباضية»[3].

إنّ أشهر علمائهم في هذا العهد سليمان بن عبد الجبّار المدفون بالعطف، وكان معتزليا.

5- حياة بني مصعب الاقتصادية:

كان يعيش أغلبهم على تربية المواشي، والتنقّل بها عبر أرجاء الشّبكة، بحثا عن الماء والكلأ. فكانت حياتهم في منتهى البساطة، شأنهم في ذلك شأن قبائل البدو في كلّ مكان.

يقول الشّيخ علي يحيى معمّر[4]:«وحافظوا (أي سكّان بلاد الشّبكة) على

1- **واصل بن عطاء** (80-131هـ/700-748م)، كان أوّل أمره مع الأشاعرة، لكنّه اعتزل عنهم بقوله بالمنزلة بين المنزلتين، فسمّي أتباعه بالمعتزلة.

2- تاريخ مزاب، 6.

3- الرسالة الشافية، 38.

4- **علي يحيى معمّر** (1338-1400هـ/1919-1980م)، ولد بنالوت في ليبيا وتعلّم بها، ثمّ سافر إلى تونس سنة 1346هـ/1927م، والتقى بشيخه رمضان الليني بمدرسة الإباضية، وهناك تردّد على دروس جامع الزّيتونة. ثمّ لمّا بلغه صدى معهد الحياة بالقرارة رحل إليه سنة 1357هـ/1938م، حيث بقي سبع سنوات يحضر دروس الشّيخ بيوض ويساعده على التّدريس. رجع إلى نالوت سنة 1366هـ/1945م، اهتمّ مدّة بالسّياسة، ثمّ تفرّغ للتّدريس، فارتقى في سلّم التّعليم، حتّى استقرّ

نظام حياتهم، كشعب يعتمد على تربية المواشي بالدّرجة الأولى وعلى الزّراعة الموسمية بالدّرجة الثّانية»[1].

أمّا صناعتهم فكانت تقتصر على نسج الخيام والألبسة من الوبر، فلم يكونوا يتعاطون نسج الصّوف إلاّ ما كان يشتغل به سكّان قرية الصّوفة (أَغَرْمْ نَتْلَزْضِيتْ)، وهو ما ميّزهم عن باقي بني مصعب وأدّى إلى تسمية قريتهم تلك.

6- اللّغة المزابية:

أصلها زناتية، وهي قريبة جدا من القورارية والشّاوية والشّلحية والنّفوسية.

من خصائصها الابتداء بالسّاكن كقولهم (تْمَارتْ) للّحية و(تْفُويْتْ) للشّمس، ومن خصائصها اجتماع ساكنين أو أكثر كما في المثالين السّابقين.

تاء التّأنيث تكون في أوّل الاسم فنقول (تَبَجْنَ) للرّأس. وقد يكون المؤنّث في المزابية مختوما بتاء كذلك، والأمثلة كثيرة ومنها (تَمَطُّتْ) للمرأة و(تْوَارْتْ) لأنثى الأسد.

لا توجد في المزابية صيغة التّثنية.

بوزارة التّعليم في منصب إداري سام. وفي الأثناء قام بعدّة رحلات في العالم العربي، وأنتج عددا من المؤلّفات نذكر منها:

- الإباضية في موكب التّاريخ (أربع حلقات).
- الإباضية بين الفرق الإسلامية.
- سمر أسرة مسلمة.
- الفتاة اللّيبية ومشاكل الحياة.
- الأقانيم الثّلاثة.
- أحكام السّفر في الإسلام.
- الميثاق الغليظ.
- الإسلام والقيم الإنسانية.
- فلسطين بين المهاجرين والأنصار.
- الإباضية مذهب من المذاهب الإسلامية المعتدلة.

توفّي يوم الثّلاثاء 27 صفر 1400هـ/15 جانفي 1980م.

1- الإباضية في الجزائر، الجزء الثّاني، 448.

إنّ اللّغة المزابية غنيّة بالأمثال التي تغني عن الكلام الطّويل. منها (وِيوْفِينْ وَلْيَطِّيفْ أَدِبْرَسْ وَلْيَتِّيفْ) ومعناه: من وجد و لم يقبض سيبحث ولا يجد، يضرب مثلا لمن ضيّع الفرص.

ومن الكنايات المزابية قولهم (تَقّنْ سْوُولْمَانْ) ومعناه: مربوطة بخيط واه، وهو كناية عن عدم إحكام الأمور.

وللمزابيين قصائد شعرية يتغنّون بها في المناسبات كوقت الدّرس للفلاّحين، وأوقات النّسج للنّسوة، وفي أيّام الأعراس للفتيات، وفي الأعياد الدّينية.

إنّ اللّغة المزابية تأثّرت كثيرا باللّغة العربية لغة القرآن. لكنّ الألفاظ المقتبسة منها لم تبق على هيئتها الأولى، بل صاغها المزابيون على قواعد لغتهم، وركّبوها تركيبا جديدا، فانسجمت مع المزابية، وصارت جزءا منها، لا ينتبه إليها إلاّ من عرف أصلها. فكلمة (أَمْبَارَشْ) أصلها مبارك وكلمة (يَتْزَالْ) معناها يصلّي.

7- قرى بني مصعب الأولى:

كان بنو مصعب يسكنون الخيام والغيران، ثمّ أسّسوا تجمّعات سكنية، تطوّرت حتّى أصبحت قرى.

أشهر القرى التي أسّست في هذا العهد (أَغَرْمْ نَتْلَزْضِيتْ) وهي الآن خربة على بعد ستّة كيلومترات جنوب شرق العطف. يقول الشيخ إبراهيم مطياز إنّها أسّست سنة 95هـ.[1] أمّا تاريخ خرابها فمجهول.

يلاحظ الزّائر لأطلالها المنتشرة أنّها بنيت في الوادي، ممّا يجعلنا نظنّ أنّ الظّروف الأمنية في أوّل ذلك العهد كانت حسنة، بحيث لم يجبر بنو مزاب بعد على تسلّق سفوح الجبال والإقامة بها، بعيدا عن زراعتهم وماشيتهم، دفاعا عن أرواحهم من غارات غيرهم من البدو.

1- تاريخ مزاب، 36.

لكن مع مرور الزّمن لم تنج قرية تَلَزْضِيتْ من هجومات الأعداء ففكّر أهلها في إقامة حصن يعلوها، يلجؤون إليه وقت الخطر، لا تزال أسواره قائمة إلى اليوم.

وهناك عدد من قرى مشابهة نذكر منها (أَوْلَوَالْ) الذي لم يبق منه إلاّ حصنه، وهو أقرب إلى العطف من تَلَزْضِيتْ، ومنه تبتدئ الواحة التي تحمل اسمه. إنّ هذا الحصن دليل على وجود قرية أسفله في الوادي، لم يبق لها أثر.

وذكر الشّيخ باكلّي عبد الرّحمن أنّ من بين قرى العهد الأوّل قرية (أُخِيرَهْ)، وهي تقع شرق العطف، لا يفصل بينهما سوى مجرى وادي مزاب. يقال إنّه خرّبها أهل تَلَزْضِيتْ. ويشهد على وجود هذه القرية مسجدها الذي لا يزال قائما، تكاد لا تفرّق بينه وبين مسجد (أَغَرْمْ أَنْوَدَّايْ) بمليكة. ينسب المسجد إلى لاّلّهْ أُوخِيرَهْ. بجواره مقبرة بيّنة المعالم. يلاحظ عدم وجود أثر للمئذنة في كلا المسجدين المذكورين، فهل يدلّ هذا على أنّ مساجد الوادي لم تكن لها مآذن في ذلك العصر؟ وإذا كان الأمر كذلك فمتى رفعت أوّل مئذنة بوادي مزاب؟

ومن القرى القديمة قصر الأحنش قرب بونورة من الجنوب الشّرقي لها، على يسار الذّاهب إلى العطف[1]، و(تْمَزَّارْتْ) شمال ملتقى وادي مزاب ووداي أزْوِيلْ، كانت تدلّ عليها قبّة كانت تزار سنويا، يقال إنّه أنشأها العلاّمة باسعيد بن بابكر، عندما استقرّ بوادي مزاب، وكان من قبل يتردّد إليه من وارجلان يرشد المعتزلة إلى الحق.

وعلى يسار الذّاهب إلى أجنّة بني يسقن الحالية، وقرب مدخل شعبة (مُومُّو)، قرية من ذلك العهد اسمها (تِرِشِينْ) انقرضت و لم يبق منها سوى أثر مسجد ومحضرة لتعليم الصّبيان القرآن. أمّا كلمة تِرِشِينْ بالبربرية فهي جمع تَرِشْتْ، وتعني كومة من التبن.

كذلك قرية (أَقْنُونَّايْ) على يمين الذّاهب إلى تلك الأجنّة، قرب موقع السدّ الكبير الحالي. ومن القرى القديمة جدا قرية (تْلاَتْ مُوسَى) على مقربة من شعبة (تْلاَتْ) بواحة بني يزقن.

1- إبراهيم مطياز: تاريخ مزاب، 8.

إنّ اللّغة المزابية غنيّة بالأمثال التي تغني عن الكلام الطّويل. منها (وِيوْفِينْ وَلْيَطِّيفْ أَدبْرَسْ وَلْيَتِّيفْ) ومعناه: من وجد ولم يقبض سيبحث ولا يجد، يضرب مثلا لمن ضيّع الفرص.

ومن الكنايات المزابية قولهم (تَقَّنْ سْوُولْمَانْ) ومعناه: مربوطة بخيط واه، وهو كناية عن عدم إحكام الأمور.

وللمزابيين قصائد شعرية يتغنّون بها في المناسبات كوقت الدّرس للفلاّحين، وأوقات النّسج للنّسوة، وفي أيّام الأعراس للفتيات، وفي الأعياد الدّينية.

إنّ اللّغة المزابية تأثّرت كثيرا باللّغة العربية لغة القرآن. لكنّ الألفاظ المقتبسة منها لم تبق على هيئتها الأولى، بل صاغها المزابيون على قواعد لغتهم، وركّبوها تركيبا جديدا، فانسجمت مع المزابية، وصارت جزءا منها، لا ينتبه إليها إلاّ من عرف أصلها. فكلمة (أَمْبَارَشْ) أصلها مبارك وكلمة (يَتْزَالْ) معناها يصلّي.

7- قرى بني مصعب الأولى:

كان بنو مصعب يسكنون الخيام والغيران، ثمّ أسّسوا تجمّعات سكنية، تطوّرت حتّى أصبحت قرى.

أشهر القرى التي أسّست في هذا العهد (أَغَرْمْ نَتْلَزْضِيتْ) وهي الآن خربة على بعد ستّة كيلومترات جنوب شرق العطف. يقول الشيخ إبراهيم مطياز إنّها أسّست سنة 95هـ.[1] أمّا تاريخ خرابها فمجهول.

يلاحظ الزّائر لأطلالها المنتشرة أنّها بنيت في الوادي، ممّا يجعلنا نظنّ أنّ الظّروف الأمنية في أوّل ذلك العهد كانت حسنة، بحيث لم يجبر بنو مزاب بعد على تسلّق سفوح الجبال والإقامة بها، بعيدا عن زراعتهم وماشيتهم، دفاعا عن أرواحهم من غارات غيرهم من البدو.

1- تاريخ مزاب، 36.

لكن مع مرور الزّمن لم تنج قرية تَلَزْضِيتْ من هجومات الأعداء ففكّر أهلها في إقامة حصن يعلوها، يلجؤون إليه وقت الخطر، لا تزال أسواره قائمة إلى اليوم.

وهناك عدد من قرى مشابهة نذكر منها (أَوْلَوَالْ) الذي لم يبق منه إلاّ حصنه، وهو أقرب إلى العطف من تَلَزْضِيتْ، ومنه تبتدئ الواحة التي تحمل اسمه. إنّ هذا الحصن دليل على وجود قرية أسفله في الوادي، لم يبق لها أثر.

وذكر الشّيخ باكلّي عبد الرّحمن أنّ من بين قرى العهد الأوّل قرية (أُخِيرَهْ)، وهي تقع شرق العطف، لا يفصل بينهما سوى مجرى وادي مزاب. يقال إنّه خرّبها أهل تَلَزْضِيتْ. ويشهد على وجود هذه القرية مسجدها الذي لا يزال قائما، تكاد لا تفرّق بينه وبين مسجد (أَغَرْمْ أَنْوَدَّايْ) بمليكة. ينسب المسجد إلى لاَلّهْ أُوخِيرَهْ. بجواره مقبرة بيّنة المعالم. يلاحظ عدم وجود أثر للمئذنة في كلا المسجدين المذكورين، فهل يدلّ هذا على أنّ مساجد الوادي لم تكن لها مآذن في ذلك العصر؟ وإذا كان الأمر كذلك فمتى رفعت أوّل مئذنة بوادي مزاب؟

ومن القرى القديمة قصر الأحنش قرب بونورة من الجنوب الشّرقي لها، على يسار الذّاهب إلى العطف[1]، و(تْمَزَّارْتْ) شمال ملتقى وادي مزاب ووداي أزْوِيلْ، كانت تدلّ عليها قبّة كانت تزار سنويا، يقال إنّه أنشأها العلاّمة باسعيد بن بابكر، عندما استقرّ بوادي مزاب، وكان من قبل يتردّد إليه من وارجلان يرشد المعتزلة إلى الحق.

وعلى يسار الذّاهب إلى أجنّة بني يسقن الحالية، وقرب مدخل شعبة (مُومُّو)، قرية من ذلك العهد اسمها (تِرِشِينْ) انقرضت ولم يبق منها سوى أثر مسجد ومحضرة لتعليم الصّبيان القرآن. أمّا كلمة تِرِشِينْ بالبربرية فهي جمع تَرِشْتْ، وتعني كومة من التبن.

كذلك قرية (أَقْنُونَّايْ) على يمين الذّاهب إلى تلك الأجنّة، قرب موقع السدّ الكبير الحالي. ومن القرى القديمة جدا قرية (ثْلاَتْ مُوسَى) على مقربة من شعبة (ثْلاَتْ) بواحة بني يزقن.

1- إبراهيم مطياز: تاريخ مزاب، 8.

وكلمة (أَغَرْمْ أَنْوَادَّايْ) معناها القرية السّفلى. فكيف كانت تسمّى أيّام عمارها؟

حسب الشيخ إبراهيم مطياز، فإنّ بني خفيان سكنوا مليكة بعد بوزيزة فانتقل من انتقل منهم إلى الجنوب، وأسّسوا قرية تشرف على موقع مدينة المنيعة الحالية. حاصر هذه القرية فرق من رياح وغيرهم من بني هلال، مدّة طويلة، وكانت صعبة المرقى، ثمّ ارتحلوا عنها بحيلة من السكان.

وبعد مدّة اجتمع لحربهم أعراب من البَيَّضْ وآخرون معهم، ونصبوا لهم مكيدة كانت سببا لخراب بلدهم، فعاد بنو خفيان بعدها إلى مليكة. وقع ذلك أواخر القرن السادس الهجري[1].

ب- (تَاجْنِينْتْ) العطف:

هي أقدم مدن مزاب الحالية تأسيسا، أنشأها خليفة بن أبْغُور عام 402هـ/1012م. أمّا كلمة (تَاجْنِينْتْ) فتدلّ على المكان المنخفض.

كتب قُوفْيُونْ ما معناه: يوجد في العطف ثلاث عشرة عائلة، أصلها معتزلة، مقسّمة على العشائر الثّلاث في المدينة: أولاد عيسى وأولاد إبراهيم وأولاد إسماعيل. هؤلاء يملكون دون غيرهم حقّ استغلال محاجر الجبس على هضبة النُومْرَاتْ في مكان يدعى (تِلَمْسَاسِينْ)[2].

ج- قرية (بُوكْيَاوْ):

أسّسها المعتزلة على جبل مشرف على الأجنّة الحالية لبني يزقن على يمين الذّاهب إليها. لا تزال أطلالها تزار إلى اليوم.

1- تاريخ مزاب، 15،16.

2 - Gouvion: Monographie du M'Zab, 228.

د- (آتْ بُونُور) بونورة:

بونور اسم قبيلة بربرية. أسّست عام 457هـ/1065م قرية بونورة على جبيل منقطع عن باقي الهضبة.

هـ- (تَغَرْدَايْتْ) غرداية:

معنى الكلمة الأرض المستصلحة الواقعة على ضفّة مجرى الوادي. أسّست عام 477هـ/1085م على جبيل منقطع عن باقي الهضبة، وقيل إنّ تغرداية تصغير لكلمة أَغَرْدَايْ الذي هو الجبل[1].

و- (مُورْكِي):

بنيت على جبل يشرف على بونورة، غربها، يفصل بينهما وادي مزاب. كان فيها سوق يقصدها من في نواحيها. خربت بفتنة وقعت بين رئيسها الشّيخ يحي بن إسحاق وبين قبيلة من البدو يقال لها زاكيا[2].

ز- (آتْ يَزْجَنْ) بني يَسْجَنْ، بني يَزْقِنْ، بني يَسْقِنْ، بني إِزْقِنْ:

أسّست عام 720هـ/1321م. أصل المدينة (تَافِلاَلْتْ) ولا يزال هذا الاسم يطلق على أوّل أحياء المدينة في الجزء الأعلى منها. وقد استقبلت هذه المدينة سكّان القرى المجاورة المهجورة: تِرِشِينْ، ثْلاَتْ موسى، أَقْنُونَّايْ، بُوكْيَاوْ. أمّا سكّان مُورْكِي فقد تفرّقوا بين بونورة وبني يزقن، وسكّان ثْمَزَّارْتْ قصد بعضهم بني يزقن وبعضهم بونورة والباقي غرداية.

1- يوجد جنوب شرق جبل عمور أطلال قرية بربرية تحمل اسم غرداية على بعد ثمانية عشر كيلومترا من قصر خضراء يقال إنّ سكّانها كانوا إباضية.

2- إبراهيم مطياز: تاريخ مزاب، 27.

يقول الشّيخ طفيّش القطب: «ففي أعمال قسنطينة قوم يسمّون أولاد يسفن جاءت طائفة منهم إلى هذه القرية فنسبت إليهم»[1].

يظهر أنّ إزڤن اسم قبيلة بربرية[2]، منتشرة جنوب قسنطينة، مركزها الحالي مليلة، مشهورة اليوم بالسڤنية، تتألّف من ثلاثة أعراش: أولاد موسى وأولاد عْنَانْ وأولاد خالد، مع الملاحظة أنّ هذه القبائل موجودة كلّها ببني يزڤن، دون سواها من المدن المزابية.

يقول كُوبِيرْلِي: «وعلى كلّ حال، فإنّ آت يزڤن يشكلون قبيلة زناتية يوجدون حاليا في عين مليلة وعين كرشة قرب تلمسان»[3].

ح- (أَتَمْلِيشَتْ) مليكة:

سبب تسميتها لدى القطب: «ويمكن أن تكون سمّيت لرجال عمروها من بلاد تسمّى مْلِيكَشْ»[4] ومليكش قبيلة أمازيغية منتشرة في شرقي الجزائر.

هي آخر المدن الخمس الحالية على وادي مزاب. أسّست عام 756هـ/1355م، قريبا من أَغَرْمْ أَنْوَادَّايْ شماله وأكثر ارتفاعا منه.

ط- قرية بابا السّعد:

أقيمت غرب غرداية في أعلى جبل. يقال إنّه عندما بلغ أهل غرداية خبر قدوم غزاة من بني عباس حوالي 790هـ/1388م، انتقلوا إلى ذلك المكان وتحصّنوا به ثمّ اشتبكوا معهم وانتصروا عليهم، فدفنوا موتى الغزاة وما تركوا من أسلحة وغيرها في موضعين معروفين إلى الآن[5].

1- الرّسالة المختصرة، 19-20.

2- يقول قوفيون في كتابه (دراسة مزاب) ص295: «في هذا العهد الأخير، في رحلتنا لسوس المغرب، لاحظنا تشابها بين إزڤن قرب أغادير وبني إزڤن مزاب في سورها وبرجها» .

3 - Aperçu sur l'histoire de l'Ibadisme au M'Zab,25.

4- الإمكان في ما جاز أن يكون أو كان.

5 -Marcel Mercier : Civilisation Urbaine au M'Zab, 125.

إنّ الفترة الزّمنية لإنشاء القرى الخمس الحالية على وادي مزاب لا تقلّ عن ثلاثة قرون ونصف، وليس الأمر كما يذهب إليه بعض المؤرّخين أنّها أسّست في أقل من نصف قرن. والمنطق لا يقبل أن توجد في هذه الفترة القصيرة من الزّمن، وفي هذه الرقعة الضيّقة التي لا يزيد طولها عن ثمانية كيلومترات، خمس قرى بهذه السّرعة على واد واحد، والمنطقة كما نعلم صحراء قاحلة يحتاج الإنسان إلى صبر ومثابرة نادرين لتطويعها.

أمّا بالنّسبة للمواقع المختارة لإقامة هذه القرى في العهد الثّاني، فإنّ أَغَرْمْ أَنْوَادَّايْ والعطف وبُوكْيَاوْ بنيت على سفح الجبل على علو بسيط بقدر ما تكون في مأمن من سيلان الوادي، ولكي لا تضيع الأراضي الصّالحة للفلاحة بسبب البناء عليها.

أمّا بونورة وغرداية فقد بنيت كلّ واحدة منهما على قمّة جبيل منقطع عن بقية الهضبة، شبيه بجزيرة. ولا شكّ أنّ هذا الاختيار روعي فيه جانب الدّفاع ضدّ الغارات.

ونجد مُورْكِي وبني يزڤن ومليكة وقرية بابا السّعد أسّست على الجبل، أكثر علوا من سابقاتها، لأسباب أمنية عسيرة حدثت مع مرور القرون وازدهار العمران، واشتداد طمع الطّامعين المحترفين النّهب والسّلب.

وفيما يخصّ تخطيط هذه القرى، فإنّ المسجد يتوسّطها، وتلتفّ حوله المنازل، مع لفت النّظر إلى أنّ المسجد الأوّل للعطف هو المسجد العتيق، والمسجد الأوّل لبونورة هو الذي يعلو القرية الخالية (أَغَرْمْ إِخْلاَنْ)، كما أنّ المسجد الأصلي لبني يزڤن ليس هو الحالي، بل هو أعلى منه بقليل، ويتوسّط الحي الأوّل المسمّى تَفِلاَلْتْ.

يحيط بالقرية سور تتخلّله مداخل وأبراج للحراسة. وقد تدير المنازل ظهرها للخارج فتكوِّن بذلك السّور أو جزءا منه، ولا يؤذن لأصحاب هذه المنازل بفتح باب إلى خارج القرية، وبذلك توفّر البلدة على نفسها نفقة التّسوير أو جانبا منها.

أمّا السّوق حيث تستقبل القوافل التّجارية فكانت تقع خارج السّور.
كذلك الحال بالنّسبة للبئر الرعويّة التي تسمّى بالمزابية (آنو).

2- تحوّل بني مصعب من الاعتزال إلى المذهب الإباضي :

يجمع المؤرّخون على أنّ تحوّل بني مصعب إلى المذهب الإباضي يرجع سببه إلى الدّعوة التي قام بها الدّاعية أبو عبد الله محمّد بن بكر[1].

يقول الشّيخ مطياز: «انعقد مؤتمر بأَرِيغْ حوالي 420هـ، للنّظر في مسائل تهمّ الوطن، منها قضيّة اللاّجئين من فلول رعايا بني رستم... وقد غصّ أريغ بسكّانه، وبأولئك اللاّجئين، فاقتضى رأي المؤتمر على انتداب العلاّمة أبي عبد الله محمّد بن بكر ليجول في صحراء جنوب المغرب الأوسط، علّه يجد ما عسى أن يمكن التفسّح فيه لأولئك اللاّجئين وغيرهم من الإباضية بأريغ. خرج العلاّمة برفقة ابنه وغلامه فساحوا بنواحي الجنوب فوقع اختيارهم على وادي مزاب إلاّ أنّه معمور بكثير من المعتزلة» ويمضي الشّيخ مطياز قائلا: «رجع الرّأي والمشورة إلى مؤتمر أريغ فانعقد ثانيا، واتّفق رأيه على النّزوح إلى هذا الوطن وتعميره بما يصلح سكّانه المعتزلة من العلم والألفة وحسن الجوار. رجع الإمام المصلح هو وابنه وغلامه كأوّل مرّة. وفي

1- **أبو عبد الله محمّد بن بكر الفرسطائي:** كان أبوه وجدّه من علماء جبل نفوسة. درس على مشايخ الجبل ثمّ سافر إلى جربة فأخذ العلم عن بعض علمائها، ثمّ انتقل إلى القيروان، وكانت حينئذ عامرة بعلماء الإباضية. وبعد ذلك قرّر أن يرجع إلى الإمام أبي نوح سعيد بن زنغيل فعاد إلى جبل نفوسة وبنى هناك مسجده في بلدة فرسطاء. فلمّا انتقل إلى مناطق أريغ أرسل إليه أبو زكرياء فصيل ولديه للتّعليم ثمّ للتّحريض على إنجاز نظام الحلقة، وعكف أبو عبد الله على إتمامه أربعة أشهر. فلمّا أتمّه عرضه على المشايخ والتّلاميذة فاستحسنوه. كان ذلك في مسجد تقيوس عام 413هـ. ثمّ رحل بحلقته من تقيوس إلى تينسلي على بعد عشرين كيلومترا جنوب بلدة تقرّت.
وكان كثير التنقّل بحلقته. فقد كان يشتي بأريغ ويربع ببادية بني مصعب، يدعو النّاس إلى المذهب الإباضي وينشر تعاليم الإسلام، بنى مقامه بالعطف عام 422هـ.
توفّي عام 440هـ في تينسلي، بليدة أعمر اليوم، وهو كفيف البصر، بعد أن ترك نظام الحلقة الذي خلّد ذكره.

عام 422هـ وصل بلدة العطف، الوسط المعمور أكثر من غيره بالمعتزلة... وكان ذلك بعد موت عالم الوطن سليمان بن عبد الجبّار»[1].

ويقول الشّيخ القطب: «وكان يُشَتِّي في أَرِيغْ ويُرَبِّعُ في البراري عند بني مصعب وغيرهم، وكانوا واصلية على مذهب واصل بن عطاء وهم معتزلة فردّ بعضا إلى الوهبية»[2].

ويذكر أنّ استجابة بني مصعب للشّيخ أبي عبد الله محمّد بن بكر لاعتناق المذهب الإباضي لم تكن بالأمر السّهل، إذ قتلوا أحد أبنائه وهو إبراهيم. كما أنّ هذه الاستجابة لا نتصوّر أنّها كانت جماعية وفورية. فقد ظلّ عدد كبير منهم على اعتزاله زمنا. والدّليل على ذلك وجود مقابر للمعتزلة مجاورة للعطف وأَغَرْمْ أَنْوَادَّايْ لِمَلِيكَة.

والدّليل الثّاني ما رواه الشّيخ مطياز: «في بونورة بناحية ختالة مقبرة من... النّفوسيين، استشهدوا في بعض معارك بين المعتزلة والنّازحين إلى مزاب، وذلك أواخر القرن الخامس»[3].

والدليل الثالث استفتاء الشيخ باعبد الرحمن الكُرْتِي للشيخ أبي عمّار عبد الكافي في مسائل القضاء والقدر، وهو من علماء الخمسين الأولى من القرن السّادس الهجري.

في سياق الكلام على هذا التحوّل المذهبي نورد بعض الحديث الموجز عن الإباضية وأصولهم:

إمامهم **جابر بن زيد الأزدي**، ولد قرب نزوى بِعُمَانْ سنة 21هـ/641م، رحل في طلب العلم وصاحب عبد الله بن عبّاس، كما أخذ عن جمع كبير من الصّحابة. استقرّ في البصرة. هو أول من جمع الحديث في ديوان (مفقود).

1- تاريخ مزاب، 71-73.
2- الرّسالة الشّافية، 185.
3- تاريخ مزاب، 42.

أخذ عنه العلم ناس كثير، من بينهم الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة[1].

توفّي سنة 93هـ/711م.

نُسب أتباع هذا المذهب إلى **عبد الله بن إباض التّميمي**، أحد رجالهم المشهورين، بسبب المراسلات والمناقشات التي جرت بينه وبين عبد الملك بن مروان، ولحركته النّشيطة في نقد سلوك الحكم الأموي، بابتعاده عن نهج الخلفاء الرّاشدين، بحيث ظهر عند العامّة بمظهر الزّعيم. كانت له مواقف جدلية متصلّبة ضدّ الخوارج على أساس عدم جواز تشريك من يقام الأذان في مساجدهم. توفّي سنة 86هـ/705م.

أمّا الإباضية فقد كانوا يسمّون أنفسهم أهل الدّعوة، ولم يعرفوا بالإباضية إلاّ بعد موت جابر بزمان. ولم يعترفوا بهذه التّسمية إلاّ بعد ذلك، عندما انتشرت على ألسنة الجميع.

هذه بعض أصول الإباضية التي لها تأثير مباشر على سلوك الفرد في المجتمع و على علاقة الإباضية مع مخالفيهم:

1- الإيمان يتكوّن من ثلاثة أركان وهي الاعتقاد والإقرار والعمل.

2- الخلود في الجنّة أو النّار أبدي.

3- الإنسان حر في اختياره مكتسب لعمله ليس مجبرا عليه.

4- ولاية المطيع والبراءة من العاصي واجبتان.

1- **أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة** أخذ العلم عن جابر بن زيد وجعفر السماك وصحار العبدي، وإليه انتهت رئاسة الإباضية بعد موت جابر، أنشأ مدرسة سرّية بالبصرة لتخريج دعاة الحقّ وسجنه الحجّاج بن يوسف، ولمّا توفّي أطلق سراحه سنة 95هـ فلم يلن واستمر في جهاده، وبإشارته أسّس الإباضية في كل من المغرب وحضرموت دولا مستقلّة. تخرّج على يديه رجال عرفوا بحملة العلم وعن طريقهم انتشر المذهب الإباضي وفقهه.
توفّي أبو عبيدة نحو سنة 145هـ/762م. أشهر تلامذته الرّبيع بن حبيب صاحب المسند الجامع الصّحيح، وسلمة بن سعد، وأبو الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح المعافري، والجلندي بن مسعود، وعبد الرّحمان بن رستم مؤسّس الدولة الرّستمية.

5- التّوبة أساس المغفرة، فلا تغفر كبيرة بدون توبة.

6- الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واجبان.

7- شفاعة الرّسول قسمان: الشّفاعة الكبرى يوم القيامة، لبدء الحساب ولدخول المسلمين الجنّة، وهي المقام المحمود الذي يختصّ به نبيّنا، والشّفاعة الصّغرى ولا تكون إلاّ للمؤمنين الموفّين، بزيادة الدّرجات.

8- مرتكب الكبيرة ليس مشركا، وإنّما هو مسلم له كلّ حقوق المسلمين ما عدا الاستغفار، ما لم يتب.

9- مخالفوهم في المذهب ليسوا كفارا، وإنّما هم مسلمون، لهم من الحقوق وعليهم من الواجبات مثل ما على صاحب المذهب نفسه إلاّ في شيء واحد وهو الاستغفار.

10- من حلّ دمه من المسلمين، لا يحلّ غنيمة ماله، ولا سبي نسائه وقتل أطفاله ولا قطع الميراث عنه[1].

11- الخلافة الإسلامية لا يمكن أن تخضع لنظام وراثي، أو تبقى محصورة في قبيلة خاصّة، إنّما يجب أن تراعى فيها الكفاءة والاستطاعة[2].

3- استقبال بني مصعب للمهاجرين من مختلف الجهات :

يقول الشّيخ علي يحى معمّر: «وفي أوائل القرن الخامس توالى الجفاف على منطقة وارجلان وما جاورها عددا من السّنين، وزفقر كثبان من الرّمال على سدراته. وكانت بعض الأودية التي تنساب تحت طبقات من الأرض، حتّى إذا وصلت إلى منطقة سدراته ووارجلان نبعت على شكل عيون غزيرة، قد تغيّرت مجاريها فغارت تلك العيون. فضاقت الحياة بالنّاس لاسيما أصحاب الماشية...فلم يجدوا منتجعا لإنقاذ ماشيتهم غير بادية بني مصعب...هكذا قرّروا أن يتّجهوا إليها»[3].

1- علي يحى معمّر: الإباضية، 57-71.
2- إبراهيم طلاّي: مزاب بلد كفاح، 33.
3- الإباضية في الجزائر، الجزء الثّاني، 436.

هذه الهجرة تمّت لأسباب اقتصادية ناتجة عن ظروف طبيعية. وهناك هجرات أخرى لأسباب سياسية، أهمّها انقراض دولة بني مدرار في سجلماسة عام 366هـ/976م[1]، ووصول بني هلال إلى المغرب عام 443هـ/1050م، والتّخريب الأوّل لسدراته عام 467هـ/1075م على يد أحد أمراء قلعة بني حمّاد المنصور بن النّاصر، والتّخريب الثّاني لها عام 626هـ/1229م على يد يحيى ابن إسحاق الْمَيُورْقِي المرابطي، المعروف بابن غانية، في ثورته ضدّ الموحّدين. وخربت سدراته أخيرا عام 672هـ/1274م.

يضاف إلى هذه الهجرات الجماعية استقبال وادي مزاب لعائلات أو لأفراد على مرّ القرون من المناطق المذكورة ومن غيرها. فقد احتضن جماعات متلاحقة وأفرادا شاركوا بني مزاب في إنشاء قراهم وتعميرها. فقد أتى هؤلاء المهاجرون من سدراته ووارجلان ووادي أَرِيغْ، وقصر بني خفيان قرب المنيعة، وجبل عمور وقصر البخاري والمدية، ووادي غنيم قرب الأبيض سيدي الشّيخ، ومن جبل نفوسة وجربة ومن سجلماسة وفقيق والساقية الحمراء وغيرها.

هؤلاء القادمون جميعهم إباضية أو اعتنقوا المذهب الإباضي عند استقرارهم بالمنطقة، ويطلق عليهم جميعا اسم بني مزاب مثل من سبقهم بها.

يتبيّن ممّا سبق أنّ تصوير بني مزاب بأنّهم نزحوا إلى سدراته من تاهرت عند انقراض الدّولة الرّستمية، وأنّ سكّان سدراته هاجروا منها إلى وادي مزاب عندما خرّبها الميورقي، وعمّروه وأسّسوا قراه، تصوير خاطئ، الهدف منه جعل إباضية المغرب جماعة من النّاس تطوف من مكان إلى مكان، والأمر على غير ذلك كما رأينا.

1- استمرّت من 140هـ/757م إلى 366هـ/976م على مذهب الصفرية.

4- الحياة الاقتصادية :

لعلّ أبرز سمات هذا العهد أنّ بني مزاب صاروا يفكّرون عمليا في تغيير حياتهم من النّسق البدوي المتغيّر إلى النّسق التحضّري المستقر. فجعلوا يتجمّعون في مدن أو قرى كبيرة، ويحفرون آبارا لإقامة زراعة مستمرّة تعتمد على الريّ الدّائم، ثمّ أصبحوا يرحّبون بمن يهاجر إليهم، ويستفيدون من خيرات أولئك القادمين من بلاد مختلفة في المجالات المختلفة لوسائل الحياة، ولاسيما في مجال الزّراعة الثّابتة[1].

من ذلك أنّ النّخلة لم تكن موجودة بوادي مزاب إلاّ بعد نزوح مهاجرين من وادي أريغ وسدراته إليه[2].

استطاع المزابيون أن ينشئوا واحاتهم الاصطناعية على وادي مزاب وعلى روافده، واستعانوا على قسوة الطّبيعة بعقيدتهم المتينة، وسلوكهم المستقيم، وصبرهم على شظف العيش، وكدّهم المستمر، وتقديس العمل اليدوي.

تقول الآنسة قُوشُونْ: «في المجتمع المزابي، لا يقتصر العمل اليدوي على الفقراء والجهلاء. كلّ المزابيين، وحتّى مشايخهم، يتعاطونه ويشرفونه. والذي لا يمكن أن يعيش بعرق جبينه يتلقّى مساعدات من عائلته وعشيرته. في أيّ حال من الأحوال لا يقبل من المزابي أن يتكفّف»[3].

إلى جانب الفلاحة، هناك من يقوم بصناعات خاصّة، مثل صناعة الجبس التي كانت تحتكرها العائلات المعتزلة بالعطف، ومثل صناعة الخزف والجبس التي كانت من نصيب أولاد فخار في أَغَرْمْ أَنْوَادَّايْ بمليكة، وقد أتوا بها من المدية.

1- علي يحيى معمّر: الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 455.

2- إبراهيم مطياز: تاريخ مزاب، 100.

3 -GOICHON A.M : La vie féminine au M'Zab, tome I, 239.

ولم يكن العمل من نصيب الرّجال فقط، بل إنّ المرأة قد ساهمت بقسط وافر في الحياة الاقتصادية للمنطقة، وذلك بالاقتصاد في النّفقات، والاشتغال بالغزل والنّسج.

يقول الشّيخ علي يحي معمّر: «ويبدو أنّ المرأة المصعبية قد أخذت حظّها من التطوّر. فقد كانت في العهود السّابقة مشغولة بمساعدة الأسرة في عمليات الرّعي المختلفة، وقصارى ما تستطيع أن تجيده هي صناعة الفلائج[1] التي تتكوّن منها الأخبية والبيوت. وكانت الصّوف تؤخذ وتباع في أسواق الحضر، ولم يشتغل بها إلاّ عدد قليل من العائلات المصعبية التي استقرّت في ...(أَغَرْمْ نَتْلَزْضِيتْ)... المكان الوحيد الذي كانت المرأة فيه تعرف صناعة الصّوف. ولمّا استقرّ بنو مصعب ومن هاجر إليهم في مدنهم تلك، وأعفيت المرأة من الأعمال التي كانت تزاولها في البادية، واستقرّت في البيت، وجدت أنّ في وقتها فراغا تستطيع أن تستغلّه، وتحرّكت أصابعها تغزل الصّوف وتنسج منه الأكسية والبرانس»[2]

5- حلقة العــزّابة:

كما مرّ فإنّ السّلطة في المجتمع المصعبي كانت أوّل الأمر بين أيدي رؤساء العشائر، ثمّ تحــوّل مركز السّلطة في القــرية إلى الهيئة الدّينية. إلاّ أنّنا لا نعرف بالتّحديد متى رشّح المجتمع هذه الهيئة لتولّي هذه السّلطة متعدّدة الجوانب.

أمّا الذي نتيقّن منه فإنّ الحلقة التي رتّبها الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن بكر لم تكن لها أيّة سلطة على المجتمع، ولم يكن هدف الشّيخ إخضاع المجتمع الإباضي لحلقته. إنّ الحلقة التي نظّمها كل من الشّيخ أبي عبد الله

1- ننقل عن الشيخ معمّر قوله: «الفليجة هي شقة الخباء، والأخبية أو بيوت الشّعر مصنوعة من عدد من الفلائج، والفلائج تصنع من شعر الماعز مخلوطا بوبر الإبل...» الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 448.

2- الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 458.

وتلميذه أبي الرّبيع سليمان بن يخلف المتوفّى عام 471هـ/1079م وتلميذه أبي الخطّاب عبد السّلام منصور بن وَزْجُون، ليست إلاّ هيئة تربوية تعليمية، بعيدة عن السّلطة والسّياسة، هدفها الوحيد نشر الإسلام والدّعوة إلى المذهب الإباضي، وتطبيق مبادئه ميدانيا.

أسّس أبو عبد الله الحلقة في مسجد الْمُنية بمدينة تقيوس، في عام "هزيمة الأبراج" الذي قامت فيه زناتة على صنهاجة. ويذكر الشيخ أبو اليقظان أنّ هذه الحادثة وقعت عام 413هـ.[1]

يقول الشّيخ علي يحي معمّر: «اعتنى أبو عبد الله عناية خاصّة بقضيّة التّربية والتّعليم. وممّا يتضمّنه ذلك المنهاج توحيد زيّ الطّلبة، وتوحيد زيّ المدرّسين، وتنظيم أوقات الدّراسة، وتخصيص كلّ وقت لما يناسبه من المعارف، وإدخال الآداب الإسلامية، والقيام بالعبادات الدّينية في قلب النّظام... وتخصيص أوقات للتّربية العملية في حلّ المشاكل وحسن التصرّف...كما أنّه أعطى قيمة خاصّة للفروق الفردية بين الطلاّب، وأوجب احترام شخصية الطّالب المتخلّف ذهنيا، ومراعاته ودراسة ظروفه حتّى لا تتكوّن فيه العقد النّفسية»[2].

ويضيف الشّيخ معمّر قائلا: «ولم يبق النّظام (نظام الحلقة) على ما سطّره الإمام أبو عبد الله ولا على ماحرّره تلميذه أبو الرّبيع سليمان بن يخلف، وإنّما تطوّر مع الزّمن فكانت تضاف إليه من حين إلى آخر تنظيمات جديدة وصلاحيات جديدة»[3].

1- الإمام أبو عبد الله محمّد بن بكر، 46.

2- الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 302.

3- نفس المصدر، 287.

إنّ أبا عمّار عبد الكافي الوارجلاني[1] ساهم مساهمة كبيرة في الإعداد النّهائي لِسيَرِ حلقة العزّابة، وذلك في القرن السّادس الهجري. خلاصة القول إنّ بعد مرور زمن يصعب تحديده، على القرى الحالية الأولى لمزاب، تصدّرت أمرها حلقة العزّابة بمفهومها الشّائع لدينا كسلطة عليا مطلقة قائمة مقام الإمامة العظمى. يقول لوفيكي: «يبدو أنّ هذه المؤسّسة (حلقة العزّابة) لم تكن موجودة بعد في مزاب، في عهد الدّرجيني[2]، في النّصف الأوّل من القرن السّابع الهجري، الثّالث عشر الميلادي»[3].

وحلقة العزّابة لها حقّ اختيار أعضائها بدون أدنى مداخلة لمن عداها في ذلك، يختار من كلّ عشيرة في القرية قدر ما ينوبها من الرّجال ويتحرّى في اختيارهم أعلم وأورع وأصلح من في العشيرة، بشرط أن يكون متخرّجا في دار التّلاميذ (إِرْوَانْ)، إلاّ إذا لم يوجد مثله في العشيرة فإنّه يختار من (إِمَصُّورْدَنْ) أي أصحاب المحاضر لا سواهم.

ودفعا للحاجة المادّية فإنّ الذي ينضمّ إلى حلقة العزّابة يتطلّب فيه أن يكون صاحب عمل أو حرفة، فأعضاء العزّابة كلّهم يكسبون قوتهم من كدّ يمينهم، واعتمادهم على أنفسهم في كسب القوت يضفي على مهمّتهم الدّينية

1- **أبو عمّار عبد الكافي بن أبي يعقوب** ولد بتناوت إحدى قرى وارجلان وبها نشأ نشأته الأولى، ثمّ ارتحل إلى تونس في عهد الموحّدين فجدّ في طلب العلم، واستقرّ بعد ذلك في وارجلان، وتفرّغ للتّدريس والتّأليف والفتوى. وبها توفّي قبل أبي يعقوب الوارجلاني إذ تولّى هذا الأخير الإجابة عن رسائل وردت على أبي عمّار. توفّي الوارجلاني عام 570هـ/1174م.
أبرز مؤلّفات أبي عمّار: الموجز في علم الكلام، وشرح كتاب الجهالات، والسّير، واختصار المواريث، وكتاب الاستطاعة.

2- **أبو العبّاس أحمد بن سعيد الدرجيني** ولد في مطلع القرن السّابع ودخل حلقة وارجلان عام 616هـ. أخذ العلم عن أبي سهل يحيى بن إبراهيم أحد علماء وارجلان وكان ذكيّا مقبلا بكليته على التّحصيل. أشهر ما ترك كتاب طبقات المشائخ بالمغرب.

3 -TADEUSZ LEWICKI : Encyclopédie de l'Islam, HALKA.

صفة النّزاهة والقناعة والتعفّف وإخلاص العمل لله وحده، كما أنّ اشتغالهم يجعلهم أدخل في الحياة الاجتماعية، وأكثر احتكاكا بفئات الشّعب في حياتهم اليومية[1].

نقل عن الشّيخ أبي عمّار عبد الكافي أنّه قال: «لا يدخل أحد الحلقة حتّى تكون فيه أربع خصال: الأولى أن يكون كيّسا أديبا، الثّانية أن يكون مشمّرا في طلب العلم، الثّالثة لا يكثر دخول الأسواق، الرّابعة يغسل جسده بالماء ويغسل قلبه بماء وسدر. أمّا الجسد فيغسله من الدّنس من النّاس، وأمّا القلب فيغسله من الغشّ والكبر وما أشبه ذلك ممّا يوجب إحباط العمل... وأمّا صفة أهل الحلقة فتنقسم على أربعة أقسام: فالقسم الأوّل يجتهد في طلب العلم والأدب... والثّاني أن يكون حافظا للقرآن، والثالث أن يكون مجتهدا في حقوق الضعفاء والمساكين ومنتصفا من الظّالم للمظلوم، وقائما بحقوق الأسواق والمجازير وحقوق المدينة، وقائما بما ينوب الضّعيف والمنقطع عن أهله... والرّابع أن لا يولوا مال المسجد من كان له مال كثير ولا من كان له أولاد كثير، بل يولونه من كان بين بين».

ثمّ يضيف الشّيخ أبو عمّار قائلا: «وأمّا الشّيخ فتلزمه حقوق كثيرة بينه وبين العزّابة وبينه وبين تلاميذه، ويكون الشّيخ ينصف الحقّ من نفسه لنفسه... ويرتّب أهل الحلقة على ثلاثة أقسام: قسم هو بنفسه، وقسم أربعة رجال، وقسم ما بقي من العزّابة. من الحلقة أربعة رجال من السّابقين في الهجرة، الحل والعقد عليهم... والمشورة كلّها راجعة إلى الشّيخ، والباقون من العزّابة ساكتون، ينظرون بأعينهم ويحفظون ما تقول تلك الأربعة هم وشيخهم».

عدد العزّابة من غير الشّيخ اثنا عشر: الإمام والمؤذّن، وثلاثة لتحفيظ القرآن الصّبيان الصّغار في المحاضر، وخمسة لغسل الموتى، ووكيلان على مال المسجد.

1- محمّد ناصر: حلقة العزّابة، 15.

ولرئيس الحلقة قيادة الجيش وتدبير شؤون الحر ووسائل الدّفاع، وكذا عقد المعاهدات والأحلاف. ويتولّى العزّابة الفصل بين الخصوم، والترافع يقع في صحن المسجد بين صلاتي الظّهر والعصر. وهم الذين يسهرون على المحافظة على المصالح العامّة وتنظيمها كالأسواق والمسالخ وسواقي المياه والسّدود. والمشورة كلّها راجعة إلى الشّيخ، كبيرة كانت أو صغيرة، فلا يتحرّك أحد من العزّابة حتّى يشاوره.

كان للحلقة في أسواق مدن مزاب مقاعد خاصّة للإشراف على الواردات والسّلع المجلوبة واستقبال القوافل من أطراف الصّحراء، وكان رئيس العزّابة هو الذي يعلن بواسطة المنادي بافتتاح السّوق، بعد التّكبير والصّلاة على الرّسول، ثمّ يشرع البائعون في عرض سلعهم وبضائعهم على الحاضرين.

إنّ أرباب القوافل لا يسمح لهم ببيع شيء من بضائعهم بالجملة للمحتكرين أو البائعين بالتّقسيط، إلاّ بعد أن يوضع تحت متناول العامّة، فيأخذ كلّ محتاج لتلك البضاعة مقدار ما يحتاجه، فإن فضل شيء بعد ذلك يبيعونه لأرباب البيع بالتّقسيط بالسويّة بين الحاضرين منهم، مع تحديد السّعر بلا غبن مطلقا، كما تشرف حلقات العزّابة على المكاييل في المدينة.

ولضمان مراقبة الذّبح في المجازر على منهاج الشّرع وطهارة الذّابح، فإنّ الحلقة تتولّى تعيين من يتولّى الذّبح بها بدون مقابل.

إذن فقد تعدّدت مهام حلقة العزّابة فشملت الجوانب الدّينية والتّعليمية والاجتماعية والقضائية والدّفاعية والاقتصادية.

وكانت وسيلتها الوحيدة للقيام بهذه المهام كلّها واحترام سلطتها، بعد القيام بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، هي التّبرئة. والغرض منها هو إشعار المتبرّأ منه بخطئه، حتّى يعلن توبته لله أمام المسلمين. عندما يثبت بواسطة شهادة عدلين لدى هيئة العزّابة أنّ فلانا اقترف جريمة كمنع حقّ زوجة أو يتيم، أو

طعن في الدّين، أو ارتكب فاحشة، أو خالف قرارا من قرارات الهيئة، فإنّه يعلن به على رؤوس الأشهاد بالمسجد، قبل صلاة الجماعة، أنّه قد ارتكب كذا وكذا، فهو في براءة المسلمين إلى أن يتوب في المسجد عند اجتماع النّاس لصلاة الجماعة. فلا يجالس ولا يشارك في فرح ولا في مأتم، ولا تقبل زيادته في الأسواق ولا دلالته إن كان دلاّلا، ولا ذبيحته إن كان جزّارا. وكلّ من عامله في شيء من ذلك يلحق به.

وإذا ما مات قبل التّوبة فإنّ العزّابة يحيلونه إلى بعض العوام للقيام بغسله وتجهيزه.

وللمهضوم الحق أن يقصد المسجد قبل أداء صلاة الجماعة فينادي بنحو «لا أسمح لكم إلاّ إذا أخذتم حقّي من فلان»، وهناك يتوقّفون عن الصّلاة حتّى يضمن للطّالب حقّه أحد الحاضرين.

وفي حالة ما إذا تمرّدت العامة على أمر من أوامر الحلقة فإنّ العزّابة يعلنون الإضراب، فيبقون في ديارهم ويتركون المسجد بلا إقامة الشّعائر. أمّا إذا كان المحكوم عليه من أعضاء الحلقة أو من التّلاميذ (إِرْوَانْ)، فإنّه يعلن بالبراءة منه عند هيئته فيتوب هناك أو يعزل.

وإذا وقع خلاف بين عزّابة بلدة من بلدان مزاب يتدخّل لإصلاح ذات بينهم عزّابة المدن الأخرى، سواء طلب الشّيخ الذي وقع الخلاف بين عزّابته تدخّلهم أم لم يطلب.

ولعلّ الهيئة التي ورثت نظام الحلقة التي رتّبها الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن بكر هي جماعة (إِرْوَانْ) أي طلبة العلم على شيخ المسجد. فهذه الجماعة يعلّمهم الشّيخ، ويفقّههم في الدّين، واللّغة العربية، ولهم مقر خاص بهم تابع للمسجد.

إذا تتبّعنا ما نقلناه عن الشّيخ أبي عمّار عبد الكافي أدركنا أنّ لشيخ المسجد حلقتين متباينتين، حلقة التّلاميذ التي رتّبها الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن

بكر ولم ينشئها، وحلقة العزّابة التي نحن بصدد الكلام عنها. يمكن أن نعتبر الشّيخ همزة وصل بينهما، فهو الذي يدير كلا منهما، وله حقوق بينه وبين تلاميذه من جهة، وحقوق بينه وبين العزّابة من جهة أخرى. ويقول الشّيخ أبو عمّار: «وعلى الشّيخ لتلاميذه أن يكون على بصيرة، فلا يدخل أحدا مع العزّابة حتّى يكون تلميذا مع التّلاميذ منذ زمان، يتعلّم الأدب والسِّيَر ليدخل مع العزّابة، وهو فارس في الأدب والسِّيـــر».

إنّ نظام حلقة العزّابة، بعد قيامه، لم يقض على نظام العشائر الذي كان يدبر شؤون القرية. بل كانت الحلقة تتّخذ رؤساء العشائر عونا لها، لتنفيذ قراراتها في مستوى كلّ عشيرة. وقد تستشيرهم في بعض القضايا الاجتماعية المستجدّة. لكنّه لا يحقّ للعامّة أن تتدخّل في أمور حلقة العزّابة الخاصّة بها. كما كانت الحلقة تستعين في القضايا الخاصّة بالمرأة بهيئة دينية نسوية تعرف بجماعة الغسّالات (تِمْسِيرِدِينْ). إنّنا لا نعرف كذلك تاريخا محدّدا لانطلاق هذا المجلس النّسوي ولكنّه حسب الدّكتور عوض خليفات، كان موجودا في القرن التّاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، حيث ورد ذكره في اتّفاقات المجلس الأعلى لوادي مزاب عام 811هـ/1409م. مهمّة أعضاء هذا المجلس القيام بغسل الأموات من النّساء والصّبيان الصّغار، وتحقيق حكم البلوغ للبنات، وشؤون الولادة والحمل، وبيان أحكام الحيض والنّفاس، ومحاربة البدع والإسراف، وإعلان البراءة من المتمرّدات في مجلس الذّكر الأسبوعي.

ولإنهاء الحديث عن حلقة العزابة، نعطي بسطة عن سير الحلقة التي رتبها الشيخ أبو عبد الله محمّد بن بكر، أي نظام مدرسته، نقلا عمّا ورد في كتاب طبقات المشايخ بالمغرب للشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني المتوفى حوالي 670هـ.

أ- هيئة التربية والتعليم والمراقبـــة:

يوجد على رأس الحلقة شيخ، يساعده على أداء مهامه أعوان يسمّون عرفاء: عرفاء تحفيظ القرآن، وعرفاء أوقات الدراسة، وعريف الأكل، وعريف الختمات وأوقات النوم.

ب- الطلبـــة:

ينقسم الطلبة إلى ثلاثة أصناف: طلبة القرآن، وطلبة فنون العلم، والعاجزين.

جـــ- مهـــام الشيخ أو نائبه:

- تولية العرفاء وتفقد أحوالهم.
- دراسة طلب انخراط الطلبة في الحلقة .
- الإشراف على الأقوات، والإذن فيما يشرى ويدخر منها، وفي قسمتها.
- الجلوس لطلبة فنون العلم ليأخذوا عنه الدرس.
- الجلوس إثر الختمات للجواب على الأسئلة المختلفة.
- درس الوعظ صبيحة يوم الجمعة.
- رئاسة مجلس تلاوة القرآن في السحر.
- الاجتماع العام يوم الإثنين ويوم الخميس لتفقد أحوال الطلبة.
- الحكم بين المختصمين من التلاميذ.

د- الانخـــراط في الحلقة:

يكشف الشيخ عن أحوال من أراد الدخول في حلقته، وما كان عليه في بلده، فإن اطّلع على صلاح أحواله أذن له في الدخول، وإن اطّلع على نقيصة وأحوال ذميمة طرده، وإن تعذّر لبعد داره الاطلاع على الأحوال، أو اختلفت فيها الأقوال، توقّف حتّى يتحرّى فيها. وحكمه في مدّة التحري حكم عابر سبيل، لاحظّ له في المقتسم من المأكول المدخر، ولا يجبر على ملازمة الأوقات[1].

1- أبو العباس أحمد الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، 173.

هـ- طلبة القـــرآن:

العرفاء من حملة القرآن ترتبط بكل واحد منهم جماعة من أصحاب الألواح، طلبة القرآن، يملي عليهم ويصحّح ألواحهم، ويأخذهم بالحفظ عن ظهر قلب. فالجماعة التي ترتبط بكلّ حافظ يكون أكثرهم عشرة وأقلّهم اثنين، إلاّ لضرورة عدم الرجال فلا حدّ لكثرتهم. فإذا ارتسم طالب بعريف فليس له أن ينتقل عنه إلى غيره إلاّ بإذنه.

فإذا كان وقت الضحى حفظوا ما كتبوا أمس، فإن حفظوا كلّهم استأذنوه في الاستملاء وأملى عليهم، وإن توقّف أحدهم دون الحفظ، فإن كان مبتدئا أقيل له خمس عثرات، وإن كان فوقه، إلاّ أنّه في أوّل قلم، أقيل له ثلاث، وإن كان في الإعادة فعثرة واحدة[1].

عرفاء أوقـــات الـــدراسة يتفقّدون أصحاب الألواح بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، ووقت الاستفتاح حيث الحضور حتما، وبعد العصر استحبابا.

و- طلبة فنـــون العلم:

يستحسن منهم ولهم أن يجتمعوا للبحث والمذاكرة والمناظرة. ولهم وقت معتاد للحضور على الأساتذة، يأخذ كلّ منهم درسه، وهي دولته، على أستاذه. ثمّ إذا كانت ختمة غداة وحضر الشيخ فإنّ هناك طرقا مختلفة للسؤال: إمّا أن يتداولوا وضع السؤال ميامنة، وإمّا أن يسأل أفصحهم لسانا وأكثرهم بيانا، وإمّا أن يسأل أشـــدّهم احتياجا للسراح في ضرورة دعت. فإن علم الشيخ أنّ في الجمع أكفى منه في تلك المسألة أذن له في الكلام فيها، وإلاّ تكلّم بما عنده[2].

1- نفس المصدر، 177.
2- نفس المصدر، 179.

ز- العاجـــزون أي القاصرون من التلاميذ:

يقول الشيخ أبو العباس أحمد الدرجيني: «وأمّا العاجزون فأنواع...فمنهم الطرش والعميان والزمنى والهارمون وذوو الأفهام القاصرة، وربّما استعمل مستعمل فألحق نفسه بهؤلاء...فهذه الأنواع شأنهم الإصغاء والاستماع ليحصلوا الطرق والأخلاق...وعليهم حفظ السيارات والمحافظة على الطرق والأوقات...وينبغي أن تكون خدمة الطعام من هؤلاء...لينفعهم الله بخدمة أهل الخير، ويوفيهم أجورهم»[1].

ح- هندام أهل الحلقـــة:

يجب عليهم حلق شعر الرأس، وأن لا يلبسوا ثوبا مصبوغا، إن اقتصر أحدهم على عباءة أو ملحفة لم يشنه ذلك، وإن لبس ذلك على قميص كان أكمل. ولا سبيل على اقتصاره على قميص.

ليس لبس العمامة بضربة لازب، فإن اقتصر على العباءة أو اللحاف غطى رأسه، وألقى الطرف الأعلى من هدب حاشية الجانب الأيمن على العاتق الأيسر[2].

ط- عـــريف أوقات الأكل:

إذا اعتدل جلوس الطلبة استدعى بماء وغسلوا بعد اشتمالهم الشملة المتعارفة عند حضور الطعام، وهو أن يخرج طرفي ثوبه على صدره بعد أن يدير كلّ طرف فوق العاتق الذي يليه، فتبرز اليدان ولا ينكشف شيء من الجسد، ثمّ يأكلون أكلا معتدلا. فإذا طعموا تفقّدهم العريف، فإن وجد منهم من يده في الطعام انتظره حتّى يقضوا حاجتهم منه. فإذا فرغوا أذن بالإنصات إلى الدعاء، ثمّ يُؤذن أَسَنُّ من حضر فيدعو[3].

1- نفس المصدر، 180.
2- نفس المصدر، 171.
3- نفس المصدر، 175.

ي- عريف الختمات وأوقات النـــوم:

يتعلّق به ارتصاد حزب الغدو في المجلس الذي تكون فيه المذاكرة، فإذا كمل الحزب أو كاد، دعا جميع من في المجلس ويؤمّنون على دعائهم فيدعو أسنّهم ويدور الدعاء.

فإذا كان الضحى نادى بنوم الهاجرة فينامون. ثمّ إذا كان عند غروب الشمس نادى بالختمة فيجتمعون على أكبرهم، فيدور معه من يليه في السنّ والمعرفة. فإن استداروا ذكروا الله وقرأ قارئان آيات من القرآن، ثمّ يدور الدعاء كالعادة. ثمّ إذا صلوا العشاء وقرؤوا من القرآن ما يسّر الله وحان وقت النوم، ما لم تكن من ليالي الإحياء، نادى بالدعاء، وهي ختمة ليست بأكيدة. فإذا دعوا فالمستحبّ أن يكون أفصحهم بيده كتاب، فيقرأ فيه قليلا بحيث يستمعون، ثمّ يدعو وينادى بالنوم[1].

ك- وقت الراحـــة ومواضعها:

وقت الراحة والتصرّف هو آخر النهار، يتصرّف إلى المواضع التي لا ينكر التصرّف فيها كمواضع المياه ومواضع الأشجار، وأمثالها من الأماكن التي تنفرج فيها النفوس، ما لم تكن هذه الأماكن معروفة بأن يستقرّ فيها مصادف الشبهات. والإكثار من التصرّف في الطرقات والأسواق يكره، وإن دعت ضرورة ففي طريق نافذ، ووقت لا يظنّ به ريبة[2].

ل- العقـــوبات:

من عيب شيء من أحواله، فإن كان صغيرا أقيم إلى زاوية معروفة بأن تكون موضعا لتأديب الطلبة، ثمّ اجتهد في عدد ما يجلد تأديبا، والكبير إلى الخطّة والهجران.

1- نفس المصدر، 174.

2- نفس المصدر، 181.

موجبات الخطّـــة:

- الإبطاء أو الغياب أوقات الدراسة.
- التخلّف عن الختمات.
- عدم مراعاة آداب الأكل.
- الكلام أو الحركة وقت النوم بحيث يؤذى النائمون.

والهجران معناه متى أجرم واحد من أهل الحلقة، أو ظهرت عليه خزية، أو أتى بنقيصة، فإنّه يهاجره كلّ من معه، فلا يكلم ولا يحضر جماعة، ولا يؤاكل ولا يجالس، وكَأَنَّ خطّة حالت بينه وبينهم. فإن تاب قُبِلَ منه ورجع إلى الجماعة. وبقـــاؤه في وحشة الهجران بقـــدر عظم الجرم وصغره، وتوبة المجرم وإصراره[1].

6- ذكر بعض ما ورد عن مشايخ العهد الثّاني :

أ- بايحمد بن سليمان بن نوح:

أصله من تَاكَرْبُوسْتْ في جبل نفوسة، مرّ بمنداس ومليانة ثمّ المدية. عندما ترك المدية قرّر أربعون رجلا منها مرافقته. هؤلاء من أولاد فخّار، حرفتهم صناعة الخزف والجبس. عندما مرّوا بقصر البخاري قرّر خمسة عشر شخصا من الزناخرة الالتحـــاق بهم. لمّا وصل الشّيخ بايحمد إلى وادي مزاب عام 395هـــ أسّـــس أَغَـــرْمْ أَنْـــوَادَّايْ لمليكة. له مجلس معروف إلى الآن غرب مليكة الحالية. توفي عام 431هـــ/1039م.

ب- أبو جعفر الحاج مسعود الزناتي:

جاء من فساطو بجبل نفوسة مع أخيه الحاج محمّد سنة 470هـــ. كـــان يسكن غرداية ويأتي إلى أَغَرْمْ أَنْوَادَّايْ لتعليم الطّلبـــة. درّس كـــذلك عـــامين بالعطف ثمّ فُقِدَ سنة 502هـــ في حادث غرق سفينة الحجّاج في جزر مالطة، ثمّ رجع بعد عشر سنوات. يعتبر أكبر شخصية في بني وِيرُو. توفّي عام 563هـــ/1167م.

1- نفس المصدر، 5، 173.

ج- باعبد الرّحمن الكــرتي الزناتي:

عاصر الشّيخ أبا عمّار عبد الكافي. استفتى الكرتي علماءَ وارجــلان في بعض مسائل العقيدة فأجابه الشّيخ أبو عمّار. عاش في الخمــسين الأولى مــن القرن السّادس. له مسجد قبلة مقبرة مليكة، انعقدت فيه اجتماعات للهيئة العليا لوادي مزاب، وكانت تقام فيه الملتقيات الدّينية النّسوية السّنوية المعروفة بــ(لا إله إلاّ الله). توفّي خارج مزاب.

د- بايــزيد القاضي:

قيل إنّه نقل بعض سكّان أَقْــنُونَّايْ إلى تِرِشِينْ عام 630هــ. توفّي عام 645هــ/1247م ودفن قرب تِرِشِينْ بالمقبرة المنسوبة إليه.

هــ- عبد الله بن يحيى:

قاوم الجهل بعزيمة قويّة وتخرّج عنه علماء كثيرون. زهد في الدّنيا حتّــى أنّ سكّان العطف أهدوا له أرضا قريبة من المدينة فقال لهم إنّي تصدّقت بها على المسلمين يتّخذونها مقبرة، مخافة أن تشغلني عن الجهاد في سبيل العلــم. كــان ينتقل إلى أريغ لنشر العلم.

ملحــوظة:

كلمة (بَا) التي يستهلّ بها أسماء المشايخ المزابيين اختصار لــ(بابــا)، ومن معانيها السيّد والشّيخ، وتعويضها بأحد الأسماء الخمسة الذي هو أبــا -أبو- أبي، خطأ. فمثلا باعبد الرّحمن هو الشّيخ عبد الرّحمن ولا علاقة لــه بأبي عبد الرّحمن.

الباب الرّابع
العهد الثّالث

يمتدّ هذا العهد من تاريخ بني مزاب من نهاية القرن الثامن إلى منتــصف القرن الثالث عشر الهجري، أي من نهاية القرن الرابع عشر إلى منتصف القــرن التّاسع عشر الميلادي، وهو العهد الممتدّ من بداية الحكم العثمانيّ للجزائــر إلى وصول الاحتلال الفرنسيّ إلى الأغواط.

نتناول في دراسته:

أوّلا- الحياة الاقتصادية.

ثانيا- الحياة السّياسية والاجتماعية.

ثالثا- امتداد العمران واستقرار طوائف جديدة.

رابعا- مشاركة بني مزاب في مقاومة احتلال الأوروبيين لشمال إفريقيا.

خامسا- تعرّض مزاب للغزاة ورفض بنيه التخلّي عن استقلالهم الذّاتي.

سادسا- الفتن الداخلية.

سابعا- النّهضة الفكرية.

ثامنا- أعلام العهد الثّالث.

تاسعا - الفن المعماري عند بني مزاب.

عاشرا- أحداث متفرّقة.

1- الحياة الاقتصادية :

أ- الفلاحة والرّيّ:

اعتمد بنو مزاب على الفلاحة وواصلوا في هذه الفترة من تاريخهم تذليل الصّعاب وتسخير إمكانياتهم المحدودة جدا لتوسيع البقع الخضراء، التي أصبحت بذلك واحات، فقد كانوا ينهجون نظام التقشّف في حياتهم اليومية ويطبّقون مبدأ الاكتفاء الذّاتي. وظلّت النّخلة محور اقتصادهم، منها يتقوّتون وبعناصرها يتّخذون سقوف بيوتهم، ويصنعون أثاثهم وأوانيهم، وفي ظلالها يستريحون من تعب الكدّ وحرارة الطّقس صيفا، وتحتها يزرعون بعض البقول والفواكه. إلاّ أنّ ذلك لم يكن بالأمر الهيّن. فالأراضي الصّالحة للزّراعة كانت ضيّقة، والرّياح الموسمية لم تكن لتسهل مهنة الفلاّح، وفوق كلّ ذلك مشكل ندرة المياه. إنّ الأمطار لا تنزل بصفة منتظمة، فقد تتعاقب السنون ولا تجود السّماء بقطرة ماء. وقد تتهاطل الأمطار كالطّوفان في دقائق معدودة، فتحمل الأودية بغزارة وتجرف معها التّربة الصّالحة والأشجار والمحاصيل، إذا لم تكن هذه عرضة لإبادة البرد.

انكبّ بنو مزاب، لإحياء واديهم، على حفر الآبار، بعزيمتهم الصّادقة، وصبرهم الدؤوب، فحفروا نحوا من ثلاثة آلاف بئر يتجاوز عمق الكثير منها ثمانين ذراعا، وأحدثوا حول هذه الآبار حدائق النّخيل يتجاوز عدده مائتي ألف نخلة.

يتمّ نزح الماء من البئر بوادي مزاب، بواسطة الجمل أو الحمار أو البغل، الذي يجذب الدّلو بواسطة حبلين يمرّان على بكرتين، وذلك باتّباع درب مائل يخفّف عليه مشقّة الجذب. عند إفراغ الدّلو في الحوض تعود الدّابة في اتّجاه البئر لتتكرّر العملية. يرافق الفلاّح الحيوان ذهابا وإيابا، لحثّه على السّير ومساعدته في الجذب وتفريغ حمولة الدّلو في الوقت المناسب. هذه الحمولة تتراوح بين عشرين وثلاثين لترا، ومعدّل النّزح مرّتان في الدّقيقة الواحدة. لا يؤنس الفلاّح إلاّ موسيقى ثنائي البكرتين أو ما يكرّره من آيات القرآن.

وقد يعمد صاحب أرض بيضاء بها بئر إلى استغلالها بواسطة أجير. فهذا اتّفاق للمجلس الأعلى لوادي مزاب صادر في ذي القعدة من عام 1247هـ/1832م يحدّد قانون هذه المعاملة: «اتّفق مجلس واد مزاب طلبة وعوامّ لدى مجلس الشّيخ باعبد الرّحمن الكرتي على مغارسة النّخيل. من كانت له أرض بيضاء ولها خطارة (أي بئر) وأراد غرسها غير رب الملك فشروطهما على ما اتّفق عليه رب الملك والغارس. واتّفق المجلس على المدّة التي يكون قسمهما فإنّ المدّة اثنتا عشرة سنة يحلّ بينهما القسم. وإن نقضا شروطهما فإنّ أصحاب المعرفة ينظرون من هو ناقض على صاحبه ويفصلون بينهما بغير المدّة المذكورة... فإن نقض رب الملك فالأجير له أجرته كاملة على شرطهما الأوّل، وإن كان الأجير لا يقدر على القيام بما غرسه فإنّ أرباب المعرفة يقدرون له أجرة ما خدم، ويخرج من أمر المغارسة، وإذا هي الخطارة فسدت أو قلّ ماؤها فلربها أن يصلح ما فسد أو يزيد في حفرها حتّى أن تسوى مع حومتها. فإن دخل بينهما جاسوس في شراء حق واحد منهما، فإن وقع بيع من واحد من الفريقين ولم يرض الآخر بالبيع فالبيع لا يثبت إلاّ بمدّة الشّرط. وأمّا مواعين الخطارة إن فسدت فإصلاحها على الأوّل، والسّواقي إن فسدت فإصلاحها على الأجير. وأمّا الجذور إن فسدت فإصلاحها بينهما على ما اشترطا عليه في القسمة».

غالبا ما نجد شركاء متعدّدين لبئر واحدة. يتمّ تقسيط استغلال مياهها ليلا ونهارا، فيقسّم اليوم الواحد إلى أربع وعشرين خروبة، وتشمل الخروبة ثمانية أثمان وأربعا وعشرين موزونة، والموزونة تنقسم إلى ثلاثين درهما. الحصص اللّيلية تسمّى السّوداء وحصص النّهار البيضاء. إنّ ملكية ماء البئر مستقلّة تماما عن ملكية الأرض، ويمكن لكلّ شريك في ماء البئر أن يبيع بعض حصصه أو كلّها أو يكري البعض منها.

هناك آبار خاصّة من حيث أنّ عيونها لا تنبض ولو في أوقات الجفاف، هذه الآبار تسمّى الوَرَاوِرْ. وبديهي أنّ ثمن هذه الآبار وثمن حصص فيها في منتهى الغلاء.

كثيرا ما تنضب عيون عدد من الآبار العادية، فيضطرّ أصحابها إلى جلب الماء من مسافات بعيدة، بواسطة قنوات، ماؤها عرضة للتبخّر والتسرّب. من هنا يتبيّن لنا ما للماء من قيمة غالية. فقد كان أهل مزاب يحرصون على الاستفادة من كلّ قطرة مطر تنزل من السّماء، فبنوا على سفوح الجبال المحيطة بالواحة سواقي لجمع مياه المطر وتوجيهها إلى الأجنّة، كي تستغلّ ولا تضيع.

ثمّ أقاموا على وادي مزاب وروافده سدودا مختلفة الأهمّية، لحجز السّيول وإعطاء التّربة الوقت الكافي لامتصاص الماء وتزويد طبقة المياه الجوفية التي تمدّ الآبار.

أمّا سدّ العطف فيقع على بعد ثلاثة كيلومترات من المدينة جنوبها، على وادي مزاب. ارتفاعه ثلاثة أمتار وطوله خمسمائة متر، يزيد سمكه في بعض الأماكن على عشرة أمتار. ويقال إنّه أوّل سد بمزاب.

جنوب بونورة أقيم على وادي مزاب سد ارتفاعه أربعة أمتار وطوله مائة وخمسون مترا، بالإضافة إلى سد آخر على نفس الوادي وسدود صغيرة على وادي أَزْوِيلْ.

وقد أقام أهل غرداية على وادي تُوزُوزْ ثلاثة سدود ومثلها على وادي مزاب، هي سدّ سالم أُوعيسى أو سدّ أَشُورْ وسدّ البنت والسّد الجديد الذي بني عام 1897م، سمك قاعدته ثمانية أمتار.

في القرن الخامس عشر الميلادي، أرغم أهل مليكة وبونورة سكّان غرداية على تخفيض مستوى ارتفاع أحد سدودهم المقامة على وادي مزاب بذراع ونصف، كي لا يحرموا كليا من مياهه[1].

1 -Baelhadj MERGHOUB: Développement Politique en Algérie, 38.

وفي سنة 1073هـ/1662م، أصدرت جماعة غرداية قرارا يمنع إحداث واحة جديدة في الشّمال الغربي لواحة غرداية وذلك حماية لها من البوار. من أجل ذلك اشترت الجماعة الأراضي التي تحدّ الواحة من تلك الجهة وتركتها خالية لكي تضمن تطبيق القرار.

أمّا السّد الكبير الذي أقامه بنو يزڤن على وادي أَنْتِيسَا، فطوله نحو ستّمائة متر وارتفاعه ثمانية أمتار وعرض قاعدته ستّة أمتار. هناك على نفس الوادي سد آخر دون الأوّل بكثير.

من جهة أخرى فقد بنى بنو مزاب قنوات موازية للأودية تجلب الماء من أعالي الواحة لتوزّعه على الأجنّة التي لا تستفيد مباشرة من السّيول، بصفة طبيعية، بحكم ارتفاعها. توزّع مياه هذه القنوات توزيعا عادلا بكمّيات متناسبة مع مساحة البستان وعدد نخيله.

فعن تقسيم المياه في واحة العطف نجد الشّيخ عبد الرّحمن باكلّي يقول: «وأمّا في العطف فتقسيم ماء "ضاية ميزاب" ينسب إلى الشّيخ بابا دَادِّي، من عشيرة أولاد حريز فيها. لكن لم أعثر على تاريخ ميلاده ووفاته.

وهناك ناحية "رأس أَوْلَوَالْ" [تقسيم] لم أطّلع على من وضعه، وإن اتّفق أصحاب المصارف (مداخل الماء إلى البساتين) في عهد الشّيخ اطفيش على زيادة نسبة الرّبع لكلّ مصرف، فنفّذوا الاتّفاق فعلا»[1].

وفي بونورة يتمّ تقسيم مياه وادي أَزْوِيلْ على الأجنّة بواسطة ساقيتين الشّرقية والغربية.

وعن غرداية يذكر الشّيخ عبد الرّحمن باكلّي أنّ مجدّد تقسيم المياه بها هو الشّيخ حَمُّو أُوالحاج، أحد شيوخ غرداية القدامى المتوفّى سنة

1- بكلّي عبد الرحمن: فتاوي البكري، الجزء الثاني، 378.

1129هـ/1717م[1]. ويقول الشّيخ إبراهيم طلاي إنّ تقسيم مياه بُوشَّنْ بغرداية تمّ سنة 1707م[2].

في واحة غرداية تنطلق من وادي مزاب ساقية رئيسة تسمّى ساقية بُوشَمْجَانْ، ثمّ تتجزّأ إلى ثلاث سواقي فرعية هي ساقية حَمُّو أُوعِيسَى وساقية الشعبة وساقية بنوح مرزوق.

ساقية حَمُّو أُوعِيسَى تنطلق منها مائة وعشرون كوّة، عرض كلّ واحدة منها خمسة وثلاثون سنتيمترا. ارتفاع الأولى سبعة سنتيمترات والثانية ثمانية، وهكذا يتزايد الارتفاع من كوّة إلى التي بعدها بسنتيمتر واحد.

أمّا ساقية الشّعبة فإنّها تموّن أربعا وثمانين كوّة ذات أربعين سنتيمترا عرضا، مع نفس الملاحظة بالنّسبة لارتفاعها. كما نجد ذلك في ساقية بانوح مرزوق التي تموّن مائة وعشر كوّات ذات خمسة وثلاثين سنتيمترا عرضا.

مياه وادي تُوزُوزْ تشكّل ساقيتين الفوقانية والتحتانية. في الأولى مائتان وخمسون كوة ذات ثلاثين سنتيمترا عرضا وفي الثانية ثمانون كوة عرضها خمسة وثلاثون سنتيمترا. أمّا ارتفاع الأولى في كلّ من الساقيتين فهو سنتيمتران فقط، يتزايد كذلك بسنتيمتر واحد من كوّة إلى أخرى.

وعن بني يزقن يقول الشّيخ باكلّي: «فقد قسّم ماء شعبة مُومُّو القبلية للبلدة الشّيخ بالحاج بن سعيد في القرن العاشر الهجري، وينسب تقسيم ماء "أَدَّاي نَنْتِيسَا" إلى الشّيخ الحاج سليمان بن سعيد، وذلك تاريخ 3 ربيع الثاني سنة 1162هـ»[3].

وعن الشّيخ حمو عيسى النّوري ننقل:«إنّ الشّيخ الحاج سعيد هو الذي خطّط بمفرده تقسيم مياه المطر غرب انْتِيسَا، كما أقرّ تقسيم مياه شعبة مُومُّو»[4].

1- نفس المكان.
2- مزاب بلد كفاح، 63.
3- بكلّي عبد الرحمن : المصدر السابق، 378.
4- دور الميزابيين، الجزء الأوّل، 75.

وفي واحة بني يزقن نجد أربع سواقي تأخذ مياهها من أَدَّايْ نَنْتِيسَا، وهي تَاغَرْبِيتْ (الغربية) وساقية الزقاق والسّاقية الوسطى، وساقية بُوشَمْجَانْ. أمّا تَاغَرْبِيتْ ففيها ست وأربعون كوّة ذات خمسة عشر سنتيمترا عرضا، وعشرة سنتيمترات ارتفاعا.

أمّا ساقية الزقاق فإنّ عدد كوّاتها خمس وخمسون، عرض كل منها أربعون سنتيمترا، ارتفاع الأولى سبعة سنتيمترات والثّانية ثمانية وهكذا. عدد كوّات الوسطى ثلاث وعشرون عرضها خمسة وثلاثون سنتيمترا وارتفاعها ستة عشر.

واحة مليكة وواحة القرارة هما الوحيدتان اللّتان لا تملكان سواقي عمومية لتوزيع مياه السّيل.

هذا النّظام المحكم وهذه التّجهيزات الثّمينة هي بحاجة إلى مراقبة وصيانة.

أمّا المراقبة فيقوم بها أمناء.

ينصّ اتّفاق مجلس وادي مزاب في شوّال 1052هـ/1642م «ومن تعدّى بزيادة الماء في الغابة أي ماء السّيل لغابته أو لساقيته زيادة عن القياس الموجب له، فغرامته خمسة وعشرون ريالا والنفيان».

وينصّ اتّفاق مجلس وادي مزاب عام 1156هـ: «واتّفقوا على ماء المطر، فإنّ له أمناء لكلّ حومة يحرسونها في وقت الماء، ومن تعدّى على ماء المطر فإنّه يجري عليه ما جرى على السّارق، وكذلك الوادي الفسيح فله حريم أربعون ذراعا».

وأمّا الصّيانة فتتمّ بواسطة حملات التطوّع التي تسمّى بالتْوِيزَهْ، يشارك فيها كلّ الشّباب والكهول القادرين على العمل.

ولا بدّ لمكتسبات في مثل هذه الأهمّية، تقوم عليها حياة القرية، من حراسة ضدّ غارات البدو. فقد بنيت على امتداد الواحات أبراج لليقظة والدّفاع، صمّمت تصميما فريدا. يقول الشّيخ علي يحيى معمّر: «ابتلي الإباضية هناك (مزاب) بجيران يحترفون

الغارة، ويعيشون على النّهب والسّلب. فهم لا ينفكّون يهجمون على قرى الإباضية، أو يتعرّضون لقوافلهم، فاتّخذ بنو مزاب الوسائل التّالية:

1- اتّخذوا من بعض تلك القبائل أحلافا.

2- فتحوا أسواقهم في وجوههم.

3- يحسنون إلى محاويجهم وضعفائهم.

4- يستخدمون أبناءهم في الفلاحة.

5- يتّخذون الأغنام يودعونها عندهم»[1].

ب- الصّـــناعة :

من الصّناعات السّائدة بمزاب، صناعة مواد البناء من جير وجبس، كانت تصنع لها أفران مبنية من حجارة وطين أحمر مستديرة الشّكل، وصناعة تـــسوية أخشاب النّخيل للتّسقيف، وخشب بعض الأشجار لـــصنع بكـــرات النّـــزح وحاملاتها وأدوات النّسج وأواني المطبخ.

يتّخذ المزابيون من جذوع نخيلهم عوارض للتّسقيف، وأخـــشابا لـــصنع الأبواب، ومكاييل للتّجارة، ومهاريس لطحن الحبوب، وأواني مختلفة. ويتّخذون من جريدها ستائر وسقوفا. ويصنع من أوراقها وأليافها حصائر وحبال وأقفاف وأطباق وكسكسات ودلاء ومظلاّت ومراوح.

ومن أهمّ الصّناعات دباغة الجلود لصناعة الدّلاء، وصناعة الفخّار لصناعة الأكواب والأباريق والقلل والخابيات. يصنع كلّ ذلك من طين خاص ثمّ يوضع في أفران خاصّة به.

هذه الأفران وجدت بكلّ من مليكة والقرارة وكانت تنتج فخارا عاديا وفخارا مطليا. يصنع من الفخّار العادي:

1- الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 326.

أ- الجرار المبرنقة من الدّاخل أو بدون برنق، ومنها:

1- الخابية بغطائها وبدون مقبض، سعتها حوالي خمسين لترا لخزن التّمر أو الماء.

2- أَغَلُّوسْ له مقبضان، سعته بين ثلاثة وعشرين لترا، يخزن فيه التّمر أو الماء أو الشّحم المذوّب أو السّمن أو الحليب.

3- تَاقَصْرِيتْ بدون مقبض يستعمل لترطيب نوى التّمر للمعز.

4- تَاقَدُّوحْتْ بغطاء وبدون مقبض لخزن المؤن.

ب- أواني السّوائل:

1- الإبريق سعته حوالي لترين.

2- القلّة لها مقبضان سعتها ثلاثة لترات.

3- أَقَدُّحْ يسع لترا إلى لترين من اللّبن.

4- تَاقَدُّوحْتْ بمقبضين تسع من نصف لتر إلى ثلاثة أرباع اللّتر من الحليب .

5- أَجَدُّو بمقبض واحد يستعمل للشّرب.

6- المحبس بمقبضين صغيرين لجمع المياه القذرة، حوالي أربعة لترات.

جـ- المكـــاييل:

النقاصة بمقبض أو مقبضين لكيل السّمن والزّيت، سعتها لتـــر واحـــد تقريبا، مثلها نصف النقاصة وربع النقاصة. تحمل كلّ منها معلما يبيّن الكيـــل، وعلامة ضبطه من طرف حلقة العزّابة بمسجد البلدة.

د- الأكـــواب:

1- تَاغَلُّوسْتْ أي الصّحن.

2- تَاغَدَّارْتْ أي الجفنة.

3- تَابْخُورتْ أي المبخرة.

4- نِيرْ أي القنديل.

هـ- مصنوعات أخرى:

1- تَادْوَاتْ أي المحبرة.

2- سُوفِيرْ أي الميزاب.

3- قَادُوسْ أي الأنبوب.

ويصنع من الفخّار المطلي بالأخضر:

أ- أواني السّوائل:

1- تَابَغْبَغْتْ سعتها لتر ونصف، تعلّق في غرفة العروس للشّرب.

2- لَبْرِيكْ نُوفُوسْ: إبريق سعته لتر واحد ونصف، للعروس كذلك.

3- أَجَدُّو وتَاجَدِّيوْتْ للشّرب.

4- تَاقَصْرِيتْ أو تِيمَحْبَسْتْ بمقبضين سعتها من لتر إلى ثلاثة توضع تحت تْجَاوْتْ لاستقبال قطرات الماء الراشحة. وتْجَاوْتْ دلو من جلد المعز تحيط به أهداب من القرنفل، يعلّق لتبريد ماء الشّرب بالتبخّر.

5- أَقَدُّوحْ وتَاقَدُّوحْتْ لوضع الزّيت والسّمن واللّبن.

ب- الأكواب:

1- تَاغَلُّوسْتْ أي الصّحن.

2- تَاغَدَّارْتْ أي الجفنة.

3- المَتْرَدْ وهو صحن ذو قاعدة عالية ارتفاعه حوالي خمسة عشر سنتيمترا.

وفي صناعة الغزل والنّسج كانت النّساء ينتجن الحياك والأكسية للنّساء، والعباءات والبرانس للرّجال، والفرش المتنوّعة، والمناديل للف أواني الطّعام ونقل الخضر.

بالنسبة للفرش، فإنّه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

أ- الفرش ذات النسيج العالي، التي تصنع من صوف غير مصبوغة، ويسمّى الواحد منها تْنَاشْرَا.

ب- الفرش المستوية الثقيلة التي تعرف الآن بزربية بني يزقن، تشتمل على عدد من الرموز التقليدية، وقد تزيّن بحاشية على كلا الجانبين.

جـ- لَحْنَابَلْ: جمع حَنْبَلْ، وهي سلسلة من أشرطة مختلفة الألوان.

أمّا بالنسبة للألبسة فنجد من بينها:

أ- تَجَرْبِيتْ: وهي ملحفة صوفية بيضاء مزينة ببعض الأشرطة الملونة.

ب- الشال المطروز: يختلف طرزه من بلدة إلى أخرى.

يصنع الشال (أَخَمْرِي بالمزابية) من الصّوف ويصبغ بالأسود، ثمّ يطرز بالحرير الأحمر والأخضر والأصفر والبرتقالي. حسب الأشكال المطروزة عليه نحصل على خمري مخبل أو خمري الناصية.

هذه الأشكال تسمّى:

- البزيمة أو الشميسة.
- تِسَغْنَسْتْ أو الريشة أو تَكَمْبُشْتْ.
- إِدْلاَلَنْ أي الأهداب.
- إِثْرَانْ أي النّجوم.
- إِبَوَنْ أي الفول.
- إِكُومَارْ أي الأقواس.
- تِمْشَرْفِينْ أي الأقراط.
- المجدول.
- تِينَصْرِيفِينْ أو الدويرات.
- السوالف.
- تِسْلاَتِينْ أي العرائس.
- إِضُوضَانْ أي الأصابع.

جـ- تِشْبَرْتْ نَلَّتْشْ: وهي عباءة من الصوف متعدّدة الألوان، تحمل رموزا معيّنة. كان يرتديها الرجال والأطفال. هذه الرموز تمثّل شرفة، عقربا، ساق دجاجة، مفتاحا، مائدة، شمعدان، شموعا، مشطا، زهورا، يدا، أسنان الفأر، حليا، بالإضافة إلى أشكال تسمّى زَقْزَاقْ، إِفْرَانْ، تِكُوكْوِينْ، تِسَغْنَسْتْ نْبَرْبُورَا، رَقْمَتْ نْتَشْبَرْتْ، زَازَاغْ، تَاسْلَتْ.

من أشهر الحرف، بناء المساكن وحفر الآبار ومد السّواقي وبناء الأحواض، أمّا الحدّاد فيصنع آلات الفلاحة وأدوات البناء والغزل والنّسج.

واختصّ اليهود بصناعة الذّهب والفضّة.

وفيما يلي عناصر الحلي الذي كانت تتزيّن به المزابية، **فمن الذّهب:**

- تِسَغْنَاسْ: جمع تِسَغْنَسْتْ لمسك أطراف الملحفة على الكتفين.
- الخاتم.
- أَصْرَا أي العقد.
- الصارمية: قلادة تمسك كلّ طرف من طرفيها تسغنسْت.
- تِمْشَرْفِينْ أي الأقراط.
- البزيم: لتزيين الشّعر.
- تِصَغْدْرِينْ أو لَمْسَايَسْ أي الأساور.
- الشَّارْكَا توضع على الجبين.

أمّا حلي الفضّة فيشتمل على:

- تَمْغَلْتْ وهي نوع من العقد تمسك كلّ طرف من طرفيها تِسَغْنَسْتْ.
- أُزْلاَنْ أي الخلخال.
- تِجُلاَلْ تعلّق في نهاية شعر العروس على ظهرها.
- تِسَغْنَاسْ لمسك الملحفة.
- تِصَغْدْرِينْ أي الأساور.
- الخاتم.

اشتهر بنو مزاب بصناعة البارود. وكان لكلّ قرية عدد معتبر من المهاريس الصخرية الكبيرة، لصنع البارود، وبيعه للقوافل. كانوا يستوردون لذلك الكبريت من تونس وليبيا، وملح البارود من الجنوب الغربي. أمّا الفحم فكانوا يحصلون عليه بواسطة شجر الأثل الموجود بالمنطقة.

جـ- التّجارة:

كانت تتمّ في سوق البلدة، حيث يتبادل أهلها مع قوافل البدو منتوجاتهم. فكان الأوّلون يقدّمون المنسوجات التي صنعتها أيدي المزابيات والفائض من محصول التّمور، مقابل الصّوف والسّمن وغير ذلك من خيرات البادية. يظهر من هذا أنّ اقتصاد المنطقة كان يتعاون على حمله كلا الجنسين. فبينما يظلّ الرّجل في بستانه مكابدا لقساوة الطّبيعة وصادًّا لغارات البدو، كانت المرأة في منزلها تغزل وتنسج، علاوة على قيامها بشؤون البيت المعروفة.

كان الإنتاج السّنوي في مزاب من الملابس الصّوفية في القرن التّاسع عشر يقدّر بسبعين ألف قطعة، وكان آنذاك حوالي سبعة آلاف امرأة تشتغل في النّساجة بالبيت، وكان يدخل إلى مزاب سنويا ثلاثون ألف جزة صوف[1].

إنّ الوافدين من الإباضية على بلاد الشّبكة عبر القرون، اختاروا المنطقة لبعدها عن طرق القوافل التّجارية المعروفة آنذاك، حرصا منهم على اعتزال الحركات التّجارية وما تؤدّي إليه من الرّفاهية وجلب الطّامعين.

إلاّ أنّ القوافل التّجارية لم تلبث أن حوّلت مسالكها، فأصبح مزاب محطا لها، وهمزة وصل بين الشّمال والجنوب وبين الشّرق والغرب. وممّا ساعد على ذلك أفل نجم سدراته، بخرابها عام 1274م، ثمّ خراب تَمَنْطِيطْ عام 1492م.

---

1 -A. COYNE : Le M'Zab, 24.

في القرن الثّامن عشر الميلادي كانت القوافل المارّة على غرداية تحمل إلى الشّمال التّمور والملح والعاج والذّهب والجلود والأقمشة وريش النّعم، وإلى الجنوب الحبوب والزّيت والسكّر والنّحاس ومنتوجات مصنوعة بالتّل وأوروبا.

كان بنو مزاب يتعاطون تجارة العبيد الذين تستقدمهم قوافل الشعانبة ممّا كان يسمّى السودان الغربيّ. معظمهم أولاد صغار السنّ، يتمّ السطو عليهم بالغصب والسرقة، وبيعهم ظلما وتعدّيا. أصلهم من النيجر العالي وتُمبُكْتُو وهَاوْسَا والبُرْنُو وبَامْبَرَهْ.

وبالرغم من وضوح مصدر هؤلاء الذين حكم عليهم بالرقّ -وهم ليسوا كذلك شرعا- فقد انتشر الرقّ في مدن مزاب لعدّة قرون، رغم جهاد العديد من علماء مزاب في سبيل محاربة هذه الظاهرة[1].

ظلّت غرداية قرونا مرحلة في التّبادل بين التّل والسّودان، كما كانت مرحلة في التّبادل التّجاري بين قوراره وتوات غربا ومنطقة وارجلان شرقا.

بهذا نصل إلى القول بأنّ التّجارة ليست سبب إنشاء مدن وادي مزاب، لكنّها ساهمت في تنميتها اقتصاديا واجتماعيا.

يبدو أنّ تزايد السكّان وضعف مردود الفلاحة أجبرا بني مزاب على التّفكير في موارد أخرى للعيش، يضمنون بها بقاءهم في المنطقة، فأخذوا في الاغتراب إلى مدن التلّ قصد التّجارة. لم نعثر على تاريخ بداية هذا الاغتراب، إلاّ أنّ المؤرّخين يذكرون أنّه كان يوجد بمدينة الجزائر مزابيون في بداية القرن الرّابع عشر الميلادي.

إنّ الفلاحة لا تضمن للمزابي الذي يقتصر نشاطه عليها مستوى معيشيا مقبولا. مشكل الرّيّ وإنهاك التّربة يفرضان حدا للمساحة المزروعة ومردودها. هذه الظّروف جعلت من الواحات بؤرا للاغتراب.

1- بشير بن موسى الحاج موسى: ملامح عن الحياة الاجتماعيّة بوادي مزاب في القرن 13هـ من خلال نوازل عمر بن يوسف بن عدّون اليسجنيّ، 28-29.

كان أهل غرداية يكثر ذهابهم إلى قسنطينة وسطيف وغليزان، وأهل بني يزقن إلى قسنطينة وقالمة وسوق اهراس والبليدة، وأهل العطف إلى الجزائر وقسنطينة، وأهل بونورة إلى الجزائر وتيارت، وأهل مليكة إلى الجزائر وباتنة وخنشلة والسور وبوغار، وأهل بريّان إلى الجزائر وقسنطينة، وأهل القرارة إلى العلمة وباتنة وخنشلة والبليدة، وكان بعض المزابيين يقصد تونس وليبيا وحتّى الإسكندرية.

أكثر المغتربين إلى تونس من غرداية والقرارة وبني يزقن، يكثر عددهم بالعاصمة وفي جربة. أمّا في غيرهما فنجد مثلا في 1867م تسع عائلات مزابية في سوسة.

في الجزائر العاصمة أحصي عام 1838م، 629 مزابيا، ارتفع عددهم حتّى بلغ عام 1846م، 2233، في حين أنّ العدد الإجمالي للمزابيين المغتربين في تلك السنة بلغ 3.036، بعد ذلك سقط عددهم في العاصمة حتّى بلغ عام 1850، 861، ثمّ عاد إلى الارتفاع ليصل عام 1856، 1449 مزابيا.

نجد في إحصاء نوفمبر 1852م أنّ عدد المزابيين في سكيكدة وبجاية سبعة وخمسون، وعددهم في سوق أهراس عشرة، وفي المدية 364.

وفي سنة 1858م، أحصي في الشرق الجزائري 351 مزابيا، 153 منهم بمدينة قسنطينة.

أهل العطف كانت تجارتهم في اللّحوم والبقول، وأهل غرداية وبني يزقن في الأقمشة والألبسة، وأهل بونورة في الفحم والخشب والزّيت، وأهل مليكة في الحبوب والتّمور والحمّامات. أمّا أهل بريّان والقرارة فتجارتهم كانت متنوّعة.

يقول الدكتور عمّار بن خروف فيما يتعلّق بالأعمال التي كان المزابيّون يمارسونها في مدينة الجزائر، في العهد العثمانيّ، حتّى كاد بعضها يكون حكرا عليهم: "إنّهم تميّزوا بنشاطهم المتنوّع في المجال الاقتصاديّ...مثل:

- إدارة الحمّامات التي كادوا يحتكرون تسييرها.
- الإشراف على تسيير جلّ أفران الخبز في المدينة، ومطاحن الحبوب فيها.

- أعمال الطبخ والجزارة من ذبح وبيع وتوزيع للحوم.
- بيع الحيوانات كالبقر والغنم، وبيع الفواكه.
- صناعة الحلويّات، وأهمّها الزلابيّة.
- التجارة في الأقمشة والفحم، وكذلك في ريش النعم[1].

إنّ انتقال بني مزاب بين الجنوب والشّمال قصد التّجارة لم يكن شيئا مضمونا ميسورا. فقد كانت قوافلهم تتعرّض في الطريق لغارات النّهب والسّلب من طرف قطاع الطّرق. لذلك فإنّك تجدهم لا يغامرون بالسّفر إلاّ في قافلات ذات حجم كبير، وكانوا يدفعون للبدو غرامات.

كانت قرى مزاب تدفع غرامات للأرباع ومخاليف الجرب وسعيد عتبه وغيرها لحماية قوافلهم الذّاهبة إلى التّل.

يقول الشّيخ حمو عيسى: «هذا الوضع من الفوضى والاضطراب وقلّة الأمن في الطّريق حمل الميزابيين على عقد تحالف دفاعي وتعاوني مع بعض الأعراش من المخاليف والأرباع وأولاد نايل، لحماية القوافل والأموال من قطّاع الطّرق ومن النّهب والسّلب فيما بين الصّحراء والتّل»[2].

في 1050هـ/1640م، عقدت جماعة كبيرة من تجّار قصر البخاري والمدية والبليدة والجزائر سفر رفقة مع نحو ثلاثين من غير المزابيين، أكثرهم من الشعانبة، وفيهم بعض المخادمة والمذابيح. وبعد نحو مرحلتين من ناحية الجلفة التقوا بجيش، فوجّه أمرا إلى المزابيين فقط بدفع ثلاثمائة ريال وأنواعا من السّلعة عيّنوها، فرفضوا ذلك، فأراد الجيش أن يهاجمهم، فانحاز الشعانبة ومن معهم من المخادمة والمذابيح إلى المزابيين، فوقعت معركة انجلت بأحد عشر قتيلا، ففرّ الجيش وترك قتلاه، فدفنهم الغالبون.

1- مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد الأوّل، 44.
2- دور الميزابيين، الجزء الأوّل، 58.

إثر ذلك، عقد التجّار المزابيون في 1052هـ/1642م مؤتمرا بالجزائر بباب الواد وقرّروا فيه:

أوّلا- ضم المالكية بمزاب إلى مجموعة الإباضية التجّار بالجزائر في اجتماعاتهم.

ثانيا- الإذن لهم بدفن أمواتهم معهم في مقبرة سيدي بَنُّورْ.

ثالثا- عقد رفقات السّفر معهم من مزاب إلى الجزائر، ومن الجزائر إلى مزاب.

رابعا- التّعاون من الطّرفين في جميع المهمّات، كإعانة كلّ ضعيف بما يمونه ويبلّغه إلى وطنه.

خامسا- التّحالف ضدّ كلّ عدو يحارب الجزائر ويهاجمها.

سادسا- التّعاون على كلّ ما يحتاج إليه مزاب ممّا يرتبط بالجزائر سياسيا أو اقتصاديا.

إنّ في مقبرة سيدي بنّور كثيرا من مالكية مزاب دفنوا فيها منذ ستين وألف هجري[1].

يوجد مخطوط بخط الشّيخ الحاج إبراهيم بن بيحمان، باسم ممثّلي جموع بني مزاب في مجلس عمّي سعيد، يشكون فيه من قبيلة أولاد صالح في جبال الشفة التي تتعرّض للقوافل الذاهبة إلى الجزائر أو العائدة منها إلى مزاب[2].

ومن ذلك، الهجوم الذي تعرّضت له قافلة بني مزاب المتوجّهة إلى التّل في جوليت 1850م قرب تَاجْمُوتْ. وقد توسّط الآغا جلول، آغا السوقر، فأرجع المغيرون لبني مزاب 1150 كسوة وتسعة عشر بعيرا وبغلا واحدا وعشر بندقيات ومسدّسا وقارابيلة وسبع مظلات. وقد احتفظوا بـ760 كسوة وثلاث بندقيات وأربعين غرارة تمرا وثلاث عشرة مظلة ومائتي بوجو.

من جهة أخرى، فإنّ التجّار المزابيين وغيرهم كانوا يدفعون ضريبة جمركية لبايلك التيطري عند خروج قوافلهم من المدية، حدّدت بمحبوب

1- إبراهيم مطياز: تاريخ مزاب، 153.
2- إبراهيم طلاي: مزاب بلد كفاح، 45.

واحد على حمولة كلّ بعير، ونصف سلطاني على حمولة كل بغل، وبوجو واحد على حمولة كلّ حمار[1].

وقدّر عام 1867م المحبوب بـ4.05 فرنك فرنسي ونصف سلطاني بـ2.75 فرنك والبوجو بـ1.80 فرنك.

2- الحياة السّياسية والاجتماعية :

أ- الحياة السياسية على مستوى كلّ قرية:

فإنّه يسكن بها عرش يخضع لقانون واحد. ينقسم العرش إلى عدد من القبائل. فعرش بني يزڤن مثلا يتكوّن من ثلاث قبائل: أولاد يدّر وأولاد موسى وأولاد عنان. يقول مَاسْكُورِي: «استقبلت بني يزڤن أولاد عنان وكوّنت منهم قبيلة مستقلّة ثالثة. وهو ما ساعدها على الحفاظ على الأمن والوقاية من الفتن الدّاخلية، والتفرّغ للعمل على ازدهار المدينة وواحتها»[2].

تضمّ كلّ قبيلة عددا من العشائر، وتنتخب كلّ عشيرة رئيسا عليها يسمّى ضامنا. ضمّان القبيلة الواحدة يختارون من بينهم زعيما يسمّى مقدّم القبيلة. يرئس العرش أحد المقادم وينوب عنه مقدّم، وذلك بالتّناوب بين القبيلتين أو الثّلاث.

رئيس العرش يسمّى رئيس الجماعة، أي جماعة الضمّان. فيما يخصّ بني يزڤن فإنّه كان لكلّ قبيلة من القبائل الثّلاث خمسة ضمّان يختارون من بينهم مقدّما. ولا يحقّ لأيّ عشيرة أن تتدخّل في أمور عشيرة أخرى، كما ينصّ اتّفاق حلقة عزّابة بني يزڤن في رجب 1198هـ/1784م.

1 -Revue Africaine n°11, 213.

2 -Emile MASQUERAY : Formation des Cités chez les Populations Sédentaires de l'Algérie, 256.

يشتغل مجلس الضمّان (الجماعة) بالأمور العامّة للبلدة، ويصدر القرارات ويشرف على حفظ الأمن وحراسة البلد. للمجلس ميزانية يجمعها من مختلف العشائر، ويصرفها في أشغال بناء المنشآت العمومية وصيانتها، ومنها تقاسيم المياه والسّدود.

ما هي العشيرة في وادي مزاب؟

يقول الشّيخ القرادي: «هي مجموعة عائلات تنحدر في الغالب من جد واحد... إنّ العشيرة ليست وحدة عرقية كما يبدو، ولكنّها وحدة تنظيمية أو وحدة اجتماعية. ومهما يكن من أمر فإنّ نواة العشيرة الأولى تكون عرقية (سلالية) لا محالة، ولكن إمكان قبول كلّ من طلب الانتماء إليها بالاختيار أو بالولاء يخرجها من دائرة القبلية المحضة»[1].

تقوم العشيرة بشؤون الأيامى والأرامل والفقراء، وتكفل اليتامى وتختار لهم من يقوم بشؤونهم إذا مات أبوهم دون أن يوصي لهم بوكيل. والعشيرة هي التي تؤدّي دية القتل خطأ، فأفراد عشيرة القاتل البالغون القادرون تقسم بينهم الدية، ويدفعونها عن الذي باشر القتل خطأ.

يمتاز المجتمع المزابي، كغيره من المجتمعات البربرية، بصفة الديمقراطية الملازمة له. تستقلّ كلّ بلدة بشؤونها الخاصّة، وتديرها جماعة الضمّان المنتخبين ضمن عشائرهم كما بيّنا، فلا أسرة مالكة، ولا طبقة عسكرية، ولا طبقة أشراف، كذلك عاش بنو مزاب قرونا.

وبما أنّه لم يكن هدفهم يوما التوسّع على حساب غيرهم، فإنّهم لم يحتاجوا إلى قادة عسكريين محترفين. لا يشكّلون جيشا إلاّ للدّفاع عن أنفسهم أو لنجدة إخوانهم.

1- محمد ناصر: الشيخ القرادي، 55-57.

ب- الحياة السياسية على مستوى وادي مزاب:

فإنّ القرى تشكّل اتّحادا يسهر على شؤونه مجلس أعلى يضمّ ممثّلين عن كافّة سكّان هذه القرى. منهم علماء ومنهم أعضاء في حلقات العزّابة ومنهم أعيان في تلك القرى، كما يلاحظ ذلك جليا في القرارات التي تتّخذ فيه باسم الطّلبة والعوام.

لا يعرف تاريخ إنشاء هذا المجلس الاتّحادي، إلاّ أنّ أقدم قرار له وجد مكتوبا، يحمل تاريخ أوّل رجب 807هـ/1405م. كان أوّل الأمر ينعقد في مقبرة الشّيخ باعبد الرّحمن الكرتي، ثمّ أخذ يتجوّل حسب ظروف أعضائه بين هذه المقبرة التي تتوسّط الوادي ومقبرة الشّيخ أبي مهدي عيسى ومقبرة الشّيخ عمّي سعيد.

نجد اتّفاقات صدرت عنه عام 807هـ، 811، 815، 974، 1242، 1245، 1247، 1258، 1346، 1356هـ تنصّ على أنّ المجلس انعقد بمسجد باعبد الرّحمن الكرتي. كما أنّه انعقد في مقبرة أبي مهدي عيسى بن إسماعيل عام 975هـ، 1052، 1197، 1199هـ. وهناك اتّفاقات تذكر أنّه اجتمع في مسجد عمّي سعيد عام 1108هـ، 1142، 1151، 1154، 1156، 1202، 1245، 1249، 1250، 1269هـ.

ليس الشّيخ عمّي سعيد هو الذي أسّس هذه الهيئة الاتّحادية، بدليل أنّ هناك قرارات لها سبقت عهده.

إنّ هذا المجلس الأعلى مجلس تشريعي. فهو الذي يضع القوانين والأحكام في الجرائم والجنايات والمعاملات، كما يضع اللّوائح الدّاخلية التي تخصّ حياة البلاد العامّة، مثل تجويز السكة الفلانية ورفض أخرى وتحديد المكاييل والموازين.

رئيس هذا المجلس يسمّى شيخ وادي مزاب، تنتخبه عزّابة القرى من بينهم، ويتمّ تتويجه في اجتماع عام للعزّابة يلبسونه عمامة بيضاء معهودة، ويدعون الله بدعاء معلوم. شيخ الوادي هو الذي يتولّى قيادة الأمّة فيما إذا نزل بساحتها عدو، ويعتبر في هذه الحالة إمام دفاع. هذه الحالة هي مسلك من مسالك الدّين الأربعة المنصوص عليها في العقيدة (توحيد العزّابة).

وهو الذي يعلن الاتّفاقات التي صدرت عن المجلس، وليس له أن يصدر أمرا إلى جميع سكّان الوادي دون الرجوع إلى انعقاد المجلس واتّخاذ القرار فيه.

جـ- الحياة الاجتماعية:

نورد فيما يلي مقتطفات من اتّفاقيات المجلس الأعلى، نستخلص منها بعض جوانب حياة بني مزاب عند صدورها، والمشاكل التي كان يعاني منها المجتمع في هذا العهد الثالث من تاريخ وادي مزاب، والحلول التي كانت تتّخذها القيادة لمواجهتها.

1- ممّا وقع الاتّفاق عليه في رجب 807هـ/1405م في مجلس الشّيخ باعبد الرّحمن الكرتي: «إنّ الولد الذكر إن بلغ خمس سنين يأخذه أبوه (في حالة الطلاق) فلا حضانة لأمه عليه. والبنت تخرج من الحضانة إذا كملت سبع سنين، فعلى أبيها أن يقوم بها في داره وبأمورها إلى أن تتزوّج، كعادة البلد. وأمّا أمّها لا يلزمها الجبر لإعطاء شيء لها إلاّ إذا كان بخاطرها.

2- أمّا في شهر شعبان من نفس السنة، فنجد المجلس يتفق على أنّ: «البنت لا يأخذها أبوها ولا يبطل عليها النفقة إلاّ إذا بلغت اثنتي عشرة سنة، فلا تبقى لأمّها حضانة ولا نفقة، وإذا أراد أبوها تزويجها فيكون برضاء أمها».

3- في الجمعة أواخر صفر 975هـ/1567م، اتفق عزابة خمسة قصور في روضة الشيخ أبي مهدي عيسى على ثلاث مسائل: « الأولى، قد حجروا على العامّة الادعاء وعلى من يفتي لهم بالإلحاق...والثانية، اتفقوا على إبطال نكاح السرّ، لأنّه كثر وفشا، وحجروا على من يفعله أو يحضره، لِما فيه من الشرّ وعدم الرشد».

4- في شوال 1052هـ/1642م، اجتمع خمسة قصور في روضة أبي مهدي عيسى واتفقوا أن: «من يحمل الحديد (السلاح الأبيض) فغرامته عقوبة خمس وعشرين ريالة، والذي يضرب به فخمسون ريالة والنفيان، والحمية

والعصبية فغرامتها خمس وعشرون ريالة، والذي عاقبته الجماعة بغرامة فناف عليه أحد أو أوشاه يغرم خمسة ريالات.

والأمامة والحرفة وهو أن يجعل له أمامه من يقطع الطريق عليه أو يتسبّب له بضرره فغرامة المرسل خمس وعشرون ريالة، وللمتعرض بالمار أي بالسب لأحد خمسة ريالات ذكرا كان أو أنثى، وكذلك الطاعن في الدين أي سب الدين أو سرق فغرامته خمسون ريالا والنفيان، وذلك سواء في القصر أو في الغابة...ومن غضب من بني عمه وصار يشوش بين العشائر فغرامته خمسة وعشرون ريالا والنفيان، ومن ناف عليه مثل ذلك. ومن تسبب للبلد بجلب غرامة من الأمناء يخرج من رأسه وحده لا غيره».

5- في شهر رجب 1108هـ/1697م، اتفقت سبعة قصور مزاب في مجلس الشيخ عمي سعيد على: «أنّ العرس إذا وقع لا يكون فيه خادمون في دار الزوج ولا في دار الزوجة سوى اثنين منهم، والكلام القبيح لا يذكر في العرس، وللخادم التي تحمل المداراة المعروفة بالغدارة صاع واحد من القمح، والبيض فوق الغدارة ممنوع، والزعفران في الطعام ممنوع. وكذلك الدقيق الذي يقال له أجيد وهو السميد ممنوع. وكذلك حمل العروسة على البغل والفراش ممنوع، بل تمشي على رجليها. والزفانون لا يدخلون بيت الحجبة ولا يذكر فيها دخان فإنّه منكر. والخادم التي تحمل الأجهاز إلى دار العروسة لها مدان من القمح، ولحاملة الكبش صاع من شعير، والعطر ممنوع. وخبز الأسبوع لا يكون فوق حثية من قمح، ويرد الزوج في المنديل نصف ريالة لا زيادة.

والخادم التي تحمل قصعة العزاء لها منها لهوة طعام. والخادم التي تقعد للعروسة لها ثمن ريالة.

واللعب والرقص ممنوعان من البارود والزفانين. وأمّا الغدارة التي تجعل أمّ العروسة في اليوم الأوّل لا تكون أكثر من ثمانية أمداد. وممنوع أن تجعل

طعام العريس للحجبة ولا رفيس ولا الوزيرة. ولا تجعل الرفيس يوم تقبض الأجهاز. فمن فعل شيئا ممّا ذكر فهو في هجران المسلمين. وأيضا ممنوع الزميطة أن تهدى إلى النفساء أو للعروسة حين زفافها لزوجها. وحجروا على من يعمر الأطباق من تمر أو غيرها للعروسة اليوم الأوّل الذي تصبح فيه في دار زوجها. وحجروا على من يزيد فوق أربع مطاحين لزرعه. وكلّ من فعل شيئا ممّا ذكر فهو في هجران المسلمين».

6- في آخر رجب 1108هـ/1697م، اتّفقت سبعة قصور في مجلس عمي سعيد على: «أنّ من أراد أن يخرج الزرع للدرس فلا يزيد فوق غدارة من بَرْكُوكَسْ. وصاحب العرس لا يعطي إلاّ عشاء أربعة من النّاس وهم وصيف الجماعة والبراح والزمار والطبال لا غير ولكلّ واحد أربعة أمداد برًّا، ومن زاد على ذلك فهو في هجران المسلمين.

وأيضا حجروا على من يواسي للمكاريس الطعام ليلة الحناء. واتّفقوا أيضا أنّ من داين أو عامل أو باع أو اشترى مع ولد تحت والده ولم يرشّده، أو مع عبد غير معتق، ففعله باطل، وكذلك المرأة، إلاّ إذا كان بحضور ثلاثة من النّاس من العشيرة مع الولي، وإلاّ فإن فعل شيئا ممّا ذكر عرض ماله للتلف. ثمّ اتفقوا على العبد إذا سرق فيبيعه سيّده، والحرّ إذا سرق وشهد عليه اثنان ينفى من البلد سنين... وذلك في الجزائر أو في تونس لرؤية البحر...فإذا تمّ نفيانه يرجع للبلد بشرط، وهو أن يأتي بشهود على أنّه جوز المدّة وأنّه رأى البحر، ويتوب في الجامع على أنّه لا يعود لفعله، وإن أعاده فينفى ولا رجوع له أبدا».

7- في أواسط شعبان 1199هـ/1785م، في مجلس أبي مهدي عيسى اتّفقت خمسة قصور على: «من رفع الحديد وأشار به ولم يضرب بل شال بيده وَمُنِعَ فغرامته خمسون ريالا، وإن ضرب به فغرامته مائة ريال والقصاص والنفيان. وإن وجب الإنصاف على أحد أو ذهب له المقادم، ليأخذوا منه الواجب وعجز عن

الدفع، يأخذون ما وجدوا من أثاث داره ويبيعون منه مبلغ الواجب. وإن قال أحد اتركوه حتّى يسلك فلا يقبل كلامه، إلاّ إذا قال اتركوه وأنا أدفع عليه، فإنّهم يتركونه ويأخذون من المتكلّم عليه. وإن لم يدفع يخرج من البلد ولا يرجع إليه حتّى يسلك. ومن وقف عليه المقادم ونهرهم أو سبّهم أو عصى أمرهم فعليه مغرم خمس وعشرين ريالة. وإن بعثوا له وصيف العرش أو غيره ممّن يرسل إليه وجسر على المرسول أو ضربه أو عصاه فغرامته سبع ريالات، منها ريالتان للوصيف وخمس للعرش. وكذلك إن غدره فخطيئته مائة وخمسون ريالة».

8- اتّفق خمسة قصور في مجلس باعبد الرحمن الكرتي في أوائل شعبان 1242هـ/1827م على أن يجوزوا فيما بينهم في معاملاتهم وتصرفاتهم في أمورهم السكة الحادثة في الجزائر المنسوبة إلى ثلاثة أرباع القديمة.

9- وممّا وقع الاتفاق عليه يوم 21 شعبان 1245هـ/1830م: «إنّ المرأة إذا كانت في بلد من بلاد مزاب فأرادت أن تتزوّج رجلا في مدينة غير مدينتها، إنّ عقد نكاحها يكون في البلد الذي هي فيه، لا في المدينة التي فيها زوجها، لأنّ ذلك أصلح لمعرفة حالها ومن أولى بتزويجها من أوليائها...

ومن ذلك أنّ المرأة إذا ضربها الحمل في بطنها وقد طلقها زوجها ومضى عليها أربع سنين من اليوم الذي طلقها ومات زوجها فلا إرث لها منه، وأمّا التزويج فلا ولو طالت مدّتها.

ومن ذلك أنّ الدَّيْن إذا أظهره أحد بعد عشر سنوات ولم يطلبه صاحبه ولا وقع عليه التحجير والطلب، فليس له من بعد تلك المدّة سبيل إلى طلبه».

10- هذا نص الاتفاق الصادر في صفر 1258هـ/1842م في مسجد باعبد الرحمن الكرتي: «من توفي ولم يجعل لوصيته وكيلا، فأولاده أو أولياؤه أو العشيرة يجتمعون، والعشيرة يجوّزُون منها ثلاثة ويستخلفون له الرابع

يكون صالحا. وإن لم يستخلفوا أحدا بعد أن طلبوا لذلك وأبوا فليحبس عليهم الجامع أو يحبس الجامع على الكافّة، فإن لم ينفع فإنّ الحكّام يستخلفون له واحدا لأنّ العشيرة يُعَدُّ عليهم تعدوا الشرع والكتاب».

هذه نماذج ممّا تضمّنته اتّفاقات المجلس الأعلى لوادي مزاب.

ومن مميّزات الحياة الاجتماعية بمزاب تْويزَا (كلمة تجمع على تِويزَاوِينْ) وهي التعاون على إنجاز بعض الأعمال الخاصّة والعامّة ذات الأهمية. يقول الشيخ إبراهيم مطياز: «يقوم الرجل لبناء دار، فتقوم عشيرته وأقاربه بأنفسهم ودوابهم. هذا ليجلب الحجر وذلك للحصبة، وآخر يبني، وآخرون يهيّئون مواد البناء والخشب. في مدّة وجيزة يتمّون بناء دار أو يغرسون جنانا أو يسورونه أو يحفرون بئرا من مائة إلى مائة وخمسين ذراعا عمقا. وكذلك يفعلون في الزرع والحصد والدرس.

وأكثر ما يقع هذا التعاون في الأعمال الكبيرة من العشيرة. وإن يكن أمر عمومي فمن جميع النّاس من استطاع ذلك، كبناء سدّ أو تحويل مجرى السيل...والمرأة أحوج إلى ذلك التعاون لتعذّر القيام وحدها بنسج ما كان عريضا جدًّا من الثياب والزرابي والفرش»[1].

ويمضي الشيخ مطياز قائلا: «ومن العوائد والبدع الحسنة الممدوحة الاحتفال أيّام المولد بذكر النبيء محمّد ﷺ، وحياته، وقراءة القصائد.

ومنها قراءة القرآن في المساجد جماعة بين المغرب والعشاء، وقد حدث ذلك أواخر القرن الثامن، ثمّ في السحر، وبعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس [يوميا].

ومنها ختمة القرآن في كلّ صباح يوم الجمعة، بعد أن تفرّق قراءته على حاضري المسجد ليلته. ويقع مثل ذلك في ليال معلومة مثل ليلة منتصف شعبان وليلة المولد وليلة عاشوراء والعيدين ويوم محرّم وكلّما حدثت مذهلة»[2].

1- تاريخ مزاب، 93.

2- نفس المصدر، 128.

كان أوّل ما بدئ بإقامة الاحتفاء بذكرى ليلة المولد النبوي واتخاذ هذه الذكرى عيدا إسلاميا رسميا وموسما دوريا أن أقامه أوّل مرّة الملك أبو سعيد مظفر الدين صاحب أربل –بالقرب من الموصل على شاطئ دجلة– المتوفى سنة 629هـ/1231م، ثمّ تطرّق العمل على إحياء هذه الذكرى النبوية إلى البلاد الأخرى فوصل إلى مصر زمن الملك الكامل الأيوبي المتوفى سنة 635هـ/1238م، فكان هذا أوّل من احتفل به في مصر. وأمّا في المغرب الكبير فكان أوّل من عني بإقامته والاحتفاء بذكرى يومه وليلته هو الأمير محمّد بن أحمد الغزفي صاحب سبتة المتوفى سنة 677هـ/1279م، كما أنّ السلطان أبا حمو موسى الثاني عاهل دولة بني عبد الواد الزيانية المتوفى سنة 791هـ/1389م كان هو أوّل ملك جزائري أقامه بالجزائر. وإلى محمّد ابن عثمان الكبير باي معسكر فاتح وهران عام 1206هـ/1792م، يرجع ترسيم ذكرى يوم المولد النبوي واعتباره عيدا وموسما رسميا، تحتفل له الحكومة التركية الجزائرية بأفخر وأبهج مظاهر الزينة، ويعلن ذلك بانطلاق أصوات المدافع مدوية في الفضاء.

وإذا استهلّ شهر رمضان تعمر المساجد كلّها بقراءة القرآن، ولا تنقطع قراءته إلاّ في أوقات الصلوات المفروضة. وبعد صلاة المغرب جماعة يقع التنفل والاحتياط للصلوات الخمس، وبعد ذلك تصلّى التراويح جماعة. وتقع ختمات القرآن عشية، وهناك أحباس تفرق على من حضر الختمة إلى وقت المغرب.

وفي عدد من جمعات السنة، يجتمع الطلبة في إحدى المقابر ويفرقون قراءة القرآن على أربعة مجالس: مجلس البقرة إلى الكهف، ومجلس مريم إلى سورة الرحمن، ومجلس سورة الرحمن إلى الملك، ومجلس الملك إلى الخاتمة. وبعد العصر يجتمعون لقراءة القرآن ثمّ تكون الختمة والدعاء من جميع أفراد حلقة العزابة. ويحضر تجمّع العشية العامّة من النّاس. ويقع توزيع الصدقات

صباحا من تمر وخبز وغيرهما. وبعد الختام عشية فإنّ الطلبة والعامّة يحلقون لأكل الطعام ويفرق اللحم على الطلبة.

هذه الصدقات معاريف أو أحباس مؤبدة علّقها أموات تلك المقبرة في الديار التي كانوا يملكونها، يؤديها من اشتراها أو اكتراها من بعدهم. وحبس مقابر الشتاء أكبر وأوسع من غيرها. فالضعفاء يكونون في هذا الفصل البارد أحوج إلى المساعدة.

وفي شهر مارس من كلّ سنة تنظّم في بلاد مزاب كلّها زيارة الأماكن التاريخية من أماكن السواحين قديما ومساجد ومقامات بنيت لبعض الأشياخ المصلحين، كمقام الشيخ أبي ساكن عامر الشماخي ببريان[1]، ومقام الشيخ أبي عبد الله محمّد بن بكر بالعطف ومسجد الشيخ إبراهيم بن مناد بها[2]، ومسجد عمي سعيد بغرادية، ومسجد باعبد الرحمن الكرتي بين مليكة وبونورة، وبعض المحاضر القديمة. وبعد الزيارة لتلك المشاهد صباحا يجتمع كلّ بلد لتوزيع الصدقات من التمر والخبز وشرب اللبن، وذلك في منتصف النهار. ثمّ يجتمع الطلبة والعامّة عشية لختمة القرآن والدعاء والابتهال إلى الله أن يسقي الوطن ويحفظه[3].

عيد الزيارة هذا من بقايا عوائد البربر السابقة للإسلام. فقد كانوا يعتبرون فاتح مارس غرّة العام ويتخذونه عيدا. وهو عيد دخول فصل الربيع وعودة الطبيعة إلى الحياة، كما كانوا يسمّون إله الربيع (يَدَّرْ). في ذلك اليوم يخرج النساء والأولاد يتجوّلون في الطبيعة ويغنّون حاملين معهم ما أعدّوه من الطعام لهذه المناسبة، يتناولونه على بساط الحشيش[4].

1- **أبو ساكن عامر الشماخي** أبرز فقهاء الإباضية. أخذ العلم عن أبي موسى عيسى الطرميسي. جلس للتدريس والتأليف طول حياته. وقد درّس بمتيون ثلاث عشرة سنة وتحوّل إلى يفرن عام 756هـ/1355م. من أبرز تلاميذه أبو القاسم البرادي صاحب كتاب الجواهر. توفي متقدم السن عام 792هـ/1390م. له عدّة مؤلفات، منها كتاب الديانات في التوحيد وكتاب الإيضاح في الفقه.

2- إبراهيم بن مناد عاصر الشيخ باعبد الرحمن الكرتي.

3- إبراهيم مطياز: تاريخ مزاب، 130.

4 -GAID Mouloud: Les Berbers dans l'histoire; Tome I, 215.

ومن أهمّ مواسيم الطلبة ما يسمّى "فازعة الطلبة"، وهو موسم يقيمونه سنويًّا في مارس، حيث أنّ سكّان البلد يفزعون وينتشرون في ضواحي البلد ليلا لجلب الحطب للمحاضر، وعند عودتهم صباحا ينعقد موكب الاحتفال بتجهيزهم بالعدّة اللاّزمة لحمل السلاح والدخول في معمعة البارود، فيخرجون إلى خارج البلد كبارا وصغارا صفوفا يتقدّمهم صفّ العزّابة، حاملين راياتهم البيض، مكتوبا على جانب منها بالأخضر "لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله" وفي جانب آخر بالأحمر "نصر من الله وفتح قريب" وعن يمين العزّابة وشمالهم التلاميذ وأبناء المحاضر، ومن وراء صفّهم صفّ أعيان البلد، فصفوف العامّة، والنّاس في أثناء ذلك كأنّهم في حرب، لا يسمع بين جموعهم المائجة إلاّ صوت منادي العزّابة على طول الطريق "لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله" يرنّ بين قعقعة السلاح ودويّ البارود. ولا يوجد هنالك شيء يسمّى طبلا أو مزمارا، وإنّما التهليل والتسبيح والبارود في أشكال بديعة[1].

كلّما استمر هبوب رياح العاصفة التي تدفن البلاد وتقلع الأشجار والنخيل، تجتمع الهيآت الدينية والطلبة والعوام يطوفون بالبلد، ينهون عن المنكر، معتقدين أنّ الله أصاب البلاد بذلك لمنكر خفي وقع[2].

عندما يثبت عند العزابة أنّ امرأة حملت بغير زوج، فإنّهم يقصدون بعد صلاة العصر مدخل مترلها مع من رغب من أهل البلدة، للتشنيع والتشهير بها، فينادونها أنّك حملت ولدا غير شرعي، فأنت مسؤولة عنه أمام الله إن أوقعت له ضررا، ثمّ يجهرون بالنهي عن المنكر ثلاث مرّات وينصرفون.

ومن ذلك ما يقع عندما يُقتل شخص ظلما. فعند حمله للصّلاة عليه، يُسار خلفه بالجهر بالنهي عن المنكر، استنكارا لما حصل له من ظلم. وكذا إذا

1- جريدة وادي ميزاب- العدد 91، 13 جويلية 1928.

2- إبراهيم مطياز: المصدر السابق، 130.

انتحر شخص. إلاّ أنّه إذا فعل ذلك وهو في كامل عقله، فإنّه لا يغسل ولا يكفن ولا يصلّى عليه، بل يلوى في بعض ثيابه، ويدفن بعيدا عن بقية القبور[1].

وهناك عادة حسنة هي أن يجتمع الحجاج في المسجد وكثير من الطلبة والعوام، فيدعون الله تعالى لهم بالحفظ وبلوغ مقاصدهم، ثمّ يخرجون جميعا من البلد، رافعين الأعلام، مردّدين الدعاء (يا عظيم الجود، يامولانا بلّغ المقصود يا الله يا الله) فيودّعونهم.

تستعدّ العامّة لرجوعهم ويحتفلون بهم في مقام معلوم لأحد الأشياخ، يشيّعون أولئك الحجاج من هناك إلى المسجد، رافعين الأعلام مكتوبا عليها (الحمد لله والشكر لله، ما خاب عبد يقصد مولاه) مردّدين تلك العبارة بأصوات مرتفعة.

تعيّن الهيئة الدينية ثقة أمينا راعي معز سكان المدينة، وتقرّر له أجرة شهرية لكلّ معزة، وله حدود لا يتعدّاها في الرعي، ولكلّ بلد في ذلك حمى. ومن عادة البلد أن يأخذ الراعي ممّن له معزة لحمة في عيد الأضحى فوق أجرته الشهرية. ويأخذ مقدارا معلوما من صدقات المقابر في أيامها.

إنّ حياة الواحة تتوقّف على سيلان الأودية، لذلك فإنّ كلّ مناسبة سيلان لها بمثابة عيد للبلدة كلّها: الرجال يستقبلون الغدير بطلقات القرابيلات، والأولاد بصيحات الفرح، والنساء بالزغاريد. وقد يرافق ذلك أنغام المزامير والطبول.

لقد ورثت النساء المزابيات عوائد كثيرة من العصور القديمة، كالزغردة والوشم والتخضيب. إنّ هيرودوتس، شيخ التاريخ، المولود ببلاد الإغريق سنة 484 قبل الميلاد، أعلمنا أنّ النسوة البربريات يزغردن ويولولن، وتعجّب من هذه العادة التي لم يكن يعرفها، وأنّهن يوشمن ويتخضّبن[2].

1- قشار بالحاج: عوائد ميزاب سنن لا تقاليد، 78.

2- عثمان الكعاك: البربر، 19.

ممّا بقي من الاعتقادات الفاسدة، تعليق عظام الحيوان على جذوع النخيل، وتعليق القدور من الفخار، واليد المرسومة على قطعة من الجبس، مصنوعة في يوم عاشوراء، مصحوبة بقرن غزال. ومن ذلك ترك العمل في هذا اليوم وما أشبه ذلك من عوائد بعض الشيعة.

ومن العوائد المحرّمة التي تؤدّي إلى الشرك اعتقادات في بعض النساء من السودان، أنّ الزوجين إذا لم تحي لهما ذرية، (يبيعون) ولدهما لهنّ عند ولادته ليضمنا بذلك حياته. وعليهما حقوق يؤدّيانها إليهن في كلّ مناسبة، مخافة أن يموت الولد أو يمسّ بسوء.

هذا البيع ليس حقيقة، وإنّما يتمثّل في إلحاق الولد بأسرة هؤلاء الزنوج، قصد تخليصه من الموت.

د- علاقة مزاب بالعثمانيين:

إنّ المواقف البطولية للمزابيين في دحر الأوروبيين عن شمال إفريقيا، وتقديمهم يد المساعدة إلى خير الدين، منحتهم مكانة وتقديرا عنده، وعند من خلفه على السلطة من العثمانيين في أرض الجزائر. لذلك فإنّهم تمتّعوا بمعاملة خاصّة، اعترافا لهم على ولائهم وإخلاصهم للدولة الجزائرية العثمانية.

هذا الولاء أكّدوه لصالح رايس باشا الجزائر الذي توجّه في 959هـ/ أكتوبر 1552م إلى تقرت التي رفض ملكها دفع الخراج، وحاصرها ودخلها بعد ثلاثة أيّام من قصف مدفعيته، ثمّ توجه منها إلى ورقلة لنفس السبب، إلاّ أنّ ملكها فرّ منها مع جنوده. الخراج الذي كانت تدفعه ورقلة ثلاثون عبدا، أمّا ما كانت تدفعه تقرت فهو خمس عشرة أمة[1].

يقول الشيخ أحمد توفيق المدني: «لمّا كان المزابيون يهاجرون إلى بلاد التلّ باستمرار قصد التجارة والكسب، فقد اعترفت قصورهم...منذ

1 -HAEDO : Histoire des Rois d'Alger, 87.

انتصاب الأتراك بالبلاد، بالتبعية للديوان. وإنّما كانت التبعية اسمية فقط...فكان استقلالهم مطلقا في بلادهم»[1].

وتجسيدا لهذه التبعية السياسية كان وادي مزاب يدفع للسلطة العثمانية سنويا اثني عشر عبدا واثنتي عشرة أمة.

وفي ولاية حسين باشا سنة 1630م، وللاستيلاء على الحكم بالجزائر وضع الكراغلة[2] مشروعا يهدف إلى طرد الأتراك واجتمعوا في برج مولاي حسن[3].

وعند اكتشاف الأتراك لهذه المؤامرة، فكّروا لإحباط المشروع في أن يلبسوا عددا من عمال بني مزاب ملابس نسائية. ولمّا تدثّر هؤلاء بالملاحف، أخذوا أسلحتهم والذخيرة في شكل متاع ثمّ تقدّموا إلى الحصن. ولمجرّد ما دخل أولئك الرجال المتنكرون الحصن، هاجموا المتمرّدين بمساعدة من كان يتبعهم عن كثب، فأخضعوهم وأحبطوا مشاريعهم[4].

وجدّد بنو مزاب ولاءهم للدولة العثمانية عندما قام كلّ من محمّد الكبير باي معسكر وصالح باي قسنطينة بغزو الجنوب. فقد وصل محمّد الكبير مدينة الأغواط سنة 1199هـ/1785م ودخلها بقوّة هائلة يوم 28 ربيع الثاني/11 فيفري، فانقاد له جميع القبائل التي بضواحيها ورضوا أن يؤدّوا الضرائب السنوية على طيب نفس.

لقد نظّم الأتراك في مدينة الجزائر خمس نقابات من البرانيين، هي نقابات المزابيين والأغواطيين والبسكريين وقبائل مزيتا والزنوج، ووضعت على رأس

1- محمد عثمان باشا.
2- الكرغلي: تركي من أم جزائرية.
3- بناه حسن باشا عام 1573م في الموقع الذي أقام عليه الإمبراطور شارل الخامس مقر قيادته عام 1541م للاستيلاء على مدينة الجزائر.
4- حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، 155.

كلّ واحدة منها أمينا، مسؤولا على الأمن والنظام داخل نقابته، يمثّلها لدى السلطة الحاكمة، ويحضر المجالس الاستشارية.

هذه أسماء بعض الأمناء في الجزائر وتاريخ توليتهم:

- عيسى الصابي تسمّى أمينا عام 1193هـ.
- إبراهيم بن صالح
- باباعمّي بن موسى من غرداية عرش أولاد أمّ عيسى عام 1208هـ
- سعد الله بن باب حمُّو من غرداية عرش أولاد أمّ عيسى عام 1210هـ.
- حمُّو بن صالح بن عليّ عام 1212هـ.
- سليمان بن باحمد من بني يزڤن عام 1213هـ.
- إبراهيم بن موسى عام 1219هـ.
- صالح بن سليمان من بني يزڤن عام 1237هـ. توفّي ليلة 27 جمادى الثانية سنة 1239هـ، فتلقّب حفدته بلقب الأمين.
- سعد الله بن أحمد عام 1243هـ.

منحت السلطة العثمانية لبني مزاب بالعاصمة احتكار المجازر ومطاحن القمح التي بلغ عددها في القرن الثامن عشر خمسا وعشرين، وكذا المخابز والحمَّامات، مقابل إمداد الانكشاريين بما يحتاجونه من اللحوم مجانا، وإعارة دوابهم للخدمات البلدية.

وبذلك تفادى بنو مزاب استخفاف بعض القصابين بعملية الذبح، وكانوا لا يسندونها إلاّ لمن يحسنها منهم أو من غيرهم.

يقول الدكتور عمّار بن خروف: «إنّ جماعة بني ميزاب في مدينة الجزائر كانت من الجماعات المهمّة التي نشأت فيها في العهد العثمانيّ، والتي كان لها وزنها الماليّ والتجاريّ فيها، ودورها الفعّال في النشاط الاقتصاديّ في المدينة، إن لم تكن أهمّها على الإطلاق...».

ويمضي الدكتور بن خروف قائلا: "إنّ جماعة بني مزاب، حسبما تذكر الوثائق والمصادر، كان يقوم بينها وبين غيرها من الجماعات اتّفاقات تنظّم العلاقات بينها، وتحول دون قيام الخلاف والنزاع"، وأورد مثالا عن ذلك اتّفاقا وقع بين جماعة بني مزاب وجماعة الجيجليّة عام 1018هـ/1609م[1].

هـ- تنظيم حياة المزابيين في مدن التل:

اتّخذ بنو مزاب في كلّ بلدة يكثر إليها ذهابهم إمّا دارا لنزول مسافريهم مجانا، يطلق عليها دار العرش، وفيها قاعة للصّلاة، وهي مجهزة بالمرافق ووسائل الطهارة، وعليها قيّم، وإمّا مسجدًا للصّلاة، بجواره شقق لنزول المسافرين المزابيين، كما اتّخذوا مقبرة لدفن موتاهم، فيها مكان فسيح لاجتماعاتهم العامّة، لا سيّما أيّام الأعياد والمواسم.

طيلة هذه القرون، لم يكن مسموحا لمزابي مغترب أن يصطحب معه زوجته أو أيّة امرأة أخرى، لأنّ ذلك قد يكون سببا للهجرة النهائية، وعدم التفكير في العودة إلى مزاب، البلد القاسي طبيعته. فقد أصدر المجلس الاتحادي لوادي مزاب قرارا يمنع المرأة من الخروج من مزاب، لأيّ غرض كان.

إلاّ أنّه من جانب آخر، فقد كانت مدّة غياب ربّ الأسرة مقنّنة، إذ ينصّ عقد النكاح على أنّ الزوجة تشترط على زوجها أن لا يغيب عنها أكثر من ثلاث سنوات، ضمن شروط أخرى، وإلاّ صار أمر طلاقها بيدها.

إنّ المتجر المزابي خارج مزاب لم يكن مؤسّسة اقتصادية فقط، وإنّما كان كذلك خلية اجتماعية تضمّ أرباب الحركة والمستخدَمين، يتقاسمون العمل ويسكنون محلاًّ واحدًا، يتناولون وجباتهم معا ويسهرون حول نفس المائدة. فالجوّ السائد بينهم جو ثقة واطمئنان وتعاون ونصح.

1- مجلة الواحات للبحوث والدراسات – العدد الأوّل 42 و46.

كان للمزابيين في المدن الكبرى أمين ينتخبونه يشرف على شؤونهم، ويمثّلهم لدى السلطات العثمانية. وكان بيده صندوق للتضامن، تسدّد منه ديون كلّ تاجر مزابي أصيب بنكبة في تجارته.

يقول أوكابيتين: «كانت جماعة المزابيين في الجزائر تعطي قروضا من هذا الصندوق لدايات الجزائر، وكانت تدفع لحكومة الأتراك سنويا مبلغ أربعمائة سائمة، كما كانت جماعة عنابة تدفع لهم مائة سائمة»[1].

كان الأمين يتقاضى لفائدة الصندوق إتاوة سنوية عن كلّ متجر وحمّام قدرها خمسون بوجو، وعن كلّ مطحنة إتاوة قدرها بين أربعين وخمسين بوجو، وعن كلّ قصابة إتاوة بين ثلاثين وخمسين بوجو، ويتقاضى إتاوة أسبوعية يدفعها الحمال عن دابته، ويتسلّم من كلّ مزابي مبلغا ماليا يسمّى إجارة قدرها أربعمائة بوجو، بمناسبة شهر رمضان.

للأمين تأديب المشوشين من قومه وسجنهم وغرمهم، لكنّه لا يستطيع أن يحكم على أحد منهم بالنفي أو الإعدام، إلاّ بإذن صريح من الباي أو الباشا. كان الأمين يتولّى الفصل بين المتخاصمين المزابيين. أمّا إذا كان الخصام بين مزابي وغير مزابي، فإنّ القضية ترفع إلى حكم المخزن، أي أمام العدالة العثمانية.

بعد احتلال فرنسا لمدينة الجزائر وما حولها، أصدرت السلطات الفرنسية مرسوما، يوم 4 جوان 1837، يقضي بإقرار نقابات البرانيين الخمس، ومرسوما آخر يوم 31 جانفي 1838 يحدّد التنظيم العام لهذه النقابات، ثمّ قرارا يوم 23 سبتمبر 1850 لإعادة تنظيمها، تبعه المرسوم الوزاري المؤرّخ يوم 8 أوت 1851.

1 -AUCAPITAINE : Les Béni M'Zab – Sahara Algérien, 37.

يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله: «ومنذ دخل الفرنسيون، جعلوا هذه الجماعات الحرفية تحت نظرهم، وحاسبوها حسابا عسيرا، وضيّقوا عليها الخناق، إلى أن أفلس الكثير منها، وتولّى الأوروبيون واليهود مهام تلك الجماعات. وقد تحوّل كثير من البرانية، أو اليد العاملة الجزائرية التي تأتي إلى المدن للإقامة المؤقتة من أجل العمل، إلى عمال غير حرفيين، بل ورجع البعض منهم إلى نواحيهم»[1].

ينص مرسوم الوالي العام المؤرّخ يوم 31 جانفي 1838 على ما يلي:

- يعيّن الوالي العام أمينا أو عدّة أمناء، على رأس كلّ نقابة من نقابات البرانيين، يقترحهم عليه المعتمد المدني.
- كلّ أمين مكلّف بمراقبة أعضاء نقابته، وأنظمة أمنهم، والنظر في خصومات ما بينهم، والجرائم التي يرتكبونها ضدّ بعضهم أو ضدّ غيرهم من الأهالي.
- يخوّل المرسوم للأمين حقّ التغريم، بشرط موافقة رئيس البلدية إذا جاوز عشرة فرنكات، وحقّ السجن والعقوبات الجسدية، بشرط موافقة القاضي، إذا جاوز السجن ثلاثة أيّام.
- يضع الأمين عددا من أعضاء نقابته تحت تصرّف السلطة، لخدمة شرطة الأمن، ولمواجهة الكوارث.
- يسلّم الأمين لكلّ عضو من أعضاء نقابته دفترا يسجّل فيه هويته وأوصافه، وشارة يجبر على حملها.
- باقتراح من الأمين، يوزّع رئيس البلدية من صندوق النقابة مساعدات على أعضائها المرضى وذوي العاهات منهم.
- لا يحقّ لأحد استخدام براني من إحدى هذه النقابات غير مزود بدفتر وشارة. يودع الدفتر لدى المستخدِم مدّة الخدمة، بعد أن يسجّل عليه الأمين الشغل الجديد.

1- الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، القسم الأول، 250.

- تتألّف نقابة المزابيين من الأشخاص المنتمين إلى أعـــراش غرداية ومليكـــة وبني يزقن وبونورة والعطف. يحتفظ العرشان الأوّلان كلاهما بِمُقَدَّمَيْن، أمّا الأعراش الثلاثة الأخرى بثلاثة مقاديم لكلّ واحد. علاوة على ذلك فـــإنّ لكلّ عرش طالبًا أو كاتبًا.
- العـــرش هو الذي يختار مقـــاديمه وطالبه، والاختيار مرهون بموافقة الوالي العام.
- يساعد المقاديمُ والطلبةُ الأمينَ علـــى أداء مهامـــه، وفـــق القـــوانين والأعراف المعمول بها.

3- امتداد العمران واستقرار طوائف جديدة :

أ- اتّساع القـــرى:

مع مرور القرون وتزايد عدد السكان، اضطرت القرى المزابية إلى دحـــر أسوارها مرّة أو عدّة مرّات كما وقع في بني يزقن. إنّ آثار المداخل القديمة للقرية ومواقع سوق البلدة المتنقلة والآبار العمومية، تبيّن بوضوح أنّ البلدة تمّ توسيعها ثلاث مرّات في هذا العهد الثالث. ويصحب عادة هذا التوسيع للبلدة توســـيع مسجدها. فالملاحِظ لسقف مسجد بني يزقن الحالي يقرأ عليه الحدود الفاصـــلة بين مرحلتين متعاقبتين.

إنّ توالي توسيعات القرى الخمس وعدم إحداث قرى جديدة على وادي مزاب، سببه الأوّل أنّه يستحيل إنشاء واحة جديدة على سافلته بعد العطـــف، لندرة المياه الجوفية. وسببه الثاني أنّ أهل غرداية يمنعون إحداث واحة جديـــدة على عالية الوادي، لأنّ ذلك سيؤدّي حتمًا إلى إضرار واحة غرداية بانخفـــاض مستوى الماء في آبارها وارتفاع نسبة الأملاح فيها. تجنّبًا لهذا فـــإنّ ســـلطات غرداية اشترت عام 1073هـــ/1663م الأراضي الواقعة على عالية الواحة لتمنع الاستقرار بها واستصلاحها.

ب- قـــدوم عائلات يهودية إلى مزاب:

يقول بْرِيقْسْ: «إنّ البربر اليهود هاجر بعضهم إلى مزاب عنـــد خـــراب تَمَنْطِيطْ، قرب أَدْرَارْ في تْوَاتْ، عام 897هـــ/1492م، على يد الشيخ ابن عبـــد الكريم المغيلي من الساقية الحمراء. هذه المدينة اتّخذوها عاصمة لهم في القـــرن الرابع الميلادي»[1].

محمّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المتوفى عام 909هـــ/1504م، قام بطرد اليهود من تْوَاتْ وتَمَنْطِيطْ، لوضع حدّ لتسلّطهم وتحكّمهم الخطير في أهمّ النشاطات الاقتصادية، وفي السياسة والأمن، وحتّى في القضاء، في هذه الواحة التجارية الاستراتيجية[2].

انضمّ إلى هؤلاء اليهود آخرون قدموا من مختلف أقطار شمـــال إفريقيـــا. يقول أوكَابِيتَنْ: «في القرن السادس عشر، لمّا قرّر سلطان بني جلاب دخـــول يهود تقرت في الإسلام، هاجر من لم يرض منهم واستقر بعضهم بمزاب»[3].

كان اليهود بغرداية يسكنون حيًّا خاصّا بهم جنوب غرب السور اشتهر بقذارته الاستثنائية. كما كانت لهم مقبرة خاصّة بهم. وكانوا يقيمـــون أيـــضا ببونورة، ولهم مقبرة بها تشهد على ذلك مساحتها 0,4 هكتار جنوب شرقي البلد.

أمّا حرفتهم فهي صياغة الحلي وصناعة الأواني المعدنية، وكانـــت لهـــم علائق تجارية ومصاهرة مع يهود تقرت وأفلو والجلفة بالخـــصوص. وكـــان لا يسمح لهم بممارسة التجارة في مزاب، ولا بامتلاك الأراضي الفلاحية، وامتطاء الجواد واستعمال الآبار العمومية. كان اليهود عند ركوب دابة يجبرون علـــى جمـــع ساقيهم إلى جهة واحدة، ويفرض عليهم لبس الأسود، وتثنية جزء مـــن شاشـــيتهم، وترك قصّة من شعر الرأس عن اليمين وعن الشمال، قصد تمييزهم عن بني مزاب.

---

1 -B. MERGHOUB : Développement Politique en Algérie, 35

2- فوزي سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، 56.

3 -AUCAPITAINE : Op.Cit, 56.

وممّا ورد في اتّفاق مجلس وادي مزاب المنعقد في رجب 1249هـ/1833م، أنّ المجتمعين «قد اتّفقوا على اليهود...أن لا يشتروا الملك في كافّة قصور مزاب، لا يشترون في الغابة ولا في القصر، ومن باع لهم من أهل البلاد فتلزمه العقوبة. لكن في غرداية فلا يشترون سوى في حومتهم. وعندهم من كومار بني مرزوف فلا يزيدوا، ولا يشتروا في سوق البلاد ولا في أطرافها، وإن كانت لهم بقعة من الأرض بناحيتهم فيشتروا، وإلاّ من العرش في كاف الشيخ باب صالح. وأمّا في الغابة فلا يزيدون على ثلاثة جناين. واتّفقوا على أهل الدلالة، الرجال الذين يدلّلون، من الطلبة أو الحمريّة، يدلّلون حاجة اليهود، ولابدّ الدلاّل أن ينادي بها في السوق باسم جُوهُرْدَا، ليكون النّاس على حذر من شراء كسوة اليهود. وإن باعها الدلاّل ولم يعلم بها المشتري فيفسخ بيعها، وإلاّ أرباب معرفة شراء كسوة اليهود يطيّحوا من قيمتها لأنّه غبن للمشتري».

ج- قـــدوم بني مرزوق:

لجؤوا إلى غرداية عندما وقع نفيهم من نفزاوة وكانوا حـــوالي ثلاثـــين عائلة[1]. يُذكر أنّ الشيخ صالح بن عمّي سعيد هو الذي قبل هؤلاء اللاّجـــئين سنة 933هـــ/1527م، وفرّقهم على بعض عشائر غرداية كترلاء على شـــروط، منها أن يدفعوا للعرش سدس محاصيلهم وأن يتجنّدوا مع المواطنين إذا حـــزمهم أمر أو هجم عدو على الوطن، لكنّهم لم يوفوا بهذا الشرط الأخير حين هجـــم البدو الغرابة على غرداية، يوم 11 شوال 945هـــ/1539م، فاصـــطفوا معهـــم وناصروهم، فطُرِدوا من غرداية بسبب هذه الخديعة. ثمّ وقع تجديد قبـــولهم في العشائر بعد إرجاعهم عام 949هـــ/1543م.

حرفتهم النسج والخياطة. بقوا على المذهب المالكي.

1 -J.HUGUET : Recherches sur les Habitants du M'Zab, 23.

لهم مقبرة خاصّة بهم. كانوا لا ينكحون بناتهم للأجنبيين عنـــهم، إلاّ إن أردن أن يخرجن معهم إلى البادية، وأمّا أن يأتوا إلى ديارهنّ فلا.

د- قـــدوم المذابـــيح:

أصلهم من اليمن بصحراء الأحقاف. قدِموا عن طريق السودان ثمّ ليبيا فالجريد واستقرّوا في المايا جنوب جبل عمور. وفي رمضان 994هـــ/1586م اســـتقدمهم آت عمّي عيسى إلى غرداية لمناصرتهم، وكانوا في اثنتين وأربعين عائلة.

كان لهم حي خاص بهم خارج السور. مقبرتهم تعرف باسم مقبرة سيدي سليمان. بقوا على مذهبهم المالكي. حرفتهم رعي المواشي.

وقعت فتنة كبيرة بين الشعانبة والمذابيح، تمّت بالمصالحة بينـــهم حيـــث جعلوا وادي انتيسا فاصلا بينهم، لا يتجاوزه المذابيح إلى الغرب ولا يتجـــاوزه الشعانبة إلى الشرق.

هـــ- بنو مـــزاب في مَتْلِيلِي:

يقول كَابُورَايْ: [1] «إنّ البدوي لا يقوم أبـــدا بفلاحـــة الأشـــجار والبقول، وإذا امتلك نخلا فإنّه يستخلف عليها مزارعا حضريا ولا يظهر إلاّ وقت جني الغلّة».

استعان شعانبة بَرَزْقَة بسكان مليكة، وعقدت اتفاقية بين الطرفين سمحت بهجرة عشر عائلات من مليكة إلى مَتْلِيلِي، تحت رئاسة إبراهيم بـــن ســـعيد، استقرّت في ناحية دبونة لتعمير القصر والواحة، فبنوا مسجدًا على النمط المزابي، بقي على ذلك الشكل وتحت تصرّفهم إلى سنة 1946م، حيث أعيد بناؤه وبناء مئذنته على الشكل الحالي.

قد تكون هذه الهجرة تمّت في نهاية القرن التاسع الهجري[2].

1 -CAPOT-REY : Le Sahara Français, 219.
2 -GOUVION : Monographie du M'Zab, 240.

ممّا تضمّنته الاتفاقية أنّ السيادة والسلطة في قصر متليلي لإباضية مليكة، ولهم الحقّ والحرية في التعامل مع غيرهم من غير تدخّل الشعانبة. كلّ الرعايا الشعانبة في متليلي يدفعون إلى الإباضية في القصر ضريبة سنوية قيمتها شاة واحدة على الشخص مع ما تنتجه من صوف وسمن. ولضمان تطبيق بنود هذه الاتفاقية تمّ تحويل عشر عائلات من متليلي إلى مليكة وإسكانها ناحية باب ابن الأطرش.

و- بنو مزاب في الأغـوط:

لا شكّ أنّ الوادي بإمكانياته المحدودة بدأ يضيق ذَرعا بسكانه المتزايدين. ولم يكن استقباله لرعايا جدد ليخفّف من الضغوط والمشاكل الاقتصادية. بل ربّما كانت بعض هذه العناصر الجديدة سببا قويا في تعقيد الأزمة الاقتصادية والسياسية بالمنطقة وسببا في إذكاء نار الفتنة بين المتساكنين بالوادي.

يُقال إنّه لمّا قُتِل لآل بَاخَّهْ ولد، اغتاظوا وتعصّب معهم العفافرة وأولاد نوح فخرجوا جميعا من غرداية، وقصدوا الأغـواط، كـان ذلـك حسب موتيلنسكي[1] في القرن السادس عشر. ولمّا وصلوا نزل أولاد باخة على فرقة الأخلاف، والعفافرة على فرقة السرغين، فاشتغلوا بالتجارة ثلاثين عاما. ولمّا اتّفقوا على بناء مسجد أخرجهم أهل البلد فرقة بعد أخرى، وهم في أسوأ حال. وفي الغد من ذلك، لحقهم بنو الأغواط وهجموا عليهم في بُـوتْرَكْفِينْ، وقتلوا منهم. أمّا الناجون فتوجّهوا نحو وادي نْسا واتبعوه إلى أن وصلوا ملتقاه مع وادي الكبش، أين حفروا بئرا وبنوا ديارا[2].

ز- إنشاء قصر الْمُبَرْتَخْ:

قلّة الأمن جعلت هؤلاء الناجين يرتحلون من جديد، هذه المرّة نحو وادي زَقْرِيرْ، أين أسّسوا قصر المبرتخ. انضمّ إلى العفافرة وأولاد نوح

1 - A.de C. MOTYLINSKI, (1854-1907), Interprète militaire au M'Zab
2 - . Revue Africaine n°28,387.

وأولاد بَاخَّه عدد من المنفيين من بني يزقن. انقسم السكان إلى صفّين أحدهما يضمّ أولاد باخه، والآخر يضمّ الباقي منهم. نشبت فتن بينهم أسفرت عن نفي أولاد باخه فلجؤوا إلى غرداية، إلاّ أنّ معاملة سكانها السيّئة لهم جعلت عددا منهم يغادرها إلى مدينة الجزائر للتجارة. وبعد سنوات قفلوا راجعين إلى المبرتخ. لكن أهلها أوصدوا الأبواب دونهم[1].

حـ- إنشاء القرارة:

استنجد أولاد باخه بابن جلاب صاحب تقرت، وأعطوا له أربعة آلاف ريال، فجاء إليهم على رأس ثلاثمائة فارس، فحاصر المبرتخ ليتمكّن أولاد باخه من تأسيس قرية لهم على كدية العقارب، سموها القرارة، لا تبعد عن المبرتخ إلاّ بنحو كيلو متر واحد.

ارتحل بنو جلاب بعد ثلاثة أشهر من قدومهم، ثمّ تحارب أهل المبرتخ وأهل القرارة مدّة ثلاث سنوات، انتهت بتخريب قصر المبرتخ. لذلك اعتبرت القرارة بلدا مغصوبا. وقع هذا حوالي 1040هـ/1631م. بناء على هذا الاعتبار تبرّأ بنو مزاب من أهل القرارة، ومنعوا كلّ علاقة معهم، للتعبير عن سخطهم أمام أعمال التخريب والظلم التي راح ضحيتها سكان المبرتخ.

بقي القراريون أربعين سنة في حكم البراءة، حتّى أذعنوا للتوبة. عندئذ قصد وفد من علماء مزاب وأعيانه القرارة ليصلحوا بين الخصمين، وقبل أهل القرارة دفع ديات المقتولين، ورفعت البراءة عنهم، وبنيت مئذنة المسجد عام 1080هـ، وقد رفض أهل مزاب حضور وضع حجرها الأساسي مدّة أربعين سنة.

تقع القراراة على بعد تسعين كيلومترا في الشمال الشرقي لغرداية، وتبعد عن تقرت بنحو 180كلم.

1 -Ibid, 388.

موقعها على طريق القوافل جعل سوقها يتردّد إليها الأرباع وأولاد نايل وأعراب تقرت وبسكرة.

استقر حوالي القرارة أولاد الشرفة ومغازي وأولاد السائح والزناخرة، وكلّهم مالكية. وانضمّ إلى أولاد باخه من الإباضية أولاد بَالَّهْ من وراجلان، ثمّ جدّ النشاشبة من غرداية الشيخ صالح الذي قدمه القراريون للوعظ والفتوى، وبعد ذلك بعض العائلات من مليكة.

أمّا العطاطشة، وهم بدو مالكية، كانوا يخيمون بجوار القرارة في الصيف والخريف، ويبتعدون عنها في الشتاء والربيع، فقد استقدمهم أهل القرارة في القرن الثامن عشر.

اتّسعت القرارة وحوّل سورها ثلاث مرّات. لها واحة مزدهرة يسقيها وادي زفرير، أقاموا عليه سدًّا مائلا طوله نحو كيلو متر واحد، وذلك في عهد المقدم الناصر بن كاسي سنة 1122هـ/1710م، فصار الوادي يتّجه إلى حفرة كبيرة تسمّى (أَغْزُو نَّاصَرْ أَنْ كَاسِي).

ط- إنشاء بَرِّيَانْ:

يبدو أنّ العفافرة وأولاد نوح ومن معهم من سكان المبرتخ، عندما تمّ تخريب قصرهم، انتقلوا إلى الموقع الحالي لبريان، على ملتقى وادي السودان ووادي بالُّوحْ. لوحظ أنّ مئذنة مسجد بريان نقش عليها تاريخ بنائها عام 1101هـ.

انضمّ إلى المؤسّسين لبريان أولاد يحي الذين كان يسكن فريق منهم مدينة العطف. ثمّ انتقل إليها مؤخرا آل دْبَادْبَهْ الذين كانوا ضاربين خيامهم في واحة بني يزقن، بموضع يسمّى أُوجُّوجَنْ. كلّ من أولاد يحي وآل دبادبة مالكية المذهب.

تبعد بريان عن غرداية بنحو أربعين كيلو مترا إلى شمالها. تمتاز عن سائر قرى مزاب بشيئين: نسيجها وفلاحتها. تمتاز منسوجاتها الصوفية البيضاء عن

منسوجات غيرها من مدن مزاب امتيازا محسوسا مرغوبا فيه. ولأهل بريان عناية خاصّة بالفلاحة، ساعدهم عليها موقعها الطبيعي الخصب. يسقي واحة بريان كلّ من أودية بَالُّوحْ والسودان والزَرْقِي ومَدَّاغْ.

4- مشاركة بني مزاب في مقاومة احتلال الأوروبيين لشمال إفريقيا:

إنّ لبني مزاب مواقف ثابتة ضدّ محاولات الأوروبيين غزو سواحل الشمال الإفريقي. فبُعد وادي مزاب من هذه السواحل لم يثن من عزيمتهم في بذل النفس والنفيس لحماية بلاد الإسلام من أطماع الصليبيين. بنو مزاب يؤمنون بوحدة المسلمين ويسعون لها بكلّ ما أوتوا من قوّة. لقد ساهموا مرارا في صدّ الغزاة بالجهاد المقدّس رغم قلّة عددهم وعدّتهم.

أ - بنو مزاب في جربة عام 916هـ/1510م:

كان لعروج بربروس اتصال وعلاقة بالشيخ باحيو بن موسى وفرقته الفدائية من الفرسان المزابيين المرابطين في السواحل الجزائرية. وقد شاركت هذه الفرقة من الفرسان في صدّ غارة الإسبان على جزيرة جربة بالجنوب الشرقي لتونس سنة 916هـ/1510م والتي تحطّمت فيها حملة (دُوْنْ قَارْصِيَا دُو طليطلة)[1] العتيدة. وكان وقتئذ حاكم الجزيرة اسمه أبو زكرياء وشيخ عزابتها أبو النجاة يونس بن سعيد.

ب - بنو مزاب في مدينة الجزائر عام 924هـ/1518م:

إنّ خير الدين باربروس[2] لمّا أحسّ بخطورة الموقف واحتلال كدية الصابون وإحاطة العدوّ الإسباني بمدينة الجزائر، استدعى إلى قصره الشيخ باحيو ابن موسى، وهو من العطف، وأمين المزابيين في الجزائر بكير بن الحاج محمد بن بكير، وهو من مليكة، وغيرهما من المجاهدين المزابيين يستشيرهم. فأشاروا عليه

---

1 -DON GARCIA DE TOLEDE

2- خير الدين باربروس والي الجزائر من 924هـ/1518م إلى 940هـ/1534م وقيل من 923هـ/1517م إلى 944هـ/1537م.

بالقيام بعملية فدائية، قد يكون بها إحباط المخطط الإسباني وانهزامه، فاتفقوا معه على أن يقوموا هم بالعملية. بعد ذلك اجتمع المزابيون بفرن الشعبة، وهو موضع مسجد الإباضية بالعاصمة حاليا، تحت إشراف أمينهم، فاختاروا من بينهم سبعين فدائيا، وقرّروا حمل السلاح على النعش والسير به إلى المعسكر الإسباني في حي حسين داي الحالي، فذهبوا بالتهليل والتكبير مخترقين لقوات العدو على طول الطريق. وكان العدو يراقب المشيّعين عن كثب. فلمّا بلغوا بالجنازة الوهمية المكان المقرّر صلوا عليها إيهاما للعدو. ولتنفيذ العملية الفدائية، طلب رئيس الفرقة واحدا يقوم بنسف مستودع البارود في المعسكر، فخرج إليه شخص يلبس عباءة من نوع اللّثْشْ (تصنعها المرأة المزابية من الصوف، متعدّدة الألوان، تنسج فيها عددا من الرموز والرسوم التقليدية) وأخفى تحتها قرابيلة، فدخل بسرعة ومهارة في المعسكر الذي لا يحرسه إلاّ عدد قليل من الجنود الإسبان، فنسف المستودع واستشهد، فالتحمت المعركة وأشعل الفدائيون النّار في المعدات الحربية والقوارب التي تصل الأسطول الإسباني بالشاطئ.

فلمّا شاهدت قوات العدو المتمركزة بكدية الصابون أنّ المعسكر والقوارب تلتهمها النيران انقسمت إلى نصفين: قسم أسرع لإنقاذ المعسكر وقسم يواجه ضربات المجاهدين الذين فتحوا أبواب المدينة بعد العملية الفدائية. ولم يكد ينجو من هذه المعركة أحد من الإسبان. وقد تمّ هذا النصر يوم الأحد 17 شعبان 924هـ / 24 أوت 1518م[1]. وفرّ القائد الإسباني (دُونْ هُوقُو)[2] مع ما بقي من رجاله وسفنه. أمّا الشهداء المزابيون فدفنوا هناك في حي حسين داي الحالي.

1- حمو عيسى النوري: دور الميزابيين، الجزء الأوّل، 208.

2 - HUGO DE MONCADA

ج- بنو مزاب في الجزائر العاصمة عام 1830م:

يقول الشيخ أحمد توفيق المدني: «وقد كان الباشا راسل سائر النواحي الجزائرية، فأجابته بأنّها مستعدّة لإرسال رجالها للحرب...وأرسل المزابيون (مع أمينهم في العاصمة) ألف رجل للمشاركة في الدفاع، وتجمّعت الجموع كلّها في اسطاوالي، بينما تمكّن الجند الفرنسي يوم 13 جوان 1830 من النزول إلى البرّ داخل شبه جزيرة سيدي فرج وتحصّن بها دون مقاومة تذكر»[1].

ويضيف حمو عيسى النوري: إنّ المجاهدين الميزابيين استماتوا في الدفاع في الساعات الأولى من الهجوم على الجيش الفرنسي. وقد سقط منهم عدد كبير في ميدان الشرف، وفي مقدّمتهم البطل طفيش داود بن يوسف شقيق قطب الأئمة. ولهؤلاء الشهداء مقبرة في اسطاوالي في ساحة طمست آثارها[2].

وممّن شارك في الدفاع عن العاصمة في هذه المعركة جدّ الشيخ مطياز إبراهيم من الأمّ عيسى بن موسى الأمين الذي جرح ونقل إلى مزاب. واستشهد أخوه محمّد بن موسى وجدّ الشيخ مطياز من الأب كذلك[3].

ومن الشهداء أيضا محمّد بن الحاج يحيى جدّ الشيخ القرادي الحاج إبراهيم، وممّن انسحب من العاصمة مع الفلول التي ارتأت أن تتجمّع خارجها لمواصلة الدفاع، السيّد سليمان بن كاسي الملقب بالمجاهد، والذي أُسر في بلاد القبائل، ثمّ توفي في بلدته القرارة.

ونجد العدو يشهد أنّ آخر حامية استمرّت ترسل نيرانها، بعد احتلال العاصمة، هي حامية المزابيين بجبل سيدي بَنُّورْ. يقول الجنرال فيفان الفرنسي وزير المستعمرات: «نحن الفرنسيين نعلم أنّ الجزائر لم يدافع عنها

1- كتاب الجزائر، 46.

2- حمو عيسى النوري: المصدر السابق، 248.

3- إبراهيم مطياز: تاريخ وادي مزاب، 86.

بحقّ إلاّ المزابيون. فإنّ آخر قوّة بقيت تدافع بعد استسلام الداي، استسلام ذل وصَغَار، واحتلال العاصمة، واستمرّت ترسل نيران مدافعها، هي قوّة الميزابيين بجبل سيدي بَنُّورْ»[1].

ولّما ورد خبر سقوط العاصمة في يد الفرنسيين مكث المزابيون ثلاثة أيّام لم توقد نار في بيت من بيوتهم، حزنا على شهدائهم، بل تقديرا لفداحة الخطب.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الاستعمار الفرنسيّ قام بمصادرة وقف سيدي بَنُّورْ في العاصمة، عام 1844، وتنازلت عنه الإدارة الاستعماريّة لأحد قادتها العسكريّين المسمّى صنتيلي. قام المزابيّون بمساعي حثيثة لاسترداد الوقف، استغرقت أربعين عامًا. مساحة هذا الوقف تفوق 25 هكتارا.[2]

د- بنو مزاب في سهول متيجة:

لقد استشهد كثير من المزابيين في المعارك الطاحنة التي قادها ضدّ المحتلين كلّ من ابن زعمون والحاج سيدي السعدي والحاج محيي الدين بن مبارك ومصطفى بُومَزْرَاقْ وذلك بين وادي الحراش وبوفاريك والبليدة، خصوصا في المعركة الضارية التي وقعت بين حجوط وبني مراد. وللمزابيين مقبرة مشهورة خاصّة على الطريق الصاعد إلى الشريعة، تضمّ رفات خمسة وثلاثين شهيدا سقطوا في تلك المعارك.

هـ- بنو مزاب والأمير عبد القادر:

لما التحق سيدي السعدي بالأمير عبد القادر لمواصلة جهاده، انضمّ كذلك المزابيون إليه، فكانوا من أطوع جنده، فاتّخذهم في بطانته شخصيات قوية معتبرة، جعلهم من خاصّته وأمناء سرّه.

1- حمو عيسى النوري: المصدر السابق، 253.

2- عيسى بن محمّد بوراس: توثيق الوقف العقاري، 269.

من خواصه وحاشيته الطبيب الماهر بايحمد بن باباعيسى، اتخذه الأمير طبيبه الخاص وكاتبه وأمين سرّه، وهو من مدينة مليكة، حضر مع الأمير في معاهدة التافنة.

ومنهم الحاج سليمان بن داود، كان ذا مال وجاه عريض في تيارت ونواحيها، قد صادرت فرنسا كلّ أملاكه بسبب نشاطه في ثورة الأمير عبد القادر وإمدادها بالمال والسلاح، وهو من مدينة العطف.

ومنهم حمّو بن يحيى يدّر من تجار معسكر وأعيانها، وبها توفّي يوم 27 أفريل 1899م، وهو من مدينة بني يزقن .

ومن بني يزقن كذلك الحاج داود بن محمّد أميني الملقب دَادِّي بابا، وهو من أثرياء دولة الأمير في قصر البخاري وتيارت والجلفة. كان أمين مال الأمير، وكان يطبع له عملته نقودا ذهبية، كما كان يصنع له السلاح بوادي مزاب على نفقته الخاصّة. وقد تحمّل عبء تموين نواحي البخاري والجلفة في مجاعة أيّام ثورة الأمير، حتّى بلغ به الأمر أنّه أعدّ ستين مرضعة على نفقته الخاصّة، لإرضاع أولاد الشهداء في الثورة.

ومنهم الحاج يوسف أميني شقيق الحاج داود، كان أمين مال الأمير في المدية، ومحمّد بن صالح أميني كان أمينه في الجلفة[1].

و- بنو مزاب على أسوار قسنطينة عام 1837م:

لقد دافع بنو مزاب عن قسنطينة دفاعا مستميتا، جعل القائد الفرنسي بعد سقوطها، يرفع لهم قبعته تحية لبطولاتهم، ويقال إنّهم اشترطوا بعد إيقاف إطلاق النّار أن لا يسلّموا سلاحهم، وأن لا يدخل الجيش الفرنسي القسم الذي كانوا يدافعون عنه، لنهب أو سلب أو انتهاك الحرمات، ممّا جعل عائلات قسنطينة والبيوتات الكبيرة فيها يبعثون بكلّ نسائهم إلى تلك الأحياء، فأصبحت

1- حمو عيسى النوري: المصدر السابق، 256.

رحبة الجمال ملجأ لعائلات وجهاء المدينة ومن يرغب في الاحتماء ببني مزاب مدّة أيّام الاستباحة الثلاثة.

ثمّ إنّ إحدى عقيلات شيخ المدينة وشيخ الإسلام محمّد بن الفقون حبست أرضا لها بقسنطينة على المزابيين، اعترافا بجميلهم في هذه الحادثة، فاتّخذوها مقبرة لهم[1].

5- تعرّض مزاب للغزاة ورفض بنيه التخلي عن استقلالهم الذاتي :

يقول الشيخ علي يحى معمّر: «ولا شكّ أنّ جيران الإباضية في الفترات الوسطى إنّما كانوا في بعض الجهات دولا وإمارات، وفي أخرى مغامرين وطلاب حكم، أو بداة يعيشون على النسق الذي اعتاد بنو هلال وبنو سليم من الغارة والنهب والسلب والقتل. أمّا جيرانهم في الفترات الأخيرة حين انحصروا في وارجلان ووادي مزاب فقد كانوا من أولئك الضاربين في الصحراء يعيشون مع الأنعام ينتقلون بها من واد إلى واد». ويمضي الشيخ معمر قائلا: «ويسرّني أن أضع بين يدي القارئ الكريم الصورة التي وضعها العلامة الفاضل شيخنا أبو اليقظان. قال رحمه الله: «إنّ حالة الإباضية مع جيرانهم من المسلمين تختلف باختلاف الميادين التي يعيش هؤلاء وهؤلاء فيها...ففي ميدان الاقتصاد تمرّ بين الفريقين أزمات فيها كثير من المرارة والتشاكس ربّما تؤدّي إلى اغتيال ونهب وسلب وسرقة، بينما جيرانهم الإباضية يقفون في سائر الأحوال موقف دفاع. وعند دفع العدوان ينكفون عن الشرّ حسب مبادئ سلفهم الصالحين الإباضية الأوّلين».

ويضيف الشيخ معمر: «أمّا شيخنا بكلّي عبد الرحمن...فقد ردّ ذلك إلى تمسّك الإباضية الشديد بتعاليم الدين وحرصهم عليه وسكناهم في مدن متحضرين أو

1- محمد ناصر: الشيخ الفرادي، 178.

شبه متحضرين، بينما كان جيرانهم على غير ذلك. فقد كان الجيران في بعض العصور الأولى من بعض الفرق التي تستحلّ دماء وأموال مخالفيهم، فكانوا بذلك لا يعفّون عن اختلاس أموال الإباضية، ولا عن إراقة دمائهم، وبعد أن انقرضت تلك الطوائف...ابتلي الإباضية بجيران يحترفون الغارة ويعيشون على النهب والسلب، فهم لا ينفكّون يهجمون على قرى الإباضية الآمنة أو يتعرّضون لقوافلهم، فتذهب بسبب ذلك أموال وتزهق أرواح... »[1].

أ – أبو عمرو عثمان بن محمّد (839هـ–893هـ):

نقل الشيخ مبارك الميلي عن الزركشي ما ملخصه: خرج أبو عمرو عثمان ابن محمّد بن عزوز من ملوك الحفصيين إلى أهل تقرت سنة 853هـ/1449م، وقد امتنعوا من أداء الجباية، وحاصرها وقطع النخيل، ودافعه شيخ المدينة يوسف بن حسن أياما حتّى عجز، فدخلها وقدّم عليها قائدا من قبَله، وأخذ يوسف وأهله فاعتقلهم بتونس. ثمّ بلغه خلاف أهل تقرت، فخرج إليهم في 22 ذي الحجة 869هـ/15 أوت 1465م، وأغرمهم مالا وهدم سور البلد، وقدم عاملا بورقلة، وأخذ منها ومن مزاب مالا جليلا، وقفل فدخل تونس في رجب سنة 870هـ/1466م[2].

ب – محاولة صالح باي قسنطينة ضمّ مزاب إلى ولايته عام 1206هـ/1792م:

سبب ذلك أنّ صالح باي طالب بني مزاب التجار بقسنطينة بغرائم باهضة دون غيرهم، ممّا أدّى إلى سوء تفاهم بينهم وبينه، فتجرّأ عليهم وصادر أملاكهم وأرزاقهم، وأجلاهم من قسنطينة، فالتجؤوا إلى زاوية بُوحْجَرْ فاستقبلهم شيخ الزاوية وبالغ في إكرامهم. ثمّ رجع بهم إلى قسنطينة، وواجه صالح باي باللوم وأمره أن يردّ عليهم ما أخذ منهم، وهدّده فامتثل صالح باي رغم أنفه.

1- الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 324،325.
2- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، 404.

عند ذلك، وجّه صالح باي طلبا إلى حسن باشا الدولاتلي[1] في الجزائر، راغبا منه بإلحاح أن يهب له وادي مزاب ليكون تحت سلطته وولايته، مضمرا نيته في الانتقام لنفسه بتشريد أهله والإيقاع بهم.

وبمجرّد ما بلغ الخبر علماء مزاب وأهل الحلّ والعقد فيه، ثار الوادي، فرأوا من صواب الرأي أن يخبروا أوّلا حسن باشا صاحب السلطة المركزية العليا، راغبين منه أن يعدل عمّا خوّل لصالح باي من وضع وادي مزاب تحت سيطرته ونفوذه.

انتدب المجلس الأعلى لوادي مزاب الشيخ الحاج إبراهيم بن بِيحْمَانْ ليقوم بتحرير رسالة في الشأن، فبعثوها في ذي القعدة 1206هـ إلى أمين المزابيين في الجزائر إبراهيم بن صالح، الذي قدّمها إلى الباشا بواسطة صهره الحاج علي بن عبد اللطيف. فلمّا قرأ الرسالة حسن الدولاتلي أجاب عنها وأبطل ما عهد إلى صالح باي من ضمّ مزاب إلى ولايته.

يقول الشيخ إبراهيم بن بيحمان في مخطوطه صفحة 102: «فكتب (حسن الدولاتلي) إليه (صالح باي) أن يرجع عمّا عزمه ويخلي سبيل بني مزاب، وحذّره وأكّد عليه أن لا يذكرهم ولو باللسان مادام مرور الزمان. فلمّا وصله خبر المولى أنف وأبى واستكبر وعلا وغضب...فبعث (حسن الدولاتلي) إليه باعتزاله وبمن يقوم بدله في مكانه، فاحتال...إلى قتل القادم عليه وجَمْعٍ من أصحابه فقتل منهم جمعا غفيرا، فجدّد إليه الدولاتلي رؤوس مملكته فأخذوه ومزّقوه تمزيقا عظيما وفصّلوه على أربعة أجزاء، وفعلوا به وبدائرته ما يعتبر به جميع الأنام».

وفي أوائل محرّم 1207هـ، كلّف بنو مزاب الشيخ إبراهيم بن بيحمان أن يبعث مكتوب شكر وامتنان لحسن الدولاتلي، كما أرسل مكتوب شكر وتقدير لصهره الحاج علي بن عبد اللطيف في أواخر صفر 1207هـ.

1- بابا حسن داي الجزائر من 13 جويلية 1791 إلى 14 ماي 1798.

ج- نجدة بني مزاب لإباضية وارجلان عام 1226هـ/1811م:

قدم بنو جلاب[1] من تقرت إلى وارجلان بجيش جرّار وسلكوا طريق الفساد والنهب والقتل، فتلقتهم جموعها وقابلتهم مقابلة الأبطال دفاعا عن وطنهم، وطلبوا النجدة من بني مزاب فجادوا بخيلهم ورجالهم، فحكموا سيوفهم في رقابهم وقدموا الشيخ داود بن إبراهيم طباخ إمام دفاع. ضمن هذه النجدة حوالي سبعمائة مزابي، رافعين لواء أبيض، به رقعة من كساء الكعبة، كتب عليه آية من القرآن.

ولمّا وصلوا وارجلان، انضمّوا إلى إخوانهم ووقعت معارك قاسية دامت ثلاثة أيام بلياليها، أسفرت عن انهزام الجيش الغازي.

للشيخ أبي القاسم حمو أُوالحاج اليسجني قصيدة يصف فيها هذه النجدة.

عندما تبلغ الإباضية أخبار عن مهاجمة عدو لهم، أو تَوَقُّع خطر يترل عليهم، فإنّهم يتّفقون على واحد منهم يبايعونه على أن يقودهم في معركة الدفاع. فإذا انتهت المعارك ورجع العدوّ وأمنت البلاد بطلت البيعة والإمارة تلقائيا، ويصبح إمام الدفاع فردا كسائر النّاس[2].

د- رفض تسليم قرى مزاب للأمير عبد القادر عام 1838م:

إنّ بني مزاب الذين لم يتردّدوا في مساعدة الأمير بالرجال والأموال ضدّ المحتلين الفرنسيين، كما تقدّم، رفضوا إخضاع قراهم لحكمه.

بعد إبرام معاهدة التافنا مع الفرنسيين يوم 30 ماي 1837، وقصد إخضاع بلدة عين ماضي، مركز الزاوية التيجانية، البعيدة عن الأغواط بنحو سبعين كيلو مترا، غادر الأمير عبد القادر عاصمته تَاقْدَمْتْ، على رأس جيشه، يوم 17 ربيع الأوّل 1254هـ/ 11 جوان 1838، وضرب حصارا على عين ماضي، وتوالت الهجومات.

1- بنو جلاب حكموا تقرت من 854هـ/1450م إلى احتلالها من طرف الفرنسيين عام 1854م.

2- علي يحيى معمر: الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 346.

أمام إصرار محمّد بن أحمد، شيخ الزاوية، على عدم الاستسلام، استنجد الأمير بالماريشال فالي، الوالي العام للمستعمرات الفرنسية في شمال إفريقيا، فأمدّه بمدفعين وأربعمائة قذيفة. ولمّا تمّ للأمير قصف البلدة، أحاطها بسلسلة من الألغام، لنسف أبراجها. عندئذ استسلم الشيخ يوم 29 شعبان 1254هـ/17 نوفمبر 1838م، فأمضى اتفاقية مع الأمير، وقَبِلَ تأدية ما تجمّع في ذمة أهل البلدة من تخلّف زكاة خمس سنوات مضت، مع تحمّلهم لخسائر الحرب ونفقاته، وأمهل الأمير أهل عين ماضي أربعين يوما لإخلائها، فرفع الحصار عنها يوم 2 ديسمبر 1838م، ثمّ دخلها يوم 24 شوال 1254هـ/12 جانفي 1839م، ففجر الألغام، فانهارت الأسوار عن آخرها[1].

أثناء ذلك الحصار، كتب الأمير للأمّة المزابية أن تعترف بحكومته وتدخل تحت علمه، ثمّ ختم رسالته بهذا التهديد: «فإن رفضتم الخضوع لسلطاني فسأعاقبكم معاقبة أليمة، أقطع رأس كلّ مزابي يقع بين يدي».

انعقد مجلس وادي مزاب في شهر شعبان، عندما وصل كتابه إلى كافة قصور مزاب، فاتّفقوا على أن لا يدخلوا في طاعته ولا يدفعوا له غرامة، ولا يتعاملوا مع قوافله التجارية، لأنّ أموره كلّها غصبها من النّاس وسلطته التي يدّعيها غير صحيحة، وأجابوه: «نحن لا نحيد عن طريقة أجدادنا ولا نبغي سواها مسلكا. نعم يدفع إليك تجارنا ومسافرونا الغرامة في بلدانك التي يقطعونها أو يمكثون فيها، مثلما كانوا يفعلون مع الأتراك، أمّا تسليم مدننا إليك فلا يقع ولن يقع...فإن هدّدتنا أن تقطع عنّا الحبوب التي تَرِدُ علينا من التل فقد فاتك أنّ لدينا من الذخيرة بارودا وتمرا ما يكفينا لمدة عشرين سنة... ».

1 -YVER GEORGES : Correspondance du Maréchal Valée III,5-15.

فلمّا رجع الأمير ووصل تاقدمت، وكانت مركز حكمه، أمر بإلقاء القبض حالا على بني مزاب الموجودين في المدية والملیانة وتازا وبوغار ومعسكر وتاقدمت وغيرها، ثمّ ضرب عليهم غرامات فادحة أصبح كلّهم بها فقراء[1].

هـ- ردّ بني مزاب لمحمّد بن عبد الله عام 1852م:

على إثر سيطرة محمّد بن عبد الله على ورقله وتقرت، غادرها واتّجه إلى جبال عمور لجمع المزيد من الأعوان والذخائر، وغزا بعد ذلك في ديسمبر 1851 دوار أولاد ساعد بن سالم في أولاد نايل، وأخذ يستعدّ لغزو مدينة بريان، وكاتب باقي القرى المزابية الأخرى طالبا منهم الخضوع، ولكنّهم رفضوا وقالوا له: «إذا أردت القتال فاتّجه للفرنسيين مباشرة أعداء البلاد».

ويظهر أنّه لم يكترث لهذا التحدّي، فاقترب من متليلي، وعسكر إلى جنوبها صحبة عدد من الشعانبة والمخادمة والأرباع، وبعد مناوشات صغيرة ومحدودة عاد أدراجه إلى ورقلة[2].

لم يمنع بني مزاب موقفهم هذا، من إمداد الشريف محمّد بن عبد الله بالرجال والمؤونة الحربية والمواد الغذائية، في معاركه ضدّ الأعراش المتحالفة مع الفرنسيين. ولم يمنعهم كذلك من إيوائه، كلّما دارت الدائرة عليه. فقد آوى إلى القرارة في صيف 1852م، وفي الخريف من نفس السنة، ثمّ تمركز ببريان، ومنها انطلق إلى الأغواط، مرفوقا بعدد من المزابيين.

و- مناوشات مع الأعراش المجاورة:

- عام 810هـ/1408م، وقعت مقتلة عظيمة في ختالة بين أهل مليكة والمخادمة.
- وفي عام 811هـ/1409م، هجم الشعانبة على أناس غرداية ومليكة في رأس الغابة فمات من الشعانبة تسعون.

1- علي يحيى معمر: الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 595.
2- يحيى بوعزيز: مجلة الثقافة، العدد 33، 14.

- وفي 819هـ/1417م، وقعت مقتلة عظيمة بين أهل مليكة وبين سعيد عتبة والمخادمة.
- في سنة 1061هـ/1651م وفي شهر صفر، قدمت محلة كبيرة من العرب وهجمت على قصور مزاب ومات عدد كبير من بني مزاب ومن أهل جبل عمور.
- في القرن السابع عشر، توجه بنو يزڤن وبونورة والعطف وبعض من غرداية إلى ورڤلة لنصرة بني سيسين وبني واڤين وبني طور لتسوية مشكل الحكم بورڤلة.
- في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، أغار عدو من الغرب يسمّى ابن دومة بجيشه، فأسندت إلى إمام مسجد بونورة الشيخ دحمان بن الحاج إمامة الدفاع فقاتله بنو مزاب وانتصروا عليه.
- في 1736م، رحلت أربعون عائلة من أولاد بَاخَّهْ إلى الأغواط، فرارا من الفتنة، فاستقروا بها. إلاّ أنّ بني الأغواط طردوهم بعد خمس سنوات. عند وصولهم إلى مزاب، استنفروا المزابيين وأعراش الجنوب ضدّ بني الأغواط، وحطّوا رحالهم على وادي مزي شمال الأغواط. ولمّا دارت الدائرة عليهم رجعوا إلى مزاب.
- محلة السلطان العصملي قدمت إلى إفساد وادي مزاب ومات عدد كبير من الفريقين سنة 1154هـ/1741م.
- محلة السلطان سليمان سلطان واد ريغ قدمت إلى إفساد ورڤلة عام 1155هـ/1742م فتوجّه إليها من بني يزڤن والعطف محلة كبيرة لينصروا إخوانهم فمات خلق كثير من بني مزاب ومحلة السلطان.
- محلة المخاليف مع جملة الأعراب قدمت إلى إفساد وادي مزاب عام 1156هـ/1743م.
- قدمت محلة كبيرة من الأعراب إلى وادي مزاب وتلاقى بنو مزاب معهم في موضع يقال له عقبة النيب عام 1162هـ/1749م.
- وفي سنة 1752م، استنجد أولاد يعقوب ببني مزاب وغيرهم، ضدّ بني

الأغواط والأرباع وحلفائهم، والتقى الجمعان بموقع قريب من الأغواط مغدرالدهم، وانهزم الفريق الأوّل.

- وفي سنة 1166هـ/1753م، هجم بنو الأغواط على بني يزڤن فدفعوهم.
- وفي سنة 1185هـ/1771م، قاتل أهل القرارة وغرداية وبني يزڤن وبونورة الشعانبة.
- لمّا احتل الأغواط محمّد الكبير باي معسكر، في 28 ربيع الثاني 1199هـ/11 فيفري 1785م، طلب بنو مزاب منه أن يتدخل لإطلاق سراح المعتقلين منهم لدى بني الأغواط، فأمر الباي هؤلاء بإطلاق سراحهم، وجعل ذلك شرطا لإطلاقه سراح معتقليهم لديه، فامتثلوا.
- وقعت فتنة كبيرة في قصور وادي مزاب. جميع من قبضه الشعانبة قتلوه وسلبوا المواشي والسلاح وذلك عام 1209هـ/1795م.
- كما وقع عام 1210هـ/1796م صراع دموي بين أهل غرداية والشعانبة داخل المدينة. وفي العام التالي انتقم أهل غرداية من الشعانبة بمهاجمة قطعان أغنامهم بالجرف.
- وفي سنة 1212هـ، هجم الشعانبة على بني مزاب في واحة غرداية وقتلوا بني مزاب في متليلي. وتكرّر هجومهم في العام المقبل حيث هزموا وتركوا موتاهم.
- وفي 1216هـ/1802م، أخذ أهل غرداية غنم الشعانبة والمذابيح وتحالفت غرداية ومليكة والعطف عند هجوم المخاريج في طريق الواحة.
- وفي 1227هـ/1812م، بعث أهل غرادية وبني يزڤن محلة كبيرة إلى ورڤلة حين وقعت فتنة بين سعيد عتبة والمخادمة وبني ورڤلة وبني الأغواط والأعراب في شهر صفر.
- وفي 1233هـ/1818م، وقعت معركة بين أهل غرداية وحلفائهم من القرى الأخرى ضدّ المخاليف وأولاد يحيى من أجل قوافل أولاد شعيب التي حجزت بغرداية.
- وفي 239 هـ/1824م، وقعت معركة بين أولاد عتبة وأهل غرداية.

6- الفتن الداخلية :

هناك أسباب عديدة جعلت نار الفتنة المزمنة تتقد من حين لآخر ولأدنى سبب مباشر، نذكر منها:

- العصبية القبلية التي يغذيها مبدأ التناصر وفكرة الدفاع عن الشرف. فالفرد الواحد قد يجرّ عشيرته أو قبيلته إلى صراع يعمّ البلدة وربّما كامل المنطقة. هذه الصراعات لم تتعدّ يوما هذا الإطار ولم تتطوّر إلى حرب بين قريتين يقصد منها استيلاء إحداهما على الأخرى.

- الانحطاط الثقافي عموما.

- غياب سلطة مادية قاهرة كالجيش النظامي أو الشرطة.

- ازدواجية الصف وهو أهمّها:

إنّ العشائر المزابية كانت تشكّل كتلتين: الصف الغربي والصف الشرقي.

أمّا الصف الغربي فيضمّ أولاد عمّي عيسى والعفافرة والمذابيح من سكان غرداية، وأولاد موسى وأولاد يدّر من بني يزڤن، وأولاد عبد الله من سكان العطف وبونورة، وكافة سكان مليكة بما فيهم المالكية الذين أصلهم من متليلي، وأولاد عْلاَهُمْ وآل بَالّهْ والعطاطشة من سكان القرارة.

أمّا الصف الشرقي فيشمل من غرداية أولاد باسليمان والنشاشبة وأولاد يونس، ومن بني يزڤن أولاد عنان، ومن العطف أولاد جلمام، ومن بونورة أولاد نوح وأولاد إسماعيل، ومن القرارة أولاد الزيت، وكافة سكان بريان.

هذا الانقسام إلى كتلتين ليس مقصورا على وادي مزاب، بل هو عام لجميع المناطق المجاورة. فالصف الغربي هم بنو يفرن وبنو مرين ومغراوة ومن انضم إليهم بالمجاورة أو المصاهرة أو الفكرة من زناتة الشرقية. والصف الشرقي هم من اتّحدوا مع زغبة من بني بدين ومن انضمّ إليهم كذلك[1].

1- إبراهيم مطياز: تاريخ مزاب، 63.

إنّ هذه الفتن أنهكت قوى مزاب وعاقت تقدّمها. وقد أدّت مرارا إلى نفي عشائر، بل إلى تدمير أحياء كاملة في بعض القرى وتقسيم البعض الآخر.

ولم تكن المنطقة بدعا من المناطق المجاورة. فما كان يقع في مزاب كانت تعاني منه الجهات الأخرى من الصحراء الجزائرية، إن لم نقل من البلاد الإسلامية، في هذا العصر المظلم.

ثمّ إنّ غالبا ما يكون السبب المباشر لاشتعال حرب أهلية، تأتي على الأخضر واليابس، تافها يخجل المرء من ذكره. ذلك كان الحال مثلا في بلدة العطف التي أعيت أهلها فتنة، سببها تسمية بقل من البقول المحلية بأحد اسمين: تَامِيسَا أو تَاخْسَايْتْ، حتّى أقاموا سورا ينصف البلدة شطرين. هذا السور وقع الاتفاق بين الطرفين على إزالته في نهاية القرن الثامن عشر.

ويقال إنّ سبب بناء مسجد باسالم أنّ أهل البلد اجتمعوا لأمر وتفقّدوا مَن تخلّف، فقال قائل منهم: «لم يبق إلاّ أولاد عبد الله» وقالوا: «ليسوا إلاّ حادثين» فأبرموا أمرهم دون حضورهم، فاغتاظوا لذلك وبنوا المسجد الأعلى والصومعة[1].

إنّ مجلس وادي مزاب اتّخذ إجراءات وقائية وردعية عديدة للحيلولة دون اندلاع نار الفتنة في البلاد. فقد اتّفق في ذي الحجة 815هـ/1413م «على قاتل النفس التي حرّمها الله تعالى...يقتل. وإن قتل القاتل وتقوم فتنة عليه في بلاده ويهرق دماء المسلمين بسببه فإنّ المجلس اتّفق على القاتل أن يؤدّي دية المقتول عددها اثنتا عشرة مائة ريالات فضة ويخرج من البلاد عامين...وإن وقعت فتنة في حومة من البلاد وماتت نفس ولم يعلم أهل البلد من قتلها، ووجدوا الميت بغير سلاح ولا آلة في يده من أمور الفتنة، والميت من أهل البلد أو من غيرهم فعلى أهل البلد الدية إلى أهل الميت...وإن شهد أهل الفتنة على

1- مخطوط لعمر عبد الرحمن، 21.

واحد منهم وأنكر الواحد فعلى الجميع الدية، وإن تعصّبوا وامتنعوا من دفع الدية بعد طلبها منهم فتؤخذ منهم قهرا. وأصحاب التعصب ينفون من البلاد. وإن سامح أهل النفس برضاهم فلا شيء على من ذكر».

وجاء في مستهل قرارات المجلس في شوال 1052هـ/1642م ما يلي: «اتفقوا أنّ من يحمل الحديد فغرامته عقوبة خمسة وعشرين ريالا. والذي ضرب به فخمسون ريالا والنفيان. والحميّة فغرامتها خمسة وعشرون ريالا».

فيما يلي سرد لِما وقع تقييده من الفتن الداخلية:

- يوم 3 محرم 807هـ/1404م، أخرج أولاد أبي إسماعيل من بونورة إلى مليكة.
- وفي عام 809هـ/1407م، هجم المخاريج ومن معهم على مليكة، ووقعت فتنة بين بني يزقن ومليكة، ووقعت مقتلة عظيمة بين بونورة ومليكة سببها أولاد عبد الله.
- وفي رمضان 810هـ/1408م، وقعت مقتلة بين بني يزقن وغرداية ومليكة.
- وفي 814هـ/1412م، وقعت مقتلة عظيمة بين أولاد عبد الله وأولاد أبي إسماعيل.
- وفي القرن التاسع الهجري كذلك، لمّا وقعت هدنة بين مليكة وبني يزقن، دخل عدد من آل مليكة مسجد تَفلاَلْت في ليلة من الليالي وأحرقوا خزانة الكتب.
- وفي سنة 990هـ/1582م، خدع الصف الشرقي في غرداية الصف الغربي، وقُتِل منهم ثمانون رجلا وذلك أسفل العديرة. واستقدم عام 994هـ الصف الغربي المذابيح لمناصرتهم ضدّ الصف الشرقي.
- وفي القرن العاشر كذلك، وقعت فتنة في مليكة بين أولاد عبد الله وباقي السكان، فبنى أولاد عبد الله مسجدا خاصّا بهم. وقع ذلك في زمان الشيخ أبي مهدي عيسى الذي لم يرض ببناء هذا المسجد.
- وفي سنة 1030هـ/1621م، استقبل أولاد مطهر في بونورة أولاد عبد الله الذين أخرجوا من مليكة. ثمّ وقعت فتنة كبيرة بين العشيرتين أدّت إلى إعلان الحرب من طرف أولاد مطهر ضدّ أولاد عبد الله، وإلى

تخريب الجزء الأعلى من بونورة، والذي لم يُعَدْ بناؤه بعد ذلك. ساعد في هذه الحرب بنو يزقن أولاد عبد الله الذين كانوا يقيمون بالجزء الأسفل، وقد كان عندئذ سور يفصل بين القريتين ولكلّ منهما مسجدها. أمّا أولاد مطهر فقد لجأ أغلبهم إلى مليكة.

- وفي سنة 1052هـ/1642م، وقع اتفاق في اجتماع بروضة الشيخ أبي مهدي عيسى تحت رئاسة شيخ بني يزقن الحاج نوح بن أيوب يقضي بأنّ بني مطهر عليهم أن يكونوا عشيرة خاصة بهم ولا يندمجوا في العشائر الموجودة بمليكة.
- وفي سنة 1099هـ/1688م، وقعت فتنة أخرى في غرداية بين الصفين، وقف فيها إلى جانب الصف الغربي المذابيح والشعانبة ومات بينهم خلق كثير، سببها بئر الرحبة، فأصلح بينهم أحد أعيان بني يزقن.
- وحوالي 1116هـ/1705م، حدث تصادم عنيف بين سكان بني يزقن وفرقة من الدبادبة ضربوا خيامهم بأوجوجن، عندما أخرجهم المذابيح من غرداية، وكانوا رحلا. وإذ بسط الله عليهم الرزق، طغوا وبغوا، فكانوا يتعرّضون لأولاد السكان بأنواع من الأذى، فضاق السكان ذرعا بهذه الحوادث، ووقعت الفتنة فارتحل الدبادبة إلى بريان.
- وفي شوال 1183هـ/1770م، عقد صلح بين سكان غرداية بعد فتنة كبيرة سببها حقوق عشيرتي النشاشبة وأولاد يونس، حضر الصلح جماعة من بني يزقن وبونورة.
- وفي سنة 1192هـ/1778م، قام أهل الحلّ والعقد من قرى مزاب، من بينهم الفاضل يوسف بن قاسم بن اعمر اليزقني رحمه الله وأصلحوا بين أهل العطف، وبينهم وبين أولاد بورقبة وأولاد مهدي. كما اتفقت جماعة الصلح على إعادة كل وقف إلى المسجد الذي سُجّل فيه، وهدم السور الذي كان يفصل بين شطري المدينة.

- عام 1200هـ/1786م، انتقل الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني إلى القرارة لإخماد فتنتها الأولى، وقد هلك فيها قوم كثيرون. وكان ضمن الوفد من عزّابة غرداية أبو بكر بن يوسف.
- وفي 1208هـ/1794م، وقعت فتنة في غرداية أثارها النشاشبة وأولاد يونس، كبيرهم باحمد بن عبد الله، وقتلوا من المذابيح تسعة، ومن أولاد أمّ عيسى أربعة، وأقاموا حفلا في تِيضَفْتْ بالمزمار والطبول.
- وفي 1209هـ/1795م، وقعت مصارعة بالحجارة في سوق غرداية بين أهلها.
- أمّا في بونورة فقد نشبت فتنة أخرى عام 1213هـ/1799م بين أولاد أبي إسماعيل وأولاد عبد الله وبين أولاد حمو وأولاد سبع أدّت إلى نفي بعض العائلات من الصف الأخير.
- وفي 1218هـ/1803م، خدع أولاد باسليمان المذابيح في سوق غرادية وقتلوا منهم سبعة وعشرين.
- وفي 1219هـ/1805م، أشعل المذابيح النار في واحة بريان فاحترقت.
- وفي 3 محرم 1220هـ/1805م، وقعت فتنة في غرداية بين الصفين مات فيها من المذابيح أحد عشر، ومن أمّ عيسى تسعة، ومن باسليمان أربعون.
- وفي رمضان عام 1222هـ/1807م، نشبت حرب في فم شعبة ختالة بين بني يزڤن وبونورة وغرداية وبين مليكة والأرباع والشعانبة، وماتت جماعة من المذابيح في حواسي سعيد بن علي في وادي لَعْدِيرَهْ.
- كما وقعت فتنة بين بني يزڤن وأولاد أمّ عيسى من غرداية، استمرت عامي 1222 و1223هـ.
- وفي يوم الأربعاء 3 رجب 1224هـ/1809م، وقعت خديعة أولاد سبع وأولاد حمو بن حريز وأولاد أبي إسماعيل في بونورة.

- كما أنّه في سنة 1221هـ/1806م، قامت فتنة في العطف بين أولاد عبد الله وبين أولاد الخلفي وأولاد جلمام. سعى الطالب إبراهيم بن أبي بكر في إطفائها وكان عندئذ وكيل المسجد. فلمّا أخفقت مساعيه هاجر إلى غرداية مع عدد من أولاد الخلفي وأولاد جلمام.

  انتهت الاضطرابات بصلح عقد عام 1230هـ/1815م.
- أحد أولاد يونس اغتال عام 1226هـ/1811م، رئيس جماعة غرداية باحمد بن عبد الله (1791-1811)، وقد تمكّن من بسط الأمن في الصحراء من الأغواط إلى المنيعة، وهو الذي لقن درسا لقبائل البدو المحيطة بمزاب وساعده في ذلك كل القرى بما فيها العزابة، وكان مشهورا بشجاعته وقسوته. عند اغتياله وقعت فتنة أدّت إلى نفي النشاشبة وأولاد يونس فلجؤوا إلى بني يزڤن.
- وفي نفس السنة، وقع سفك الدماء بين أولاد موسى وأولاد عنان في بني يزڤن، تسبّب فيه الدبادبة الذين كانوا يسكنون واحة بني يزڤن فسعوا بالنميمة بين أهلها.
- وفي صفر 1228هـ/1813م، ذهب الشيخ الحاج يوسف بن حمو اليزڤني مع الشيخ عيسى بن كاسي الغرداوي إلى بريان للإصلاح بينهم.
- وفي 20 رجب 1229هـ/1814م، هجمت على بريان محلة من أهل غرداية والشعانبة ورجعوا مغلوبين.
- وفي جمادى الثانية 1230هـ/1815م، اجتمع في الْمَغْدَرْ (مكان يبعد عن منتهى أجنة بني يزڤن بنحو كيلو متر)، أوباش من غرداية ومليكة وبونورة والعطف وكثير من الشعانبة والمذابيح، ليتعرّضوا لبني يزڤن حينما رافقوا طوائف من عرب البادية، عند رجوعهم من سوق بني يزڤن. وقبل أن يصلوا المغدر رأى بنو يزڤن رجالا كثيرا في هيئة تنذر بالشر، فرجعوا إلى البلد وأعلنوا واجب الدفاع ونظموا قيادة الدفاع، فتولاها الشيخ الحاج

سليمان بن عيسى، فوقعت المعركة وسقط كثير من الطرفين في الميدان، فرجع البغاة منهزمين وتركوا موتاهم.

- وفي ربيع الأوّل 1232هـ/1817م، حصل اتفاق صلح بين بني يزڤن والقرى الأربع الأخرى بتدخل من أهل القرارة. ووقع صلح آخر في مجلس وادي مزاب يوم 28 ذي الحجة عام 1241هـ/1826م، بين نفس الأطراف.
- وفي 5 رجب 1229هـ/1814م، وقعت خديعة في غرداية بين أولاد بالحاج وأولاد باحمد وأولاد محرز ضدّ النشاشبة وأولاد يونس وأولاد نوح. ووقعت مقاتلة بين المذابيح وبين النشاشبة وأولاد يونس وانهزم الفريق الثاني وخرجوا من غرداية يوم 20 ذي القعدة عام 1231هـ/1816م.
- أمّا أولاد باسليمان فقد خدعوا المذابيح عام 1235هـ/1820م وخسر أولاد باسليمان خلقا كثيرا.
- وفي سنة 1234هـ/1819م، نشبت فتنة في القرارة بين الصفين دامت ثلاث سنوات، وانتهت بمعركة الباصور التي قتل فيها مئات من الحرازلية والعطاطشة، وهم بدو استقدمهم القراريون في القرن الثامن عشر. وقد تدخل في هذه الفتنة أهل غرداية ومن معهم من مليكة وبونورة والعطف والمذابيح والشعانبة، وجهزوا محلة إلى القرارة لينصروا الصف الشرقي على الغربي، وذلك يوم 10 محرم 1236هـ. وفي جمادى الأولى 1238هـ/1823م، التجأ المشارقة إلى بريان، وهدم المغاربة نصف حيّهم، وبقي النصف الآخر فأعطوه للعطاطشة وسكنوه، كما أعطوا لهم نخيلهم في الواحة.
- وفي 1243هـ/1828م، وقعت فتنة كبيرة بين أهل بريان وبين غرداية ومليكة وبونورة والعطف، وأخذ أهل بريان قافلة بني مزاب القادمين من الجزائر في ربيع الثاني 1244هـ.
- وفي ذي القعدة 1250هـ/1835م، وقعت مقتلة بين المذابيح وأولاد يحيى.

- وفي سنة 1264هـ/1848م، انتهت الفتنة الواقعة بين بني علوان وبني خليل في مليكة. وقد أيّد الشعانبة بني علوان. استتبّ الأمن بتدخّل أهل بونورة وشيخ غرداية.
- وفي نفس السنة، نفى أولاد عْلاَهُمْ شرفاء القرارة، وأُرجِعوا عام 1267هـ/1851م بتدخل شريف ورقلة محمّد بن عبد الله إلى جانب أولاد سي احمد.

بعد رجوعهم اتفق معهم آل بالّهْ على طرد أولاد أعلاهم الذين لجؤوا إلى بريان، ثمّ عادوا منها خفية برفقة أولاد يحيى والمخاليف وأهل بريان، فاحتلوا القرارة، وقُتِل عدد من آل بَالّهْ، وفرّ الباقي مع أولاد سي احمد عام 1268هـ، ممّا جعل محمّد بن عبد الله يعود إلى القرارة من ورقلة، ويحاصرها، ويقطع أكثر من ألف نخلة، ولا يفكّ حصارها بعد عشرين يوما إلاّ بأخذ غرامة ألفين ومائة ريال. وقع ذلك في صيف 1269هـ/1852م.

- وفي سنة 1853م، هجم الشعانبة والمذابيح وسعيد عتبة والأرباع على بني يزڤن، فمات ستّة من بني يزڤن، وسقط من المهاجمين أربعة موتى وستّة مجاريح. ووقع هجوم ثان أسفر عن خمسة عشر قتيلا وثمانية وعشرين جريحا في صفّ بني يزڤن، بينما سقط من الطرف الثاني ثمانية عشر قتيلا وعدد لا يحصى من الجرحى.

أمام هذا الوضع العصيب، بعثت عزّابة بني يزڤن وعوّامها رسائل إلى جماعاتها بالتلّ، تستنجد بأبنائها، وتدعوهم لرجوع شطر منهم لإغاثة الأرامل والضعفاء من غير مهلة ولا تراخ.

وبعثت جماعة بني يزڤن رسالتين إلى السلطات الفرنسيّة، بواسطة الأمين عدّون بن باسعيد، وصلتا إلى الأغواط يوم 5 أوت 1853، تتضمّنان المطالبة بالسماح لأبنائها بالعودة إلى وطنهم للدفاع عنه[1].

1- مصطفى بن الحاج بكير حمّوده: من تاريخ جماعة بني يزڤن، 12.

7- النهضة الفكرية :

تمتاز الفترة الأخيرة من العهد الثالث بنهضة فكرية وثقافية، قام بها عدد من العلماء المزابيين الذين اغتربوا ورحلوا بعيدا لتحصيل العلم والثقافة. فمنهم من أَمَّ جربة أو مصر، ومنهم من قصد عمان وغيرها من البلاد الإسلامية. ولّما رجعوا منها انكبوا على الإرشاد والتدريس، وتخرّج على أيديهم نخبة من المشايخ، واصلوا المسيرة ونشروا العلم وانقطعوا للتأليف في مختلف الفنون، وفي علوم الشريعة والعربية بصفة خاصّة.

إذا ألقينا نظرة عامّة على القرون السابقة لهذه الفترة من تاريخ وادي مزاب، وجدنا أنّ بني مزاب اكتفوا طوال هذه القرون بالاستهلاك الثقافي. فهم كانوا معتمدين كلّيا على كتب الإباضية من وراجلان وجربة وجبل نفوسة[1] وغيرها من مواطن الإباضية، وكلما شعروا بالفراغ الثقافي طلبوا من إخوانهم أن يمدّوهم بأحد مشايخهم، سرعان ما ينطفئ نوره.

والجديد في هذه الفترة اعتماد بني مزاب على أنفسهم وانتقالهم من موقف المستهلك إلى موقف المنتج في ميادين الثقافة. فهناك عدد منهم تركوا لنا تراثا عظيما من الإنجازات سواء تعلّق الأمر بما نسخوا أو استنسخوا أو ألّفوا أو بما أصلحوا في الميادين الاجتماعية.

8- أعلام العهد الثالث :

أ- الشيخ حَمُّو بن يوسف وابنه يوسف:

وفد الشيخ حَمُّو أو يوسف إلى بني يزقن من تقرت عام 784هـ/1383م. كان كاتبا للمجلس الأعلى لمزاب الذي كان ينعقد أيام حياته في مسجد الشيخ باعبد الرحمن الكرتي. توفي عام 811هـ/1409م وترك ولدا اسمه يوسف، خلف أباه في المشيخة بتعيين من مشايخ قصور وادي مزاب.

1- جبل نفوسة: منطقة جبلية تقع جنوب غرب مدينة طرابلس بالقطر الليبي.
ونفوسة هي القبيلة البربرية التي عمرت المنطقة فعرف الجبل بها لشهرتها رغم أنّه عمرته قبائل بربرية أخرى.

ب- الشيخ بابا موسى بن الفضل:

وفد الشيخ بَاسَّهْ أُوْفْضَلْ إلى بني يزقن من الزيبان ونزل على الشيخ حمو أو يوسف سنة 802هـ/1400م.

بعد زيارته لمشايخ عمان والبصرة ومقامه بجامع الأزهر بالقاهرة وفي جبل نفوسة، وعند رجوعه إلى بني يزقن أسّس حلقة علم. توفي عام 828هـ/1425م. من أحفاده الشيخ عمي يحى بن صالح والقائد سليمان بن الحاج عيسى.

ج- الشيخ عمي سعيد بن علي المعروف كذلك بأَمِّي سعيد:

هو الشيخ أبو عثمان سعيد بن علي بن يحى بن يدّر، ولد في قرية أجيم بجنوبي جزيرة جربة، التي يغلب على أهلها نسبة (الخيري) وذلك قبل سنة 841هـ/1438م. أبرز مشايخه أبو النجاة يونس بن سعيد التعاريتي. أخذ عنه في المسجد الجديد بحومة فاتو شمالي الجزيرة.

في تلك الفترة، كان وادي مزاب يعاني من تردي الأوضاع الاجتماعية، وانتشار الجهل والفتن، ففكر أهل الرأي والصلاح في إرسال وفد إلى جربة يضمّ ممثلين عن القرى الخمس، لاستقدام عالم من علمائها. انتخب لهم أهل الجزيرة الشيخ سعيد، فجاء إلى مزاب واستقر بغرداية، وأحيا الوادي بتكوينه نهضة دينية علمية، استلزمت توسيع مسجد غرداية ليتسع لجموع الطلبة الجالسين إليه.

كما جدّد نظام الحلقة التي أسّسها الشيخ أبو عبد الله محمّد بن بكر بإحداث هيئة إِرْوَانْ وتخصيص مقر لها بجوار المسجد، وتزويده بمكتبة.

أشهر تلاميذه صديقه الشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل وابنه صالح.

من جهة أخرى فقد عمل الشيخ عمي سعيد على إخماد نار الفتن بين العشائر وبين القرى، فانتشر الأمن في الربوع. يقال إنّه هو الذي أنشأ مجلس

العشائر بغرداية، وجعل مقر اجتماعاته خارج البلدة في المكان الذي أصبح فيما بعد ساحة السوق الحالية.

ترك خزانة من نفائس المخطوطات ونوادرها وقفا على طلبة العلم، كثير منها نسخها بخط يده. وقد عثر على ردود وأجوبة شرعية وعلى رسائل وجهها إلى شيخه أبي النجاة وتلميذه أبي مهدي، وعلى قصائد في مدح شيخه والشوق إلى جربة. ويقال إنّه الواضع لذكر السلام الذي يقرؤه أهل الوادي بعد صلاة الصبح ولخطبتي العيدين، وإنّه جعل الرداء هو الزي الرسمي للعزابة والطلبة.

توفي ليلة الإثنين 27 جمادى الثانية من سنة 927هـ/1521م، ودفن بالمقبرة التي تنسب إليه بغرداية.

د- الشيخ باحيو بن موسى:

هو من مواليد مدينة العطف. كان عالما عاملا ومجاهدا في سبيل الله. كوّن جيشا من أبطال بني مزاب وفرسانهم، فقاده للمشاركة في الحروب ضدّ غزو الإسبان للشمال الإفريقي، إلى جانب قوات عروج باربروس. شارك في صدّ غاراتهم على جزيرة جربة سنة 916هـ/1510م.

له قصيدة في وصف تلك المعارك بين الإسبان والجربيين تحت قيادة شيخ الجزيرة أبي يحيى السمومي والتي شارك فيها جمع كبير من رجال نفوسة وعلمائها، وحازوا النصر بتدبير من البطل أبي الربيع سليمان بن يحيى السمومي.

وقد غنم الشيخ باحيو بن موسى في حروبه ضدّ الإسبان أكثر من عشر سفن.

قام مع فرقته بالعملية الفدائية المشهورة بمدينة الجزائر التي أدّت إلى الانتصار الباهر ضدّ الإسبان عام 924هـ/1518م، أيّام خير الدين باشا.

كان يتصدّى لكلّ من حدثته نفسه بالطعن في الإباضية، وقضيته مع الطاعن في المذهب الإباضي بمليكة مشهورة.

هـ- أبو مهدي عيسى بن إسماعيل:

كان عالما كبيرا من علماء مليكة. أخذ العلم عن الشيخ عمّي سعيد.

من مؤلفاته:

- رسالة إلى أهل ورجلان.
- قصيدة في المواعظ والأدب والنصائح.
- جواب باسم عزابة بني مصعب إلى أبي علي بن علي البهلولي.
- موازين القسط.
- جواب لأهل عمان في الأصول والفروع على أسئلة وردت عليه عام 913هـ.
- رسالة في إعراب كلمة الشهادة.
- رسالة في معنى التوحيد والوحدانية والإلهية والربوبية.

ممّن أخذ عنه العلم الشيخ بامحمد اليزقني، والشيخ أبو سليمان داود بن إبراهيم التلاتي[1] الذي قدم إليه من جربة سنة 961هـ/1554م، والرحالة الشيخ محمّد بن زكرياء الباروني[2] الذي بقي معه إلى وفاته يوم 11 ذي القعدة عام 971هـ/1564م.

1- **أبو سليمان داود التلاتي:** ارتحل إلى جبل نفوسة منذ صغره، وبعد أن حفظ كتاب الله درس عقيدة التوحيد وغيرها على أبي زكرياء بن عيسى الباروني. وبعد رجوعه إلى جربة زائرا عاد إلى الجبل فلازم أبا يوسف يعقوب بن صالح التندمرتي. ولمّا ارتحل شيخه إلى جربة انتقل إلى بقالة فدرس المنطق والبيان على شيخه إبراهيم أبي الأحباس، ثمّ رجع إلى جربة إلاّ أنّه لم يستقر بها فالتحق بمدرسة الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل بمليكة عام 961هـ/1554م.
وما إن رجع إلى جربة حتّى تصدّر للتدريس في مسجد القصبيين، ثمّ انتخب رئيسا لمجلس العزابة وصار من أهل الحلّ والعقد.
تصدّى لدرغوث باشا عندما طعن في عزابة جربة فأخذه خدعة وسجنه شهرا، ثمّ قتله سنة 967هـ/1560م.
من مؤلفاته:
- شرح على الآجرومية في النحو.
- شرح لعقيدة التوحيد

2- **أبو عبد الله محمّد بن زكرياء الباروني** من علماء جبل نفوسة. نشأ ببيفرن ثمّ رحل إلى جربة فأخذ عن أبي سليمان التلاتي. أخذ عنه عمر بن علي السدويكشي، وقتل مع جماعة من العلماء بقلعتهم ببيفرن عند هجوم الثائر يحيى بن يحيى السويدي سنة 997هـ/1589م. ألّف نسبة الدين.

و- الشيخ باحمد بن عبد العزيز:

هو من مواليد بني يزڤن. ذكر القطب طفيش في تاريخ وادي مزاب أنّه من علماء القرن العاشر، أخذ العلم عن الشيخ أبي مهدي عيسى بن إسماعيل. كان صاحب مال وعلم وورع وتقوى. قضى عمره في نشر العلم وإحياء الدين والنصح والإرشاد.

ز- الشيخ بالحاج بن سعيد:

هو الشيخ الحاج محمّد بن سعيد المصعبي اليزڤني. سافر إلى جربة لطلب العلم، وكان بها عام 955هـ/1548م، وعام 959هـ/1552م، أين أخذ العلم عن الشيخ أبي سليمان داود التلاتي بمسجد القصبيّين. كان لا يزال على قيد الحياة في شعبان 994هـ/1586م.

هو الذي نظّم أوقاف مقابر بني يزڤن على ما هي عليه الآن، وهو الذي خطّط تقسيم مياه شعبة مُومُّو.

دفن أعلى الجبل، في المقبرة التي أصبحت تنسب إليه.

ح- الشيخ باحمد أُو أيوب:

من مواليد العطف. نشر العلم مدرسا ومحقّقا وناسخا للكتب. وقد شوهدت نسخة من تفسير هود بن محكم الهواري الإباضي، ولد قاضي الإمام الرستمي أفلح، كتبها بخط يده. وقد ذيّل تفسير الكشاف ضمّنه التنزيه المطلق للمولى بالحجج القطعية ونفي الرؤية عنه تعالى دنيا وأخرى.

سمي باسمه نحو عشرة أجنة في مختلف بقاع العطف، واشتهر أنّه هو الذي أنشأها.

ط- الشيخ حَمُّو أُو الحاج الغرداوي:

هو محمّد بن الحاج أبي القاسم بن يحيى، ولد في غرداية حوالي 1045هـ/1635م.

أخذ العلم عن والده وكان شيخا فاضلا ورعا عالما. تولّى إمامة المسجد، وتقلّد مشيخة الحلقة، ثمّ مشيخة وادي مزاب.

أبرز تلاميذه الشيخ بَاسَّهْ بن موسى الوارجلاني، والشيخ باعَمُّور بن الحاج مسعود، والشيخ باكه بن صالح العطفاوي الذي تولّى فيما بعد مشيخة حلقة عزابة بونورة في مسجد القصر القديم.

ترك تآليف ومنظومات عديدة في الفقه والنصح والمدح، وأجوبة في الردّ على بعض المالكية بالجزائر. أحدث ما يعرف بالمنجيات (آيات منتقاة من القرآن) تتلى في بعض المناسبات.

من أعماله الجليلة تمكين بساتين بُوشَمْجَانْ بواحة غرداية من استغلال مياه وادي مزاب، وذلك ببناء ساقية بوشمجان وتوجيه السيل إليها، وبناء ساقية النعاليف (تَاكْضِيتْ).

توفي سنة 1129هـ/1716م.

ي- الشيخ أبو يعقوب يوسف بن محمّد:

ولد عام 1079هـ/1669م في مليكة. دخل جربة مع والده الشيخ محمّد المصعبي سنة 1103هـ/1692م واستقر بها، وأخذ العلم عن الشيخ سعيد بن يحى الجادوي[1] وعن الشيخ سليمان بن محمّد الباروني وعن الشيخ عمر بن علي السدويكشي[2]. سافر من جربة إلى مدينة تونس عام 1112هـ/1701م ورحل

1- **سعيد بن يحيى الجادوي** أخذ العلم عن أبي الربيع سليمان بن أبي ستة وتتلمذ عليه يوسف المصعبي وسعيد بن عيسى الباروني صاحب رسالة في علماء جربة. شارك مع الوفد الجربي في الاجتماع العلمي الذي انعقد في لالوت سنة 1103هـ/1692م للتثبّت في موضوع شهادة الشهود.
له مجموعة فتاوي، وله رسالة إلى سلطان مراكش إسماعيل بن شريف، ثاني سلاطين العلويين بالمغرب، بيّن فيها موقف الإباضية من أبي بكر وعمر. توفي بجربة.

2- **عمر بن علي السدويكشي:** أخذ العلم عن محمّد بن زكرياء الباروني. من مؤلفاته كتاب مناسك الحج وحاشية على كتاب البيوع من كتاب الإيضاح وحاشية على كتاب النكاح للحنّاوني. من علماء القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي.

إلى مصر عام 1130هـ/1718م وحضر دروسا بالأزهر. بعد رجوعه من مصر فرّ مع شيخه سعيد بن يحيى إلى جادو ومكثا في جبل نفوسة من 1140هـ إلى 1147هـ، ثمّ سافر ثانية إلى تونس عام 1153هـ/1740م.

كان مفتي جربة ورئيس مجلس الحكم فيها. وله مجالس للتدريس في كثير من المساجد غير الجامع الكبير الذي هو محط رحله حيث كان كبير المدرسين به.

وكان ذا هيبة وشجاعة وذكاء، يعظ الأمراء والحكام وينهاهم. وكان حكام جربة يعظمونه ويخشون بأسه ويذهبون له في كلّ عيد ومناسبة إلى داره تعظيما لقدره. اشتكى عام 1120هـ/1708م، باسم عزابة جربة، ممّن قدح في شهادة الإباضية لدى الباي حسين، الذي حكم على القادح في شهادتهم بالكفر. وكتب الشيخ يوسف بن محمّد إلى علي باشا بن محمّد باي تونس رسالة لمّا سمع أنّ أحد التونسيين يشتم الإباضية، فبيّن له عقيدتهم. كما توجد رسالة أخرى في نفس الموضوع موجهة إلى أحمد باشا والي طرابلس سنة 1169هـ/1756م.

وقد كان في نظر الدولة التركية يمثّل العالم والزعيم الإباضي في المغرب الإسلامي. ولذلك فقد كان طيلة عمره ممثّلا لرأي الإباضية في جميع المشاكل التي أثيرت في الجزائر وتونس وليبيا.

توفّي ضحوة الأحد من صفر 1188هـ/1774م، وحضر جنازته جمّ غفير من كلّ نواحي جربة.

ترك تآليف عديدة، نذكر منها:

- حاشية على كتاب أصول الدين لتبغورين بن عيسى الملشوطي[1].
- تحفة الأحباب في عذر أولي الألباب.
- حاشية على شرح الجهالات لأبي عمار عبد الكافي.

1- **تبغورين بن عيسى الملشوطي:** أخذ العلم عن أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي المتوفى عام 471هـ/1078م وعن الشيخ عبد الله اللنشي. من تأليفه كتاب أصول الدين وينسب إليه كتاب الجهالات.

- حاشية على كتاب الفرائض لإسماعيل الجيطالي[1].
- حاشية على كتاب الديانات لعامر الشماخي في التوحيد.
- شرح منظومة الذرائع.
- حاشية على تفسير الجلالين.
- حاشية على شرح النونية لقاسم بن يحيى الجربي.
- حاشية على كتاب الأحكام لأبي زكرياء يحيى الجناوني[2].
- حاشية على مختصر كتاب العدل وشرحه لأحمد الشماخي[3].
- حاشية على ديباجة شرح العقيدة لأحمد الشماخي.
- رسالة إلى الشيخ شعبان القنوشي في الوصايا والحقوق.
- رسالة في تنجيس أبوال الحيوانات المأكولة.

1- **إسماعيل الجيطالي:** نشأ في مدينة جيطال بجبل نفوسة. أخذ عن أبي موسى عيسى الطرميسي المتوفى سنة 722هـ/1322م. اشتهر بقوّة الحافظة. جمع بين العلم والجرأة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. سجن بطرابلس فسعى آل جربة إلى فكّ سراحه، واستقرّ في جزيرة جربة بالجامع الكبير إلى أن توفي. له عدّة مؤلفات، منها:
كتاب قناطر الخيرات، وكتاب قواعد الإسلام، وعقيد التوحيد، وكتاب الفرائض، ومقاييس الجروح، ومختصر مناسك الحج، وقصائد في مدح الرسول والنصائح والمواعظ. توفي سنة 750هـ/1349م.

2- **أبو زكرياء يحيى الجناوني** أخذ عن أبي الربيع سليمان بن أبي هارون. من مؤلفاته: كتاب الوضع، وعقيدة نفوسة، وكتاب الصوم، وكتاب النكاح، وكتاب الأحكام. من علماء القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي.

3- **أبو العباس أحمد الشماخي:** سكن يفرن وأخذ عن أبي عفيف صالح بن نوح. تحوّل بعد وفاة شيخه إلى تطاوين وتلالت بجبل دمر طلبا للعلم ثمّ واصل طريقه إلى تونس. مؤلفاته:
- شرح عقيدة التوحيد لأبي حفص عمرو بن جميع.
- سير المشايخ.
- مختصر كتاب العدل والإنصاف وشرح المختصر.
- شرح كتاب مرج البحرين.
- رسالة في الاسم والمسمّى.
- إعراب مشكل الدعائم.
- رسالة في صفات الله.
- رسالة في الردّ على صولة الغدامسي.
توفي بجربة سنة 928هـ/1522م.

ك- الشيخ داود بن يوسف وابنه أبو بكر:

كانت للشيخ داود مدرسة بالعطف يرتادها الطلبة من غرداية. كان عالما متضلعا يطلق عليه اسم الكاتب. له كتابة مؤرخة من 1144هـ/1732م إلى 1192هـ/1778م. حبس دارا قبالة المسجد العتيق يأوي إليها ضيف المسجد، وحبس كمية من القمح والشعير لمن أراد الحرث وعجز عن شراء البذر، وحبس جنانا كثيرة في أبي يعقوب للمسجد العتيق، وحبس بئرا في وادي العطف وترك له جنانا كاملا ريعا لضمان الحبل والدلو.

بعد وفاة الشيخ داود اتّفق مشايخ وادي مزاب على أن يخلفه ابنه أبو بكر في التدريس بالمسجد. قدّمته مدينة العطف ممثلا لها في المجلس الأعلى لوادي مزاب، وكان كاتب جلساته مع صغر سنّه، في عهد الشيخ الحاج إبراهيم بن بيحمان. وكان من بين اللجنة المكلفة من طرف المجلس لإيجاد موقف حازم في قضية صالح باي قسنطينة لمّا عزم على ضمّ مزاب إلى ولايته عام 1206هـ/1792م. كانت له مكاتبات مع علماء عمان وجبل نفوسة.

ل- الشيخ أبو زكرياء يحيى بن صالح المعروف بعمّي يحيى:

ولد ببني يزقن عام 1126هـ/1714م. تتلمذ على الشيخ أبي يعقوب يوسف بن محمّد المصعبي في جربة مدّة اثني عشر عاما، والملاحظ أنّ كلاًّ من الشيخ وتلميذه من بني وِيرُّو. ثمّ سافر إلى مصر فلازم دروس المدرسة الإباضية فيها وجامع الأزهر. وكان صديقا ورفيقا للشيخ عمرو بن رمضان التلاتي[1].

1- **عمرو بن رمضان التلاتي:** ولد بجربة في حومة تلات. سافر إلى مصر واستقر في القاهرة يدرس في المدرسة الإباضية بطولون كما كان يلقي دروسا تطوعية بالأزهر.
له عديد من الحواشي والمختصرات كما له ديوان شعر في شتّى أغراض الشعر. أهمّها شرحه لنونية أبي نصر فتح بن نوح، سمّاه: اللآلي الميمونة على المنظومة النونية، وشرح رائية أبي نصر، سمّاه (الأزهار الرياضية على المنظومة الرائية). ويذكر أنّه شرح أصول تبغورين بن عيسى وسمّاه: شرح أصول

وعند رجوعه إلى مزاب حوالي سنة 1157هـ، تصدّى للتدريس في المسجد، خلفا للشيخ الحاج أحمد نجار، في عهد كانت الجهالة عامّة، وتخرّج على يده الكثيرون، منهم الشيخ ضياء الدين الثميني والشيخ الحاج يوسف ابن حمو والشيخ الحاج إبراهيم بن بيحمان والشيخ حمو أو الحاج اليسجني وابن الشيخ موسى بن يحيى.

لم يتول المشيخة الرسمية في بني يزقن ولا رئاسة المجلس الأعلى لوادي مزاب. يعتبر بحقّ مؤسّس النهضة العلمية في الوادي. توفي يوم الخميس 25 رجب عام 1202هـ/1788م بمسقط رأسه.

م- الشيخ ضياء الدين عبد العزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني:

ولد في بني يزقن سنة 1130هـ/1718م. ختم القرآن في صباه واشتغل بالعلم فلم يتح له منه حظ، ثمّ اشتغل بالتجارة والفلاحة، وكان يسافر لهما إلى وارجلان ويقيم فيها سنينا، وكان فيها ولعا بركوب الخيل.

وكان اشتغاله بالعلم للمرّة الثانية بعد أن تخطّى العقد الثالث من عمره، عند رجوع الشيخ أبي زكرياء يحيى بن صالح من جربة ومصر وأخذه عنه. نبغ الشيخ الثميني في العلوم العربية وعلم الكلام والأصول والحديث والفقه والفلسفة والحساب، ثمّ اشتغل بالتدريس والتأليف وإحداث حركة فكرية كان لها أثر جليل.

نُصِّبَ شيخا بمسجد بني يزقن باتفاق عزابة القصور، عام 1201هـ/1787م، وسمّي رئيسا للمجلس الأعلى لوادي مزاب.

قام بالدعوة والإرشاد ومقاومة الجهل والفتن وإصلاح ذات البين، ومحاربة البدع الفاسدة. اشتهرت في أيامه عادات فاسدة، كعدم احتجاب المرأة

تبغورين حوى الإيضاح والتبيين. كما شرح كتاب الديانات وسمّاه: اللآلي المنظومات في عقود الديانات. وشرح شرح الشماخي لعقيدة التوحيد شرحا لغويا وسمّاه نظم التحقيق في عقود التعليق. توفي سنة 1187هـ/1773م.

من أحمائها، وكَفُشُوِّ الوشم بين الرجال والنساء، وتعاطي السعوط (الشمة) جهارا، وإعطاء نصف التركة للزوجة، إلى غيرها.

يقول الشيخ الحاج إبراهيم بن بيحمان في رسالة، وجهها إلى أهل جربة ونفوسة وعمان، ما يلي: «كثر الظلم والجور... وتلاطمت...أمواج الفتن وعساكرها، واستسادت ذياب وعسابرها، فاستولى على الحكمة الجهال، وغيروا حدود الله وبدّلوا حرامه وحلاله، وأخذوا في السلب والقتل ولجوا على الكفر والعناد، فلم يزالوا على ذلك إلى أن سعوا في الأرض الفساد».

وقد تحمّل الشيخ الثميني في سبيل إصلاح المجتمع ما جعله يستقيل من الرئاسة ويلازم بيته خمس عشرة سنة، لا يخرج منه إلاّ إذا حزب الأمّة أمر. في هذه المدّة انقطع للتأليف. توفي يوم السبت 11 رجب عام 1223هـ/1808م.

أهمّ مؤلفاته، مرتبة حسب التسلسل الزمي لتأليفها، ما عدا المصباح:

- في الفقه: (النيل) لخصه ثلاثا. توجد نسخة بخط الشيخ أبي يعقوب يوسف بن حمو أوسع قليلا من التي شرحها القطب. نظم بعض أقسامه الشيخ خلفان بن جميل العماني مع بعض زيادات، في سفرين تبلغ أبياتهما زهاء ثمانية وعشرين ألف بيت، وسمّاه (سلك الدرر الحاوي غرر الأثر). أهدى السيّد أبو معقل الحاج صالح ابن محمّد الغرداوي نسخة من (النيل) إلى مجلس القضاء بالعاصمة. ترجم كتاب النكاح وقسم الخصومات من كتاب الأحكام وكتاب الفرائض إلى الفرنسية المستشرق (زَايَسْ)[1] عام 1891م، وكثيرا ما كان يعتمد عليه في المحاكم الفرنسية في الجزائر عند الحكم بين المزابيين. كما سبق أن أصدر الأستاذ هُورُو[2] عام 1882، ترجمة فرنسية لباب الوصاية علّق عليها أبو معقل. وهناك ترجمات جزئية أخرى للنيل، إلى الفرنسية دائما، لم تنشر، قام بها بعض المترجمين المحلفين، بطلب

1 -E. ZEYS, Premier Président de la Cour d'Appel d'Alger.
2 - HUREAUX

من السيّد صُوطَايْرَا[1] رئيس مجلس القضاء بالجزائر. فقد ترجم أَطَّار[2] كتاب الجنائز، ومحمّد أَرَزْقِي كتاب الحج، ودِلبِيش[3] كتاب الرهن وكتاب الأيمان والكفارات، وأَلْبِرْتِني[4] قسم الطلاق من كتاب النكاح، وسْتْرَاص[5] كتاب الشفعة، ووُهْرَر[6] كتاب الهبة، وكُوص[7] كتاب الأحكام، وفِرْدُورَا[8] كتاب النفقات، ودُورَان[9] كتاب الدماء، وقْرُوسِي قْرَانْج[10] كتاب الديات.

يشتمل كتاب النيل على اثنين وعشرين كتابا في العبادات والمعاملات: الكتب التسعة الأولى وهي كتب الطهارة والصلاة والجنائز والزكاة والصوم والحج والأيمان والكفارات والذبائح والحقوق، وستة كتب أخرى وهي كتب البيوع والإجارات والرهن والشفعة والهبة والوصايا، كلها مختصرة من كتاب (الإيضاح) للشيخ أبي ساكن عامر الشماخي إلاّ قليلا.

أمّا كتاب النكاح وكتاب الأحكام فقد اختصرهما لأبي زكرياء يحيى ابن الخير الجناوني.

وكتاب النفقات هو مختصر (ديوان الأشياخ) الذي ألّفه سبعة من فقهاء القرن الرابع بغار مَجْمَاجْ بجربة.

وكتاب الدماء مختصر (سيرة الدماء) لأبي العباس أحمد بن محمّد بن بَكر[11] وكتاب الفرائض اختصره للشيخ إسماعيل الجيطالي.

1 -SAUTAYRA
2 -ATTARD
3 -DELPECH
4 - ALBERTINI
5 -STRASS
6 -WOHRER
7 -CAUSSE
8 -VERDURA
9 -DURAND
10 -GROSSET - GRANGE

11- **أبو العباس أحمد بن محمّد بن بكر** أصل أسرته في فرسطا بنفوسة. أخذ العلم عن أبيه وكان من أهمّ تلاميذه. سكن وادي أريغ ثمّ تحوّل إلى تمولست في الجنوب التونسي وبها صنّف كتبه وهي خمسة

وكتاب الأفعال المنجية من المهلكة مختصر (تبيين أفعال العباد) للشيخ أبي العباس أحمد كذلك.

أمّا الخاتمة فمن كتاب (جمع الجوامع) للإمام تاج الدين السبكي الشافعي.

- في الفقه كذلك (التكميل لبعض ما أخلّ به كتاب النيل)، اعتمد فيه على كتاب (أصول الأرضين) لأبي العباس أحمد بن محمّد بن بكر.

- (تعاظم الموجين في شرح مرج البحرين) لشمس الدين أبي يعقوب الورجلاني[1] في المنطق والحساب والهندسة. اكتفى بشرح قسم المنطق. سمّاه القطب (ذو النورين على مرج البحرين).

وعشرون. ثمّ رجع إلى وادي أريغ ثمّ إلى وارجلان وكانت وفاته بوادي أريغ سنة 504هـ/1110م.
أهمّ مؤلفاته هي:
- مسائل التوحيد.
- أبو مسألة.
- أصول الأرضين.
- تبيين أفعال العباد.
- كتاب الألواح.
- سيرة الدماء.

1- **أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني:** ولد في وارجلان عام 500هـ/1107م. أخذ مبادئ الدين عن مشائخه في وارجلان ثمّ ارتحل إلى الأندلس في عهد الموحدين وسكن قرطبة لاستكمال علومه في فنون اللسان والتفسير والحديث والتنجيم. ثمّ عاد إلى وطنه وجدّد منه الرحلة إلى المشرق وبعدها توغل في أواسط إفريقيا أين اكتشف تساوي الليل والنهار كامل السنة. ولمّا عاد من رحلته لازم داره بوارجلان منكبا على الدرس والتأليف. أمّا كتبه فهي:
- تفسير القرآن الكريم في ثمانية أسفار.
- الدليل والبرهان في ثلاثة أجزاء وهو أشبه بصورة مصغرة لدائرة معارف إسلامية. ترجم جزؤه المسمّى (مرج البحرين) في الفلسفة إلى أكثر لغات أوروبا.
- العدل والإنصاف في ثلاثة أجزاء في أصول الفقه.
- فتوح المغرب في التاريخ.
- ترتيب مسند الإمام الربيع بن حبيب.
- رسالة في رجال كتاب المسند.
- ترجمة رجال الإباضية.
- كتاب الفقه.
- القصيدة الحجازية في 360 بيتا نظم فيها رحلته العلمية إلى الحجاز.
توفي بمسقط رأسه عام 570هـ/1175م.

- (معالم الدين) في الفلسفة الكلامية وأصول الدين، استمدّ مقدّمته من كتاب المواقف للسيّد السند.
- (الورد البسام في رياض الأحكام) في القضاء، اعتمد فيه على كتاب الأحكام من (ديوان المشايخ).
- (التاج المنظوم من درر المنهاج المعلوم) وهو مختصر (منهاج الطالبين وبلاغ الراغبين) للشيخ خميس الشقصي الوسطاني العماني. يسمّى كذلك (السراج)، ويشتمل على ستّة وعشرين جزءا.
- (مختصر حواشي الترتيب) لمسند الربيع بن حبيب.
- (عقد الجواهر من بحر القناطر) في الفلسفة والأخلاق، وهو تلخيص لكتاب (قناطر الخيرات) للشيخ إسماعيل الجيطالي.
- (التاج في حقوق الأزواج).
- (النور) مختصر شرح التلاتي للقصيدة (النونية) في أصول الدين، للشيخ أبي نصر فتح بن نوح[1].
- (الأسرار النورانية على المنظومة الرائية) في الصلاة، لأبي نصر، وهو اختصار لشرح التلاتي لها.
- (المصباح مختصر أبي مسألة والألواح) في الفقه، لأبي العباس أحمد بن محمّد.

وله منظومات في فنون مختلفة: نزول القرآن ومعانيه، بناء الكعبة، أهمية علم النحو، الحساب الفلكي، الجمع على توالي الأعداد،...

1- **أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي:** من علماء النصف الأوّل من القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، من قرية تملوشايت في جبل نفوسة. أخذ العلم عن خاله أبي زكرياء يحيى بن إبراهيم. له عدّة قصائد تعليمية، منها القصيدة النونية في أصول الدين، والرائية في الصلاة، والبائية في الحكم والمواعظ.

مراسلاته:

كانت نادرة، إذ كان يقوم بها في حياته، نيابة عنه تلميذه، وابن أخته الحاج إبراهيم بن بيحمان. وأمّا المراسلات التي عُثر عليها للثمينيّ نفسه، فمنها رسالته إلى شيخه عمرو بن رمضان التلاتيّ بمصر، ومنها رسالة موجّهة إلى الداي بابامحمّد بن عثمان باشا (1179-1205هـ/1766-1791م) يمدحه فيها لانتصاره على الأسبان في حملتهم على الجزائر العاصمة مابين 1و11 جويلية 1775م/1189هـ. وقد أرفق الرسالة بقصيدة تقع في خمسة وتسعين بيتا مطلعها:

إنّ طيفا زارني في المنام من رشيق القدّ بدر التمام[1].

ن- الشيخ إبراهيم بن بِيحْمَان (عبد الرحمن):

ولد الشيخ إبراهيم بن بيحمان في بني يزقن وتتلمذ على الشيخين الجليلين أبي زكرياء يحيى بن صالح وخاله ضياء الدين عبد العزيز الثميني. كان مؤلّفا وشاعرا جليلا وعالما حكيما أديبا فيلسوفا ورحالة. من العلماء الذين تولّوا رئاسة مسجد بني يزقن.

له مع داي الجزائر حسن الدولاتلي في شأن باي قسنطينة مراسلات عام 1206هـ/1791م، باسم المجلس الأعلى لوادي مزاب، حول ضمّ مزاب إلى ولايته، كما كانت له مراسلات مع العمانيين.

من مؤلفاته:

- مختصر المناسك ومهذّب المسالك، مختصر من كتاب مناسك الحجّ للجيطاليّ، أتمّه في ذي القعدة 1195هـ.
- بيان جملة التوحيد، رجب 1201هـ.

1- عمر إسماعيل: ضياء الدين الشيخ عبد العزيز الثميني، 45.

- تلخيص عقائد الوهبيّة في نكتة توحيد خالق البريّة، ربيع الثاني 1202هـ.
- الردّ على طاعن في المذهب، صفر 1207هـ.
- المعدن المصون على سورة الكتر المدفون، تفسير للفاتحة. فرغ منه في محرّم 1221هـ.
- تفسير آيات من سورة النور، محرّم 1221هـ.
- أصداف الدرّ وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر.
- شرح موازين القسط لأبي مهدي عيسى بن إسماعيل، أتمّه في محرّم 1224هـ.
- شرح مجموعة من الأحاديث النبويّة، ربيع الثاني 1225هـ.
- قصيدة البردة في مدح خير البريّة، فرغ منها أواسط المحرّم 1196هـ.
- الجواهر الثمينيّة على المنظومة الميميّة، شرح لبردته. فرغ منه في ربيع الأوّل 1200هـ.
- الرحلة الحجازيّة، رجب 1196هـ- ربيع الثاني 1197هـ.

توفي عام 1232هـ/1817م.

س- الشيخ بالحاج بن كاسي:

ولد بالقرارة عام 1130هـ/1718م. كان والده كاسي بن محمّد شيخ مسجد القرارة وشيخ وادي مزاب.

أخذ مبادئ العلوم على والده، ثمّ رحل إلى بني يزقن، فكان من تلاميذ الشيخ عبد العزيز الثميني والشيخ أبي يعقوب يوسف بن حمو بن عدون. رجع إلى القرارة في أوّل القرن الثالث عشر، فشرع في إصلاح المجتمع، فثار عليه المفسدون والحكام الجبابرة وهمّوا بقتله، فهاجر إلى العطف، فواصل فيها جهاده، وتوفي سنة 1243هـ/1827م بعدما أصابه مرض الفالج. وفي رواية أخرى للشّيخ حفّار أنّه توفّي سنة 1235هـ/1819م.

أكبر تلاميذه ابنه الحاج قاسم.

ع- الشيخ أبو يعقوب يوسف بن حمو بن عدّون:

ولد ببني يزڤن عام 1158هـ/1745م. أخذ العلم عن الشيخ أبي زكرياء يحيى بن صالح. سافر إلى الحجّ يوم الأحد 9 جمادى الثانية 1205هـ/13 فيفريّ 1791م. وعند رجوعه، أقام بمصر يحضر دروس كبار العلماء بالأزهر، وينسخ الكتب النفيسة، من بينها (نزهة الأديب وريحانة اللبيب) لعمرو بن رمضان التلاتي.

وقد عاد إلى مسقط رأسه، مارًّا بالجزائر العاصمة، حيث عمل بها جزارا، وقدّم خدمات علمية لأمين المزابيين هناك، وللحكومة التركية كذلك. كان رئيسا لمجلس عزابة بني يزڤن وقاضيها. استخلفه الشيخ عبد العزيز لمّا أَسَنَّ وعجز. وكان يشتغل بتدريس كتاب النيل في المسجد. رتّب، بطلب من شيخه أبي زكرياء يحيى بن صالح، لقط أبي عزيز، وهي ممّا نقله أبو عبد الله محمّد البارونيّ.

من مؤلفاته:

- شرح على الدعائم إلى الرضاع.
- مختصر كتاب الطهارات.
- شرح البائية في الحكم والمواعظ لأبي نصر فتح بن نوح.
- معجزات الرسول.
- قصيدة في العقائد والفقه ذات ثمانية وأربعين ألف بيت.
- القصيدة الحجازية (345 بيتا).
- حاشية للبيضاوي في التفسير.
- تقييدات لأحداث وقعت بين 1109هـ/1698م و1252هـ/1836م[1].

1- ترجمها إلى الفرنسية GOUVION ضمن كتابه: Le Kharidjisme- Monographie du M'Zab.

من أعماله كذلك تنظيم أوقاف مسجد بني يزڤن، وذهابه إلى بريان مع الشيخ عيسى بن كاسي شيخ غرداية للإصلاح بين أهله.

أشهر تلاميذه الشيخ بالحاج بن كاسي القراري والشيخ الحاج سليمان ابن عيسى والشيخ الحاج سعيد بن يوسف وينتن.

توفي رحمه الله عام 1252هـ/1836م.

ف- باحمد بن الحاج سليمان بن عبد الله:

ولد بالقرارة ونشأ بها نشأة علمية، ثمّ سافر إلى تونس عام 1227هـ ومكث بها عامين، وعاد إلى مسقط رأسه. عندما اغتيل أمامه والده عام 1234هـ/1819م، التجأ إلى بني يزڤن ليتلقى فيها العلوم، فشبّ هناك، وتزوّج وأنجب الأولاد. وفي أثناء ذلك أصيب بمصادرة أمواله في القرارة، فعزم على قطع الصلة بينه وبين بلده. ولكن أهل الحلّ والعقد من القرارة ألحوا عليه بالرجوع، لينقذهم ممّا كانوا عليه من الجهل والضلال. وأخيرا ساعفهم، ثمّ انخرط في حلقة العزابة، وانتصب واعظا مرشدا في دويرته.

أضف إلى ذلك توليه القضاء بين النّاس، الأمر الذي ضايق طلاب الشهرة، فناصبوه العداء، وأعلنوا عزله من الحلقة، بعد أن أعلنوا البراءة منه في المسجد، ثمّ زادوا فحجروا أن يجوز خطه بين النّاس أو يعمل به، إلى أن توفي عام 1265هـ/1849م.

9- الفن المعماري عند بني مزاب :

أ- المدينة:

لإنشاء بني مزاب مدينة من مدنهم يختارون لها موقعا مراعين في ذلك قدرة المدينة على الدفاع ضدّ المغيرين، ووقايتها من فيضانات الأودية، والحفاظ على الأراضي الزراعية ذات التربة الطيّبة.

أوّل ما يقوم به المنشئون بعد اختيار الموقع، تعيين مكان إقامة المسجد، وتحديد رقعة المدينة بتخطيط سورها. في القديم غالبا ما كان السور يتكوّن من ظهور منازل لا تفتح أبوابها إلاّ إلى الداخل. أمّا في الامتدادات الأخيرة للمدن المزابية أصبح بعضها يتمتّع بأسوار مستقلة عن المنازل، بينها وبين هذه الأسوار شارع عريض. ذلك هو الحال بالنسبة إلى بني يزقن التي يبلغ طول آخر أسوارها 2500 مترا وارتفاعه حوالي ثلاثة أمتار، تتخلّله خمسة أبواب وأبراج متفاوتة الأهمية، أشهرها البرج المنسوب إلى الشيخ بالحاج المدفون قريبا منه. هذا البرج يعلو المدينة، وارتفاعه حوالي أربعة عشر مترا ويتألّف من خمسة طوابق، يستند إلى دعامتين تسمّى الواحدة منها بالمزابية بُولِيلاَ.

يراعى في مساجد مزاب البساطة والتقشّف والابتعاد عن كلّ ما قد يشغل المصلّي عن الخشوع في عبادته. حتّى المحراب فإنّه خال من كلّ زخرفة.

على الركن الشمالي للمسجد تنتصب المئذنة على شكل هرمي مقطوع ذي قاعدة مربعة. على سبيل المثال فإنّ مئذنة غرداية بها 122 درجة، علوها اثنان وعشرون مترا، عرض قاعدتها ستة أمتار وعرض أعلاها متران. سمك جدرانها يتناقص من متر واحد إلى ثلاثين سنتيمترا.

بجانب المسجد الميضأة ومحاضر تعليم الصبيان، وفوقه المخازن والسطح ومقر اجتماعات العزابة الذي يسمّى تَامْنَايْتْ.

حول المسجد الذي يتوسّط المدينة تنتشر المساكن متشابهة في الشكل، متلاصقة، بحيث يصعب عليك أن تفرّق بين منزل غني ومنزل فقير. أمّا الأزقة فهي عادة ذات ثلاثة أذرع عرضا، روعي في عرضها أقلّ ما يكفي لتلاقي دابتين، ولتمرير جنازة، كما روعي في تخطيطها مقاومة الرياح، والتقليل من مدّة إشعاع الشمس أيام الحرارة، والاعتدال في انحدارها بحيث يتمكّن السكان من استعمال الدواب للتنقّل والنقل.

كما نلاحظ تسقيف بعض الطرقات لأهداف دفاعية، منها أنّ العدو الراكب، إذا تمكّن من دخول المدينة، فإنّه لا يستطيع الوصول إلى المسجد، قلبها ومقر القيادة فيها، ومستودع الذخيرة والمؤن، إلاّ بصعوبة. كما أنّ بواسطة هذه التسقيفات يمكن لأهل المدينة التنقل على السطوح من حي إلى حي دون اللجوء إلى الأزقة.

وربّما كان الداعي لهذه التسقيفات الحصول على المزيد من الظلّ صيفا، والوقاية من الرياح والزوابع الرملية.

وهناك شوارع أكثر عرضا من غيرها مزودة بمقاعد مبنية، كانت في القديم أسواقا للمدينة.

ومن أوّل ما تتّجه إليه عزيمة المنشئين للمدينة حفر البئر العمومية التي بدونها لا يمكن تصوّر الحياة. ثمّ تتلو هذه البئر آبار أخرى كلّما امتدّ العمران. وليست عملية الحفر هذه بسهلة، إذ تتمّ في الصخر وعلى عمق قد يزيد على سبعين مترا وبالوسائل القديمة.

أمّا السوق فقد زادت مساحتها لتصبح ساحة واسعة بعد أن كانت شارعا، كما تطورت وظيفتها الاجتماعية. كانت أوّل الأمر مكانا لتبادل المنتجات بين أهل المدينة، وبينهم وبين قوافل البدو التي تقصد التجمعات السكانية للتجارة. ثمّ أصبحت بعد ذلك تؤدّي وظيفة اجتماعية أساسية، إذ هي المكان العمومي الوحيد بعد المسجد، الذي يمكن لأهل البلدة أن يجتمعوا فيه، ويتبادلوا الأخبار، ويتفقّدوا أحوالهم يوميا، ويستريحوا من تعب العمل، بالإضافة إلى ممارستهم للبيع والشراء.

فإذا كانت سوق بني يزقن غير منتظمة الشكل تحيط بها مقاعد مبنية، فإنّ سوق غرداية مستطيلة تحيط بها ثمان وتسعون قوسا متفاوتة الأبعاد، طولها خمسة وسبعون مترا وعرضها أربعة وأربعون مترا.

ب- المنـــازل:

المنازل المزابية كثيرة التشابه، مساحتها لا تتجاوز مائة متر مربع، تشتمل على طابقين وسطح. عتبة مدخل المترل يبلغ ارتفاعها حوالي عشرة سنتمترات. هذه العتبة تقي الدار من دخول الأتربة، وخروج الهواء البارد أيام الحر الشديد. يبقى باب المدخل عادة مفتوحا طول النهار، إلاّ أنّ المارّ في الشارع لا يستطيع مع ذلك رؤية ما بداخل الدار.

عند تجاوز المدخل الثاني تجد نفسك في رواق يسمّى سقيفة، به مقعد حجري منخفض بني للجلوس أمام المنسج صيفا، ورحى ثبّتت في إحـــدى زواياه لطحن الحبوب.

من هذا الرواق تنتقل مباشرة إلى وسط الدار المضاءة بواسطة فتحة تصل الطابق الأرضي بالطابق الأوّل، منها تنزل أشعة الشمس ويتجدّد الهواء.

أنسب موقع حول وسط الدار من نصيب (تِيزَفْرِي)، هذه القاعة التي لا تخلو منها دار مزابية، مدخلها عريض نوعا ما، متّجه نحو القبلة أو نحو المغـــرب للاستفادة أكثر من الضوء الطبيعي غدوا أو أصيلا. هـــذه القاعـــة لهـــا دوران رئيسان: أوّلهما إقامة المنسج الذي تصنع به الفرش والملابس الصوفية، ثانيهمـــا أنّها غرفة الأكل وسمر العائلة.

المطبخ فضاء صغير مفتوح على أحد جوانب وسط الدار، بحيث لا تحسّ الجالسة أمام الموقد أنّها في معزل عن باقي نساء الدار.

في الجانب المقابل مدخل غرفة النّوم الخاصّة بربة البيت، وبجانبه طاولـــة مبنية تحتها أواني الماء العذب وماء الغسل.

في الزاوية المحاذية للشارع غير زاوية المدخل، تجد مرحاضا، إلى جانبه مكان لربط المعزة التي تحفظ من التلف ما تبقى من فضلات الطعام، وتجـــود بما تيسّر من الحليب. هذه المعزة تنطلق كلّ صباح إلى حيث تتجمّع فيه مع

قطيع البلدة، أين ينتظرها الراعي، يخرج به يرتعي في الشعب القريبة، ليعود به بعد العصر إلى مدخل البلدة، أين يفترق وتتجه كلّ معـــزة إلى دارهـــا، معتمدة على ذاكرتها التي لا تخطئ.

وإذا كان لأصحاب البيت دابة للزجر والتنقل فإنّ لها محلاً خاصًّا، ينفـــذ إليه عادة من الشارع مباشرة.

بوسط الدار تجد قاعدة لحمل الإبريق الخزفي لغسل اليدين وأواني الطعام. أمّا غسل الثياب فلا يكون إلاّ في البستان وهو من أعمال الرجل.

في الزاوية المقابلة لمدخل الدار تنطلق الأدراج المؤدية إلى الطـــابق الأوّل، وموقعها هذا يساعد على تحريك الهواء وتجديده. إلى جانب الأدرج غرفة صغيرة لحفظ المؤونة الغذائية والأثاث.

غالبا ما نجد أمام مدخل الدار بابا لحجرة صغيرة، داخلها أدراج تقود إلى قاعة استقبال الضيوف الخاصّة بالرجال في الطابق الأوّل. هذه الأدرج المستقلة عن وسط الدار تجعل حركة الرجال ممكنة من الطابق الأوّل إلى الخارج بـــدون إحراج النساء غير المحارم.

بقاعة الاستقبال هذه المسمّاة (لَعْـــلِي) نافذة متوسطة الحجم نلاحظها من الشارع فوق باب الدار، وهي النافذة الوحيدة للمترل، إذا استثنينا عددا من الكوات.

أمّا الطابق الأوّل فإنّه تحيط به من بعض جوانبه غرف للنوم، علاوة على غرفة الاستقبال التي لها باب إلى وسط هذا الطابق. الباقي منه فـــضاء نـــصفه مسقف ونصفه مفتوح إلى السماء، يفصل بينهما عدد من الأقواس. النـــصف المسقف هو المكان المفضل لأعمال النسج شتاء ولاستقبال الزائرات.

النصف المفتوح يحتوي بأحد زواياه على الفتحة المطلة على الطابق الأرضي، ويمتدّ إلى الجهة القبلية والجهة الغربيـــة لاستقبال أشعة الـــشمس في أطـــول فتـــرة بالنهار. والجزء المسقّف المسمّى (إِيكُومَـــارْ) يحمل مع الغرف سطح المترل الـــذي

تقضي فيه الأسرة ليالي الصيف، وتخزن في جانب منه الحطب اللاّزم للطبخ والتدفئة. عادة ما كان السطح مساحة مفتوحة تماما، عندئذ لا يسمح للرجال بالصعود إليه نهارا إلاّ بعد الاستئذان، كي تختفي الجارات عن أنظارهم.

بالطابق الأوّل كذلك مرحاض إلى جانبه مغسل، كما أنّ به مطبخا لمناسبات الأعراس والمآتم وما أشبهها. ولا يخلو هذا الطابق من مخازن مبنية للتمر، يسمّى الواحد منها بالمزابية بَاجُو.

هناك قواعد عامّة وموانع في الفنّ المعماري المزابي يلتزم بها كافة السكان. منها:

- أنّ علوّ الدار لا يفوق خمسة عشر ذراعا.
- لا يسمح بإقامة جدار على حدود السطح من الناحية الشرقية أو الجوفية له كي لا يحرم الجار من ضوء الشمس ضحى وعشية. ورد في اتّفاق مجلس وادي مزاب في شعبان سنة 1156هـ/1743م ما يلي: « ...واتّفقوا على بناء البلاد على من هو غربي أو قبلة لجاره فلا يطلع عليه أو يضرّ جاره في الشتاء على طلوع الشمس، وإن ضاق عليه المكان فيخلف حريم جاره ثلاثة أذرع ويبني فلا يمنعه جاره».
- لا يجوز إسناد الدرج إلى جدار الجار إلاّ بإذنه، وكذا المستراح أو مربط الدابة، إلاّ إذا سبق أحدهما الآخر، فلا حقّ للجار الجديد أن يلزم جاره بتغيير الوضعية السابقة، لأنّه دخل على تلك المضرّة.
- لا يجوز للجار الذي يجري غديره على سطح جاره أن يلحق به ماء الغسيل.
- لا يحدث أحد نافذة مهما كانت مساحتها إلاّ برخصة من الجيران ليحدّدوا له المكان الذي يمكن أن يحدث فيه هذه النافذة أو الكوّة. وعند الضرورة يأذنون له بفتح نافذة مناسبة ومحاذية للسقف، بحيث لا يمكن لأحد أن يطّلع منها على سطوح الجيران مهما حاول، لأنّ السقف يحدّه[1].

1- محمّد ناصر: الشيخ الثرادي، 159،160.

- في كلّ بلد يعيّن أمينان في عرف البناء، إليهما ترفع الشكايات فيما يتعلّق بالبناء داخل القصر. وذلك ما ينصّ عليه اتّفاق 1156هـ المذكور آنفا. هذا الاتّفاق تجديد لآخر سابق تمّ في مقام الشيخ باعبد الرحمن الكرتي.

إنّ الوصف السابق يطبق على الدار الكاملة التي مساحتها نحو تسعين مترا مربعا. هناك عدد كبير من المنازل أقلّ اتساعا وتسمّى بنصف دار مساحتها نحو خمسين مترا مربعا، أو ربع دار مساحتها نحو ثلاثين مترا مربعا، لا نجد فيها إلاّ المرافق الضرورية للسكن، ولكنّها جميعا لها طابقان وسطح، وتخضع للضوابط المعمارية السالفة الذكر.

إلى جانب ذلك يوجد بالمدينة منازل لبعض الموسرين تتكوّن من دار ودويرة متصلتين. بالدويرة يتمّ استقبال الضيوف وعقد الاجتماعات، وهي الجناح الخاص بربّ البيت.

إنّ بني مزاب لم يشيّدوا قصرا في أيّة قرية من قراهم، ورئيس جماعة البلدة لا يمتاز عن سواه لا في ملبسه ولا في مأكله ولا في سكناه. وإذا اتّسعت داره فلكثرة عياله.

ج- مواد البناء:

- الحجارة المقتلعة من طبقات الصخور الكلسية البيضاء.
- نوع من الجبس يسمّى (تِمْشَمْتْ) يستخرج من الهضبة الكلسية على عمق متر واحد تقريبا ويعالج في أفران لمدّة أربع وعشرين ساعة.
- الجير الذي يعالج في أفران معدل ارتفاعها متران يستهلك من الحطب خمسة أضعاف ما تحتاجه التِمْشَمْتْ.
- الرمل غير الصلصالي يستخرج من مجاري الأودية.
- النخلة يستعمل منها في البناء جذعها وجريدها وسعفها.

وفيما يلي بعض الملاحظات في الموضوع ننقلها عن الشيخ القرادي: «لقد كان الاعتماد على استعمال المواد المحلية المتوفرة والاكتفاء بها...وممّا نستطيع أن نضيفه إلى هذا المعنى صنع الأثاث ضمن البناء كالرفوف والكوى والدكاكين التي تصلح كَأَسِرَّةٍ للنوم والصّلاة...

هذا وإنّ بناء الجدران بالتِيمْشَمْتْ مع الحجارة الصغيرة يجعل الدار مناسبة للمناخ القاري شديد الحرارة صيفا وشديد البرد شتاء».

ويضيف الشيخ القرادي قائلا: «هناك ملاحظات داخل الدور، منها:

- الإقلال من الأبواب الخشبية وتصغيرها...
- تصغير مداخل البيوت يحفظ لها المناخ المناسب...
- تقصير السقوف...
- ترك الكوات فوق السارية وبين الأقواس، إنّها تدلّ على مقدار تمكّن الأجداد في فنّ الهندسة، فهم يعلمون أنّها لا تحمل شيئا، ولذلك تركوها فارغة لنصيب من الشمس، واقتصاد مواد البناء، ووضع الآلات المضرّة للصبيان كالموس والمقص والكبريت»[1].

د- الواحة:

لكلّ قرية من قرى مزاب واحة متفاوتة الاتساع، سبق لنا أن تكلّمنا عن منشآت الري التي برع فيها بنو مزاب، من آبار وسواقٍ وسدود. بقي الجانب الثاني من الفن المعماري والمتمثّل في المساكن.

هذه المساكن تأوي إليها العائلات لقضاء فصل الصيف الحار، للتمتّع بلطافة الجوّ ولتجنيب ربّ الأسرة الرجوع إلى منزله وأهله بعد تعب اليوم، معرضا نفسه إلى لفحات الشمس الوقادة. ولا يعني هذا أنّ المرأة المزابية تقضي

1- نفس المصدر، 156-158.

فصلا كاملا في الراحة تحت ظلال النخيل والكروم، بل إنّك لتجد في مقدمة الأثاث الذي يتمّ ترحيله إلى الواحة، إلى جانب الأواني والفرش، منسجا أو منسجين مع طاقم آلات الغزل.

لذلك فإنّ الهندسة المعمارية لمسكن الواحة لا تختلف كثيرا عنها في منزل القرية، فهناك تشابه كبير بين طابقيهما الأرضيين. أمّا بالنسبة للطابق الأوّل فمعظمه سطح لعامّة الأسرة تقضي فيه الليل في الهواء الطلق، يحيط به جناح مسقف وغرفة أو غرفتان، لكلّ منهما أدرج خاصة تؤدّي إلى سطح صغير يعلو الغرفة، يأوي إليه الزوجان.

إنّ بستان المزابي لا يلعب دورا اقتصاديا بالدرجة الأولى، فإنّه غالبا ما ترتفع كلفته فيلتهم ما ادّخره التاجر في تجارته بالتل، بل وظيفته الأولى وظيفة اجتماعية، فهو الذي يشغل الرجل أيّام عطلته التي كانت تدوم شهورا، وهو الذي يجمع الأبناء بعد فراغهم من ساعات الدراسة، ليكونوا تحت رقابة أوليائهم، وليوظفوا عضلاتهم ولا يجنحوا إلى الكسل وما يفرزه الفراغ من الآفات الاجتماعية.

10- أحداث متفرقة:

- 1184هـ/1770م: تقسيم أولاد عدون وأولاد باكلي جزءا من أرضهم شرق حوش لاَلَّهْ عَشُّو -ساحة السوق حاليا- في بني يزقن.
- 1194هـ/1780م: وباء كبير.
- 1780م فيضان سمّي مسّاح عَزُّو.
- 1220هـ/1806م: مجاعة.
- 1228هـ/1813م: أصاب الأولاد وباء الجدري.
- 1229هـ/1814م: السيّد دَادِّي بَابَهْ يقوم بتوسيع مسجد بني يزقن.
- 1229هـ/1814م: وباء مرض السعال الديكي.

- 1232هـ/1817م: وباء آخر في مزاب يموت منه ثمانون رجلا في بني يزقن.
- 1232هـ/1817م: وباء الكوليرا والطاعون في مدينة الجزائر.
- حوالي 1820م: سال وادي مزاب ثمانية أيّام متتالية حتّى أصبحت مياهه صافية شفافة. يعرف هذا السيل بوَادْ أُوجَامْبَرْ.
- رجب 1241هـ/1826م: تجويز أهل مزاب صرف الجزائر.
- 1 شعبان 1243هـ/1828م: تجويز عملة جديدة قيمتها ثلاثة أرباع العملة السابقة المسمّاة (كَرْنَتْ) [1]، باتّفاق مجلس وادي مزاب.
- 1248هـ/1833م: تجويز عملة بومدفع الإسبانية[2].
- 1252هـ/1836م: مجاعة.
- 1257هـ/1260هـ: جفاف.
- 1259هـ/1843م: علامة بيضاء طلعت في سماء مزاب ممتدة من ناحية المغرب.
- 13 جانفي 1843م: لمّا انتزعت الإدارة الفرنسيّة جزءا من مقبرة المزابيّين الواقع بمنطقة شارع العربي بن مهيدي في العاصمة، والتي يتفرّع منها نهج طنجة، عوّضت لهم عنه قطعة أرض قرب وقف سيدي بَنُّورْ، مساحتها 1800 متر مربع.
- 1261هـ/1845م: سال وادي انتِيسَا وامتلأ سدّ بني يزقن بالرمال، وانكسرت الساقية الغربية في ثلاثة مواضع، ولم تبق عمارة في الواحة إلاّ وانهدمت، كما انهدم في القصر نحو خمسمائة دار.
- 1262هـ/1846م: تجويز سكة الفرنسيين في بني يزقن.
- 1264هـ/1848م: وادي المساح. في بني يزقن انهارت ثلاثمائة دار. اضطر سكان العطف إلى اللجوء إلى مسجديها. لم تسجل حوادث موت.

1- كرنت اسم تركي متقدم في الجزائر وأعمالها.
2- سمّيت كذلك لنقش مدفع عليها.

الباب الخامس
الفترة الأولى من العهد الرابع

يمتد العهد الرابع في تاريخ بني مزاب من 1269هـ/1853م إلى استرجاع استقلال الجزائر عام 1382هـ/1962م، أي حوالي 110 سنوات، يمكن تقسيمها إلى أربع فترات:

- الأولى من 1269هـ/1853م إلى 1299هـ/1882م،
- والثانية من 1299هـ/1882م إلى 1330هـ/1912م،
- والثالثة من 1330هـ/1912م إلى 1366هـ/1947م،
- والأخيرة من 1366هـ/1947م إلى 1382هـ/1962م.

وتمتاز كلّ من هذه الفترات الأربع بظروفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كما سيتبيّن لنا.

الفترة الأولى

من 1269هـ/1853م إلى 1299هـ/1882م.

نتناول في دراستها المواضيع التالية:

1- معاهدة الحماية.
2- الآغا يَتَّحْ اليهودي.
3- استقبال نابوليون الثالث في الجزائر العاصمة.
4- تأييد الثوار ضدّ الاستعمار الفرنسي.
5- إحداث واحة ضاية ابن ضحوة.
6- مقاومة المزابيين لبوشوشة.
7- فتن داخلية.
8- شخصيات من هذه الفترة.
9- أحداث متفرقة.

1- معاهدة الحماية :

لم يقتصر بنو مزاب على إمداد الشريف محمّد بن عبد الله بعدد كبير من المشاة، ولكنّهم ساعدوه أيضا بالمواد الغذائية والمؤونة الحربية. عندئذ حرّم الجنرال راندون[1] باقتراح من الجنرال يوسف[2] شراء الحبوب من أسواق التل على بني مزاب[3].

وفي 4 ديسمبر 1852، يوم معركة احتلال الجنرالين بِيلِسْيِي[4] ويوسف لمدينة الأغواط، التي تحصّن بها الشريف محمّد بن عبد الله –اسمه الحقيقي إبراهيم ابن أبي فارس، يعرف بشريف ورقلة– وسقط فيها حوالي ألفين وخمسمائة ضحية، ساعده حرسه الخاص من المزابيين، على الفرار إلى وارجلان. عقابا لهم فإنّ قوم أولاد سيدي الشيخ الشراقة المناصرين للفرنسيين، قاموا بإبادة أغنام المزابيين. هذا هو السبب المباشر الذي نتج عنه أزمة سياسية بين جماعات مزاب والوالي العام راندون، الذي قرّر إذعان مزاب لفرنسا. عندئذ أرسل بنو مزاب وفدا لمقابلته، إلاّ أنّ ذلك لم ينتج عنه سوى منح أجل مدّته شهران لإبرام معاهدة الحماية[5].

من جهة أخرى، إنّه لمّا احتل الفرنسيون مدينة الأغواط، وقتلوا بها، وهتكوا الحرمات، التجأت عائلات منها إلى مزاب. ومن بين هذه العائلات آل العمري الذين نزلوا عند صديقهم الحاج حمو بن محمّد ترشين، في بني يزقن، لمدّة سنين[6].

1- COMTE ALEXANDRE RANDON, Gouverneur Général de l'Algérie du 11.12.1851 au 24.06.1858.

2- الجنرال يوسف يهوديّ من أصل إيطاليّ. كان يتقن العربيّة، ويلبس لباس العرب. تقلّب في بلاط بايات تونس، ثمّ اختلف مع أحدهم وهرب إلى عنّابة، واتّصل بالإدارة الاستعماريّة الفرنسيّة بالجزائر، وكان من بين القادة في احتلال وادي مزاب..

3- Revue Africaine n°40,287-288.

4- AMABLE PELISSIER.

5- B. MERGHOUB : Le Développement Politique en Algérie, 51.

6- محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة، الجزء الثالث، 248.

عرض الوالي العام على جماعات بني مزاب في رسالته المؤرخة يوم 24 جانفي 1853، استعداده لتأمين المزابيين المسافرين عبر أرجاء المناطق المحتلة، وتأمين تجارتهم فيها، مقابل خضوعهم ودفعهم لفرنسا خراجا قدره خمس وأربعون ألف فرنك، وختم رسالته بتهديد شديد اللهجة.

وربّما الذي شجّع راندون على تقديم هذا العرض، ما كان من تنازع الصفين الغربي والشرقي في غرداية على السلطة. فاغتنم ذلك الوالي العام، وبعث مكتوبه المذكور إلى المزابيين يمهلهم شهرين للاستسلام لفرنسا.

هنالك انقسم بنو مزاب قسمين: قسم أبدى استعداده لقبول شروط الوالي العام، وقسم المقاومة، يتزعمه طلبة القرى، أثار معارضة، أيّدها المزابيون في التل. ولمّا أجرى هذا الفريق اتصالات مع الشريف محمّد بن عبد الله، فرضت السلطات الفرنسية حصارا اقتصاديا على مزاب، ممّا أدّى إلى وقوع بلبلة في الآراء بين محبّذ للإسراع في إبرام معاهدة الحماية، تحفظ عوائدهم وتقاليدهم وتسيير أمورهم الداخلية بأيديهم، وهم الأكثرية، وبين نابذ معارض لكلّ صلة تصلهم بالدولة المشركة فرنسا، ولو أدّى بهم الأمر إلى محق مزاب من الوجود، وفي مقدمة هؤلاء قطب الأئمة الشيخ طفيش.

اجتمع مجلس وادي مزاب في مسجد أمّي سعيد، واتّفقوا على إيفاد جماعة من أعيان القرى السبع إلى مدينة الأغواط يوم 13 رجب 1269هـ/22 أفريل 1853م، لإبرام المعاهدة.

ضمّ الوفد من بريان السيّد بابوهون ومن غرداية السيّدين باعيسى بن بوهون وداود بن باحمد، ومن مليكة السيّد بانوح بن الحاج أحمد، ومن بونورة السيّد بكير بن علي، ومن بني يزقن السيّدين محمّد بن الحاج زرقون وعمر بن داود، ومن العطف السيّد بكير بن سليمان، ومن القرارة السيّدين بكير بن كاسي وعيسى ولد الزيت.

تمّ عقد معاهدة الحماية مع الكومندان دُوبَارَاي[1] باسم الوالي العام للجزائر راندون، تعهّدت فيها فرنسا لبني مزاب بحفظ بلادهم واحترام معتقداتهم وصيانة عوائدهم، وأن لا تتدخّل مطلقا في أمور داخلية مزاب، وتترك المدن السبع تعيّن فيما بينها القسط الذي تتحمّله كلّ مدينة من الخراج السنوي. وتنصّ المعاهدة على وجوب غلق أسواق المنطقة أمام الثوار ضدّ فرنسا ودفعهم بالقوّة.

أمّا السلطة الفرنسية فإنّها تقتصر على حفظ النظام العام في البلاد ورعاية حقوق الفرنسيين.

عندما أمضى بنو مزاب المعاهدة رفع الحصار الاقتصادي المضروب على بلادهم. ولتكريس حقيقة الخضوع لفرنسا في أذهان الشعب المزابي، وعندما همّ الكومندان مارغريت[2] عام 1857، بالتوجّه من الأغواط إلى وارجلان على رأس كتيبة من جنده، مرّ بغرداية وعزم على اختراق جانب من المدينة. إلاّ أنّ سكانها أوصدوا دونه أبوابها، فأمر الكومندان جيشه بتحطيم أحد الأبواب بالفؤوس، فدخل المدينة ومرّ الجند بها والحراب على أفواه البنادق، ضاربين الطبول، باعثين بذلك الرعب في قلوب الأهالي، وصدحت الموسيقى الفرنسية لأوّل مرّة في المدينة. بعد الحادثة أعيد صنع الباب المحطّم وسمّي بالباب الجديد[3].

قام كولونيل الأغواط بإحصاء سكان مزاب في سبتمبر 1861، فكانت الأعداد كالآتي:

غرداية	6.300	العطف	1.300	بني يزقن	3.850
بونورة	920	مليكة	800		
بريان	1.280	القرارة	2.300	مزاب	16.750

1- DU BARAIL
2- MARGUERITE.

3- حمو عيسى النوري: دور الميزابيين، الجزء الأوّل، 304.

ولتعديل تقسيم الخراج السنوي على المدن السبع، وقعت اجتماعات عديدة، انتهت بإحصاء شامل للمنازل والنخيل ودكاكين التجارة، يوم 3 جانفي 1863، وكان كالتالي:

البلدة	عدد المنازل	عدد النخيل[1]	عدد الدكاكين
غرداية	2000	50.000	50
بني يزقن	1260	12.000	20
القرارة	500	20.000	25
بريان	240	18.000	5
العطف	457	6.500	12
مليكة	300	6.000	30
بونورة	215	1.500	10

فُرِضَ على كلّ مترل خمسة فرنكات، وعلى كلّ نخلة 0,15 فرنك، وعلى كلّ دكان عشرون فرنكا، فأصبح تقسيم الخراج كالآتي:

البلدة	الحصة الجديدة	الحصة السابقة
غرداية	18500 فرنك	15000 فرنك
بني يزقن	8500 فرنك	8500 فرنك
القرارة	6000 فرنك	4500 فرنك
بريان	4000 فرنك	4500 فرنك
العطف	3500 فرنك	5500 فرنك
مليكة	3000 فرنك	4500 فرنك
بونورة	1500 فرنك	2500 فرنك

وبقي المجموع: 45000 فرنك.

ثمّ بزيادة الضريبة الإضافية النسبية ارتفع إلى 49.837,66 فرنكا.

1- من جهة أخرى فإنّ بني مزاب كانوا يملكون في هذا التاريخ نخيلا في واحة متليلي:
3598 نخلة يملكها خمسة وسبعون ملاكا من مليكة.
346 نخلة يملكها ثلاثة عشر ملاكا من غرداية.
ستّ وخمسون نخلة يملكها ثلاثة ملاكين من بني يزقن.

إحصاء جانفي 1867 لنخيل بني مزاب في واحتي متليلي وورقلة:

البلدة	عدد النخيل في متليلي	عدد النخيل في ورقلة
مليكة	3618	2090
غرداية	346	1434
بني يزقن	56	4446
العطف		595
بونورة		54
المجموع	4020	8619

2- الآغا يَتَّحْ اليهودي :

لمّا عرضت السلطات الاستعمارية على بني مزاب مرسوم تنصيب اليهودي يتح آغا على مزاب –أصله من الأغواط يعمل في المخابرات الفرنسية– اعتبروا ذلك إهانة لهم وتدخلا في أمورهم الداخلية، ومناقضا لمضمون معاهدة الحماية، وامتنعوا بإجماع عن قبوله. إلاّ أنّ السلطات الفرنسية نصّبته وتحدّت بذلك الشعور القومي لدى المزابيين، وكان من نتيجة ذلك أن قتله السيّد إبراهيم كولا، يوم 21 جوليت 1860، حوالي برج كاركار بين بني يزقن ومليكة.

غضبت القوات الفرنسية وأعياها التعرّف على القاتل، فأمرت بإلقاء دية اليهودي الفادحة على كافة المدن السبع، تدفع منها كلّ مدينة حسب عدد سكانها، ومقدارها عشرة آلاف فرنك تدفع لأهل اليهودي يَتَّحْ، بالإضافة إلى غرامة قدرها ثلاثون ألف فرنك لعدم التصريح بالقاتل.

أرسلت الجماعة السيّد عبد الله زرقون من بني يزقن إلى حاكم الأغواط يلتمسون منه تخفيض الدية. إلاّ أنّ السلطات الفرنسية لم تكتف بجمع هذه

الغرامة، فأرسلت مائة فارس من عرش الأرباع وهجموا على غرداية فسلبوا ونهبوا، ليأخذوا بثأر القتيل يتح اليهودي.

يقال إنّ رئيس جماعة غرداية الحاج إسماعيل اضطر إلى بيع جزء من الأراضي الواقعة شمال الواحة، لتسديد نصيب البلدة من تلك الغرامة الفادحة. هذه الناحية أصبحت تعرف بلَبْدُوعَاتْ. إلاّ أنّ الجماعة اشترطت على المشترين أن لا تستعمل مياه الآبار المحفورة هناك لسقي أجنة خارج لبدوعات.

3- استقبال الإمبراطور نابوليون الثالث في الجزائر العاصمة :

لمّا زار الإمبراطور عاصمة الجزائر عام 1860م، رفضت جماعات بني يزقن ومليكة وبونورة والعطف وبريان إيفاد ممثلين عن بني مزاب إليها، لحضور احتفالات الاستقبال. وقد جرّ هذا الغياب عتابا لهذه الجماعات من قبل الجنرال يوسف بالأغواط، فأنزل عليها غرامات باهظة: ثلاثين ألف فرنك على بني يزقن، وستّة آلاف على مليكة، وثلاثة آلاف على بونورة، وستّة آلاف كذلك على العطف، وخمسة آلاف على بريان[1].

عيّنت الجماعات سبعة أعيان يمثلون المدن السبع ليدفعوا تلك الغرامة إلى الماريشال بيليسْيي[2]، الوالي العام للجزائر.

4- تأييد الثوار ضدّ الاستعمار الفرنسي :

يقول الشيخ باكلّي: «وشاركوا (بنو مزاب) في ثورة (محمّد) المقراني (عام 1871) الذي استشهد أمام داره بمجانة (قرب برج بوعريريج) السيّد بولنعاش أحمد بن صالح، وصوردت أملاكه من قبل الفرنسيين»[3].

1- GOUVION : Monographie du M'Zab, 248.

2- AMABLE PELISSIER: Gouverneur Général de l'Algérie du 24.11.1860 au 22.05.1864.

3- فتاوي البكري، الجزء الثاني، 374.

أمّا الشيخ حمو عيسى النوري فنجده يقول: «كان لبني مزاب في ثورة المقراني والشيخ أُو حداد عام 1871 مشاركة قوية. وكان لهم في الميدان جولات وشهداء، وقد سقط في ميدان الشرف أحمد بن صالح بولنعاش من غرداية أمام دار المقراني في مجانة. وقد أسندت إليه قيادة المقاومة في المركز الرئيسي للثورة، وأخذ ولده يوسف بولنعاش القيادة بتلك الناحية (سطيف) وواصل الكفاح إلى نهاية الثورة، فالتجأ إلى تونس، ومنها أبحر إلى تركيا، فاستقرّ هناك إلى الممات، وصادرت الحكومة الفرنسية جميع أملاكهم وثرواتهم»[1].

أمّا عن ثورة أولاد سيدي الشيخ[2] الأولى (1864-1869) بزعامة سليمان وسي العلاء عمّه، فقد كانت لهم لقاءات في وادي مزاب قرب بني يزقن ونومرات، وزوّد بنو مزاب هؤلاء الثوار بالمؤن والذخيرة، وانضم مشاهم إلى فرسان ابن الناصر بن شهرة، ممّا أدّى بالسلطة الاستعمارية إلى أن يقرّر الوالي العام في نوفمبر 1864، حجز جميع قوافل بني مزاب، وحرمانهم من الحبوب التي تأتيهم من الشمال، وذلك عقابا لهم، ولئلاّ يساعدوا الثوار في الصحراء[3].

وفي سنة 1878م، أرسل رئيس بني مزاب الحاج يوسف بن أحمد السرار، رئيس جماعة بني يزقن، والذي عيّنته السلطات الفرنسية رئيسا لمزاب عام 1875م، أرسل رسالة إلى بوعمامة، زعيم ثورة أولاد سيدي الشيخ الثانية من 1881 إلى 1902م، يعرض عليه مساعدته لإثارة بني مزاب ضدّ الفرنسيين. إلاّ أنّ الشعانبي زيادي تعرّض لحامل الرسالة في الطريق، وقُبِضَ عليه، وسلّمها

1- دور الميزابيين، الجزء الأوّل، 302.
2- أولاد سيدي الشيخ قبيلة عربية تقطن بالجنوب الوهراني وتنتسب إلى الشيخ عبد القادر بن محمّد ابن سليمان الذي أسّس زاوية في البيض وتوفي عام 1630م.
3- مجلة الأصالة، العدد 6، 59.

إلى السلطات الفرنسية في الأغواط. وكانت مدينة بني يزقن المستودع الحصين الذي وجد فيه الثوار السلاح والتموين والعتاد والبارود[1].

وفي نوفمبر 1881، وجد رفاق أحمد بن أحمد الثائر في الغرب مخبأ عند المزابيّين، بعد هروبهم من الجلفة[2].

5- إحداث واحة ضاية ابن ضحوة :

في 27 رمضان 1284هـ/14 جانفي 1867م، استنجد أولاد باسليمان من غرداية بجماعة برّيان التي يترأّسها الحاج إبراهيم بن جريبة. قدم هذا الأخير مع عدد من المخاليف وأولاد يحيى والحرازليّة وسعيد عتبة والدبادبة وبعض الأرباع ومأتين وخمسين رجلا من بني يزقن، وانكبّوا على المذابيح والعفافرة وأولاد أمّ عيسى، فمات منهم أربعة عشر، ومات من عرب برّيان ثمانية ومن بني يزقن واحد، ومن أولاد باسليمان سبعة وثمانون رجلا، عندما تخلّى عن الحاج إبراهيم بن جريبة حلفاؤه وأُرغم على العودة إلى برّيان، وتَرَكَ أولاد باسليمان ضحيّة للثأر، وغنم المذابيح كلّ أموال أولاد باسليمان.

عندما وصل الخبر الأغواط استدعى الكولونيل دوصونيس[3] المذابيح وأولاد أمّ عيسى، وأصدر عقوبة عليهم بسبب سلب أموال أولاد باسليمان: خمسة عشر ألف فرنك على المذابيح ومثلها على أولاد أمّ عيسى والعفافرة، وسمّى ثلاثة قيّاد على أعراش غرداية: حَمُّو أُو الحاج على أولاد باسليمان، والحاج إسماعيل بن بابه على أولاد أمّ عيسى، وسي محمّد بن التومي على المذابيح، ورجع الجميع إلى غرداية.

أمر الكولونيل قائد المذابيح أن يُحضر إلى الأغواط خمسين رجلا من عرشه، حكم عليهم بالمكوث في الأغواط سنة كاملة، ثمّ ستّة أشهر في القرارة، وسمح لهم بعد ذلك بالرجوع إلى غرداية.

1- نفس المصدر، 63.
2- فتيحة يطّو: رسالة الردّ على إلحاق وادي ميزاب، 79.
3- DE SONIS.

ولاستتباب الأمن قرّر الكولونيل فصل المذابيح عن بني مزاب، بأن يعمّر المذابيح وحدهم في الضاية، وأولاد باسليمان وأولاد أمّ عيسى يبقون في غرداية ويشترون أملاك المذابيح الموجودة في البلد.

قدم الكولونيل إلى غرداية وقام بتحديد الضاية سنة 1285هـ/1868م، وسمّيت ضاية ابن ضحوة، وهي تقع على بعد عشرة كيلومترات من قصر غرداية.

بهذا القرار الاستعماري، أُبْطِل القرار الذي أصدرته جماعة غرداية عام 1073هـ/1662م، يمنع إحداث واحة أو بناء مسكن أو حفر بئر في الشمال الغربي لواحة غرداية، قصد وقايتها من البوار. تأكّدت حكمة ذلك جليا في سنوات الجفاف التالية.

6- مقاومة المزابيين لبوشوشة :

بعد أن تغلّب بوشوشة على كلّ من تصدّى لمقاومته، وسيطر على وارجلان يوم 5 ماي 1871، أذن للدواودة بتخريب متاجر المزابيين ونهبها وإتلاف عدد من المؤلفات الإباضية، ومنها كتب الشيخ أبي يعقوب يوسف السدراتي، وألقى القبض على سبعة مزابيين ساكنين وارجلان، وحكم عليهم بغرامات دفعوها قهرا، ثمّ أمر عساكره بقتلهم فأعدموا.

ومن أسوأ ما فعل بوشوشة أنّه غرم الشيخ ابن الحاج معيزة قائد بني واكين والحاج باعزيز بن خواجة رئيس الطلبة بمبلغ عشرة آلاف فرنك لكلّ واحد منهما، على أن تدفع حالا. فجمع بنو واكين هذا المبلغ الضخم ودفعوه له، وما إن تسلّمه حتّى أمر الشيخين بالرجوع إلى البلد. ولكنّه حين انفصلا، أمر بإطلاق الرصاص عليهما فقتلا. وكان جلول بن بيحمان مختفيا عند قائد بني إبراهيم، فبعث إليه بوشوشة سبحته علامة على الأمان، فلمّا جاء الرجل أطلق عليه الرصاص، قبل أن يصل إلى خيمة الحاكم بخطوات. وقد ارتكب

المغامر الجريء ما يرتكبه مغامر أفاق يجري وراء المال والسلطان دون أن يعصمه دين أو خلق[1].

غادر بوشوشة وارجلان متجها نحو وادي مزاب على رأس حوالي ستمائة فارس من المخادمة التابعين للشعانبة بوروبة، ووصل النومرات يوم 21 أوت 1871م.

وفي الجمعة 15 جمادى الثانية 1288هـ /1 سبتمبر 1871م، وصل بني مزاب خبر عزم بوشوشة الهجوم عليهم. ولمّا بلغهم وصول جيوشه إلى غابة بني يزقن من متليلي، وقع اجتماع القصور الخمسة في مسجد باعبد الرحمن الكرتي، وتقرّر أن يواجهوه أينما حلّ. اتّجه أهل غرداية يوم الأحد 3 سبتمبر إلى دبدابة بني يزقن على أنغام الموسيقى، وعلى رأسهم العزابة رافعين علمهم الأبيض. أمّا العوام فكان علمهم أحمر، وكان علم المذابيح أخضر. ولمّا وصلوا بني يزقن انضمّ أهل مليكة وبونورة والعطف وبني يزقن رافعين أعلامهم. فلمّا علموا أنّ بوشوشة بقي بالنومرات ولم يترل بغابة بني يزقن رجع الجميع إلى قراهم.

وفي الغد من ذلك، شاع الخبر بأنّ بوشوشة يريد الانقضاض على أهل العطف، فتجمّع بنو مزاب من جديد: ستمائة من غرداية، وثلاثمائة من بني يزقن، وستون من مليكة، ومائة وعشرة من بنورة، واتّجهوا إلى العطف التي وصلوها عشية الإثنين 4 سبتمبر 1871.

في ذلك اليوم، خطّ بوشوشة رسالة إلى بني مزاب يتوعدهم ويأمرهم أن يهيّئوا له على جناح السرعة ستمائة عمارة شعير علفا وثلاثمائة جفنة من الطعام، ودفع الإتاوات كبرهان لهم على الطاعة.

هناك ثار الوادي وهاج وماج بأبطاله وفرسانه، فأجمعوا أن يلقنوه درسا بليغا، فعسكروا في بطحاء كاف الدخان القريبة من سدّ العطف. خرجوا رجالا

1- علي يحيى معمر: الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 420.

ونساء، الرجال بخيلهم وبنادقهم والسلاح الأبيض، والنساء بالأعمدة والعصي من ورائهم، وقدّموا إماما للدفاع البطل الهمام الحاج حَمّو بن باحمد باكلّي، فأرجعوا رسول بوشوشة بالجواب على رسالته أنّ بني مزاب يرحبون بقدومك في أسرع وقت ممكن، بكامل عدّتك وفرسانك وجيوشك الجرارة. إنّهم هيّؤوا لك، عنوانا للطاعة المطلقة، ستمائة عمارة من الرصاص وثلاثمائة جفنة من البارود وعن الإتاوات فلا تسأل.

فلمّا اتّصل بالجواب وأخبره رائده بما شاهد من قوّة يعجّ بها الوادي، خاف من مغبة هذا الأمر، فأسرع من توّه بالعودة إلى وارجلان عبر زلفانة[1].

7- فتن داخلية :

لّما احتل الكومندان دُوبَارَايْ القرارة عام 1270هـ/1853م، عيّن يحيى ابن كرواية قائدا للصفّ الشرقي وبوباكر بن كاسي قائدا للصفّ الغربي.

وفي سنة 1856، أقنع حاكم الأغواط مَارْغُرِيتْ القراري كاسي بن إسماعيل الملقب الزرويل، ليقوم باتّصالات مع التوارق، قصد تكوين علاقات تجارية بينهم وبين فرنسا، فعقد هو وأخوه رحلة استكشافية، رفقة إسماعيل بوضربة، إلى غدامس وغات، وأمدّوا السلطات الفرنسية بالأغواط بمعلومات ثمينة حول هذه المناطق. واعترافا له بمساعيه عيّنه الحاكم عام 1274هـ/1858م قائدا على القرارة خلفا لبوباكر بن كاسي.

تجبّر الزرويل وطغى وصار، متى قصد السوق أو غادرها، رافقته أنغام الدفوف والمزامير، ثمّ نشأ اقتتال بين أنصار القائدين، ففرّ كاسي الزرويل مع أخيه عيسى إلى الصحراء في جوان 1859م. وأصدرت جماعة القرارة حكمها عليهما بالنفي، وأعادت القيادة لبوباكر بن كاسي.

1- حمو عيسى النوري: دور الميزابيين، الجزء الأوّل، 300.

بعد ذلك، قام الحاكم بإرجاعهما إلى القرارة في أوّل مارس عام 1860م، فوقعت فتنة قتل فيها الأخوان، وفي نهاية العام استعادت جماعة القرارة تدبير شؤون البلدة، وبدأ من جديد الصراع بين الصفين الشرقي والغربي. واستطاع الصف الشرقي، بقيادة يحيى بن كرواية، أن يبعد إبراهيم بن بوهون وأنصاره يوم 10 سبتمبر 1861، فتوجّه هذا الأخير إلى الأغواط ليعرض حالته على السلطات الفرنسية.

وفي 1 ذي القعدة 1278هـ/أفريل 1862م، قَبِلَ قائدا غرداية الحاج إسماعيل بن بابا وعمر الكعبوش من الحاكم العسكري بالأغواط، التوسّط لإعادة إبراهيم بن بوهون ورفيقه بوباكر بن كاسي إلى القرارة، وإصلاح ما بينهما وبين أهل القرارة.

وفي يوم 22 أفريل 1863م/1279هـ، استولى على جزء من المدينة إبراهيم بن بوهون، ونتج عن ذلك مقتل ثلاثة وسبعين شخصا يوم 7 ماي 1863م/1279هـ، ومن بينهم يحيى بن كرواية قائد الصف الشرقي. ألقي القبض على إبراهيم بن بوهون وسجن بجزيرة كورسيكا عامين، وعيّن بوباكر ابن كاسي قائدا من جديد إلى أن توفي عام 1290هـ.

وقيل سجن إبراهيم بن بوهون بباريس عامين من ماي 1863م إلى 29 ماي 1865م، مع الحاج إسماعيل بن بابه، رئيس أولاد عمي عيسى بغرداية، الذي أعان أولاد أعلاهم بالتدبير في فتنة القرارة، وسجن من 31 جوليت 1863م إلى 14 جوليت 1865م.

وبعد رجوع إبراهيم بن بوهون إلى القرارة عام 1291هـ، عاد إلى منصبه كرئيس لجماعة القراراة، إلى أن قتل يوم 4 أفريل 1877م/1294هـ، في ساحة السوق. نقل على إثر ذلك مدبرو الاغتيال إلى الأغواط، وحكم عليهم بدفع الدية، والنفي إلى غرداية. وفي طريقهم إليها قاطعهم أنصار إبراهيم بن

بوهون بزعامة أخيه للأب كاسي، وبمساعدة أربعين عطاشيا قرب لَعْدِيرَهْ، وقتلوا منهم أربعة عشر، من بينهم الحاج قاسم بن حمو طبال، قاضي البلد منذ 1276هـ. كان ذلك يوم 3 جوان 1877م. أمّا كاسي بن بوهون فقد عيّن قائدا في نفس السنة 1294هـ/1877م[1]، وقد استعان بالحاكم العسكري في الأغواط الذي رحّب به وأعانه واستعمله في أغراضه.

وفي 1281هـ، وقعت فتنة بين الشعانبة وأهل بريان، مات منهم خمسة وأربعون رجلا ومن الشعانبة سبعة. وفي 1286هـ، وقعت فتنة أخرى في بريان.

وفي سبتمبر 1864م، وقعت فتنة بين بني يزقن ومليكة وبونورة والمخاريج من أولاد عمّي عيسى والمذابيح وافترقوا، ولّما بلغ الخبر إلى متليلي قدم الشعانبة في محلة كبيرة بالطبول والمزامير وقدم أهل العطف ومليكة وبونورة والمخاريج إلى غرداية، وحوصرت أربعة أيّام، وكان المدّ بين المذابيح وإخوانهم الذين داخل البلد وهدموا السور واقتحموا المدينة، وهرب أولاد باسليمان ومعهم محلّة من بني يزقن كانوا لهم نصرة، فنهبت ديار أولاد باسليمان واليهود، وبقيت البلاد في يد أولاد عمّي عيسى والمذابيح. عدد القتلى الذين سقطوا في هذه الفتنة ثمانية وعدد المجاريح سبعة.

في 15 جوليت 1876، وقع صراع في سوق بني يزقن، أسفر عن خمسين جريحا دون سقوط موتى. وفي سنة 1878، نفي عدد من أولاد عنان من بني يزقن، وعشيّة يوم 12 ربيع الأوّل 1297هـ/23 فيفريّ 1880، وقعت فتنة في سوق بني يزقن، ذهب ضحيّتها ثلاثة عشر قتيلا وستّون جريحا، وتكرّرت المواجهات يوم 3 مارس 1880، أسفرت عن تسعة قتلى وعشرين جريحا[2].

1- GOUVION : Monographie du M'Zab, 238.

2- مصطفى بن الحاج بكير حموده: من تاريخ جماعة بني يزقن (الضمّان)، 11.

واتّفق عزابة بني يزقن والطلبة والعوام على من أثار هذه الفتنة، وعددهم أحد عشر رجلا، «أن ينفوا إلى الظهرة (التل) ولا يمكثوا في قصور ميزاب ولا يردوهم حتّى يظهر صلاحهم».

ترافع يوم الخميس 13 ربيع الثاني 1297هـ إلى مجلس الحكم والفتوى لبلد بني يزقن جميع الأعراش في شأن هذه الفتنة، وطالب عرش آل يدّر وعرش آل موسى خصمهما عرش آل عنان بدية موتاهم وأرش جرحاهم، فحكم لهم المجلس بذلك، ثمّ طلب من الفريق الأوّل أن يتنازلوا عن أرش الجرحى، وأن يرفقوا على خصمهم في قبض الدية، بحيث يكون الانتهاء منه عند انسلاخ شهرين من صدور هذا الحكم، فقبلوا بذلك. وقع الحكم على يد العلاّمة الشيخ الحاج محمّد بن عيسى زبار والفاضلين الحاج محمّد بن يحيى باحيّو والحاج سعيد بن يوسف وينتن.

تصالح أولاد عنان مع أولاد يدّر يوم 29 فيفري 1921، ودفع الفريق الثاني للفريق الأوّل ما عليهم من الديات يومي 4 و5 مارس 1921.

وفي 11 جوان 1880، تمكّن عدد من المنفيين من بونورة بمساعدة شعانبة ومذابيح، من دخول المدينة خفية، وأطلقوا النّار وتحصّنوا في دار الجماعة أين حوصروا ثمّ استسلموا. حصيلة المعركة أحد عشر قتيلا وعدد كبير من الجرحى.

وفي 10 أكتوبر 1881م/1298هـ، قتل رئيس جماعة بريان الحاج إبراهيم ابن جريبة في ساحة السوق على يد ثلاثة من أولاد يحيى، وعمره ثمانون سنة، ففرضت السلطات الفرنسية على البلدة ضريبة قدرها ثلاثون ألف فرنك.

ثمّ قتل الشيخ الحاج صالح بن قاسم شيخ مسجد غرداية، أو اختفى بصفة غامضة، يوم 31 مارس 1882م، فوقع اقتتال كبير في 6 جمادى الأولى 1299هـ/26 أفريل 1882م، بين أولاد باسليمان وأولاد عمّي غيسى، صاحبه أعمال الشغب والسلب، ذهب ضحيته تسعة موتى وعشرة جرحى، وتعهّد كلّ من أولاد عمّي عيسى والمذابيح والنشاشبة وأولاد يونس بدفع خمسة عشر ألف فرنك دية لأولي القتلى وتعويضا لضحايا النّهب.

8- شخصيات من هذه الفترة :

أ- الشيخ الحاج سعيد بن يوسف وِينْتَنْ المعروف بالحاج سعيد أَنْ بَافُّو:

هو من شيوخ بني يزڤن. أخذ العلم عن الشيخ الحاج يوسف بن حمو، ثمّ انتقل إلى تونس للاستزادة من العلم. ولمّا أخذ قسطه من المعرفة في تونس وجربة رجع منها حوالي 1287هـ/1870م، فتولّى التدريس في مزاب وكان ممّن أنعش النهضة الحديثة فيه، ودفعها إلى الأمام. كان حكيم وقته وسياسي زمانه، وكلامه بليغ، وله جرأة وشجاعة نادرتان. ومن أجل ذلك قرّر ذووه وغيرهم نفيه إلى بونورة مدّة سبعة أعوام، مع أبنائه وسائر عائلته.

كان لا يزال على قيد الحياة عام 1297هـ/1880م.

من أشهر تلاميذه ابن أخته الشيخ الحاج صالح لعلي وعبد الله بليدي بوكامل.

ب- الشيخ الحاج سليمان بن عيسى:

هو أحد شيوخ بني يزڤن. فرّ هاربا إلى مليكة لمّا خاطبوه لتقديمه شيخا بمسجد بني يزڤن، فلحقوه وأقنعوه، فرجع.

والشيخ بابا أن يونس الغرداوي هو الذي عمّمه شيخا، وذلك بربط العمامة له. أخذ العلم عنه كثيرون، منهم الشيخ عمر بن سليمان نوح والشيخ الحاج محمّد بن عيسى زبار والقطب طفيش. له قصائد في الأدب، من جملتها قصيدة مدح بها الشيخ بابا أن يونس.

كان شجاعا بطلا، وكانت له تمارين عسكرية لشباب زمانه.

لمّا قرّر بعض البدو الهجوم على مزاب وقطع طريق القوافل عنه، اجتمع أهل الوادي وقدّموه عليهم، فقاد الجيش وأدار المعركة وسقط في الميدان شهداء، وانهزم العدوّ وولّى أدباره. وقع ذلك في جمادى الثانية عام 1230هـ/1815م.

توفّي عام 1283هـ/1867م.

ج- الشيخ عبد العزيز بن داود:

هو من العلماء الأجلاء لمدينة العطف. سافر إلى تونس وأخذ عن علماء جامع الزيتونة. وعند رجوعه عيّن إماما وشيخا بالمسجد العتيق، وقاضيا للمدينة، فنظم أوقاف المسجد في أبواب وفصول حسب النواحي.

د- الشيخ الحاج محمّد بن عيسى زْبَارْ:

ولد حوالي 1233هـ/1818م. تتلمذ على الشيخ سليمان بن عيسى.

سافر إلى البقاع المقدّسة، وقادته رحلته هذه إلى عمان وزنجبار واليمن، وامتدّت هذه الرحلة من رجب 1264هـ/جوان 1848 إلى رجب 1268هـ/ أفريل-ماي 1852، مع رفيقه الشيخ الحاج محمّد بن يحيى باحيّو.

دخل أوّلا في الحلقة معلّما للصبيان، ثمّ صار إماما، ولمّا أرادوا تقديمه شيخا في المسجد، فرّ إلى بريان، فأرسلوا إليهم أن أمسكوه عندكم إلى قدومنا.

كان إماما في النصح والإرشاد وخدمة الوطن، وشهرته في الفصاحة والإقدام والحزم والعزم وحصافة الرأي تغني عن ذكره، فقد كان ينكل ويعزّر ويؤدّب ويسجن ويفعل ما كاد يكون به إماما. هو آخر شيخ بالعمامة في مسجد بني يزڤن. عيّنته السلطات الفرنسية يوم 1 جانفي 1883 قاضيا في محكمة بني يزڤن، التي أحدثت بموجب أمر الوالي العام الصادر يوم 7 نوفمبر 1882. فقدَ بصره في أفريل 1883م، وناب عنه باش عدل الحاج عيسى ابن الحاج سعيد مصري. توفّي يوم 15 شوال 1307هـ/4 جوان 1890م، وخلفه الشيخ الحاج محمّد باحيّو واعظا في المسجد.

هـ- الشيخ عمر بن سليمان نوح:

هو أحد مشايخ أولاد يدّر ببني يزڤن. أخذ العلم عن الشيخ سليمان بن عيسى وعن الشيخ بالحاج بن كاسي القراري. كان قاضيا في بني يزڤن زمان مشيخة الحاج محمّد بن عيسى.

نفي إلى مليكة ولبث فيها ثلاثين عاما ينشر العلم ويبث النور والدين، وتزوّج فيها وولد بنتا سمّاها عائشة، وربّاها تربية علمية دينية، فكانت فقيهة ورعة. توفي عام 1292هـ/1875م.

له قصيدة بعنوان: سبحان من أمرُه المقضيّ.

و- الشيخ الحاج إبراهيم بن يوسف طْفَيَّشْ:

درس أوّلا في مسقط رأسه بني يزقن، ثمّ رحل إلى عمان فشرب من مناهله العربية والشرعية، وبعدها رحل إلى مصر فأقام في جامع الأزهر أربع سنوات. ولمّا اشتدّ عوده رجع إلى مزاب حاملا معه كتبه النفيسة. درّس ثلاث سنوات بمدينة فاس بالمغرب الأقصى.

توفي سنة 1303هـ/1886م، بعد أن ترك رجال العلم والدين، وعلى رأسهم أخوه القطب. كان من الأعلام الجامعين بين العلم والعمل والورع الصادق والفكر الصحيح الثابت.

ز- الشيخ الحاج إبراهيم بن دَادِّي حَنِّي هبة:

هو من مشايخ العطف. نظّم بعثة علمية إلى معهد عمر بن سليمان نوح ببني يزقن، فانتقلت معه البعثة منها إلى مليكة حينما نفي إليها، وقد أعجب الشيخ عمر بن سليمان بتلاميذه من العطف فأهدى لهم قصيدته (أوصيكم يا معشر الشبان). قام الشيخ الحاج إبراهيم هبة بالتدريس بالمسجد العتيق.

اغتالته يد أثيمة في جنانه بناحية أَوْلَوَالْ بالعطف، وشهد جنازته جميع علماء وادي مزاب، ودفن بمقبرة أُوخِيرَهْ بعد أن صلّى عليه الشيخ الحاج سعيد بن بَافُو.

ح- الشيخ حمّو بن باحمد باكلّي:

إنّه شخصية من أبرز شخصيات العطف. أخذ العلم عن الشيخ عمر بن سليمان نوح. كان رئيسا لمجلس العزابة، وكان آخر من عيّن إمام دفاع لعموم سكان القرى الخمس. وقد بايعه بنو مزاب إمام دفاع تحت كاف الدخان بالعطف، عندما عزم أحمد بن التومي برشوشة على الهجوم على الوادي يوم 4 سبتمر 1871م، بعدما قام بنهب أموال الإباضية بوارجلان وفتك بهم. فعسكر بجيشه في النومرات، ثمّ ولّى راجعا لمّا أخبره رائده بالقوّة التي تنتظره. قام الشيخ حمّو بالتدريس بمسجد باسالم، إلى أن وقع خلاف بين العزابة، فاعتزل المسجد سنة 1300هـ/1883م. سافر إلى الحج عام 1884م، ومات في طريق عودته منه.

ط- الشيخ صالح بن كاسي الغرداوي:

يحكى عنه أنّه لمّا بلغت القوات الفرنسية وادي مزاب، نزلوا بساحة الدبدابة لاستئناف السير (ربّما إلى وارجلان)، وقد اصطحبوا معهم براميل خمر، فأراقها. فبحث قائد تلك القوات عمّن تجرّأ عليهم وأمر بهذا العمل، فقيل له هو الشيخ صالح بن كاسي شيخ وادي مزاب، فأمر بإحضاره، فلمّا رأوه تهيّبوه، فأمر القائد بإرجاعه قبل أن يصل إليهم[1].

اختفى بصفة غامضة ليلة 31 مارس 1882م، ولمّا يظهر بعدها. من أسباب اغتياله، أنّه كان إذا سمع أنّ فتنة بين الصفين بغرداية قد تؤدّي إلى إعمال السلاح يقف بين الفريقين، ويأخذ حفنة تراب يقرأ عليها فيرميها بينهم، فيتفرّقون. فقال من كان يناوئه: «ما دام هذا الإنسان حيًّا فإنّنا لا نبلغ مرادنا من خصومنا» فقتل[2].

1- حمو عيسى النوري: المصدر السابق، 69.

2- نفس المصدر، 341.

ي- الشيخ محمّد بن سليمان ابن ادريسو:

ولد ببني يزڤن عام 1246هـ/1831م. أخذ العلم عن الشيخ عمر أُو الحاج وعن القطب. أبصر وهو ذو أربع سنين. تلقّى معارضة عنيفة في بلده ونفي إلى بونورة، أين فتح دارا للتدريس. ممّا قيل فيه إنّه يتمتّع بأسلوب عجيب في التعليم. من تلاميذه أولاده سليمان وصالح وإبراهيم، والشيخ صالح لَعْلِي. ترك مؤلّفات عديدة في العقيدة والفقه والتفسير واللغة العربية، منها:

- شرح النوينة للمسائل الفنونية على الشرائع الدينية، أتمّه عام 1295هـ/1878م، النونية لأبي نصر فتح بن نوح.
- شرح رائية أبي نصر، في الصّلاة.
- شرح ألفية ابن مالك، في النحو.
- (اليمن والبركة في تفسير الهدى والرحمة) تفسير سورة البقرة وأوائل سورة آل عمران إلى الآية 36.
- نظم عقيدة العزابة لعمرو بن جميع، في التوحيد.
- نظم أسماء الله الحسنى.
- نظم كتاب الطهارات من ديوان الأشياخ.
- نظم كتاب النيل، سمّاه مسلك الذهب في جوهر ودرر المهذب.
- هدية الإخوان، نظم مختصر أبي عمار عبد الكافي، في الميراث.
- الفرات في إيضاح هديّة الإخوان في الميراث.
- نظم في أصول الدين.
- نظم يتناول أجور السور من النّاس إلى الأحزاب.
- نظم الأجرومية، في النحو.
- نظم في بيان أحزاب القرآن والأرباع والأثمان.

توفي يوم 12 جمادى الثانية 1313هـ/1895م.

ك- حاجة بنت الشيخ عبد العزيز الثميني:

كانت هذه العالمة مضربة الأمثال ببلد يزڤن في العلم والورع والفضل والإحسان والصلاح وأصالة الرأي.

يقال إنّه وقعت فتنة داخلية في سوق البلد بين بعض القبائل، فتلحفت وطلعت بعض سطوح السوق، وصاحت بأعلى صوتها، وهي في سنّ ثمانية وتسعين عاما وقالت: «يا أولادي، أنتم أقارب وأرحام بعضكم لبعض، تتقاتلون»، فالتفت رجل إليها وهو بالسطح فقال لها: «يا عجوز، اذهبي أنت من هنا، وإلاّ رميتك من السطح». ولم يتمّ هذا قوله حتّى أصابته رصاصة، فسقط من علوّ إلى أسفل، فمات لحينه.

وكان بعض من تولّى شؤون العامّة والخاصّة بالبلد يومئذ، كالسيّد باحمد بن صالح، يأمر برفعها في منديل إلى داره ليستشيرها، لا سيّما فيما يتعلّق بحياة العائلات.

9- أحداث متفرقة :

- 26 أفريل 1856: الوالي العام يستولي على مقبرة بني مزاب بوهران، ويمنحها للبلدية، فتحت الجماعة خصاما ضدّ البلدية عام 1881م، دون جدوى.
- في شتائي 1857و 1858: سجّل سقوط الثلج على مزاب.
- 1860-1868: بناء السور الحالي لبني يزڤن.
- 1865-1868: جفاف متواصل وهجمات الجراد.
- أوت 1866: السيّد الحاج إبراهيم بن عمر نفاع يهب جزءا من مزرعته ليكون مقبرة لإباضيّة مزاب ووارجلان وجربة وجبل نفوسة وعمان.
- 12 ذو القعدة 1283هـ/1867م: اشترى الحاج صالح بن سعيد العطفي أرضا وما عليها من أنقاض في شعب جياد بمكة المكرمة، ووقفها لسكنى الحجاج من القرى السبع المزابية.

- 1867-1868م: وباء الكوليرا والتفويد.
- 1867-1869م: مجاعة حادّة أودت بحياة عشرات الآلاف.
- 25 سبتمبر 1868: صدر قرار إلغاء نقابات البرانيين في الجزائر.
- 1872م: بأمر من الحكومة الفرنسية، منع آغا ورڤلة بني مزاب من جني غلة البساتين التي هي أوقاف لمساجد وادي مزاب، وذلك في إطار تأميم الأوقاف الإسلامية. وهذا إحصاؤها يومئذ:
  - لمسجد بني يزڤن ستة وخمسون بستانا بها 2597 نخلة منتجة، وكيلها محمّد ابن خواجة.
  - لمسجد بنورة ثلاثة عشر بستانا بها تسعمائة نخلة، وكيلها امحمّد بن الحاج باعزيز ومحمّد بن الشيخ الحاج أحمد.
  - لمسجد مليكة أربعون بستانا بها ثلاثة آلاف نخلة، وكيلها الحاج محمّد بن الحاج عيسى.
  - لمسجد العطف اثنا عشر بستانا بها 1300 نخلة، وكيلها حميدة بن محمّد ابن سليمان.
  - لمسجد غرداية سبعون نخلة فقط، وكيلها الحاج محمّد بن الحاج عيسى.
- 1290هـ/1873م: وباء الجدري.
- 1294هـ/1877م: تقسيم أولاد يدّر لأرضهم الموجودة داخل السور الحالي شمالي البلدة.
- 1880م: أخذت الحكومة الفرنسية من بني مزاب في الجزائر العاصمة المقبرة وجنان الفحام غصبا، بعدما امتنعوا من بيعها لها، وعيّنت ثمنها فأبوا أن يأخذوه، فوضعته الحكومة في كيس الأغواط لفائدة بلدية غرداية.
- فيفري 1880: فتح مقبرة للمزابيين في مدينة الأصنام (الشلف)، مساحتها حوالي هكتارين.

الباب السادس

الفترة الثانية من العهد الرابع

من 1299هـ/1882م إلى 1330هـ/1912م

نتناول في هذا الباب ما يلي:

1- قرار إلحاق مزاب بفرنسا.
2- القضاء
3- التعليم
4- الأوقاف
5- إحصاءات السكان.
6- الفلاحة والري.
7- مواصلة تأييد المقاومة ضد الاستعمار.
8- المشاكل الداخلية.
9- شخصيات من هذه الفترة.
10- أحداث متفرقة.

1- قرار إلحاق مزاب بفرنسا :

يقول أُوقُسْتَانْ برْنَارْ: «باستيلائنا على مزاب، قضينا على عشّ الثورة الدائم والمستودع الذي كان يجد فيه الثوار ضدّنا الأسلحة والعتاد والتموين»[1].

إنّ هذا التصريح يبيّن بوضوح الأسباب الرئيسة التي حملت القوات الفرنسية على إعلان إلحاق مزاب بفرنسا.

1- الأصالة، العدد 6، 63.

في 26 أكتوبر 1882م، تلقّى الجنرال دُولاتُور[1] برقية من الوالي العام لُويسْ تِيرْمَانْ،[2] يأمره بتجهيز محلة والذهاب بها إلى مزاب، لإعلان إلحاقه. اشتملت هذه المحلة على 1175 ضابط وجندي، معهم خمسمائة فرس و1851 بعير تحمل مؤونة شهر كامل. غادرت المحلّة الأغواط يوم 10 نوفمبر، ووصلت غرداية يوم 17 نوفمبر وحطّت بقربها. ثمّ ألقت القبض على من اتّهم بأعمال الشغب الواقعة في أفريل الماضي ووجّهتهم إلى الأغواط، يوم 26 نوفمبر، في طريقهم إلى كورسيكا. من بين هؤلاء باحماني بن السقطي من مليكة.

وصول الكتيبة إلى مزاب كان مفاجئا ومباغتا للمزابيّين. فلو أنّهم كانوا على علم سابق بتجهيزها لاستعدّوا للمقاومة، حسب ما صرّح به النقيب هَارْتْ مَايَرْ نفسه في رسائله المختلفة إلى الإدارة المركزيّة بالجزائر[3].

ورغم المعارضة الشديدة للطلبة، فإنّ الإلحاق أعلن عنه رسميا يوم 30 نوفمبر 1882م، ورفع العلم الفرنسي محيا بواحدة وعشرين طلقة مدفعية. وقد سجن القائد المباشر للكتيبة، النقيب هَارْتْ مَايَرْ، قطب الأئمة يوما كاملا في معسكره بأمر من الوالي العام، ليقنع العزابة بعدم جدوى مقاومتهم للإلحاق[4].

من جملة ما قاله هَارْتْ مَايَرْ في التقرير الذي بعث به إلى قائد منطقة المديّة ما يلي: "ما فتئ المثقّفون منهم يحتجّون على إلحاق وطنهم بفرنسا إلى تاريخ ثلاثين نوفمبر، ولم أظفر منهم بأسماء من يتولّون وظيفة شيخ، ولا المستشارين القضائيّين ممّن يلقّبُون بالعزّابة، إلاّ بعد عناء كبير وصبر

1 -De la Tour d'Auvergne

2 -Louis TIRMANE : Gouverneur Général de l'Algérie du 26/11/1881 au 18/04/1891.

3- مفدي زكريّاء: أضواء على وادي مزاب، 160.

4 -GOUVION : Monographie du M'Zab, 256.

نافد...وقد اضطررنا إلى إلقاء القبض على الطالب سي محمّد اطفيش...واعتقاله في المخيّم لمدّة أربع وعشرين ساعة. وعندئذ أيقن الطلبة بأن لم يبق لهم إلاّ الخضوع للأمر الواقع".[1]

ممّا جاء في نصّ إعلان الإلحاق ما يلي:

«...لا نوظف عليكم آغا ولا قائدا ولا قاضيا من أبناء العرب، بل نترككم على حسب ما توجبه فوائدكم ومرافقكم، مرتبطين بجماعاتكم فيما يؤول إلى تصرّفاتكم، متعلقين بمشايخكم الإباضية فيما يرجع إلى فصل نوازلكم...».

الخراج المفروض على بني مزاب عام 1853م وقدره 45.000.00 فرنك، تضاعف ثلاث مرّات عام 1883م، حيث ارتفع إلى 131.512,98 فرنك. قسم هذا العدد على القرى السبع على حسب أهمية كلّ منها، وكان من واجب كلّ ضامن أن يستخلص مناب كلّ عشيرة، من أبنائها الحاضرين منهم والغائبين.

في 21 ديسمبر 1882م، رفع وزير الداخلية الفرنسي ووزير الحربية إلى رئيس الجمهورية قْرِيفِي[2] تقريرا يقضي بإلحاق مزاب.

في 28 ديسمبر 1882م، أصدر الوالي العام قرارا يقضي بإنشاء دائرة عسكرية بغرداية تشمل قرى مزاب السبع وآغاليك ورقلة وشعانبة متليلي وشعانبة المنيعة. على رأس هذه الدائرة قائد أعلى تحت أوامره مكتب عربي من الدرجة الأولى. هذا القائد الأعلى يرتبط سُلَّميًّا بالقائد الأعلى لدائرة الأغواط العسكرية.

ظلّ بنو مزاب يعتبرون أنّ إلحاق بلادهم بفرنسا غير مشروع، ويتعارض مع القانون الفرنسي نفسه، وظلوا يرفضون اعتبارهم رعايا فرنسيين، ويستدلون على ذلك بالفصل الثامن من القانون الدولي الفرنسي المؤرخ في 16 جويلية 1875م والذي يتضمن «أنّه لا يمكن إحالة أرض أو مبادلتها أو إلحاقها إلاّ

1- مفدي زكريّاء: أضواء على وادي مزاب، 169-170.

2 -GREVY (Jules) : Président de la République Française de 1879 à 1887

بمقتضى قانون» وافق عليه مجلسا الأمّة الفرنسية. وهذا الفصل تمّ تطبيقه بالقانون المؤرّخ في 2 مارس 1887م، عند إحالة جزيرة سَانْتْ بَارْتِيلِمِي، كما أنّ انقلاب حماية جزيرة مدغشقر إلى إلحاق وقع إتمامه بقانون مؤرخ في 8 أوت 1896م.

أمّا التقرير المؤرّخ في 21 ديسمبر 1882م حول إلحاق مزاب فإنّه لم يقع قطّ عرضه على مجلسي الأمّة الفرنسية، بل بقي مجرّد مشروع، ولم يصادق عليه إلاّ رئيس الجمهورية.

وكدليل آخر لعدم مشروعية الإلحاق القانونية فإنّ الأمر الذي استصدره النائب الفرنسي اليهودي كْرِيـمْيُو[1] في 24 أكتوبر 1870م، والـذي صـار بمقتضاه الإسرائيليون الجزائريون رعايا فرنسيين، لم يطبّق على يهـود مـزاب بموجب هذا الإلحاق.

بقي بنو مزاب يعتبرون أنّ حلول القوات الفرنسية ببلادهم لم يغيّر شيئا من طبيعة علاقتهم السياسية بفرنسا. وقد ورد في المكتوب المؤرّخ في 7 فيفري 1884م الصادر من الوالي العام تِيرْمَانْ لجماعة المزابيين في الجزائر العاصمة، ردًّا علـى عريضة قدّموها له أنّ «فرنسا ستذكر دائما المعاهدة المنعقدة معكم» عام 1853م.

تمّ اختيار جبل بُوزِيزَهْ المشرف على مدينة غرداية، والذي لا يبعد عنـها إلاّ بنحو أربعمائة متر، لإقامة البرج العسكري الفرنسي، وشرع في بنائه يـوم 26 ديسمبر 1882م. قسم فيه مخصّص للجيش، والقسم الآخر للمكتب العـربي والمستودعات، به مدفعان يمكن تصويبهما إلى كلّ من مدن غردايـة ومليكـة وبونورة وبني يزقن[2].

وقد شرع في مدّ الخط التلغرافي الرابط بين الأغواط وغردايـة يـوم 17 نوفمبر 1882م، ليكون جاهزا للاستعمال يوم 5 مارس 1883م.

1- ADOLPHE CREMIEUX (1796-1880).

2- بعد الاستقلال حوّل البرج العسكري إلى فندق الرستميين.

أمّا تعبيد طريق السيارات من سطافة إلى غرداية (اثنان وثمـانون كيلـو مترا)، فقد انطلقت أشغاله يوم 1 ديسمبر 1882م، وتمّ اسـتعماله يـوم 20 مـارس 1883م. وكان من قبل الطريق المؤدّي من غرداية إلى الأغواط يتبع وادي مزاب.

بعد ذلك، وفي 23 أفريل 1883م، انطلقت أشغال إنجاز طريق من غرداية إلى ورقلة، وانتهت في نوفمبر من نفس السنة.

من جهة أخرى فإنّه صدر في 22 أفريل 1884م قرار إنشاء البلدية الأهلية لغرداية، تضمّ القرى السبع وشعانبة متليلي.

هؤلاء تمّ فصلهم وإلحاقهم ببلدية المنيعة الأهلية يوم 28 سبتمبر 1897م. ثمّ أعيدوا إلى بلدية غرداية يوم 29 جانفي 1904م.

في 24 ديسمبر 1902م، صدر قانون إنشاء أراضي الجنـوب، وكانـت أراضي غرداية تشتمل على مزاب والهضاب العليا للأغـواط والجلفـة. وقـد قسمت إداريا إلى ملحقة غرداية وملحقة الأغواط وملحقة الجلفة ومركز المنيعة. على رأس هذه الأراضي كومندان عسكري مقرّه بالأغواط.

بعد إعلان الإلحاق يوم 30 نوفمبر 1882م، تمّ التفاوض لتعيين قواد المدن السبع، ونصّب:

باحمد بن عمر بالولو قائدا على غرداية

الحاج يوسف بن امحمد السرار قائدا على بني يزقن

كاسي بن بوهون قائدا على القرارة

يحيى بن عفاري قائدا على بريان

إبراهيم بن عيسى قائدا على بونورة

يوسف بن حاجو قائدا على العطف

صالح بن الحاج عبد الرحمن قائدا على مليكة

كلّهم من الصف الغربي ما عدا قائد بريان.

وفي حالة شغور منصب القائد فإنّ الوالي العام للجزائر يعيّن قائدا جديدا، باختياره من بين ثلاثة أشخاص ترشحهم جماعة البلدة[1].

اللباس الرسميّ للقائد والمميّز له عن غيره هو البرنس الأحمر.

وبالنسبة لخليفة القائد فيقع تعيينه من غير قبيلة القائد، قصد التوازن السياسي.

أمّا الضُمَّانْ، أي رؤساء العشائر، فإنّه يتمّ انتخابهم كلّ ثلاث سنوات، وتقدّم النتائج للوالي العام للمصادقة. من جملة هذه الانتخابات تلك التي وقعت يوم 22 نوفمبر 1891م.

في بداية الأمر، احتفظ القائد بلقب رئيس الجماعة، أي جماعة الضمان، ويشهد على هذا ختم قائد بني يزڤن المنقوش عليه: (جماعة بني يسڤن- رئيس الجماعة- 1882)، والذي استعمله القائد الثاني عيسى بن سليمان إلى سنة 1897م.

كما يشهد على ذلك الاتفاق المبرم يوم 29 جوليت 1897م، بين القائد الأعلى لدائرة غرداية وقابض البريد والبرق ورؤساء جماعات المدن الخمس: غرداية، بني يزڤن، مليكة، العطف، بونورة، حول توزيع البريد والبرقيات.

القائد مسؤول أمام الرقابة الفرنسيّة (بِيرُوعْرَبْ) عن حالة بلده فيما يخصّ الراحة العامّة والجناة، وتنفيذ أوامر الحكومة وسياستها، وجمع الضرائب ودفعها للإدارة. وله حقّ التغريم إلى ثلاثين فرنكا، والسجن إلى حين رجوع الجواب عن تقريره، ويكون من يوم إلى ثلاثة أيّام، ومرتّبه هو عُشُرُ ضريبة البزْرة التي يستخلصها.[2]

لم يكن القائد حرًّا في تصرفاته، بل كان عليه إشراك المنتخبين في القضايا العامّة، واحترام عرف البلد، والامتثال للقضاء، وعدم التدخل في أمور الشريعة

1- أبو إسحاق اطفيش: المنهاج، 199.
2- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، 113.

وفي تعيين الضمّان. نجد ذلك واضحا في الاتفاق الذي تمّ يوم السبت 22 شعبان 1307هـ/12 أفريل 1890م، بدار عرش بني يزڤن، في الاجتماع الذي ضمّ ضمّان العشائر الخمس عشرة ورئيس الجماعة عيسى بن سليمان، بحضور رئيس محكمة بني يزڤن وبعض الأعيان الآخرين، تحت إشراف كُومَنْدَانْ حاكم دائرة غرداية، حيث حدّدوا صلاحيات القائد وواجباته بما يلي:

- «تقرير قانون بلدهم وتثبيته وإبقائه على حاله الأوّل الذي هو أصل دين الإسلام وهو كتاب الله وسنّة رسوله...
- إبطال كلّ شيء أحدث ممّا يخالف ذلك الأصل عموما وخصوصا، مثل اللهو واللعب من المزامير والطبول والدفوف وآلات الطرب كلّها، وديار القهوات وشرب الخمر والدخان ولعب القمار...
- إنّ رئيس الجماعة السيّد عيسى بن سليمان بن صالح لا يحكم على أحد بشيء ما من الأشياء إلاّ بحضرة المقدمين الثلاثة، ليكون البحث والاستيثاق على أيديهم...
- إنّ الرئيس يكفّ نفسه عن الدخول في أمور الشريعة، وأن يكون مثل غيره من النّاس إذا طُلب للشريعة، يقول سمعا وطاعة...
- إذا مات عضو من أعضاء العشائر (الضمان)، أو سلم في منصبه، أو أخرج منه، فالعشيرة هي التي تجعل من يليق بها...في مكانه، لا غيرهم.
- إنّ الرئيس لا بدّ له أن يخبر الأعضاء بكلّ ما تكاتبه الدولة به، وبما يجاوبها، ليزول الخلاف.
- إنّ الرئيس يحاسب الأعضاء دائما على الداخل والخارج، ليزول الشكّ والرَّيب وتثبت الألفة والمودّة...».

وفيما يلي قواد القرى السبع من ديسمبر 1882م إلى مارس 1959م:

أ- قـــواد غـــرداية :

- باحمد بن عمر بَالُولُّو، عزل عام 1888 إثر خلاف بينه وبين رئيس المكتب العربي، وخلفه خليفته حمو بن الحاج عمر الناصر المتوفى يـــوم 8 جوليـــت 1895. في 14 مارس 1894، طلب بالُولُّو إعادتـــه إلى منـــصب القيـــادة، ورفض الطلب. توفي عام 1900.
- إبراهيم بن عيسى بحاز، عيّن يوم 5 نوفمبر 1895 وتوفي عام 1909.
- إبراهيم بن يحيى مصباح المولود عام 1862، عيّن يوم 20 جوليت 1909.
- صالح بن يحيى البوال الذي عزل في مارس 1921.
- يحيى بن باحمد بالولو المولود عام 1877 أو 1880، عيّن يـــوم 27 أفريـــل 1921 بطلب من أهل البلد. رقي إلى منصب قائد القواد يـــوم 22 مـــاي 1942، وإلى منصب آغا يوم 20 مارس 1944، ثمّ إلى منصب باشاغا يـــوم 20 جوان 1947، وتوفي يوم 26 أوت 1968.
- عيسى بن يحيى بالولو المولود يوم 3 جانفي 1930، عيّن نائب قائد يوم 31 مارس 1950.

ب- قـــواد بني يزقـــن :

- الحاج يوسف بن امحمد السَرَّارْ، انتخب رئيسا لجماعة بني يزقن عـــام 1875م. ألغى العقوبات المالية وعوّضها بالسجن. منع حفـــلات الحمريـــة وحفـــلات إِيكُورَايَنْ التي كانوا يحيونها في بعض أحياء البلدة. عزل مـــن القيـــادة يـــوم 14 جانفي 1889م، وتوفّي يوم 7 ماي 1897 عن عمر يناهز 72 سنة.
- عيسى بن سليمان فضلي المولود عام 1836م، عيّن يـــوم 30 نـــوفمبر 1888م. ونصّب يوم 14 جانفي 1889م. توفي عام 1913 وقـــد عـــيّن رئيسا لبني مزاب.

- سليمان بن عيسى فضلي المولود عام 1876م، خلف أباه بإجماع ســـكان البلدة يوم 21 ماي 1913. سمّي قائد القواد يوم 22 ماي 1930. تـــوفي في 14 ربيع الأوّل 1353هـــ/26 جوان 1934م. في عهـــده، عـــام 1921، تمّ تحويل حجبة العوام (دار حفلات الأعراس) إلى مقربة من الباب الغربي.
- عبد الله بن الحاج حمو تِرِشِينْ المولود عام 1874م، عـــيّن يـــوم 14 أوت 1934م، ونصب يوم 7 أكتوبر 1934. توفي يوم 25 ماي 1955.
- محمّد بن صالح يحيى المولود عام 1908م، عيّن نائب قائد يـــوم 30 جـــوان 1950، ثمّ قائدا يوم 1 فيفري عام 1952م، توفي يوم 13 مارس 1966م.

ج- قـــواد القـــرارة :

- كاسي بن بوهون المولود عام 1837م. لمّا زار باريس أيّام قيادته أعجبت به فرنسية تسمّى ماري فتزوّجها وبنى لها دارا في القرارة فسكنتها مدّة طويلة ثمّ رجعت إلى فرنسا. هدم أبراج السور المحيطة بالقرارة وأخذ ما وجد فيها من الأنقاض والخشب لمنفعته الخاصّة. عزل عام 1915م.
- الناصري بن إبراهيم، خلف عمّه، ثمّ عزل في أكتوبر 1920. اشتهر القائدان المذكوران بالجور والظلم والاختلاس واستغلال السلطة لأكل أموال النّاس ظلما وعدوانا، والتورط في عمليات قطع الطريق والاغتيالات.
- إبراهيم بن يوسف عمارة المولود عام 1868، عيّن يوم 22 فيفري 1921.
- عفاري بن إبراهيم من عفافرة بريان، ولد عام 1885 بالقرارة، نصب يـــوم 29 نوفمبر 1931، سمّي قائد القواد يوم 24 سبتمبر 1943، ثمّ آغا يـــوم 23 جوان 1947 وأخيرا باشاغا يوم 31 مارس 1950.
- دَادَّهْ بن كاسي أولاد بوهون، عيّن قائدا يوم 31 مارس 1950.

د- قـواد بريـان:

- يحي بن عفاري.
- إسماعيل بن صالح، عزل يوم 12 أوت 1907.
- يحي بن حمو باحميدة المولود عام 1856، من 12 أوت 1907 إلى جانفي 1915.
- قاسم بن باحمد قَـلُّو.
- باحمد بن الحاج إبراهيم الداغور، توفي في جوليت 1922.
- سليمان بن باحمد لعساكر المولود عام 1867، عيّن يوم 24 نوفمبر 1922.
- إبراهيم بن سليمان قَلّو، نصب يوم 18 أكتوبر 1929، عزل يوم 13 جانفي 1936، بعد هدم محاريب قبور مزابية قام به إصلاحيون.
- بالحاج بن سليمان بن يحي باعوشي المولود عام 1891، عـزل يـوم 15 سبتمبر 1941، كان أبوه وجدّه قائدين لبريان.
- سليمان بن عمر بودي المولود عام 1891، عيّن يوم 22 أكتوبر 1941. سمّي قائد القواد يوم 23 جوان 1947 وآغا يوم 17 فيفري 1948.
- عمر بن سليمان بودي المولود عام 1916.

هـ- قـواد بونـورة :

- الحاج إبراهيم بن باباعيسى بن حاني، توفي عام 1893.
- الحاج عيسى بن بوهون سعيد، عيّن يوم 1 ديسمبر 1893.
- امحمد بن باعيسى عيسى.
- الحاج حمو بن داود ابن الناصر المولود عام 1853، عيّن يوم 26 جوليت 1909.
- بوحشيش باحمد بن محمّد سالم المولود عام 1871، عيّن يـوم 31 جـانفي 1927، وتوفي يوم 14 جانفي 1947.
- داود بن الحاج حمو ابن الناصر، ولد عام 1901 وعيّن يـوم 24 فيفـري 1947، توفي يوم 22 أوت 1981.

و- قـواد العطـف :

- يوسف بن حَاجُّو، من 1882 إلى 1886.
- حَاجُّو بن يوسف، من 1886 إلى استقالته عام 1893.
- مسعود بن باحريز، من 1 ديسمبر 1893 إلى 1904.
- الحاج إبراهيم بن يوسف بن حَاجُّو، ولد عام 1846، عيّن قائـدا يـوم 4 أوت 1904، عزل عام 1913.
- الحاج بكير بن الحاج إبراهيم دادي حمو، ولد عام 1871، عيّن قائدا يـوم 14 ماي 1913، عزل لأسباب صحية، توفي يوم 26 ديسمبر 1939.
- محمّد بن باحمد بن يوسف أولاد حاجو، ولد عام 1884، عيّن قائدا يوم 24 جوان 1938، نصب يوم 21 جويلية 1938، سمّي قائد القواد يوم 23 جوان 1947، توفي يوم 6 جوان 1955.
- عنتر إبراهيم بن باحمد أولاد حاجو، ولد عام 1905، سمّي قائدا نائب قائد قواد العطف يوم 1 أوت 1950، سمّي قائدا يوم 1 جانفي 1952، توفي يوم 17 أفريل 1963.

ز- قـواد مليـكة :

- صالح بن الحاج عبد الرحمن باعمارة، توفي عام 1907.
- عمر بن الحاج داود دادّي أُوبَكَّهْ المولود عام 1859، عيّن يوم 12 أكتوبر 1907.
- عبد الرحمن بن محمّد فرازي خليلي.
- بكير بن باحمد باعمارة المولود عام 1870، توفي يوم 23 مارس 1922.
- سليمان بن بكير باعمارة المولود عام 1895، عيّن قائـدا يـوم 17 مـاي 1922، وقائد القواد يوم 6 مارس 1939، وآغا يوم 22 ماي 1942، باشاغا يوم 25 مارس 1944. أقام أوّل محرّك لضخّ الماء من البئر، رفقة أحد الآباء

البيض، في واحة ضاية بن ضحوة، عام 1928. أنهيت مهامه لأسباب صحية يوم 31 مارس 1950.

- باحمد بن بكير باعمارة المولود عام 1902 أو 1909، سمي قائدا يوم 31 مارس 1950.

2- القضاء:

في 7 نوفمبر 1882م، صدر أمر من الوالي العام يتضمّن إحداث سبع محاكم إباضية بمدن مزاب، وإنشاء مجلس للاستئناف بغرداية، وفي 1 جانفي 1883، صدر قرار تعيين السادة:

- الحاج الناصر بن الحاج إبراهيم رئيسا لمحكمة بريان.
- الحاج محمّد بن الحاج قاسم رئيسا لمحكمة القرارة.
- باحمد بن الحاج محمّد رئيسا لمحكمة غرداية.
- الحاج احمد بن عيسى رئيسا لمحكمة بني يزڤن.
- الحاج سليمان بن الشيخ عمر رئيسا لمحكمة مليكة.
- الحاج صالح بن الحاج أحمد الداودي رئيسا لمحكمة بونورة.
- سليمان بن حاجو رئيسا لمحكمة العطف.

القطب هو الذي رشّح هؤلاء القضاة للسلطات الفرنسية.

وفيما يلي بعض المعلومات عن القضاة في المحاكم الإباضيّة لمدن مزاب:

أ- قضاة محكمة بني يزڤن:

- الحاج احمد بن عيسى زبار، عُيّن يوم 1 جانفي 1883. فقد بصره في أفريل 1883، وناب عنه باش عدل الحاج عيسى بن الحاج سعيد مصري. توفّي يوم 15 شوال 1307هـ/4 جوان 1890.

- الحاج عيسى بن الحاج سعيد مصري، ولد حوالي 1834. عُيّن قاضيا عام 1884. قُلّد وسام الاحترام يوم 14 جوليت 1911. توفّي يوم 23 شعبان 1339هـ/2 ماي 1921.
- الحاج أحمد بن الحاج حمّو يدّر، ولد عام 1274هـ/1857. قُلّد وسام الاحترام يوم 12 جوليت 1923. سمّي قاضيا شرفيّا يوم 1 جوليت 1927 بعد استقالته يوم 15 أفريل 1927. توفّي في جوان 1939.
- محمّد بن إبراهيم بوفاره، ولد عام 1292هـ/1875. توفّي يوم 12 ذي الحجّة 1360هـ/ 31 ديسمبر 1941.
- حاجّي بن محمّد طلاّي، ولد عام 1297هـ/1880م، وتوفّي يوم الأربعاء 8 ربيع الثاني 1378هـ/22 أكتوبر 1958م.

ب- قضاة محكمة القرارة:

- الحاج محمّد بن الحاج قاسم بن الشيخ بالحاج، عُيّن يوم 1 جانفي 1883. قتل في جوليت 1901.
- باحمد بن الحاج أحمد.
- سليمان بن عبد الرحمن.
- الحاج عمر بن الحاج محمّد.
- صالح بن إبراهيم بن عفّاري.

ألغيت محكمة القرارة يوم 8 ديسمبر 1932.

ج- قضاة محكمة غرداية:

- باحمد بن الحاج محمّد بن دادّي الزعبي، عُيّن يوم 1 جانفي 1883.
- بابكر بن الحاج مسعود بن باحمد، توفّي عام 1325هـ/1907م.
- داود بن الحاج بكير بن إبراهيم، قتل يوم 31 جوليت 1919.

– محمّد بن إبراهيم بوفاره، قلّد وسام الاحترام يوم 26 أفريل 1920.

– بابه بن الحاج داود طبّاخ، عُيّن قاضيا فيها في سبتمبر 1927.

– عمر بن الحاج سليمان باعماره.

– مسعود بن الحاج محمّد بابكر، عُيّن عام 1934.

د– قضاة محكمة برّيان:

– الحاج الناصر بن الحاج إبراهيم الداغور، ولد عام 1265هـ/1849م. عُيّن قاضيا يوم 1 جانفي 1883. استعفى من القضاء عام 1312هـ/1895م. توفّي في تونس عام 1327هـ/1909.

– باسعيد بن موسى بن محمّد.

– سليمان بن حاجّو، توفّي عام 1933 وعمره 85 سنة.

– داود بن إبراهيم بن داود.

– سليمان بن عبد الرحمن.

أضيفت محكمة برّيان إلى محكمة غرداية عام 1929.

هـ– قضاة محكمة العطف:

– سليمان بن حاجّو، عُيّن يوم 1 جانفي 1883.

– الحاج أحمد بن قاسم.

– سليمان بن حاجّو (مرّة أخرى).

– موسى بن بابه بن عيسى.

أضيفت محكمة العطف إلى محكمة بني يزقن يوم 13 نوفمبر 1930.

و– قضاة محكمة مليكة:

– الحاج سليمان بن الشيخ عمر، عُيّن يوم 1 جانفي 1883.

– الحاج أحمد بن داود معيز.

– يحيى بن صالح بن عبد الرحمن باعماره، ولد حوالي 1867/1284. تولّى القضاء عام 1892 إلى أن فقد بصره عام 1928. توفّي يوم 29 ربيع الثاني 1357هـ/28 جوان 1938.

ألحقت محكمة مليكة بمحكمة غرداية يوم 8 أوت 1930.

ز– قضاة محكمة بونورة:

– الحاج صالح بن الحاج أحمد الداودي، ولد عام 1279هـ/1862م. عُيّن يوم 1 جانفي 1883. توفّي عام 1345هـ/1926م.

– الحاج أحمد بن إبراهيم.

أضيفت محكمة بونورة إلى محكمة بني يزقن يوم 8 أوت 1930.

مجلس الاستئناف:

بقرار من الوالي العام مؤرّخ يوم 28 فيفري 1883م، عيّن أعضاء مجلس الاستئناف، وهم:

- الحاج بكير بن إبراهيم من غرداية.
- الحاج محمّد بن يحيى من بني يزقن.
- بايامين بن باباعيسى من مليكة.
- الحاج محمّد بن باباعيسى من بونورة.
- موسى بن كاسي بن مسعود من القرارة.
- الحاج بوكّر بن الحاج قاسم من بريان.
- عمر بن حمو بن باحمد باكلّي من العطف.

وهذا الأخير كان رئيس المجلس.

هذا المجلس سمّي أوّلا مجلس الإعادة، ثمّ المجلس الشوريّ، وكان مقرّه بمسجد الشيخ عمّي سعيد بغرداية، وعرف بمجلس عمّي سعيد.

يبدو أنّ آخر جلسة إعادة له كانت يوم 4 جانفي 1925.

وحصل الاتّفاق على أنّ كلّ نزاع وقع في مزاب بين إباضيين ومالكية، إلاّ ويكون فصله على حسب ما اقتضته القوانين الإباضية، وأنّ الأحكام التي أبرمتها المحاكم الإباضية والمجلس الإباضي في مزاب لا تتعقّب ما عدا أمام محكمة فرنسية.

من جهة أخرى، فإنّه صدر يوم 27 جانفي 1883 مرسوم إنشاء محكمة صلح بغرداية، يتم استئناف أحكامها أمام محكمة البليدة. وبموجب قرار 1 مارس 1883، فإنّ القائد العسكري لدائرة غرداية، يتولّى بصفة مؤقتة، مهام قاضي الصلح في كامل الدائرة.

ونتيجة لمطالبات بدأت عام 1883م، وبفضل مساعي السيّد الحاج صالح بومعقل الغرداوي، فإنّ رئيس الجمهورية الفرنسية كارنو[1] أصدر مرسوما، يوم 29 ديسمبر 1890، يقضي بإنشاء ثلاث محاكم إباضية في كلّ من الجزائر وقسنطينة ومعسكر، للحكم بين المزابيين في قضايا الأحوال الشخصية وتقسيم التركات. ثمّ حوّلت بعد ذلك محكمة معسكر إلى وهران. وتشتمل كلّ محكمة على قاض وباش عدل واحد أو أكثر.

وكلّما كانت بالتل قضية إرثية لمزابي، ودخل فيها فرنسي أو مسلم مالكي أو حنفي إلاّ ويجري فصلها على يد محكمة فرنسية.

وفي 26 فيفري 1891، أنشأ الوالي العام، بمقتضى المادّة الثالثة للمرسوم السابق، محاكم إباضية فرعية بكلّ من قصر البخاري والأصنام (الشلف) وتيارت وباتنة وسوق أهراس، تشتمل كلّ منها على باش عدل واحد وعدلين اثنين.

يقول الشيخ حمو عيسى النوري في هذا الموضوع: «لا تشترط الإدارة أيّ شرط علمي لإسناد خطة القضاء أو العدالة في المحاكم الإباضية، بل تكتفي أن يكون صاحب الخطّة عارفا وذا سيرة حسنة، اشتهر بين أبناء المذهب

1 -CARNOT

الإباضي بالعفّة والاستقامة. وصاحب السلطة في تسمية القضاة ببلاد التل هو مجلس العزابة بغرداية...

والقضاة يتناولون مرتبا قارًّا وأمّا العدول والأعوان يقتسمون مداخيل المحكمة حسب تعريفة خاصّة.

ونظر هؤلاء القضاء قاصر على مسائل الأنكحة والطلاق والمواريث ليس إلاّ، وفضّ مشاكلها بين الإباضيين المستقرين بالأرض المدنية. وللقضاة كذلك حقّ التقديم الشرعي على القاصرين، وإن كان صريح المذهب الإباضي يجعل ذلك الحقّ خاصّا لعشيرة الهالك والموصى عليه.

والعبرة في قسمة المواريث وتقديم الأوصياء إنّما هي بمحلّ وفاة الموروث. فإن مات بغرداية مثلا باشر قاضيها العمل، وإن مات بعمالة الجزائر أو قسنطينة أو وهران باشر قاضي العمالة تصفية حساب التركة...»[1]

وفي سنة 1893م، نظّمت المحاكم الإباضية في مزاب على غرار المحاكم المالكية في الجزائر.

عند الإلحاق، وجّه الوالي العامّ لُويسْ تِيرْمَانْ تعليماته لتطبيق الأمر الصادر يوم 27 أفريل 1848، القاضي بتحرير العبيد. وكان عندئذ عدد الزنوج بغرداية 862، وبمليكة 30، وببني يزقن 411، وببونورة 66، وبالعطف 80، وببرّيان 254، وبالقرارة 130.[2]

عند تحريرهم، لم يغادروا البلد، بل صاروا خدما لمن كانوا تحت ملكهم، وذلك لحسن المعاملة التي كانوا يتمتّعون بها سابقا، ومعظم خدماتهم في الفلاحة وريّ الأجنّة خاصّة. بقيت العلاقة الاجتماعيّة بينهم وبين معتقيهم وطيدة جدًّا، وأصبحوا يتمتّعون بكامل حقوقهم المدنيّة، بما في ذلك التعليم والانتماء لعشيرة ذويهم السابقين، بالمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات.

1- دور الميزابيين، الجزء الأول، 339.

2 - HUGUET (Dr.J): Recherches sur les habitants du M'Zab, 26.

ومع ذلك، فقد حافظوا على الكثير من عوائدهم وتقاليدهم وموسيقاهم ورقصهم، وسُمح لهم بإقامة حفلاتهم في الأعراس وغيرها، بطريقتهم الخاصّة، وبآلاتهم الموسيقيّة كالدندون والقرقابو.

وعند فتح سجّلات الحالة المدنيّة عام 1931، اتّخذ معظمهم لقب أوليائهم.

3- التعليم :

أصدرت السلطات الاستعمارية عام 1892م أمرا يقضي بإنشاء مدارس رسمية في كلّ قرى مزاب وإخضاع التعليم العربي إلى الرخصة، إلاّ ماكان من التعليم الذي في كنف المساجد، فقد كانوا يتحاشون الاحتكاك به، لأنّها مراكز حساسة، تثير حساسية العامّة.

أ- التعليم الإسلامي الحر:

استمرّت المحاضر التابعة للمساجد في مزاب تؤدّي رسالتها، وتلقّن للصبيان القرآن ومبادئ الكتابة والقراءة وعلوم التوحيد والفقه. يتولى التعليم فيها ثلاثة من أعضاء حلقة العزابة، يكونون حافظين للقرآن عالمين بالفرائض الدينية، وليس لمن يقصد المحاضر للتعليم حدّ في السن. وأوقات التعليم فيها بين السحر وطلوع الشمس شتاء، وبين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء.

كما كان المشايخ يدرّسون في حلقات، فنون الشريعة واللغة العربية وغيرهما، للتلاميذ الكبار، إمّا في دور خاصّة، وإمّا في المسجد.

ليس هناك حدّ لسنوات الدراسة، فمن الطلبة من يمكث وقتا قصيرا، ثمّ يغادر المدرسة للاشتغال بالكسب، ومنهم من يطول مكثه حتّى يأخذ حظًّا وافرا من العلوم العالية في أصول الدين وأصول الفقه والتفسير والحديث والمنطق والبلاغة وغير ذلك.

وإليك على سبيل المثال تقريرا في الموضوع، بعث به قاضي بني يزقن، الحاج عيسى بن الحاج سعيد، يوم 25 جوان 1896، إلى الحاكم العسكري بغرداية، ردًّا على أمر منه حول التعليم التابع لمسجد بني يزقن:

1- المدرّس: السيّد الحاج محمّد بن يوسف طفيش.

الأيّام: كلّ يوم ماعدا الخميس والجمعة.

التوقيت: من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس شتاء قدر ساعتين، من صلاة الظهر إلى صلاة العصر صيفا قدر ساعتين.

الفنّ والتلاميذ:

التوحيد والفقه: إسماعيل بن إبراهيم.

تفسير القرآن: عيسى بن الحاج سعيد.

الحديث النبوي: الحاج محمّد بن يحيى

الفقه: الحاج محمّد بن سليمان والحاج محمّد بن الحاج محمّد بن عبد الله.

النحو: الحاج يحيى بن محمّد ويوسف بن الحاج.

2- المدرّس: السيّد محمّد بن عمر بن عيسى.

الأيّام: شهر رمضان فقط.

التوقيت: من صلاة الظهر إلى صلاة العصر قدر ساعتين، ثمّ بعد صلاة العشاء قدر ساعتين كذلك.

الفن: الميراث والحساب.

التلاميذ: عيسى بن عيسى، يوسف بن الحاج يوسف، محمّد بن صالح بن حمو، محمّد بن الحاج إبراهيم، بكير بن داود، بكير بن عدون.

3- المدرّسون: يحيى بن الحاج سليمان، الحاج عيسى بن حمو، الحاج يوسف بن امحمد.

الأيّام: كلّ يوم ما عدا الخميس والجمعة.

التوقيت: من صلاة الظهر إلى صلاة العصر دائما، ومن صلاة المغرب إلى صلاة العشاء شتاء فقط.

الفن: متن القرآن كتابة ودرسا.

التلاميذ: من ستين إلى خمسة وسبعين تقريبا صيفا، ومن تسعين إلى مائة وعشرين تقريبا شتاء.

ظلّت مدينة بني يزقن، منذ انبعاث النهضة العلمية على يد الشيخ أبي زكرياء يحيى بن صالح، في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، المركز الثقافي للوادي، وقبلة الطلبة. نلمس تعميم التعليم الديني ببني يزقن من خلال تقريرين، بعث بهما القائد إلى الحاكم العسكري، يحصيان الأساتذة والطلبة.

1- إحصاء الطلبة في نوفمبر 1902:

فقهاء المحاضر الثلاث التابعة للمسجد هم:

- الطالب الحاج يوسف بن امحمد، عدد تلاميذه 30.
- الطالب محمّد بن عيسى بن يحيى، عدد تلاميذه 25.
- الطالب سليمان بن حمو، عدد تلاميذه 24.
- الشيخ الحاج محمّد طفيش، يدرس جميع الفنون وعدد طلبته 40.

المدرّسون للقرآن في الديار هم:

- داود بن الحاج، عدد طلبته 20.
- يحيى بن سليمان، عدد طلبته 18.
- بكير بن سليمان بن عيسى البليدي، عدد طلبته 12.
- الحاج إبراهيم بن مسعود بوسريح، عدد طلبته 12.
- الحاج إبراهيم بن محمّد بن ادريسو، عدد طلبته 10.
- الحاج موسى بن عمر، عدد طلبته 6.

2- إحصاء المحاضر يوم 20 سبتمبر 1907م:

المكان	عدد التلاميذ	التاريخ	الفنون	الطالب	عمره
محضرة	30	من قديم الزمان	القرآن	محمد بن عيسى	46 سنة
محضرة	27	من قديم الزمان	القرآن	سليمان بن حمو	72 سنة
محضرة	25	من قديم الزمان	القرآن	الحاج محمد بن سليمان	62 سنة
دار	10	من 1895	القرآن	الحاج موسى بن عمر	70 سنة
دار	30	من 1897	القرآن	الحاج إبراهيم بن محمد ابن ادريسو	40 سنة
دار	20	من 1899	القرآن	الحاج إسماعيل زرڤون	35 سنة
دار	40	من 1837	جميع الفنون	الشيخ طفيش	92 سنة
دار	20	من 1867	جميع الفنون	الحاج سليمان بن محمد ابن ادريسو (إرث من أبيه)	52 سنة
دار	15	من 1892	جميع الفنون	الحاج صالح بن عمر لَعْلِي	41 سنة

ب- التعليم الرسمي الفرنسي:

بنيت مدرسة غرداية الفرنسية من 1886 إلى 1889م. وطبقا لأمر 1892م، فقد فتحت مدرسة العطف، ودرّس فيها أوّل معلم مزابي باللغة الفرنسية عمر بن باحمد بالُولُّو، من 1892 إلى 1900، وفتحت المدرسة الرسمية ببني يزقن أبوابها يوم 15 أكتوبر 1892م.

كان الأطفال البالغون سنّ الدراسة يجبرون عليها قهرا وكان أولياؤهم يشتكون من هذا التصرّف، ويحاولون تهريب أولادهم من مزاب. ولضمان سير هذه المدارس فإنّ السلطات الفرنسية بغرداية كانت لا تسمح لتلميذ من مغادرة المنطقة إلاّ برخصة.

وكانت السلطة الفرنسية تأمر كلّ رئيس عشيرة أن يرافق إلى المدرسة بنفسه، يوم الدخول المدرسي، تلاميذ العشيرة المسجلين لذلك الموسم.

إحصاء التلاميذ في المدارس الرسميّة عام 1906:

البلدة	التلاميذ المسلمون	الإسرائيليون	الفرنسيون	المجموع
غرداية	64	109	2	175
العطف	45	0	0	45
مليكة	30	0	0	30
بني يزڤن	50	0	0	50
القرارة	40	0	0	40
بريان	40	0	0	40
مزاب	269	109	2	380

ظلّ بنو مزاب يقاطعون التعليم الفرنسي ويعتبرون أنّ المدارس الفرنسية أنشئت قصد نشر الكفر ومحاربة الإسلام، وأنّ مهمّتها القيام بالغزو الفكري لأبناء المنطقة، وسلخ المجتمع تدريجيا من مقوماته الحضارية. لذلك نلاحظ أنّ عدد التلاميذ في مدرسة بني يزڤن، مثلا، يستقر حول الخمسين في السنوات: 1908 و1909 و1910، بينما كان عدد الذكور فقط، الذين تتراوح أعمارهم بين ستّ سنوات وثلاث عشرة سنة، 480 طفلا، يوم 12 أكتوبر 1906.

إلى جانب مدارس التعليم العام، فإنّه أنشئت عام 1896م، مدرسة للتعليم المهني بغرداية، تدرس فيها النجارة. ثمّ أضيف إليها سنة 1909م النقش على النحاس.

ج- مدارس الآباء والأخوات البيض:

هي مؤسّسات تبشيرية مسيحية، أنشأها الكردينال لاَفِيجْرِي[1] بالجزائر العاصمة عام 1868م. أوّل ما دخل الآباء البيض إلى المنطقة سنة 1872، وكان مقرّهم في أوّل الأمر في متليلي التي استقرّوا بها يوم 3 مارس 1883، ثمّ تحوّلوا منها إلى غرداية يوم 15 جانفي 1884م، أين اكتروا منزلا بالحيّ اليهوديّ، ونقلوا مدرستهم إلى حيّ باب الراعي سنة 1887. ثمّ نقلوا مقرّهم نهائيّا من الحيّ اليهوديّ إلى حيّ الحفرة وسط غرداية، في أفريل 1904.

لقد وقف الشيخ القطب طفيش موقفا معارضا جريئا ضدّ حركة التبشير، وقاد المقاومة ضدّ الجنرال دوسونيس، عندما اكترى الآباء البيض دارا في بني يزڤن، فأمر بسدّ بابها إن هم باتوا فيها[2]. نفس الموقف تبنّته جماعة الضمان لبني يزڤن، يوم 10 جانفي 1914م.

في أكتوبر 1896، نجد الأب قْريزي[3] يشتكي من مغادرة التلاميذ لمدرسته والتحاقهم بالمدرسة البلدية.

وفي 1893، أنشئ المشغل الأهلي لغرداية تديره الأخوات البيض. كان يستقبل حوالي أربعين فتاة، أغلبهنّ من المذابيح، يتعلّمن الخياطة والغزل والنسج.

4- الأوقـــاف :

الأوقاف في مزاب نوعان من حيث حقيقتها. النوع الأوّل وقف مؤبّد لوجه الله، لأصل من الأصول، مثل أرض أو منزل أو بستان أو نخلة أو مرحاض أو جابية أو بئر، بحيث لا يجوز بيعه أو هبته أو إرثه، أو منتقل من المنتقلات، مثل القدور والمكاييل والكتب.

1 -CHARLES LAVIGERIE (1825-1892).
2 -A.M. GOICHON : La Vie Féminine au M'Zab, Tome II, 8.
3-GRISEY

النوع الثاني يسمّى تُنوبَا (جمعها تِنُوبَاوِينْ)، لا يمنع التصرّف في الأصل، ببيع أو هبة أو إرث، ولكنّه يشترط على المالك أن يدفع إلى جهة معيّنة، بصفة مؤبدة، كمية معيّنة من المواد الغذائية، أو مواد الإنارة، أو أن يقوم بخدمات معيّنة للصالح العام.

الهدف من كلّ هذه الأوقاف هو خدمة الصالح العام، ومساعدة الفقراء وتشجيع المتعلّمين، وخاصّة منهم حفظة القرآن.

من جهة ثانية فإنّ لتنفيذ هذه الأوقاف طريقتين. هناك عدد من الأوقاف ينفذها العامّة مباشرة، كتوزيع ماء الشرب في بعض الديار، وإنارة الطرقات، وتوزيع بعض المواد الغذائية، وصيانة آبار البلدة وتجهيزها، وصيانة سواقي الغدير في الواحة.

الطريق الثاني هو تقييد الوقف بالمسجد، فيتولّى الوكيل أو الوكيلان في حلقة العزابة تنفيذه في المسجد، أو في محاضر تعليم الصبيان التابعة للمسجد، أو في المقابر، أو في أماكن خاصّة أخرى. ما ينفذ في المسجد يكون في صيانته وتأثيثه وإنارته وإحضار ماء الشرب وماء الميضأة، وبتوزيع الصدقات على الطلبة والعامّة من عمّار المسجد، في أوقات معيّنة من اليوم والليلة، وفي أيّام معلومة من السنة.

هذه الصدقات يمكن أن تكون تمرا أو خبزا أو كسكسا بالسمن وباللحم أو بدونه.

الوجوه التي تنفق فيها هذه الأوقاف تسمّى وظائف. وفيما يلي، وعلى سبيل المثال، وظائف مسجد بني يزڤن في هذه الفترة، وعددها خمسة وأربعون:

الأوّل : وظيف العزابة
الثاني : وظيف التلاميذ (إرْوَانْ)
الثالث : وظيف أطفال المحاضر
الرابع : وظيف ليلة الجمعة بعد المغرب
الخامس : وظيف الزيت للإنارة
السادس : وظيف الحطب لتسخين ماء الميضأة

السابع : وظيف حلقة العلم
الثامن : وظيف فطور الصائمين
التاسع : وظيف سحورهم
العاشر : وظيف نوبة العزابة (في رمضان)
الحادي عشر : وظيف بئر المسجد
الثاني عشر : وظيف الماء العذب
الثالث عشر : وظيف ليلة الجمعة بعد العتمة
الرابع عشر : وظيف ختمة القرآن
الخامس عشر : وظيف ختمة الجمعة
السادس عشر : وظيف عشية الخميس
السابع عشر : وظيف مجلس الصيف سحرا
الثامن عشر : وظيف بعد الفجر
التاسع عشر : وظيف الشيخ الحاج يوسف بن حمّو بين المغرب والعشاء صيفا من 7 ماي إلى 6 سبتمبر.
العشرون : وظيف الضيف
الحادي والعشرون : وظيف السد
الثاني والعشرون : وظيف ماء الوضوء
الثالث والعشرون : وظيف بنيان المسجد
الرابع والعشرون : وظيف أباريق المقابر
الخامس والعشرون : وظيف قراءة سورة الأنعام (صيفا)
السادس والعشرون : وظيف باعبد العظيم يوم الزيارة
السابع والعشرون : وظيف الشيخ بالحاج يوم الزيارة
الثامن والعشرون : وظيف الزيارة في القيلولة
التاسع والعشرون : وظيف مقبرة باحمد
الثلاثون : وظيف مقبرة حمو أُو يوسف
الحادي والثلاثون : وظيف مقبرة باسَّهْ أُو فْضَل

الثاني والثلاثون : وظيف مقبرة الشيخ الحاج محمد بن سعيد (الشيخ بالحاج)
الثالث والثلاثون : وظيف اليوم الثالث من رمضان (أيوب بن حمّو)
الرابع والثلاثون : وظيف اليوم الخامس عشر منه
الخامس والثلاثون : وظيف اليوم السابع والعشرين منه (في المغرب ووراء العتمة)
السادس والثلاثون : وظيف جُمَعِ رمضان (الحاج موسى بن كاسي)
السابع والثلاثون : وظيف نوبة رجب
الثامن والثلاثون : وظيف مسح الميضأة وطوب الاستجمار
التاسع والثلاثون : وظيف بوجديرة
الأربعون : وظيف أبي العباس الوليلي
الحادي والأربعون : وظيف التيوس
الثاني والأربعون : وظيف وَقْدَاشْ
الثالث والأربعون : وظيف الحصائر
الرابع والأربعون : وظيف المقمع
الخامس والأربعون : وظيف الخزانة.

يمكن إضافة عدد من الوظائف بناء على وثيقة حرّرها محمّد بن إسماعيل:

- وظيف : صالح بن يحيى
- وظيف : قناديل المسجد
- وظيف : فتايل المسجد
- وظيف : شمع المسجد
- وظيف : فطرة العيد
- وظيف : ليلة عاشوراء
- وظيف : ليلة الفطر من رمضان
- وظيف : ليلة الأضحى
- وظيف : ليلة النصف من شعبان
- وظيف : ليلة السابع والعشرين من رجب
- وظيف : ليلة المولد النبويّ.

طبقا لقرار القائد الأعلى لجيش إفريقيا[1] الصادر يوم 7 ديسمبر 1830، والمؤيّد بقرارين صدرا يوم 23 مارس 1843 و3 أكتوبر 1848، والمادّة الرابعة لقانون 16 جوان 1851، ضبطت كافة الأوقاف الإسلامية التي كانت تقوم بحياة المسجد ورجال الدين في القضاء الإسلامي، وأدخلت ضمن أملاك الدولة الفرنسية، ووزّعت الأرض على الاستعمار. فلم تبق بأرض الجزائر من أوقاف عامّة إسلامية إلاّ ببلاد مزاب وحدها.

إلاّ أنّ ذلك لم يمنع الحاكم العسكري بالأغواط من توجيه أمر إلى المسؤولين بمزاب لتسجيل الأوقاف، فأحدث ذلك استياء وقلقا بين بني مزاب، فانتدبوا من مدينة بني يزقن السيّد الحاج إبراهيم بن أيوب بليدي، فذهب إلى رئيس الملحقة بغرداية وقال له: «إن كنتم تقصدون ما يطلق عليه اسم الأوقاف من عمارات وحمامات وضيعات ومئات الهكتارات من الأراضي المنتجة فذلك ما لا وجود له عندنا. وكلّ ما نملكه ونطلق عليه اسم الوقف هو ماء عذب وعرجون تمر في نخلة كذا، وطعام من قمح يصنع كسكسا بالسمن» فقال له رئيس الملحقة: «اكتب بهذا إلى الكومندان بالأغواط ليقتنع»[2].

يبدو أنّ الكومندان أصرّ على الحصول على إحصاء الأحباس بالمساجد والمقابر المزابية، لمجرّد الاطّلاع، فكان كالتالي[3]:

---

1 - COMTE BERTRAND CLAUSEL

2- حمو عيسى النوري: دور الميزابيين، الجزء الأول، 283.

3 -M. MERCIER : Etude sur le Waqf Ibadite et ses Applications au M'Zab, 114.

اسم البلدة	عدد النّخيل	عدد العراجين	كمّية البّر بالحثية[1]	كمّية السّمن بالكيلوغرام	كمّية اللّحم بالشّاة
برّيان	500	2000	500	250	120
غرداية	4000	8000	[2]1352	1404	307
مليكة	2000	4000	930	465	221
بني يزڤن	800	1500	3200	1830	1120
بونوره	200	1500	60	25	10
العطف	800	1500	960	450	327
القرارة	2000	6000	1100	500	200
المجاميع	10300	24500	8102	4924	2305

5- إحصاءات السكّان :

أ- أوّل إحصاء بعد الإلحاق عام 1883م[3]:

البلدة	إباضي	مالكي	يهودي	المجموع
غرداية	13275	316	422	14013
مليكة	1850			1850
بني يزڤن	5106			5106
بونورة	1256			1256
العطف	1750			1750
بريان	4694	185	186	5065
القرارة	3070	297	130	3497
مزاب	31001	798	738	32537

1- الحثية تساوي عشرة لترات تقريبا.

2- تفصيله 1225 حثية مصنوعة كسكسا و127 حثية مصنوعة خبزا.

3- C.AMAT : Le M'Zab et les M'Zabites, 225

ب- إحصاء 29 مارس 1896[1]:

البلدة	إباضي	مالكي	يهودي	المجموع
غرداية	6093	1380	841	8314
مليكة	2017			2017
بني يزڤن	5105	100		5205
بونورة	1010			1010
العطف	2346			2346
بريان	2245	795		3040
القرارة	2408	880	34	3322
مزاب	21224	3155	875	25254

مجموع سكّان مزاب ينقسم إلى 8776 رجلا و8070 امرأة و4934 طفلا و3474 بنتا.

في هذا الإحصاء كان عدد بني مزاب في متليلي 231، والعدد الإجمالي لسكان قصر متليلي 1425.

جـ- إحصاء عام 1911:

غرداية	مليكة	العطف	بريان	بني يزڤن	القرارة	بونورة	مزاب
10.026	1.968	2513	3.642	5.584	5.553	1.200	30.486

6- الفلاحة والرّي :

في هذه الفترة تمّت إقامة أربعة سدود جديدة على وادي مزاب:

- سد في غرداية عام 1883.
- سد في مليكة بين 1887 و1889.
- سد في بونوره بين 1887 و1889.
- السّد الجديد في غرداية عام 1897، على بعد كيلومترين شمال البلدة، سمك قاعدته ثمانية أمتار.

1 - Les Cahiers d'Outre-Mer n°89,54.

أمّا أهل القرارة، فقد أقاموا عام 1909 سدًّا بين وادي زَقْرِيرْ وضاية تْلَمَّزْ أمَانْ، التي كانت تبتلع مياه الوادي.

لمّا زار الوالي العام تِيرْمَانْ مزاب في شهر فيفري 1884، طلب منه بنو مزاب حفر آبار أرتوازية (نسبة إلى منطقة فرنسية اسمها أَرْتْوَا).

أوّل من حاول نزح الماء من طبقة الماء الألبية، أي طبقة القاري المدرج، اليزقني زكري بن أيوب بليدي، الذي قام بحفر بئر في إِنْغِيدْ، بالطّريقة التّقليدية، بلغ عمقها مائة وثمانية أمتار. وقع ذلك عام 1875 أو 1878.

وفي 8 جانفي 1897، شرع المقاول بولان[1] في حفر بئر في ختالة، بالوسائل الحديثة، تواصل إلى غاية أفريل 1899، حيث بلغ عمقها 307 أمتار، دون جدوى.

أوّل إحصاء بعد الإلحـــاق[2]:

البلدة	النّخيل	الآبار الحيّة	الآبار النّاضبة
غرداية	64074	1240	275
مليكة	2865	173	23
بني يزقن	25875	417	124
بونوره	9954	248	
العطف	16483	343	90
بريان	27855	274	
القرارة	28000	280	
مزاب	175106	2975	512

1- ARRAULT POULIN.

2- ROBIN : Le M'Zab et son Annexion à la France, 19.

فيما يلي معدّل ما كان يملكه كلّ فرد من النّخيل، مباشرة بعد الإلحاق:

البلدة	عدد النخيل للفرد الواحد
غرداية	4,5
مليكة	1,5
بني يزقن	5
بونوره	7,9
العطف	9,4
بريان	5,5
القرارة	8
مزاب	5,4

يوجد بمزاب ما يقرب من مائة صنف من أصناف النّخيل، سبعة عشر منها تغطّي حوالي 90% من واحات مزاب. فيما يلي هذه الأصناف الأكثر انتشارا مع خصائصها[1]:

1- Bulletin d'Agronomie Saharienne vol I n°3 juin 1975, 45.

الصّنف	لون التمرة التاضجة	صلابتها	شكلها	جودتها	موعد نضجها
دقلة نور	أصفر	نصف رطبة	متطاول	جيّدة جدّا	أكتوبر- نوفمبر
تْدَالتْ	أسمر	يابسة	متطاول	متوسّطة	أكتوبر
تَازرزَايْتْ	أسمر	نصف رطبة	متطاول	جيّدة	أكتوبر- نوفمبر
إِغَسْ أَوتَشِيضَنْ	أسمر	رطبة	متطاول	جيّدة	سبتمبر - أكتوبر
تَمْجُوهَرتْ	أسود	رطبة	متطاول	متوسّطة	أكتوبر- نوفمبر
أُوتَقْبَالَه	أسمر	رطبة	متطاول	جيّدة	أكتوبر
تَفْتِيزِوِينْ	أصفر	نصف رطبة	متطاول	جيّدة	أكتوبر- نوفمبر
أَكْسَبَّهْ	أصفر	نصف رطبة	مستدير	متوسّطة	أكتوبر- نوفمبر
تَمَزْوَارْتْ نَتْلاَتْ	أسمر	نصف رطبة	متطاول	متوسّطة	أكتوبر- نوفمبر
تَزُقَّغْتْ	أسود	نصف رطبة	متطاول	متوسّطة	سبتمبر- أكتوبر
تَاوْرَغْتْ	أصفر	رطبة	متطاول	متوسّطة	سبتمبر- نوفمبر
أُوعْرُوسْ	أحمر	يابسة	متطاول	جيّدة	أكتوبر- نوفمبر
تَكَرْبُوشْتْ	أسمر	نصف رطبة	مستدير	متوسّطة	أكتوبر- نوفمبر
تَزِيزَاوْتْ	أسمر	رطبة	متطاول	متوسّطة	أكتوبر- نوفمبر
ثْوَاجَّتْ	أحمر	نصف رطبة	متطاول	متوسّطة	أكتوبر- نوفمبر
لِيتِيمْ	أسمر	نصف رطبة	متطاول	متوسّطة	أكتوبر- نوفمبر
أُوعُوشَتْ	أسمر	رطبة	متطاول	متوسّطة	أكتوبر- نوفمبر

وهذا إحصاء النّخيل والآبار بشيء من التّفصيل، وقع عام 1902[1]:

البلدة	النّخيل	عدد الآبار			
		التي لا تنضب	التي تنضب وقت الجفاف	التّاضبة	لَوْرَاوَرْ
غرداية	60591	500	900	300	19
مليكة	4082	132	115	37	2
بني يزقن	26084	178	178	25	5
بونوره	9600	80	75	145	1
العطف	14479	200	65	240	2
بريان	25775	235	35	10	
القرارة	25700	350	240	60	
المجاميع	166261	1675	1608	817	29

وأخيرا هذا إحصاء الحيوان بمزاب عام 1896[2]:

عدد البعير: 675، الضّأن: 1265، المعز: 2840، الخيل: 25.

7- مواصلة تأييد المقاومة ضدّ الاستعمار :

كان قادة الثّورة من رؤساء أولاد سيدي الشيخ يعتمدون على الشيخ الحاج عمر بن حمو باكلّي، شيخ عشيرة أولاد عبد الله بالعطف، اعتمادا كليا، في تدعيم الثورة ماديا وأدبيا، وإمدادها بالعتاد والذّخيرة. وكان مترله مثابة لرؤسائهم، بين سمع السّلطة الفرنسية وبصرها (1881-1904). أحكم الشّيخ الحاج عمر الصّلة بالجنوب التّونسي، فكان يستورد من قابس على طريق

1 -E. FELIN : Etude sur la Législation des Eaux dans la Chebka du M'Zab, 136.

2 - C. AMAT : Le M'Zab et les M'Zabites, 231.

الصّحراء السّلاح والذّخيرة، يمدّ بها حركة الثورة، على أنّ حركة الإمداد لم ينفرد بها وحده، بل هناك في مختلف قرى الوادي أفراد يقومون بنفس المهمّة[1].

من جهة أخرى، فإنّ القطب طفيش دعا المزابيين لإعانة اللّيبيين في حربهم ضدّ الإيطاليين، إعانة ماديّة وعسكرية، سنوات 1911-1913، وكان قائد القوّات اللّيبية العثمانية تلميذه الشيخ سليمان الباروني.

وكان ممّن لبّى النّداء وأبلى بلاء حسنا في تلك الحروب بين إيطاليا وتركيا، السيّد يحى بن قاسم باعامر من مليكة، الذي قام بتموين الجيش العثماني بالذّخائر والمعدّات من تونس، وفتحت له تركيا بها أبواب المصارف لدفع ما يحتاجه للتّموين[2].

ومن جملة من تطوّع في صفوف المقاومين المسمّى بوذراعو.

8- المشاكل الدّاخليـة :

في عام 1890، سعى قائد بني يزڤن عيسى بن سليمان إلى ضمان الأغلبية لعرشه أولاد عنان في الجماعة، فبعث كلّ من العشائر: أولاد بامحمّد، أولاد خالد، أولاد عدّون بن عيسى وأولاد افضل، رسالة إلى الحاكم العسكريّ بدائرة غرداية، تطالب فيها برفع عدد تمثيلها في الجماعة، وذلك بتقسيمها إلى عدد من الفرق، بتاريخ 13 أكتوبر 1890. يوم 20 نوفمبر 1890، صدر قرار من الوالي العامّ باعتقال خمسة أشخاص من بني يزڤن، بمدينة تبسّة، بتهمة إثارة الأحقاد بين المواطنين، اثنان من أولاد باكلي: محمّد بن عبد الله ويحى بن الحاج الناصر، اثنان من أولاد وينتن: موسى بن الحاج أحمد وعيسى بن إبراهيم العجّال، والخامس من أولاد قاسم بن اعمر: محمّد بن داود، كانوا يتزعّمون المعارضة ضدّ القائد.

1- حمو عيسى التّوري: دور الميزابيين، الجزء الأوّل، 288-291.
2- نفس المصدر، 322.

وقرّر الجنرال بْوَازَا من جهته إقالة ستّة أعضاء من الجماعة، وحظر انتخابهم مرّة أخرى، مع غرامة لكلّ واحد منهم تساوي مائتي فرنكا. وراسل بهذه القرارات الحاكم العسكريّ بدائرة غرداية يوم 8 ديسمبر 1890. هؤلاء المقالون هم: سليمان بن داود من أولاد باسه بن صالح، والحاج عيسى بن قاسم من أولاد قاسم أُوعمر، والحاج عبد الله بن موسى من أولاد أبي هريرة، والحاج محمّد بن صالح من أولاد دودو، وإبراهيم بن باحمد من أولاد عدون أُو إبراهيم، وموسى بن الحاج أحمد من أولاد وينـــتن.

وفي 24 ديسمبر 1890، استدعى الحاكم العسكريّ لدائرة غرداية جماعة بني يزڤن، وأعلن عن رفع عدد أعضاء ممثّلي عرش أولاد عنان في الجماعة إلى اثني عشر، وأمر بإجراء انتخاب الأعضاء الجدد في الجماعة وتعويض المقالين من مناصبهم، ثمّ ألقى القبض على من صدر في حقّهم قرار الاعتقال وأرسلهم إلى تبسّة صباح يوم 1 جانفي 1891، على مرأى من جماعات مدن مزاب التي قصدت البرج لتهنئته بحلول العام الجديد[1].

وفي 20 جويلية 1895، سجن بتَاعَضْميت[2] لمدّة خمسة عشر شهرا، بتهمة التّحريض ضدّ قائد غرداية، السادة باحمد بن عمر بالولو، وعيسى بن يحيى، وقاسم بن إبراهيم مصباح، وعبد الله بن عيسى بن دَادِّي، ويوسف بن إبراهيم بشيش، وإبراهيم بن دواد بن سعيد، والحاج صالح بن محمّد شقبقب، وبكير بن سعيد الخبيتي، وكلّهم من أولاد عمّي عيسى بغرداية.

أمّا في 12 سبتمبر 1895، فقد سيق إلى تاعضميت أحمد بن عمر شرع الله، وأحمد بن الحاج بكير شرع الله من مليكة مع سعيد بن يحى بولعناق.

1- مصطفى بن الحاج بكير حمودة: من تاريخ جماعة بني يزڤن (الضمّان)، 16-17.
2- سجن تاعضميت يقع بوادي تاعضميت شمال الأغواط على بعد أربعة عشر كيلو مترا مـــن الطريـــق الرّابط بينها والجلفة.

ثمّ في 8 أفريل 1896، سجن كذلك بتاعضميت إبراهيم بن بكير المعراض، والحاج إبواهيم بن سليمان الميت، وأطلق سراحهما يوم 3 جويلية 1897.

وفي سنة 1904، سجن بها إبراهيم بن سليمان سِيوْسِيو، وإبراهيم بن بكير المعراض، وباحمد بن يوسف سِيوْسِيوْ، والحاج إبراهيم بن الحاج سليمان الميت، بتهمة الشّغب ونشر أخبار كاذبة.

وفي 1906، أعلن العزّابة براءتهم من قائد غرداية إبراهيم بن عيسى بحاز، لاحتفاله بالموسيقى، حين شرّفته السّلطات الفرنسية بوسام جوقة الشّرف.

وفي نفس السّنة 1906م/1324هـ، سجن سبعة من كبار عزّابة القرارة في تاعضميت، بسبب براءتهم من القائد كاسي بن بوهون، الذي ارتكب مناكر في عرس أبناء أخيه، فاستنجد هذا القائد بالحاكم العسكري فأدخلهم السّجن. وكان رئيسهم آنذاك الشّيخ الحاج إبراهيم بن يحيى. وثارت القرارة لاعتقال العزّابة وتظاهرت وأغلقوا المسجد احتجاجا، وأرغموا الحكام العسكريين على إطلاق سراحهم بعد ثلاثة أشهر من الاعتقال، فعادوا إلى جهادهم[1].

وفي نفس السّنة 1906، بنى أهل الفساد، بزعامة القائد كاسي بن بوهون، دارا فسيحة للبغاء في القرارة، في طابقين، بها مقهى للقمار واللّيالي الرّاقصة، لاستقبال زرافات كثيرة من الفاسدات، أقبلن على القرارة للارتزاق. كانت هذه الدّار بجانب السّوق قريبة من حارة اليهود. فلمّا عظمت البلية، فكّر أهل الصّلاح، وعلى رأسهم مجلس العزّابة، وشكّلوا وفدا يذهب إلى الجزائر، ليقوم بالمساعي لدى الولاية العامّة. فاتّصلوا ببعض الشّخصيات التي لها نفوذ وكلمة مسموعة لدى الولاية العامّة، ومن أبرزهم السيّد عبد الله بن الحاج صالح بليدي بوكامل، وطلبوا من الوالي العام أن يأمر بإغلاق هذه الدّار، فقبل،

1- محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة، الجزء الثاني، 195.

فأغلقت الدّار، وأخرجت المومسات جبرا من القرارة، فاشترت الدّار جماعة البلدة، بتبرّعات المحسنين، فهدمتها في الحال، وذلك عام 1326هـ/1908م.

في السّنوات 1908-1910م، حدثت بلبلة، عندما أوجب الشّيخ طفيش، في أحد دروسه بالمسجد، الصّلاة على رسول الله، كلّما ذكر في تلاوة القرآن. وقعت بذلك مشاغبات خطيرة في الغطف وبني يزقن، بين المؤيّدين والمعارضين لزيادة التّصلية في القرآن. تدخّل عندئذ الكُومَنْدَانْ كُوتْ،[1] وأمر يوم 30 جوليت 1910، أعضاء المجلس الشوريّ، برئاسة قاضي محكمة بني يزقن الحاج عيسى بن الحاج سعيد مصري أن يجتمعوا في مسجد عمّي سعيد، لدراسة فتوى الشّيخ طفيّش، والإدلاء برأيهم فيها. اجتمع أعضاء المجلس يوم 24 رجب 1328هـ/31 جوليت 1910م، باستثناء قاضي القرارة، وكان رأيهم أنّ فتوى الشيخ طفيش جانبت الصواب، فأصدر الكومندان قرارا إلى كافة القضاة والقواد وشيوخ المساجد الإباضية، بعدم الوقف عند ذكر النّبي في تلاوة القرآن، بالأماكن العمومية، والسّماح بالصّلاة عليه في كلّ مناسبة أخرى، وذلك لحفظ الأمن.

9- شخصيات من هذه الفترة :

أ- الشّيخ الحاج أحمد بن داود معيز:

ولد بمليكة. هو حفيد الشّيخ باعمور بن الحاج أحمد. كان عالما ومنجما. صنع بيده ساعة زمنية، وكان أستاذ القطب في علم الفلك والتّنجيم، وذلك في نهاية القرن الثّاني عشر الهجري.

تولّى القضاء بمليكة.

نقل بعض اتّفاقات مجلس وادي مزاب عام 1322هـ/1904م.

1- Cotte.

ب- الشّيخ الحاج بابكر بن الحاج مسعود:

ولد بغرداية. حظي بترشيحه شيخا وإماما وقاضيا مدّة أربعين عاما. تخرّج عليه الشّيخ الحاج عمر بن يحيى القراري. شغل منصب القضاء بمدينة معسكر لمدّة سنين، وينوبه بها الطّالب إبراهيم المعروف بالقاضي داود، ثمّ انتقلا معا إلى غرداية. فلمّا أرادت فرنسا فصل القضاء عن المساجد اعتزل الوظيف.

من أجل مواقفه النّاصعة ودروسه الجريئة في الحقّ كثر حسّاده، وتعرّض للنّفي إلى مدينة بونورة نحو عامين أو ثلاثة، كما تعرّض لمحاولة القتل ثلاث مرّات على الأقل.

توفّي سنة 1907[1].

ج- الشّيخ الحاج عبد الرّحمن بن عمر نوح:

ولد ببني يزقن. برع في علمي الحساب والميراث. قرأهما على الشّيخ الحاج صالح بن إبراهيم مفنون. قذفت به أمواج الحوادث إلى الحج فإلى عمان لغرض التدريس.

توفّي في عمان، في شهر ربيع الثاني من سنة 1335هـ.

د- قطب الأئمّة الشّيخ امحمّد بن الحاج يوسف طْفَيَّشْ:

ولد بغرداية عام 1236هـ/1821م. أمّه مامه ستّي بنت الحاج سعيد بن عدّون. توفّي أبوه وتركه ابن خمس سنوات.

أخذ جلّ علومه عن أخيه الأكبر إبراهيم، عندما عاد من عمان ومصر، حيث كان يتلقّى العلم، ثمّ شمّر عن ساعديه واعتمد على نفسه في طلب العلوم، فأقبل على المكتبات يلتهم المعرفة من بطونها. ومن حسن حظّه أن دعاه نجل الشّيخ عبد العزيز الثّميني وفتح له خزانة والده، وفتحت له زوجه مريم بنت الحاج محمّد بن عيسى زبار الخزانة التي ورثتها عن أبيها وكان عالما. وهكذا

1- حمّو عيسى النّوري: دور الميزابيين، الجزء الأوّل، 70.

وجد الشّيخ طفيّش نفسه أمام عدد من خزائن الكتب، فلم تتق نفسه إلى الرّحيل إلى خارج الوطن طلبا للعلم، مكتفيا بما حوله.

من أزواجه السيّدة مريم بنت الحاج محمّد زبار الآنفة الذّكر، والسيّدة مامه بنت عدّون زكرياء التي أخذت عنه كثيرا من العلوم، وعائشة بنت محمّد بن صالح.

فتح داره للتّدريس عام 1253هـ/1837م، ودخل حلقة العزّابة غاسلا للأموات، في زمن الشّيخ الحاج سليمان بن عيسى.

نفي إلى بونورة عام 1278هـ، ومكث بها حوالي عشر سنوات، ألّف فيها كتبا كثيرة، وتخرّج عليه في الفقه بها كثير من الطّلبة، ومنهم الشّيخ الحاج صالح بن الحاج أحمد الداودي، ثمّ عاد إلى بلدته.

فترةَ إقامته ببونورة، رغّبه جلّ مشايخ القرى الخمس في أن يجتمعوا إليه في كلّ غدوة بغار بجبل أبي العبّاس، ليدرّسهم. وكان يأتي من بونورة هو وتلميذه الشيخ محمّد بن سليمان ابن ادريسو والشيخ سعيد بن يوسف وينتن اللذان نفيا إليها أيضا من بني يزقن. ويأتي إليه من بني يزقن أخوه الحاج إبراهيم، ومن مليكة الشيخ عمر بن سليمان نوح الذي نفي إليها من بني يزقن، ويأتيه من غرداية الشيخ بابا بن يونس، ومن العطف الشيخ الحاج امحمّد بن باحمد، وعدد كبير من الطلبة من القرى الخمس.[1]

خلف الشّيخ الحاج محمّد بن يحيى بَاحَيُّو في المشيخة بمسجد بني يزقن.

تخرّج على يديه عشرات من التّلاميذ، من مزاب وجربة وجبل نفوسة، أشهرهم:

- سليمان الباروني النّفوسي، الذي قدم إلى مزاب أوّل مرّة عام 1895م، وبقي ثلاث سنوات يدرس بمعهد القطب، وقد نزل ضيفا في دار الحاج عيسى بن سليمان، قائد البلدة آنذاك.

1- إبراهيم حفّار: السلاسل الذهبيّة بالشمائل الطفيشيّة، 55-56.

- سعيد بن تَعَارِيتْ الجربي[1]، وإبراهيم أبو اليقظان، وأبو إسحاق إبراهيم طفيّش، وبابكر بن الحاج مسعود، وصالح بن عمر لَعْلِي، وصالح بن يحى بن الحاج سليمان آل الشّيخ، وأحمد بن الحاج إبراهيم حميد أُوجَانَهْ، والحاج عمر ابن حمو باكلّي، والحاج النّاصر بن إبراهيم الدّاغور، ويحيى بن صالح، والحاج عمر بن يحى، ومحمّد بن الحاج الثّميني، وإبراهيم بن بانوح مطياز، وصالح بن الحاج محمّد الداودي، والحاج عيسى بن قاسم يوسفي.

لقّبه بالقطب الشيخ عبد الله بن حميد السالميّ العمانيّ.

استقبل عام 1876م مَاسْكُورِي،[2] عند مهمّته الثّقافية في مزاب، كما استقبل زَايْسْ، وزاره عام 1877م وفد من مشايخ زنجبار.

تلقّى سنة 1298هـ/1881م نسخة من بيان الشّرع لمحمّد بن إبراهيم الكندي العماني (ق5هـ) الذي يحتوي على واحد وسبعين مجلّدا، وأخرى من قاموس الشّريعة لجميل بن خميس السّعدي[3] الذي يحتوي على اثنين وتسعين مجلّدا.

حجّ القطب مرّتين في حياته. أمّا الأولى فكانت حوالي 1290هـ/ 1873م، رفقة تلميذه الحاج الناصر بن الحاج إبراهيم الداغور. مكث في مكّة مجاورا عاما كاملا، درّس خلال وجوده هناك كتاب "السنوسيّة في عقائد المالكيّة" ثمّ دوّن في تلك الرحلة معظم ملاحظاته ولقاءاته مع الشخصيّات والعلماء، وألّف فيها كتابه "إيضاح المنطق في بلاد المشرق".

1- **سعيد بن علي بن تَعَارِيتْ** (1289هـ -1355هـ/1872م -1936م) ولد ونشأ بجربة، أدخله والده جامع الزّيتونة سنة 1889م، فقضى به ستّ سنوات، وتخرّج بشهادة التّطويع سنة 1312هـ/1894م. رجع إلى جربة فبقي سنة يعمل في الإشهاد لكتابة العقود، ثمّ رحل إلى يفرن بجبل نفوسة سنة 1314هـ/1896م، فأخذ عن شيخه عبد الله الباروني، وهناك ألّف كتاب المسلك المحمود في معرفة الرّدود. ومن هنالك رحل إلى وادي مزاب عام 1316هـ/1898م حيث مكث ثمانية أشهر يحضر دروس شيخه امحمّد طفيش، ويساعده في التّدريس. رجع إلى جربة سنة 1317هـ/1899م، حيث استقرّ للوعظ والتّدريس والإشهاد، وظلّ يتردّد على تونس من حين لآخر.

2- EMILE MASQUERAY (1843-1894).

3- جميل بن حميس السّعدي من علماء الإباضية بعمان، (ق13هـ/19م).

التقى في مكّة بالشيخ محمّد حقّي بن عليّ التركيّ الحنفيّ. يقول القطب: "وكان يحبّني ويقبّل يدي في المسجد الحرام". ويقول أيضا في جوابه للعقبي: "...وإن لم تعرف الإباضيّة فقد عرفهم دحلان وحسبي الله الشافعيّان، الحاضر أحدهما في إقرائي في المسجد الحرام تأليف السنوسيّ في التوحيد...لجماعة في أبّهة عظيمة من أهل عمان ومضاب وأهل الجبل..."[1].

أمّا رحلته الحجازيّة الثانية فقد كانت سنة 1303هـ/1886م، عاد منها مع بداية 1304هـ. اصطحب معه فيها زوجه الثالثة مريامة فرطاس وتلميذه الشيخ عمر بن حمّو باكلّي. لقد تلقّى القطب والركب المرافق له، في كلّ محطّة يصلون إليها، كرما حاتميّا وحفاوة في الاستقبال، في الأغواط، الجلفة، المديّة، البليدة، الجزائر. أقام بمدينة تونس، والتقى بعلماء الزيتونة، وكانت زيارته لجزيرة جربة في أوّل ذي القعدة 1303هـ.

امتطى الحجّاج سفينة إسبانيّة نقلتهم إلى الإسكندريّة وبعد زيارة الأزهر الشريف بالقاهرة، شقّت طريقها إلى البحر الأحمر عبر قناة السويس، فحلّ الركب بجدّة وسار إلى البيت الحرام.

في المدينة، نزل هو ومن معه من الطلبة ضيوفا على دليل القطر الجزائريّ الشيخ حمزة الرفاعي في داره القريبة من المسجد النبويّ. سمح له مفتي المدينة المنوّرة الشيخ محمّد بالي الحنفيّ، بالتدريس في المسجد النبويّ الشريف ثلاثة أيّام.[2]

وعند الرجوع، نزل الحجيج من السفينة بأرض تونس، ومنها إلى عنّابة، قسنطينة، قالمة، بسّكرة، وأحسن استقباله، بتوصية من الوالي العامّ لْوِيسْ تِيرْمَانْ، كلٌّ من مرّ بهم في الأراضي الجزائريّة.

1- يحى بن بهون الحاج امحمّد: رحلة القطب: 40-42.

2- نفس المرجع: 45-46.

وصل يوم 26 مارس 1900 إلى غرداية سليمان النّاصر والي دار السّلام، عاصمة طانزانيا حاليا، زائرا إخوانه الإباضية، في طريقه إلى معرض باريس. وقد نزل عند القطب وأقام عنده. كانت للقطب مراسلات مع سلطان زنجبار بَرْغَش[1]، الذي كان يدفع له منحة شهرية، ويشارك في حركة النّهضة بطبع مؤلّفات الإباضية. يوم 8 ذي القعدة 1318هـ/27 فيفري 1901، بعث سليمان بن ناصر من زنجبار رسالة إلى القطب يخبره فيها بشرائه مطبعة، لطبع ما تبقّى من كتاب شرح النيل وشفاء العليل وغيره من كتب الإباضيّة، ووضعها في يد الباروني بالقاهرة ليدير أشغالها. شرّفه حمود سلطان زنجبار بنيشان النجمة الفاخرة، وتسلّمه يوم 15 مارس 1902، بواسطة كومندان ملحقة غرداية.

وممّن كاتبه من علماء الإسلام الشيخ محمّد عبده. وكان الشيخ عبد القادر المجاوي، إمام النهضة الحديثة في شمال الجزائر صديقا للقطب، وكان يكاتبه، فأرسل بعض تلاميذه للتعلم عند الشيخ المجاوي تمتينا للروابط بينهما. وكان الشيخ المولود بن الموهوب عالم قسنطينة وقاضيها صديقا للقطب، وكان الشيخ المولود يستفتيه فيما يشكل عليه من المسائل الدينية.

1- زنجبار : جزيرة في المحيط الهندي، قريبة من الشّاطئ الشّرقي لإفريقيا، كان يسكنها عام 1972م، 170.500 نسمة، عاصمتها مدينة زنجبار، بها 57.900 نسمة. أهمّ منتجاتها القرنفل. كانت منذ 1890م تحت الحماية البريطانية، واستقلّت عام 1963م، واتّحدت مع طانجانيقا عام 1964م لتشكّلا معا دولة طانزانيا. كانت زنجبار مع جزائر بمبا وما فيه ولاه. والسّواحل الشّرقية المقابلة لها مملكة عربية أسّسها ملوك عمان سنة 1856، منفصلة عن مسقط، بعد أن كانت مستعمرات لعمان منذ قرون. فوضعت إنكلترا وألمانيا وإيطاليا أيديها على هذه الجزر والسّواحل. ومن 1885 إلى 1893 تمّ التّقسيم على أن يكون لإنكلترا سلطنة زنجبار التي هي عبارة عن جزيرتي زنجبار وبمبا وما يقابلهما من السّواحل من أوانغا إلى كيسمايو. وخاتمة سلاطين زنجبار اسما وفعلا كان السيّد برغش بن سعيد: تولّى الأمر في 7 أكتوبر 1870، وبقي في الملك إلى أن توفّي في 7 مارس 1888. وكان برغش متوقّد الذّهن عالي الهمّة، وكان من أشدّ النّاس عداوة للأوروبيين الذين كانت لا تخفى عليه مقاصدهم. ومن بعده لم يبق للعرب من سلطنة في تلك الجزائر الخصيبة والسّواحل الطّويلة العريضة إلاّ بالاسم.

زار القطب وارجلان عام 1320هـ/1902م، وتلقّاه أهلها لمسافة عشرة كيلومترات بأنواع المركوبات والطّلقات البارودية، ورافقته ثلّة من فضلاء وادي مزاب، ومكث بوارجلان خمسة عشر يوما.

عام 1907م، قدم إليه سليمان الباروني لجمع الأموال، لتأسيس مطبعة الأزهار البارونية بالقاهرة، وترويج مجلّته الأسد الإسلامي.

أهدى إليه السّلطان العثماني عبد الحميد الثاني نيشانا، عندما حلّ لغز الماء، في مسابقة وقعت بين معاصريه من العلماء. فقال رجال الأكاديمية الفرنسية: نحن أحقّ وأولى من تركيا في تكريم الشّيخ طفيّش، لأنّه من رعايانا، فأعطوا له وسام (لاَبَالَمْ أكَادِميك)[1].

زار القرارة مرارا، أمّا بريّان فكان ينتقل إليها مرّتين في السّنة، كلّ خريف وكلّ ربيع، يقضي فيها أسبوعين يلقي الدّروس للعامّة. وكان لا يسمح له بالسفر إليهما إلاّ برخصة من الحاكم العسكري بغرداية.

أهمّ مؤلّفـــاته:

يقول الشّيخ أبو إسحاق طفيّش في تقديمه للذّهب الخالص: «إنّ استيفاء الكلام على تآليفه وتعدادها لا يفي به مجلّد، فقد سلكنا في تاريخنا له طريقة ذكر الكتاب في حرفه، مع إيراد خطبته وذكر شيء عنه يتصوّره به القارئ، عسى الله أن يساعدني على إتمامه وإبرازه إلى عالم المطبوعات. ولا بأس أن نذكر الفنون التي كتب فيها، وإليك:

الأخـــلاق، الأصول، البلاغة، التّفسير، التّجويد، التّوحيد، التّـــاريخ، الجبر، الحـــديث، الحساب، الرّسم، السّير، الطّب، الصّرف، العروض والقـــافية، الفقه، الفلك، الفلاحة، الفرائض، الفلسفة، اللّغة، مصطـــلح الحديث، المنطق، النّحو، الوعظ»[2].

---

1 -La Palme Académique.

2- الذّهب الخالص، التّقديم، ز.

أوّلا- التفسير:

1- (هميان الزاد إلى دار المعاد)، انتهى من تأليفه عام 1270هـ. طبع في زنجبار سنة 1305هـ/1888م في أربعة عشر مجلدا.

2- (داعي العمل ليوم الأمل).

3- (تيسير التفسير)، تمّ طبعه بالجزائر في رجب 1326هـ/1908م، في ستة أجزاء، أعيد طبعه بتحقيق الشيخ إبراهيم طلاي من 1996 إلى 2003، في سبعة عشر جزءا.

ثانيا- التجويد:

1- (جامع حرف ورش)، طبع عام 1325هـ/1907م.

2- (تلقين التالي لآيات المتعالي): شرح (جامع حرف ورش).

ثالثا- الحديث والسيرة النبوية:

1- (ترتيب ترتيب الجامع الصحيح)، طبع بالجزائر عام 1326هـ/1908م.

2- (وفاء الضمانة بأداء الأمانة)، في ثلاثة مجلدات. طبع الجزء الأوّل بالمطبعة البارونية بالقاهرة عام 1306هـ/1889م، والجزء الثاني بمطبعة الأزهار البارونية بالقاهرة عام 1325هـ/1907م، والجزء الثالث عام 1326هـ/1908م.

3- (جامع الشمل في حديث خير الرسل)، طبع بالبارونية عام 1304هـ/1887م.

4- (السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة)، طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة عام 1344هـ/1926م.

5- (الغسول من أسماء الرسول)، طبع سنة 1319هـ/1902م.

6- (شرح نونية المديح) لابن ونّان المغربيّ.

رابعا- التوحيد وعلم الكلام:

1- (شرح عقيدة التوحيد) لأبي حفص عمرو بن جميع،[1]: طبع في الجزائر عام 1326هـ/1908م.

2- (حاشية الموجز) لأبي عمار عبد الكافي.

3- (حاشية شرح النونية): النونية لأبي نصر فتح بن نوح وشرحها لعمرو بن رمضان التلاتي.

4- (القول المتين) شرح مقدّمة تيبغورين.

5- (شرح أصول تِبْغُورِينْ).

6- (فتح الباب للطلاب بإذن الملك الوهاب): شرح (معالم الدين) لعبد العزيز الثميني. توفي و لم يشرح منه إلاّ يسيرا.

7- (الحجة في بيان المحجة في توحيد بلا تقليد)، طبع عام 1302هـ/1885م.

8- (عدم الرؤية وإدحاض مذهب أهل الفرية).

9- (حاشية القناطر) للشيخ إسماعيل الجيطالي، تقع في جزأين.

10- (ردّ الشرود إلى الحوض المورود)، طبع عام 1320هـ/1902م.

11- (إزهاق الباطل بالعلم الهاطل): ردّ على كتاب حَمَّى الطاهر، طبع عام 1317هـ/1900م.

12- (الجُنة في وصف الجَنة): شرح (القصيدة العبيرية في وصف الجنة) لأبي عبد الله محمد الكندي، طبع بالقاهرة عام 1321هـ/1903م.

13- (إزالة الاعتراض عن مُحِقّي آل إباض)، طبع عام 1314هـ/1897م.

14- (الذخر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى)، طبع عام 1326هـ/1908م.

1- **أبو حفص عمرو بن جُميع**: من علماء النصف الثاني من القرن السابع الهجري، درس على أحمد الدرجيني صاحب الطبقات، ثمّ صار كبير المدرسين بجامع تفروجين. إليه تنسب العقيدة التي كانت بالبربرية، فأبدلها بلسان العربية.

15- (تقريرات على حاشية الديانات) للسدويكشي وتتمتها للمصعبي.

16- (الرد على الصفرية والأزارقة): جواب لبعض علماء عُمان، طبع عام 1314هـ/1897م بمصر.

17- (إن لم تعرف الإباضية ياعقبي)، طبع بتونس عام 1321هـ/1903م.

18- (قذى العين على أهل العين): رد على الأنكليزي الطاعن في الدين، طبع بتونس عام 1321هـ/1903م.

خامسا- الفقه وأصوله :

1- (فتح الله): شرح شرح مختصر العدل والإنصاف. (العدل والإنصاف) لأبي يعقوب يوسف الوارجلاني. اختصره ثمّ شرحه أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي.

2- (شرح الدعائم الموسع): (الدعائم) ديوان نظم لابن النظر العماني[1]. بدأ شرحه الشيخ الحاج يوسف بن حمو وأتمّ القطب شرح الباقي.

3- (شرح الدعائم المختصر)، بطلب من بعض النفوسيين، طبع في جزأين عام 1326هـ/1908م.

4- (الجامع الصغير): جامع (الوضع) و(الحاشية) في ثلاثة أجزاء. (الوضع) لأبي زكرياء يحيى بن الخير الجناوني، و(الحاشية) لأبي عبد الله محمّد بن عمر بن أبي ستة. ألّفه في منفاه ببونورة بين 1287هـ و1289هـ، طبع بالبارونية بالقاهرة عام 1306هـ/1889م.

5- (شامل الأصل والفرع)، طبع في جزأين بالسلفية في القاهرة عام 1348هـ/1930م.

1- **أحمد بن سليمان بن النضر العماني** (ق5هـ/11م): تبحر في العلم منذ صغره، قتل وهو ابن خمس وثلاثين سنة، وجمع قصائده في العقيدة والفقه محمّد بن وصاف العماني، وسمي الديوان: كتاب الدعائم، وشرحه، كما شرحه بعد ذلك البرادي، ووسمه بشفاء الحائم على بعض الدعائم. كما شرحه الشيخ طفيش قطب الأئمة.

6- (شرح كتاب النيل وشفاء العليل) لعبد العزيز الثميني، بطلب من الشيخ قاسم الجربي، صاحب (اللؤلؤة) وشرحها. شرحه شرحا مطولا أوّل مرّة ولم يتمّه. ثمّ شرحه ثانية في عشرة مجلدات، طبعت أجزاؤه السبعة الأولى بالبارونية سنة 1306هـ/1889م، وأكمل طبع الثلاثة الباقية الشيخ أبو إسحاق سنة 1343هـ/1925م بالسلفية في القاهرة.

7- (الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص): اختصر فيه (قواعد الإسلام) للجيطالي وحاشيته لأبي عبد الله محمّد بن أبي ستة. طبع في القاهرة عام 1343هـ/1925م.

8- (حي على الفلاح): شرح باب الصلاة من كتاب (الإيضاح) لأبي ساكن عامر الشماخي. يقع في ستة أجزاء.

9- (ترتيب المدونة الكبرى) لأبي غانم الخراساني[1]، يقع في جزأين.

10- (حاشية أبي مسألة) لأبي العباس أحمد بن محمّد بن بكر.

11- (حاشية السؤالات) لأبي عمرو عثمان بن خليفة المارغني[2].

12- (تفقيه الغامر بترتيب لقط موسى بن عامر)، بطلب من الشيخ الحاج سليمان، عام 1267هـ/1851م. طبع بالجزائر عام 1319هـ/1901م.

13- (حاشية شرح الرائية في الصلاة): (الرائية) لأبي نصر فتح بن نوح وشرحها لعمرو بن رمضان التلاتي.

1- **أبو غانم بشر بن غانم الخراساني**: درس بالبصرة وأخذ عن تلاميذ أبي عبيدة (ق2هـ/8م) وعنهم دوّن كتبه، وأهمّها (المدونة) التي دوّن فيها أقوال تلاميذ أبي عبيدة في الفقه ورواياتهم واختلافهم. وقد رحل في أواخر القرن الثاني الهجري إلى تاهرت، مارا بجبل نفوسة، ورويت عنه المدونة في تاهرت، ونسخها عمروس بن فتح في جبل نفوسة.

2- **أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي** (ق6هـ/12م): من وادي سوف، ولد قبل 471هـ/1078م، لأنّه حضر مجالس أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، وهو كثير الرواية عن أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر، صاحب كتاب السيرة وأخبار الأئمة، وكذلك عن أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر. رحل إلى وارجلان وإلى بلاد الجريد وإلى طرابلس. من مؤلفاته: كتاب السؤالات، وقد نسب الكتاب لغيره أيضا، ورسالة مختصرة في فرق الإباضية.

14- (القنوان الدانية في مسألة الديوان العانية)، طبع عام 1314هـ/1897م.

15- (أساس الطاعات والنيات لجميع العبادات)، طبع عام 1314هـ/1897م.

16- (تحفة أهل بريان): في الفرائض. ألّفه في بريان. طبع بتونس عام 1344هـ/1926م.

17- (التوأم): في الفرائض. ألّفه عام 1272هـ/1856م. طبع بتونس عام 1344هـ/1926م.

18- (حكم الدخان والسعوط): رسالة إلى عبد القادر المجاوي المالكي. طبع عام 1326هـ/1908م.

19- (حكم بلل أهل الكتاب وغيرهم من أهل الشرك): جواب لبعض علماء المالكية. طبع عام 1326هـ/1908م.

20- (البرهان الجلي في الردّ على الجربي علي): في شأن رؤية الجن. طبع عام 1326هـ/1908م.

21- (جواب أهل زوارة)، طبع عام 1325هـ/1907م.

22- (ترتيب نوازل نفرسة): مجموعة أجوبة ورسائل لبعض أئمة الإباضية.

23- (تقريرات على كتاب المعلقات).

24- (مسائل السِّيَرْ): اختصار للمسائل الفقهية من كتاب (سير المشايخ) لأبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي.

25- (ترتيب كتاب اللُّقَطْ) لعمرو بن رمضان التلاتي.

26- (ترتيب المعلقات).

27- (حاشية على جواب ابن خلفان العماني) على أسئلة عمر بن يوسف اليزقني.

28- (كشف الكرب).

29- (إباحة معاملة الكارطة بلا ربا ولا فارطة).

30- حاشية على جواب ابن خلفان للعبادي.

31- جواب رفع الأيدي في التكبير.

سادسا- اللغة العربية وعلومها:

1- (قصيدة الغريب): نظم (المغني) لابن هشام، أرجوزة تحتوي على نحو خمسة آلاف بيت في النحو، وهو أوّل تأليف القطب.

2- (معتمد الصواب): شرح شواهد قواعد الإعراب.

3- حاشية أولى على شرح أبي القاسم الداوي على (الأجرومية).

4- حاشية ثانية على شرح أبي القاسم الداوي على (الأجرومية).

5- (تخليص العاني من ربقة جهل المثاني): في البلاغة.

6- (بيان البيان): في علم البيان.

7- (ربيع البديع): في علم البديع.

8- (إيضاح الدليل إلى علم الخليل): حاشية على شرح (الخزرجية) في علم العروض.

9- (الرسم في تعليم الحط)، ألّفه في المسجد الحرام. طبع بالسلفية عام 1349هـ/1931م.

10- (مختصر ثان في علم الخط): شرح لما في (جمع الجوامع) للسيوطي ممّا يختص بالخط.

11- شرح شرح أبي سليمان داود التلاتي على (الأجرومية).

12- (تسهيل الاجتهاد في تفسير أشعار الاستشهاد): شرح شواهد ثلاثة شروح على (الأجرومية)، الأوّل لأبي سليمان داود التلاتي، والثاني لأبي القاسم يحى الداوي، والثالث للشريف محمّد الحسيني.

13- (حاشية على شرح المرادي على الألفية).

14- (المسائل التحقيقية في بيان التحفة الأجرومية).

15- (شرح شرح الاستعارات) لعصام الدين.

16- (الانشراح في بيان شواهد التلخيص والمفتاح) في البلاغة.

17- (الكافي في التصريف).

18- (شرح لامية الأفعال) لابن مالك.

19- (حاشية على شرح لامية الأفعال) لابن الناظم.

20- (حاشية التمرين) لخالد الأزهريّ.

21- (حاشية الشذور وشرحه) لابن هشام.

22- (حاشية القطر وشرحه) لابن هشام.

23- (حاشية على التصريح على التوضيح) لخالد الأزهري.

24- (شرح على العيني) في النحو.

25- (حاشية على إعراب الألفية) لابن مالك.

26- نظم في مثلثات الكلام.

27- شرح مختصر للقصيدة اللغزيّة.

28- (شرح شواهد القزويني).

29- (شرح شواهد الوضع) لأبي زكرياء يحى بن الخير الجناوني.

سابعا- التـــاريخ:

1- (كشف الغمة): شرح (لامية ابن النضر العماني) في جزأين.

2- (الإمكان فيما جاز أن يكون أو كان)، طبع عام 1304هـ/1887م.

3- (الرسالة الشافية في بعض تواريخ أهل وادي ميزاب): ألّفها بطلب من وزارة التعليم الفرنسية، قدّمه مَاسْكُورِي عام 1876. طبعت عام 1299هـ/1882م. ترجم جزءا منها إلى الفرنسية بِيْرْ كُوبِيرْ لِي[1] عام 1971.

4- (رسالة موسعة في تاريخ وادي ميزاب)، طبعت عام 1351هـ/1932م.

5- إجابة الدعوة لإصابة الدعوة.

1- PIERRE CUPERLY

ثـامنا- الفـــلك والحساب:

1- (مطلع الْمُلك في فنّ الفُلك) أو (مسلك الفلَك) أو (الرســالة الفتحيــة في الأعمال الجيبيّة) وهو شرح لرسالة الربُع الْمُجَيَّب لبسط المارديني.

2- (شرح القلصادي): شرح (كشف الأسرار عن علم حروف الغبار) في الحساب.

تـاسعا- المنـــطق:

1- (إيضاح المنطق في بلاد المشرق) ألّفه في مكّة. بعثه إلى سلطان زنجبار سعيد ابن عليّ الصقريّ، بعد عودته من الحجّ الأوّل، ليقوم بطبعه.

2- (شرح سلم الأخضري).

3- (شرح رسالة الوضع) لعضد الدين الإيجي.

عاشـــرا- فنون مختلفة:

1- (تحفة الحِب في أصل الطب)، طبع بالبارونية عام 1304هـ/1887م.

2- (النحلة في غرس النخلة).

3- (شرح مخمسة أبي نصر) في الأخلاق.

4- (خطبتا العيدين).

5- (أجور الشهور على مرور الدهور)، طبع بالجزائر عام 1299هـ/1882م.

6- (إطالة الأجور وإزالة الفجور)، طبع عام 1314هـ/1897م.

7- (العمارة) أو (مختصر في عمارة الأرض).

8- (شرح لغز الماء)، طبع بالجزائر عام 1351هـ/1932م.

9- (القصيدة الحجازية) في رحلته الثانية للحجّ عام 1303هـ/1886م.

10- (مجموع قصائد في المدح والوعظ)، طبع عام 1314هـ/1897م.

11- (تفسير ألغاز)، طبع عام 1306هـ/1889م.

12- (جواب مشايخ مكة)، طبع بالجزائر عام 1301هـ.

13- (جواب في المعاملات)، طبع عام 1306هـ/1889م.

14- (البائية): قصيدة حول أوضاع عصر القطب.

15- (ترتيب تحفة الأديب وتخصيب القلب الجديب) لعمرو بن رمضان التلاتي.

16- (خطبة لأهل نفوسة).

17- (مرشاد المستنكح ومرصاد المستفتح).

18- (حاشية المنصف في نفي تأويل المعرف).

19- نونية: فيها ذكريات عن رحلته إلى الحجاز، مطبوعة.

20- قصيدة فيها ذكريات عن بلدته ومقارنتها بمصر، مطبوعة.

النّضال السّياسي للقطب:

يقول الشّيخ أبو إسحاق: «ومن أعماله الجليلة استماتته في سبيل الذّود عن شرف الوطن عند دخول الحملة الفرنسوية سنة 1299هـ/1882م، لا بقوّة الحراب ولكن بقوّة الحجّة والحق. ولقد رأيت له عدّة احتجاجات إلى رؤساء الحكومة الفرنسوية ضدّ ما يرتكب من العسف والحيف مع المسلمين بالقطر الجزائري. وله حرص شديد على إقامة شعائر الدّين والمحافظة على سير السّلف الصّالح ومقاومة الأمّية»[1].

هو الذي قاد المقاومة ضدّ الجنرال دُوسُونِيسْ عندما اكترى الآباء البيض دارا في بني يزقن، فأمر بسدّ بابها إن هم باتوا فيها. ولمّا حاول المستعمر هدم الجامع الكبير بالعاصمة كتب القطب رسالة احتجاج إلى الوالي العام يحذّره فيها من الاقتراب إلى بيوت الله.

سجنه النقيب هَارْتْ مَايَرْ في نوفمبر 1882م، هو وابنه الحاج يوسف، يوما كاملا في معسكره، عند وصوله إلى مزاب، بأمر من الوالي العام، ليقنع العزابة بعدم جدوى مقاومتهم للإلحاق.

1- الذّهب الخالص، التّقديم، و.

وجّه عريضة إلى الوالي العامّ جُولْ كَامْبُونْ[1] مؤرخة يوم 12 ربيع الأوّل 1312هـ الغاية منها الاعتراض على تطبيق القانون الرامي إلى تعديل قانون الملكيّة العقاريّة بالجزائر، والذي عرض مشروعه على مجلس الأمّة الذي ناقشه يومي 15 و16 فيفريّ 1894م. تضمّنت العريضة بصفة خاصّة معارضته أن يكون بيت المال وارثا مع ذوي الأرحام، عند انعدام أصحاب الفروض والعصبة.

أمضى العريضة بنو مزاب، طلبة وعوامّ وقضاة وقوّادا، خارج القرى تحت الشمس.

عام 1911، وفد إليه مبعوثون من إباضية جبل نفوسة، إثر تقدّم القوّات الإيطالية في ليبيا[2]. وعندما احتلّت إيطاليا ليبيا عام 1912م، قام بتحريض المواطنين لجمع الأموال والأسلحة لمساعدة الوطنيين اللّيبيين.

لم يكن يعتبر مزاب كلّ وطنه، بل كان مجال اهتمامه هو كلّ بلاد الإسلام، وكان دوما يدعو بالنّصر للدّولة العثمانية، ويقول لطلبته: «إنّ الدّولة التّركية قد قامت بفرض الكفاية للخلافة الإسلامية».

كان يتابع باهتمام كبير أخبار تركيا التي كانت في حرب مع الدّول الغربية.

كانت له مراسلات مع السّلطان العثماني عبد الحميد الثّاني[3]. منها مراسلته قبل الإطاحة به في 24 جويلية 1908م، في شأن الشّيخ سليمان باشا الباروني[4]. ذلك أنّه بعدما أتمّ دراسته على القطب عزم على الجهاد بسيفه

1- CAMBON (Jules) Gouverneur Général du 18 avril 1891 au 28 septembre 1897.

2 - C.GROSSMANN: Le Réformisme Ibadite, 11.

3- السّلطان عبد الحميد الثّاني (1876م-1908م).

4- **سليمان باشا الباروني**: ولد سنة 1287هـ/1870م بجادو بجبل نفوسة. تلقّى العلم في تونس ثمّ في الأزهر ثمّ في مزاب على قطب الأئمّة. انتخب عضوا في مجلس الأمّة العثماني، ثمّ فاجأته إيطاليا بحرب طرابلس سنة 1911- 1912م، فخاض غمارها إلى أن انتهت باحتلال طرابلس تحت مؤامرات المرتشين من أبنائها، وعاد إلى استنبول فكافأته الدّولة العثمانية، وعيّن عضوا في مجلس الأعيان العثماني، فلبث فيه إلى الانقلاب التّركي في عهد مصطفى كمال سنة 1919. في جوان 1914، أي ثلاثة أشهر بعد وفاة القطب، عقد زيارة إلى مزاب.

وقلمه، فرجع من مزاب إلى طرابلس. فلم يكد يصلها حتّى سبقته وشايات إلى الباب العالي بتركيا، من بعض منافسيه المغرضين، فأصبح رهن التّحقيقات في السّجون. اتّهم بأنّه ضد الدّولة العثمانية ويعمل لفائدة دولة أجنبية. بفضل تدخّل القطب قرّرت محكمة الاستئناف براءته[1].

كان يعزّ عليه أن يهضم حقّ شعب إسلامي، ويسلب حرّيته، أو ينالـه أدنى ضيم، كثير الدّعاء بالنّصر للأمّة الإسلامية على من يناوئها، شديد الرّغبة في وجود الجامعة الإسلامية.

يقول الشّيخ أبو إسحاق: «كثيرا ما نسمع منه في الدّرس قبل وفاته بقليل يقول بتأثير شديد جدا: «كاد ينقلب العالم ويحدث هول عظيم» يكرّر ذلك ويقول: «إنّه على الأبواب وكأنّه غدا» ولم تمض أشهر بعد وفاته حتّى اشتعلت الحرب العظمى»[2].

نقل عن الشّيخ أبي إسحاق أنّ القطب كان من السّبعة المقتولين بالسّم في سنة 1914، خوفا من قيامهم بما يقلق أمن الدّولة الفرنسية أثناء الحرب العالمية الأولى، وأنّه مات بتأثير السّم بعد أسبوع[3].

توفّي في 23 ربيع الثّاني 1332هـ/21 مارس 1914م ببني يزقن، عن عمر يناهز ستا وتسعين سنة.

حقّق استقلال ليبيا فكان رئيس الجمهورية اللّيبية، ثمّ حمله طموحه بعد أن تغلّب عليه العدوان الإيطالي والأضداد إلى عمان، فكان الوزير الأعظم في إمامة عمان.
توفّي في بمباي بالهند يوم 23 ربيع الأوّل 1359هـ/01 ماي 1940م.

1- حمّو عيسى النّوري: دور الميزابيين، الجزء الأوّل، 325.
2- الذّهب الخالص، التّقديم، د.
3- حمّو عيسى النّوري: المصدر السابق، 326.

هـ- الحاج صالح بن محمّد بومعقل الغرداوي:

هو أحد الرّجال العصاميين وجندي مجهول، من تلاميذ القطب. جمع إلى العلم العمل وإلى العربية الفرنسية. درس الحقوق في باريس حتّى بلغ درجة المحاماة. وكانت له مواقف مشهورة في قضايا شرعية تشهد ببراعته. وبفضل مساعيه، تأسّست محاكم الإباضية في الجزائر وقسنطينة ومعسكر. علّق على ترجمة الأستاذ هُورُو إلى الفرنسية لباب الوصاية من كتاب النيل عام 1882.

و- الشّيخ الحاج محمّد بن الحاج قاسم بن الشيخ بالحاج القراري:

ورث من أبيه علمه وصلاحه وشجاعته. أرسله والده إلى معهد القطب. ورجع إلى القرارة في بداية القرن الرّابع عشر الهجري، بعد أن نبغ في علوم الشّريعة والعربية.

انتشر الإصلاح على يده في القرارة. حارب الزّنى وما يرافقه من خمر وقمار ولصوصية وبطالة، فانتبهت المدينة إلى الفساد الذي يفتك بها.

كان رئيسا للعزّابة، وقاضي القرارة العادل، وشيخ مسجدها، والواعظ فيه. عيّنه الوالي العام، يوم 1 جانفي 1883، رئيسا لمحكمة القرارة، عند تأسيسها. أقضّ مضجع المستعمرين والمفسدين، فاغتالوه في وضح النّهار سنة 1318هـ/جوليت 1901م[1].

ز- الحاج النّاصر بن الحاج إبراهيم الدّاغور:

ولد في برّيان عام 1265هـ/1849م. أخذ العلم عن القطب الذي اصطفاه من بين زملائه ورفقائه للحجّ سنة 1878، وكان يحسن اللّغة الفرنسية. له غرام بفن الفلك حتّى قيل إنّه ألّف رسالة فيه.

1- محمّد علي دبّوز: نهضة الجزائر الحديثة، الجزء الثّاني، 191.

وبترشيح من القطب، تولّى القضاء في برّيان سنة 1300هـ/1883م، إلى أن أرهقه الحاسدون، فاستعفى منه سنة 1312هـ/1895م. رحل في عام 1325هـ/1907م إلى تونس، وأقام بها إلى أن توفّي ودفن فيها عام 1327هـ/1909م. أدخل ابنه حمو في جامع الزّيتونة وفي معهد ابن خلدون.

كانت له مكتبة كبرى تشتمل على مخطوطات نفيسة نادرة، لو بقيت لكانت غنما كبيرا للجزائر. ولكن أخاه باعها بعد وفاته، بأبخس الأثمان. ولعلّ المبشّرين والحكّام العسكريين قد أخذوا نفائسها، هدية من هذا الأخ الذي ولّته فرنسا قائدا على برّيان[1].

ح- الشّيخ الحاج إبراهيم بن عيسى الأبريكي:

هو الشّيخ بابا بن عيسى، ولد بالقرارة عام 1273هـ/1857م. أخذه أبوه إلى الجلفة حيث تجارته، وهو ذو خمس سنوات، قضى مثلها في باديتها، عند أحد أصدقاء أبيه من أولاد نايل. فكان لهذه المدّة التي أقامها في البادية أثرها العظيم في تكوين شخصيته.

دخل معهد الحاج محمد بن الحاج قاسم الشّيخ بالحاج في القرارة، حيث درس فيه المرحلة الابتدائية. ثمّ أرسله شيخه إلى بني يزقن ليكمل دراسته عن قطب الأئمّة.

رجع في العقد الأخير من القرن التّاسع عشر إلى القرارة، ففتح فيها معهده للتّدريس، فأنجب للجزائر والإسلام علماء أجلاّء، أصبحوا زعماء الحركات العلمية والسّياسية والإصلاحية. من أبرز تلاميذه الشّيخ أبو اليقظان، وعبد الله بن إبراهيم أبو العلا، والشّيخ بيّوض.

1- نفس المصدر، 151.

إلى جانب عمله في المعهد، كان شيخ المسجد وواعظا فيه. تولّى ذلك لمّا اغتيل أستاذه الشّيخ الحاج محمّد بن الحاج قاسم سنة 1319هـ/1901م. توّفي في 15 ذي القعدة 1329هـ/7 نوفمبر 1911م، عن عمر يناهز أربعة وخمسين عاما، وخلفه في معهده الشّيخ عبد الله بن إبراهيم أبو العلا[1].

ط- الشّيخ الحاج عمر بن يحيى المليكي:

ولد بالقرارة عام 1274هـ/1858م. تلقّى دروسه الأوّلية على يد الشّيخ الحاج محمّد بن الحاج قاسم الشّيخ بالحاج. ثمّ إنّه لمّا تزوّج اضطرّ إلى السّفر إلى مدينة خنشلة للتّجارة، وكان لا يحفل بها، فرجع إلى غرداية ليكمل دراسته في معهد الشّيخ بابكر بن الحاج مسعود.

وفي سنة 1312هـ/1894م، انتقل إلى معهد قطب الأئمّة، فكتب أعيان القرارة إلى القطب يطلبون منه أن يرسل إليهم الحاج عمر، فرجع إلى القرارة وتصدّى للتّربية والتّعليم، وذلك سنة 1314هـ/1896م.

من تلاميذه الشّيخ يوسف بن بكير حمّو أُوعلي، والشّيخ أبو اليقظان، والشّيخ بيّوض، والشّيخ عدّون، والشّيخ الحاج محمّد بن حمّو ابن النّاصر، والشّيخ إبراهيم بن بكير حفّار.

لمّا تولّى جهاده الإصلاحي، بدأ الاستعمار يترصّده، فنصحه زملاؤه بالابتعاد عن القرارة، فسافر إلى الحجاز، فأقام به ثلاث سنوات من 1319هـ/1901م إلى 1322هـ/1904م.

أوّل بعثة علمية، أرسلها إلى قطب الأئمّة من القرارة، سنة 1325هـ/ 1907م.

1- نفس المصدر، 160.

كان الشّيخ، مع أعماله في المعهد، مدرّسا في المسجد للعامّة، ومدرّسا في دار التّلاميذ. تولّى ذلك منذ وفاة الشّيخ الحاج إبراهيم الأبريكي عام 1329هـ/1911م. وفي سنة 1335هـ/1916م، كوّن نظام الطّبقات في دار التّلاميذ (إِرْوَانْ).

بعد وفاة القطب، أرسل بعثة علمية إلى تونس، سنة 1336هـ/1917م.

دام الشّيخ الحاج عمر يزور وارجلان كلّ عام، يمكث فيها حوالي ثلاثة أشهر، واعظا ومدرّسا، من 1913م إلى 1920م.

أنشأ ندوة للمطالعة، وكان موعدها ليلة الجمعة من كلّ أسبوع، تعقد لقراءة بعض الكتب والجرائد والمجلات التي تصل إليه.

ولقد كان رجل سياسة، فضايقه الاستعمار، وسجنه شهرين في تاعضميت، وفرضوا عليه الأشغال الشاقّة، ذلك لأنّه كان أحد رجال الجمعية السرّية بمزاب، من فروع الجامعة الإسلامية بأستنبول، في الحرب العالمية الأولى.

توفّي في ليلة 27 رمضان 1339هـ/01 جوان 1921م، وعمره ثلاث وستّون سنة، إثر إصابته بمرض التيفوس، الذي اجتاح القرارة، فذهب ضحيّته خلق كثير.

ي- الشّيخ الحاج إسماعيل بن الحاج إبراهيم زرقون:

ولد عام 1290هـ/1873م ببني يزقن.

شرع في التّدريس والوعظ بداره عام 1899م، بعد أن تلقّى العلم عن القطب، وعن الشّيخ الحاج صالح لَعْلِي. من تلاميذه الشّيخ أبو إسحاق طفيش، والشّيخ محمّد الثميني، والشّيخ أبو اليقظان الذي أخذ عنه شرح ابن عقيل والجزء الأوّل من النّيل، والشّيخ إبراهيم مطياز الذي تلقّى عنه مدّة سبعة عشر عاما.

دخل حلقة العزّابة يوم 3 جمادى الأخيرة 1335هـ/1917م، وكانت وظيفته فيها غسل الأموات، إلى أن توفّي عام 1922م.

ك- الشّيخ الحاج عمر بن حمّو باكلّي:

ولد بالعطف سنة 1253هـ/1837م. تعلّم القرآن في محضرة باسالم، ودرس مبادئ الفقه والعقيدة على والده بدار إروان، وقد كانت دراسته للعلوم في مدينة بني يزقن. ويبدو أنّه بدأ بالشّيخ الحاج سعيد بن بافو وينتن خرّيج الزيتونة، يصطحبه معه والده. كما درس في حلقة الشّيخ عمر بن سليمان نوح وفي حلقة الشّيخ امحمّد بن سليمان بن ادريسو، وأخيرا التحق بمعهد القطب، ولازمه حتّى تخرّج على يده، فكان من كبار طلبته. وقد تعلّم الفلك والرّمل على أحد العرب، فكان يعلّم هذا الفن لأستاذه الشّيخ القطب، كما كان من أكبر مساندیه ومستشاريه.

دخل حلقة العزّابة في حياة والده، وبدأ التّدريس في مسجد باسالم، ثمّ خلف أباه، بعد وفاته، في المشيخة، عام 1303هـ/1886م. فسّر القرآن كاملا في دروسه العمومية بالمسجد في مدّة خمس وعشرين سنة، كان يعتمد فيها على البيضاوي.

كان رئيسا لمجلس الاستئناف عمّي سعيد بعد الإلحاق. وكان الشّيخ ثائرا على الاستعمار، يمدّ الثوّار عليه في الجنوب بالسّلاح والبارود. كان منزله مأوى للثّائرين في ثورة أولاد سيدي الشّيخ، وقد أبعدته فرنسا إلى سجن تَاعَضْمِيتْ، وحكمت عليه بالسّجن ثلاثة أشهر وبالأشغال الشاقّة، وحلق اللّحية، وذلك عام 1915م. ولكن توسّط قاضي غرداية داود بن الشّيخ بكير، والباشاغا ادهيليس، لدى كولونيل الأغواط، حال دون حلق لحيته، وَوُضِع في فِيلاّ بالأغواط تحت الإقامة الجبرية، محترما موفور الكرامة.

وعند رجوعه استأنف التّدريس في المسجد العتيق. أشهر تلاميذه الحاج مسعود بن إبراهيم قباض، والطّالب بكير بن إبراهيم الحاج إسماعيل، والشّيخ يوسف بن بكير، والحاج مسعود بن محمّد باكلّي، والطّالب إبراهيم ابن سليمان خير النّاس، والشّيخ سليمان ابن يوسف، والشّيخ عبد الرّحمن ابن عمر باكلّي.

توفّي يوم الجمعة آخر ذي الحجّة 1340هـ/13 أوت 1922م.

10- أحداث متفرّقة:

- 1883: جفاف.

- 1884: اشترى بنو مزاب في العاصمة بعض قطع من جنان حميدو لتكون مقبرة سيدي بنّور التّحتانية.

- 1 أكتوبر 1884: أدّى سيلان وادي مزاب إلى انهيار أزيد من ثلاثمائة مسكن في بني يزقن والعطف، والتجاء السكان إلى مساجد القصور من شدّة قوّة الفيضان.

- 1887: إنشاء أوّل محطّة للأرصاد الجوّية في الصّحراء بغرداية.

- 22 ديسمبر 1888: شراء عقار بمدينة سوق أهراس لاتخاذه مصلّى للمزابيّين.

- مارس 1889: زار مزاب قادما من مكّة الطوّاف محمّد بن الكبريت.

- 12 أفريل 1890: أحدثت في سوق بني يزقن أقواس بغير إذن أهل البلد ورضاهم، فحمل مجلس الضُمّان رئيس الجماعة (القائد) على هدمها.

- 1891: الحاج محمّد بن بكير باعمارة يشتري قطعة أخرى بسيدي بَنُّورْ يضمّها إلى المقبرة.

- 1892-1901: جفاف. مطالبة مليكة والعطف وبونورة بتخفيض الضّرائب.

- 1894: بنو مزاب يشترون قطعة جديدة يضمونها إلى مقبرة سيدي بَنُّورْ.

- 1896: ينشئ الآباء البيض بغرداية مستشفى مدنيا أهليا، يستقبل، بالاتفاق مع الولاية العامّة، الأهالي والعسكريين والمدنيين الأوروبيين.

- 1897: بكير بن الحاج محمّد باعمارة يشتري كذلك قطعة جديدة. وأخيرا وقعت هِبَتَان من بعض ورثة آل باعمارة مضافتان إلى المقبرة، ثمّ بيعة من بعض ورثة آل باعمارة أيضا.

- 1898: دخول أوّل سيّارة أُوطُومُوبِيلْ إلى غرداية، وهي لسائح بلجيكي ذي ثروة عظيمة في بلده، البارون بْيِيرْ دُو كْرَاوْهِيزْ.

- 1898: حمل وادي زقرير حملة قويّة انكسر بها سدّ القرارة.

- 1899: وباء الجدري.

- 30 سبتمبر 1901/ 1319هـ: الوادي المساح. حمل وادي مزاب وانكسر السّد الجديد بغرداية، وخلّف هلاك 13 شخصا. وحمل وادي نْسَا ووقع فيضان في بريّان هلك فيه ثلاثة أشخاص.

- 4 مارس 1904: الوالي العام للجزائر يقرّر تطبيق المراقبة الدورية للأوزان والمكاييل في مزاب.

- جوان 1904: يمنع الوالي العام استعمال المكاييل المحلّية في الأسواق والحوانيت، وهي الحثية والمد والنقاصة[1].

1- الحثية= نصف القروي= 12 مدا =10 لترات.
الحثية والمد يكال بهما الحبوب، أمّا النقاصة فيكال بها السّوائل، وهي تكيل مثلا ثمانمائة غرام زيتا تقريبا.

- 1905: وباء الجدري. أصاب ببني يزڤن وحدها 389 شخصا، هلك منه اثنان وتسعون في إحصاء 16 نوفمبر 1905 ببني يزڤن.

- 1908: وادي المـــولد.

- 1910: بطلب من الآباء البيض بغرداية، يلغى اتفاق 1896، ويعوّض المستشفى بمستوصف.

- 1327هـــ- 1328هـــ: ترميم دار بني مزاب في مكّة شعبةٍ جياد، وزيادات واسعة فيها.

الباب السابع

الفترة الثالثة من العهد الرّابع

من 1330هـــ / 1912م إلـــى 1366هـــ / 1947م

نتناول في دراسة هذه الفترة ما يلي:

1- إحصاءات السكّان.

2- حول المزابيّين المغتربين.

3- التّعليـــم.

4- الفلاحة والرّي.

5- التّجـــارة.

6- التّجنيد الإجباري.

7- النّشاط السّياسي في القضايا المحلّية.

8- مواصلة تدعيم بني مزاب للثّوار ضدّ الاستعمار.

9- النّشاط السّياسي لبني مزاب في شمال إفريقيا.

10- بنو مزاب والصّحافة.

11- شخصيات من الفترة الثّالثة.

12- أحداث متفـــرّقة.

1- إحصاءات السكان:

أ- إحصاء 6 مارس 1921[1]:

البلدة	ذكور	إناث	مجموع
غرداية (مسلمون)	4678	5072	9750
غرداية (يهود)	674	735	1409
مليكة	1229	1182	2411
بني يزڤن	2974	3276	6250
بونورة	679	743	1422
العطف	1423	1430	2853
بريان	2154	1953	4107
القرارة	3156	2895	6051
مزاب	16967	17286	34253

ب- إحصاء 1926[2]:

البلدة	إباضيون	مالكية	يهود	المجموع
غرداية	6414	2932	1261	10607
مليكة	1316	330		1646
بني يزڤن	4744	145		4889
بونورة	1233	15		1248
العطف	1960	111		2071
بريان	3187	831	13	4031
القرارة	3586	1899		5485
مزاب	22440	6263	1274	29977

1- بلغ عدد سكان الجزائر عام 1921، 5.806.000 نسمة، من بينهم 546.000 بأراضي الجنوب، منهم 43.143 بالبلدية الأهلية لغرداية.

2 -Les Cahiers d'Outre-Mer n° 89,54.

جـ- إحصاء 1931:

البلدة	إباضيون	مالكية	يهود	أوروبيون	المجموع
غرداية	7293	2614	1325	88	11320
مليكة	707	179	4		890
بني يزڤن	4477	184		1	4662
بونورة	1143	342			1485
العطف	1697	127			1824
بريان	2362	1450	15	2	3829
القرارة	4715	1277	141	3	6136
مزاب	22394	6173	1485	94	30146

د- إحصاء 1936:

غرداية	مليكة	العطف	بريان	بني يزڤن	القرارة	بونورة	مزاب
11943	1809	2545	4500	3909	5420	1516	31642

2- حول المزابيّين المغتربين:

أ- في التلّ الجزائريّ:

إحصاء عدد المزابيين المغتربين عام 1932:

في التل	عمالة الجزائر	عمالة وهران	عمالة قسنطينة
8046	2687	3029	2330
	في العاصمة		من بينهم في مدينة قسنطينة وضواحيها
	2428		845

إحصاء عدد المزابيين المغتربين عام 1936:

في التل	عمالة الجزائر	عمالة وهران	عمالة قسنطينة			
6725	2880	1529	2316			
	في العاصمة		من بينهم في مدينة قسنطينة وضواحيها	باتنة وضواحيها	سطيف وضواحيها	بسكرة
	2088		551	687	557	502

ب- في تونس:

كان المزابيّون في تونس، قبل فترة الحماية الفرنسيّة، رعايا للباي، كغيرهم من المسلمين القادمين من مختلف البلدان، وكانت لهم نفس حقوق المواطن التونسيّ، وعليهم نفس الواجبات. لكن عندما حلّ عهد الحماية عام 1881، تحوّل العديد منهم إلى "محميّين فرنسيّين".

بلغ عدد المزابيّين الموجودين بتونس عام 1921، 395 نسمة، وأخذ في التناقص إلى غاية 1926 ليصل إلى 205 نسمة، ثمّ عرف بعد ذلك تزايدا معتبرا، ليبلغ سنة 1939، 765 نسمة.

كان لكلّ فئة من البرانيّين في مدينة تونس شيخ يمثلها لدى السلطات. فنجد مثلا شيخ المزابيّين، شيخ السوّافة، شيخ الورغليّة، ونفس الشيء بالنسبة للتونسيّين.

والشيخ يتمّ اختياره من طرف المقيم العامّ أو المراقب المدنيّ، ويعيّن رسميّا بمرسوم من البايليك.

قائمة الشيوخ من 1912 إلى 1947:

- الحاج عليّ بن عمر بن بكير، من مواليد غرداية عام 1852. كان شيخ المزابيّين منذ 1912. تمّ تعيينه رسميّا يوم 2 جوليت 1919. توفّي عام 1920.

- حمّو بن محمّد بن عمّي موسى، من بني يزڤن. أبوه كان شيخ جماعة بني يزڤن. تمّ اقتراحه يوم 19 أفريل 1920. استقال عام 1927.
- عليّ بن الحاج محمّد بن الحاج إبراهيم بوعروة، من مواليد القرارة عام 1882. تمّ تعيينه يوم 1 رمضان 1345هـ/12 مارس 1927م.
- عمارة الناصر بن يوسف بن عماره، من مواليد القرارة. تمّ تعيينه يوم 9 أوت 1927. استقال عام 1934.
- محمّد بن موسى.
- باحمد بكير بن امحمد. [1]

ج- المرأة المزابية والغربة:

في 6 شوال 1346هـ/28 مارس 1928، أصدر مجلس وادي مزاب قرارا، هذا نصّه: «هذا وقد اجتمعت أعضاء القرى السّبع لوادي ميزاب: غرداية ومليكة ويسڤن وبونورة والعطف وبريان والقرارة، اجتمعوا في عمي عبد الرّحمن الكرتي رحمه الله، واتّفقنا، بعد أن قرأنا الفاتحة، على أنّنا لا نرضى على ميزابي أن يخرج زوجته أو بنته أو حرمة ميزابية مطلقا، أي يخرجها من ميزاب إلى بلدة من سائر البلدان مطلقا، غير إحدى القرى السّبع المذكورة، فجعلنا ذلك حدا محدودا، وحائطا مشيدا مرصوصا، وسدا وثيقا، فمن تعدّاها فقد تعدّى حدود الله، ولزمته دعوة السّوء من المذهب، وعليه اللّعنة والخزي في الحياة الدّنيا وفي الآخرة».

سبق هذا القرار اتّفاق جماعة بني يزڤن في أفريل 1899م: «فلا يخرج أحد زوجته من أهل البلد إلى مدن التّل مطلقا، كما هي عادتنا واتّفاق أهل بلدنا الأوّلين منهم والآخرين. وإن كان أحد يريد أن يسافر بزوجته إلى بيت الله الحرام... ليس ذلك ممنوعا».

1- مجلّة الحياة- العدد الثاني عشر، 182-191.

يرى الشّيخ علي يحي معمّر أنّ فلسفتهم في اتّخاذ هذا القرار مبنية على عدّة اعتبارات، ومنها ما يلي:

«- بقاء المرأة في الوطن يجعل ربّ الأسرة مرتبطا -عاطفيا- بوطنه، فهو يعمل بكلّ وسيلة للرّجوع إليه متى سنحت الفرصة، كما أنّه ينفق عليه وفيه بسخاء، لتوفير وسائل الرّاحة له ولأسرته، بما في ذلك الاستغلال الزّراعي لما يملكه.

- بقاء المرأة في الوطن يجعل أبناء الأسرة ينشؤون على المثاليات المعروفة عندهم ويحافظون على السّلوك الذي اعتاده المجتمع هناك.

- السّماح للرّجل باصطحاب زوجته وأطفاله إلى مقرّ عمله التّجاري قد يكون سببا أن تروق لهم الحياة هناك، فيقلّ شوقهم إلى الوطن، ويتطوّر ذلك إلى استحباب البقاء هناك، فيكون لونا من ألوان الهجرة وهو ما يخشونه»[1].

ثمّ يورد الشّيخ علي يحي معمّر رأي بعض الشّباب المزابي حول سلبيات هذا القرار، يوجزها فيما يلي:

- حرمان العاطفة من الإشباع بالمحبّة الأسرية.

- حرمان الغريزة من الإشباع الجنسي.

- حرمان الأسرة من الإشراف الدّائم على أفرادها والكون معهم والحياة بينهم.

- التفكّك والتّباعد بين الأقارب.

- إنفاق الرّجل على نفسه هناك وعلى الأسرة في الوطن، كأنّما ينفق على أسرتين[2].

وأخيرا هذه وصيّة الشّيخ علي يحي معمّر للمزابيين: «فإذا أراد الإباضية في الجزائر أن يبقى وطنهم...حصنا لهم محتفظا بخصائصه ومزاياه، فليحافظوا على القرار الذي يمنع المرأة من الخروج من وادي ميزاب، وإذا أرادوا أن يتساهلوا فيما ورثوه من تنظيم وأعراف، فليتساهلوا فيما شاؤوا، وليغيّروا نظام

1- الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 540.
2- نفس المصدر، 542.

اقتصادهم وحياتهم كما يشاؤون، وليحتفظوا بثلاثة أشياء فقط هي مجلس العزّابة، ومجلس العشيرة، وعدم السّماح بخروج المرأة لغير العلاج والحج، وليتأكّدوا أنّهم... إن تساهلوا في رحيل المرأة عن الوادي، فإنّ الشّعب الميزابي كلّه قد رحل...»[1].

3- التّعليم :

أ- التّعليم الإسلامي الحر:

منذ قرون، ولكلّ مسجد من مساجد القرى السّبع محاضر لتعليم الصّبيان القرآن ومبادئ القراءة والكتابة. كما يفتح بعض المدرّسين والمشايخ دورا خاصّة بهم، لتعليم القرآن ومبادئ الكتابة، أو لتدريس مختلف فنون المعرفة. فإليك، مثلا، إحصاء هذه المحاضر والدّور الموجودة ببني يزقن، يوم 24 جانفي 1914:

اسم الحي	عدد المحاضر	الفنون المدرّسة	عدد التّلاميذ	اسم الشّيخ
صالح أُوعلي	1	مختلف الفنون	10	طفيش قطب الأئمّة
صالح أُوعلي	1	مختلف الفنون	5	الحاج إسماعيل زرقون
صالح أُوعلي	1	تحفيظ القرآن	32	الحاج إسماعيل زرقون
بلدوعات	1	مختلف الفنون	5	الحاج إبراهيم ابن إدريس
آنو شرقي البلد	1	تحفيظ القرآن	36	الحاج إبراهيم ابن إدريس
آنو قبلي البلد	1	مختلف الفنون	4	الحاج صالح لعلي
المسجد	3	تحفيظ القرآن	55	ثلاثة من الفقهاء
باعبد العزيز	1	مختلف الفنون	4	الحاج سليمان ابن إدريس
غربي البلد	1	تحفيظ القرآن	44	حمّو بن محمّد الزّغبة

1- نفس المصدر، 555.

وفيما يلي إحصاء المحاضر ودور العلم عام 1924 وأعداد التّلاميذ بها في كلّ مدينة من مدن مزاب[1]:

البلدة	عدد المحاضر	عدد التلاميذ
غرداية	6 محاضر	189 تلميذا
مليكة	محضرتان	55 تلميذا
بني يزڤن	5 محاضر	100 تلميذ
بونورة	محضرة واحدة	35 تلميذا
العطف	محضرتان	45 تلميذا
بريان	محضرة واحدة	20 تلميذا
القرارة	5 محاضر	125 تلميذا
المجموع	22 محضرة	569 تلميذا

في هذه الفترة شرع في تطوير هذا النّوع من التّعليم. ففي سنة 1921، تمّ تطوير المدرسة القرآنية بمليكة، وفي سنة 1923، كان دور مدرسة الشّيخ الحاج عمر بن الحاج مسعود بالقرارة.

وفي سنة 1927، شرع في إنشاء أوّل مدرسة نظاميّة تابعة للمسجد ببني يزڤن وتطويرها على يد الشّيخ الحاج صالح لَعْلِي. أمّا مدرسة المسجد (مدرسة الدعوة والإرشاد) بغرداية، ومدرسة الثّبات ببونورة فقد انتظرتا سنة 1947، لتنالا نصيبهما من التّطوير. بينما نجد برّيان تجدّد التّدريس بمدرستها القرآنية عام 1933م.

بالنّسبة للعطـــف، يقول الشّيخ الڤرادي: «في سنة 1932، قامت جماعة تجّار العطف في العاصمة بفتح قسم للتّعليم الابتدائي، برعاية الشّيخ أحمد بن الحاج يحيى باكلّي. وقد أظهر من كفاءته وحبّه لمهنته ما دعا إلى نقله إلى العطف.

1- GROSSMANN : Le Réformisme Ibadhite, 60.

وافتتحت المـــدرسة بمحضرة المسجد العتيق واستمرّت إلى صيف 1937م. وقبل توقّفها، وفي فاتح جانفي 1937، افتتحت مدرسة في محضرة باسالم، برعاية الأستاذ محمّد بن بوهون الحاج إبراهيم، الذي استمرّ يعلّم بها إلى سنة 1946»[1].

وفي هذه السّنة، تولّى إدارتها الشّيخ محمّد بن باحمد الحاج سعيد، إمام المسجد.

لّما قررت جماعة إصلاح التعليم بالقرارة الانفصال عن معهد الشيخ الحاج عمر بن الحاج مسعود، أنشأت معهدا سمّته (معهد الشباب)، وذلك يوم الجمعة 28 شوال 1343هـ/21 ماي 1925م، بدار أوقفها والد الشيخ بيوض، وبقي المعهد بهذا الاسم إلى سنة 1375هـ/1954م، ثمّ سمّي (معهد الحياة)، نسبة إلى جمعية الحياة التي تقوم عليه. وفتحت داخلية الحياة أو دار الحوش مباشرة بعد افتتاح المعهد، لإيواء الطّلبة الذين يلتحقون به من خارج القرارة، وكانت هذه الدّار ملكا للشّيخ بيوض.

كان الطّلبة، في المراحل الأولى من نشأة هذه الدّار، من الكبار البالغين، ولم يكن يسمح لغيرهم بالالتحاق بالمعهد والدّار. فمدرسة الحياة الابتدائية لم تفتح إلاّ في منتصف 1938. وحتّى بعد فتحها، لم يكن الشّيخ بيّوض يقبل في دار البعثة إلاّ الكبار الذين لا يحتاجون لغيرهم في حاجاتهم اليومية. ولا بدّ أن يكونوا ممّن أنهى دروسه الابتدائية، وكان على استعداد لحفظ القرآن واستظهاره، وهذا شرط أساسي لدخول معهد الحياة[2].

كان الطّلبة في العشرية الأولى من الكبار، متقاربين في السّن، ولم يكونوا بحاجة إلى مراقب، ولذلك اختاروا من بينهم مسؤولا، لا تعدو مهمّته ضبط حسابات البعثة وجلب ما يحتاجونه. وفي آخر كلّ شهر يجمع المسؤول

1- محمّد ناصر: الشيخ الڤرادي، 80-82.
2- نفس المصدر، 96و99.

الحسابات، ويقدّمها للشّيخ بيوض، فيعطيه من المال ما يكفي لتسديد كشوف الحسابات. ولم يكن هذا العمل يستدعي من المسؤول تفرّغا كاملا.

ولعلّ أوّل مسؤول للبعثة، باختيار إخوانه الطّلبة، هو أوّل الطّلبة النّفوسيين في البعثة، الشّيخ مسعود بن عمر.

وفي سنة 1942، وبعد أن أحدثت تغييرات في نظم المعهد، قرّر الشّيخ بيوض أن يعيّن على رأس البعثة، مديرا متفرّغا، ووقع الاختيار على الأستاذ أَوْرَاغْ أحمد الذي كان فارق المعهد، ودخل ميدان التّجارة مضطرا لإنقاذ تجارة والده[1].

وفي أوّل ديسمبر 1941م/ 12 ذي القعدة 1360هـ، نقلت دروس الشّيخ بيوض كلّها إلى المسجد.

كان الشيخ بيوض يتولّى وحده التدريس بالمعهد، لكن بتضاعف عدد الطلبة، استعان على التوالي بالمشايخ: عدون بن بالحاج شريفي في مادة النحو، عمر ابن صالح آتْ داود في القرآن والنحو عام 1936، سعيد بن عبد الله الشيخ دَحْمَانْ في النحو كذلك وفي نفس السنة، قاسم بن الحاج سعيد بْسِيسْ في الجغرافيا عام 1937، إبراهيم بن باحمد حجاج في النحو أيضا عام 1938، بكير بن عمر بن بيوض في الشريعة، محمّد بن حمو ابن الناصر في الفقه، كلاهما في نفس السنة، علي يحيى معمر النفوسي في اللغة العربية عام 1940، وفي سنة 1944 كلّ من إبراهيم ابن عمر آتْ داود ويحيى حواش في الشريعة، وإبراهيم بن يحيى الحاج أيوب في الأدب، ثمّ عام 1947 ناصر بن محمّد المرموري في الشريعة والأدب...

كان حفظ القرآن واستظهاره كاملا شرطا أساسيا للدخول إلى المعهد، كما كان هو الشأن في المعاهد التي سبقته، إلى أوائل الأربعينات، حيث وقع التساهل في هذا الشرط، فاستبدل الختم بالاستظهار، تسهيلا لانخراط الطلبة.

1- نفس المصدر، 112-114.

عام 1946م، شُكّلت لجنة توحيد التعليم، تُشرف على التعليم الابتدائي في مدارس الإصلاح في مزاب وفي التل، تضع لها البرامج والمناهج، وعيّنت مدير المعهد الشيخ عدون شريفي مفتشا عامًّا لها.

عام 1938، فُتحت مدرسة جديدة في مليكة، وعهد بإدارتها والتدريس فيها إلى الأستاذ أبي الحسن عليّ بن صالح.

عام 1936، فتح السيد بليدي بوكامل عبد الله مدرسة ببني يزڤن.

عام 1942، فتح السيد بليدي بوكامل مدرسة أخرى بغرداية.

في أواخر الثلاثينات، فتح الشيخ عمر بن الحاج يوسف عبد الرحمن مدرسة (الرشاد)، في بني يزڤن، ثمّ انضمّت بهذا الاسم، بمعية رفيقيه الشيخ حاجي شريف، والشيخ الحاج عمر شريفي، إلى المؤسسة الإضافية المجاورة لمحاضر المسجد.

وفي 1941، فتح الشّيخ الحاج محمّد بابانو دارا للعلم للشّيخ إبراهيم حفار، وسمّاها (المعهد الجابري). ولاقى الشّيخ بابانو في ذلك معارضة كبيرة، اضطرّته إلى نقل المعهد إلى دار سكناه، إلى أن قام المحسن الحاج صالح زهار، فبنى دارا خصّيصا للمشروع، وذلك عام 1948.

يوم 31 ديسمبر 1946، اتّفق الأساتذة محمّد بن الحاج يوسف بابانو وعمر بن بكير شريفي وعمر بن الحاج يوسف عبد الرحمن وحاجي بن الحاج محمّد شريف على إدماج المدرستين: (المدرسة الجابرية) و(مدرسة الرشاد)، واشتملت المؤسّسة الجديدة على ابتدائية بها سبعة أقسام وثانوية بها أربعة أقسام.

لمّا كان أمر 1310هـ/ 18 أكتوبر 1892م يقضي بأن لا تفتح مدرسة عربية في الجزائر إلاّ برخصة من الحكومة، فإنّ الجمعيات المشرفة على التّعليم الحر في كلّ بلدة، تقدّمت بطلبات التّرخيص لها بالنّشاط في مختلف ميادين الثّقافة.

نشأت الجمعية الخيرية الوطنية في 2 صفر 1346هـ/01 أوت 1927م، وكان أوّل رئيس لها السيّد سليمان بن النّاصر حسني، وأنشأت في برّيان مدرستها في آخر محرّم 1347هـ/15 جويلية 1928م. وفي سنة 1358هـ/1939م، استقدمت الجمعية العلاّمة الجليل عبد الرّحمن بن عمر باكلّي، فكان أستاذا في المدرسة ومديرها، وشيخ مسجد بريان، ورئيس العزابة. وفي سنة 1365هـ/1946م، صارت الجمعية الخيرية تسمّى جمعية الفتح، فاعترفت بها الحكومة يوم 18 جويلية 1947م.

ونشأت جمعية الإصلاح بغرداية عام 1346هـ/14 أفريل 1928م، ووافقت الحكومة عليها في 24 ديسمبر 1928، وكان أوّل رئيس لها الشّيخ صالح بابكر، وأسّست مدرسة الإصلاح عام 1932.

أسّست جمعية الوفاق بالعاصمة في سنة 1929م، لتضمّ شتات الشّباب المزابي، وتجمعهم للتّفكير لخدمة مصالحهم الأدبية والاقتصادية، ولتنشر الثّقافة والتّهذيب في أوساطهم بواسطة المحاضرات والوعظ والإرشاد. انتخبوا رئيسا لها أحد المصلحين وهو المرحوم سعيد بن بكير خالدي، وكاتبا عاما لها السيّد الفرقد سليمان بوجناح. وكان من أبرز أعضائها مفدي زكرياء وإبراهيم غرافة.

وقد توقّفت هذه الجمعية لمدّة سنتين، وذلك بعد نفي الاستعمار كاتبها العام الفرقد إلى بني عبّاس جنوب بشّار، لترعته السّياسية الوطنية[1]، وعادت إلى الظّهور في 20 نوفمبر 1932، بنفس الرئيس وعدّون بن بكير باسعيد كاتبا عامّا.

وفي سنة 1932، أسّست جمعية الهدى بقسنطينة، وأسندت إدارة مدرستها إلى إبراهيم بن بابا بوعروة.

1- محمّد ناصر: الصحف العربية الجزائرية، 135.

وأنشأ التجّار اليزقنيون في ڤالمة جمعية الاستقامة عام 1349هـ/1930م، وأوّل رئيس لها الشّيخ محمّد بن الحاج صالح الثّميني، وأنشأت عام 1931م مدرسة ونواديا في ڤالمة، وكان مدير المدرسة ومعلّمها الأستاذ عبد الله بن محمّد بوراس.

وفي سنة 1365هـ/1946م، أنشئت في بني يزڤن جمعية أخرى بنفس الاسم، فأسّست فيها مدرسة عام 1947م، واعترفت الحكومة بهذه الجمعية عام 1948م.

أمّا بالنّسبة للعطف، فإنّ عمر بن عيسى الحاج امحمّد أنشأ بها مدرسة عصرية في ربيع الثّاني 1351هـ/1932م، هي مدرسة الشّبيبة، وترأس جمعيتها، ثمّ ترسّمت هذه الجمعية باسم النّهضة عام 1364هـ/1945م.

وأمّا جمعية الحياة بالقرارة، فلم يرخص لها إلاّ في 16 جمادى الأولى 1356هـ/24 جويلية 1937م، بعد أن تجاوزت قضيتها الولاية العامّة إلى باريس، وذلك بواسطة خبزي عيسى بن عمارة، ولم يزل رئيسها هو الشيخ بيوض إلى وفاته.

أُسّست جمعيّة الثبات بالعاصمة سنة 1941، وكان الشيخ بايّوب بن باحمد بافلح كاتبا لها. وهو الذي كان من مؤسّسي جمعيّة الشبّان سنة 1952 وكاتبا لها.

ونشأت جمعية النّور في بونورة في سنة 1945م، وكان رئيسها أيوب بن صالح صالح، وأمين مالها باعيسى بن داود دودو.

وفي 25 جانفي 1947م، وردت رخصة جمعية التّوفيق لبني يزڤن التي يرئسها الشّيخ إبراهيم بن بانوح مطياز.

يقول الشيخ بيوض في تقريره الذي بعثه إلى الدكتور تركي رابح يوم 22 أفريل 1972: «كانت (هذه الجمعيات ومدارسها)، ولم تزل، معتمدة في نفقاتها ومصاريفها في الإنشاء والبناء والتجهيز والتسيير على اشتراكات الأعضاء وتبرعات المحسنين، لم يدخل صناديق ميزانياتها درهم ولا دينار من أيّ حكومة كانت، أو هيئة رسمية، لا في القديم ولا في الحديث».

ولعلّه من المفيد أن نطلع على أفكار ومبادئ مؤسّسي هذه الجمعيات الثّقافية والاجتماعية. وليكن ذلك من خلال بعض الفصول من القانون الأساسي لجمعية التّوفيق، التي شعارها: (اُدع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة)، نتّخذها نموذجا لهذه الجمعيات متشابهة الأهداف والوسائل.

«الفصل الثالث: وظيفة الجمعية الدّعوة والإرشاد إلى الدّين، وصون المصالح الدّينية والاجتماعية على وجه العموم، وعدم التّدخل في الشّؤون السّياسية، وتأييد المساجد والعوائد الدّينية والقومية، وإصلاح ذات البين، والسّعي وراء الأمن العام.

...الفصل الخامس عشر: للجمعية فتح معاهد لتعليم القرآن وحفظه والمبادئ الدّينية، بميزاب وخارج ميزاب حيث يوجد الميزابيون.

الفصل السّادس عشر: تعتني الجمعية بالأولاد المولودين من الميزابيين في بلاد الشّمال وخارج ميزاب، بتقييد أسمائهم وعشائرهم، وتثقيفهم، وحفظهم على قدر الإمكان والاستطاعة، وبالفقراء والمساكين والعاجزين بمساعدتهم على قدر الإمكان.

الفصل السابع عشر: الاعتناء بمساعدة ومدّ اليد لكلّ تلميذ فيه ذكاء واستعداد لتحصيل العلم، أدبيا واقتصاديا، حتّى لا ينقطع حملة الدّين ورجاله من هذا الوطن.

الفصل الثامن عشر: إيجاد مكتبة على نفقة الجمعية، تجمع فيها كتب الإباضية وغيرهم، ممّا تمسّ الحاجة إليه كالتّاريخ وغيره، تحفظ في خزائن خاصّة، لمن أراد البحث والمطالعة والنّسخ».

أسّس الشّيخ الحاج بكير العنق مع زملائه أوّل مدرسة عربية نظامية في تبسة سنة 1913، وهي المدرسة الصديقية، تحت إدارة السيّد عباس بن حمانه، وتبرّع للمدرسة الإخوة الثّلاثة الحاج بكير بن عمر المرموري وشقيقاه عيسى وإبراهيم بدارهم الواسعة بساحة الجمارك، ولكن فرنسا أدركت خطرها، فأسرعت بإغلاقها بعد ستّة أشهر من فتحها.

وكان وادي مزاب أسبق النّواحي الجزائرية كلّها في إرسال البعثات العلمية المنظّمة إلى تونس، وكانت لهم ثلاث ديار كبيرة للطّلبة[1].

لمّا أغلقت السّلطات الفرنسية المدرسة القرآنية لتبسة، لم يثن ذلك من همّة الأولياء، بل بادروا إلى إرسال أولادهم إلى تونس في ماي 1914م، تحت إشراف الشيخ أبي اليقظان، فأودعوهم بعض المدارس النّظامية الأهلية، وظهر فيها نبوغ وذكاء، ولكن لم تساعدهم الظّروف للإقامة إلى أن يبلغوا أمنيتهم، بل رجعوا إلى بلادهم في أوّل أفريل 1915، فانقطع المشروع بذلك.

ثمّ إنّه تجدّد في أوّل جانفي 1917م رغم العراقيل والعقبات، بإرادة قوية وعزيمة راسخة. ومن ذلك الحين أخذ بعض ذوي العزم والنّشاط يردون على الدّيار التّونسية زرافات ووحدانا، كبارا وصغارا، منهم من يؤمّ الجامع الأعظم لتكميل معلوماته، ومنهم من يؤمّ بعض المدارس القرآنية، مع مراقبة أتم وحراسة أحكم من مراقبة وحراسة الآباء والأمّهات والأساتذة هناك في بلدهم.

انطلقت البعثة بدار الشيخ أبي اليقظان سنة 1917، وتبعتها دار الشيخ صالح بن الحاج علي باعلي في الشهور الأخيرة من سنة 1918، بمعيّة الشيخ أبي إسحاق طفيش، وفيها استقرّ الشيخ الثميني محمّد وابن عمّه عبد العزيز بن يوسف سنة 1919، قبل أن يستقل الشيخ أبو إسحاق والشيخ الثميني بدارهما في جويلية من سنة 1920.

عام 1920، أسّس بنو مزاب بتونس مدرسة السّلام القرآنية الحرّة، بإدارة الشّيخ الشّاذلي المرالي، مدير جريدة المنير التّونسية، لتستقبل ثمانية وخمسين تلميذا مزابيا، تتروح أعمارهم بين تسع سنوات وأربع عشرة سنة، وكان عدد التلاميذ يوم 5 فيفري 1926 أربعة وأربعين بين عشرة أعوام وخمسة عشر عاما، وعددهم عام 1938 نحو ستين طالبا.

1- محمّد دبوز: نهضة الجزائر الحديثة، الجزء الثاني، 21.

أوّل السّاهرين على البعثة الشّيخ أبو إسحاق إبراهيـــم طفيش، والشّيخ أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى، والشّيخ صالح بن يحى، والشّيخ الحاج صالح بن علي باعلي، والشّيخ محمّد بن الحاج صالح الثّميني، والشّيخ يوسف بن بكير حمّو أُو علي.

وظيفة الرّقباء هي:

- إلقاء دروس على الطّلبة في العقائد والفقه الإباضي يوميا.
- تفقّد دروسهم اليومية وكراريسهم.
- مراقبة أحوالهم الدّينية العملية.
- ضبط سيرتهم وتقويم أخلاقهم.
- المحافظة على حالتهم الصحّية والاقتصادية... [1]

في سنة 1341هـ/1922م، نشبت معركة بين الداعين إلى الدراسة في تونس والمنكرين لها بزعامة الشيخ الحاج صالح لَعْلِي، ميدانها الصحافة والرسائل والكتب، دامت نحو سنتين.

في سنة 1923، تأسّست جمعيّة الوفاق، وهي خاصّة بكبار تلاميذ بعثتي الثمينيّ وأبي اليقظان، تعمل على إصدار جريدة بنفس الاسم "الوفاق". وأنشأت بجانبها جمعيّة خاصّة بصغار التلاميذ باسم "الإقبال"[2].

من جهة أخرى فإنّ المزابيين شاركوا مشاركة فعالة في تأسيس جمعية العلماء الجزائريين في ماي 1931. فقد كان الشّيخ بيوض الحاج إبراهيم من واضعي القانون الأساسي للجمعية، وكان أحد أعضاء اللّجنة الإدارية الأولى، حيث شغل وظيفة أمين صندوق مساعد، وبطلب منه تمّ تعويضه بالشّيخ أبي اليقظان.

1- أبو اليقظان: إرشاد الحائرين، 7.

2- مصطفى حمّودة: مفدي زكريّاء وإنتاجه الأدبيّ إلى قيام الحرب العالميّة الثانية، 160.

ب- التّعليم الرّسمـــي:

العدد الإجمالي للتّلاميذ بالمدارس الرّسمية في مزاب من 1914 إلى 1922م هو[1]:

- 465 تلميذا عام 1914 - 462 تلميذا عام 1915 - 532 تلميذا عام 1916
- 567 تلميذا عام 1917 - 586 تلميذا عام 1918 - 605 تلميذا عام 1919
- 615 تلميذا عام 1920 - 598 تلميذا عام 1921 - 594 تلميذا عام 1922

وكان عندئذ لكلّ قرية من قرى مزاب مدرسة رسمية، ما عدا بونورة.

وفي الموسم الدّراسي 32-1933 ارتفع عدد التّلاميذ إلى 750، وكان عدد النّاجحين في شهادة التّعليم الابتدائي سنة 1938 ثلاثة وثلاثين تلميذا.

عام 1946، فتحت المدرسة الرسميّة أبوابها في بونورة.

بالنسبة للتكوين المهنيّ، فإنّ الشيخ بيوض قام بإرسال بعثة طلاّبيّة من القرارة سنة 1358هـ/1939م، لتتلقّى تكوينها في مدرسة التكوين المهنيّ بغرداية، وتولّى رعايتهم حتّى تخرّجهم، ثمّ قام بمساعدتهم لفتح ورشاتهم وانطلاق أشغالهم.

جـ- التعليم المسيحـــي:

في 10 جانفي 1914، تقدّمت جماعة بني يزقن بشكوى للسلطات الفرنسية ضدّ قيام المبشرين، منذ منتصف ديسمبر، بالبحث عن محل بالبلدة قصد شرائه أو كرائه.

معارضة الجماعة لهذا المشروع أدّى إلى تدخل السلطات في تشكيلة الجماعة، برفع عدد ضُمَّان عرش أولاد موسى من أربعة إلى ثمانية، وعدد ضُمَّان عرش أولاد يدر من خمسة إلى ستة.

في الموسم الدراسيّ 1924-1925، كانت مدرسة الآباء البيض للبنين ترعى ما عدده 98 طفلا، منهم 81 مزابيّا. وكان المشغل الأهليّ يضمّ 64 متربّصة، من بينهنّ مزابيّتان.

1 -C. GROSSMANN : Le Réformisme Ibadhite, 63.

في سنة 1932، كان عدد التّلاميذ بمدرسة الآباء البيض بغرداية مائة وعشرين، نصفهم إباضية ونصفهم مالكية. وفي 1933، ارتفع هذا العدد إلى مائة وخمسين، وأعيد بناء المدرسة. وفي 1938، بلغ العدد مائة وتسعين تلميذا.

4- الفلاحـــة والـــرّي :

اتّفقت جماعة بني يزڤن عام 1921 على زيادة ذراع واحد في ارتفاع السد الصغير بوَڤْدَاشْ، مع تمديد مناسب لطوله، من جهة المجزرة (المستوصف حاليا).

في عام 1925، سمح لأهل القرارة بإصلاح سد ضاية تْلَمَّزْ أَمَانْ.

أعيد بناء سد على بعد حوالي كيلومتر ونصف من مدينة غرداية، جرفته المياه منذ حوالي قرنين، ولم يتم إعادته آنذاك لمعارضة أهل مليكة. تمّ البناء بما يسمّى ثْوِيزَا (حملة تطوّعية) نظّمت عدّة أيّام الثّلاثاء المتتالية مدة شهور[1].

في سنة 1928، طالب سكّان مزاب بإلحاح بالقيام بحفر آبار ارتوازية، مستعدّين أن يساهموا في تكاليف ذلك. بعد الدّراسات أعلن الأستاذ صَافُورْنَا[2] عام 1930 أنّ الماء يمكن أن يتدفّق في القرارة، إذا تمّ الحفر إلى عمق يتراوح بين 430 و500متر، إلى طبقة القاري المدرج (الألبية).

ندرة الأمطار بين 1934 و1937 أثّرت في مستوى المياه الجوفية، وجعلت سكّان مزاب يقومون بحملة من المطالبات، للحصول على آبار إلى الطّبقة الألبية. وفي سنة 37-1938، تمّ حفر أولى بئر عمقها 440 مترا، واستغلال مياه الألبية في غرداية.

سمّيت هذه البئر باسم الوالي العام للجزائر وقتئذ جُورْجْ لُوبُو[3].

لم تسمح ظروف الحرب العالمية الثّانية بحفر آبار مماثلة. فالبئر الثانية أنجزت في مليكة عام 47-1948.

1- PARMENTIER : L'Entraide chez les Berbères Ibadites du M'Zab, 47.
2 -SAVORNIN.
3 - GEORGES LE BEAU : Gouverneur Général du 21-09-35 au 19-07-40.

يوم 30 ديسمبر 1947، أُسّست لاَرِيصَا[1]، وكالة استغلال المياه الجوفية للجنوب الجزائري، بقرار من الوالي العام للجزائر، يخوّل لها حق احتكار استغلال المياه الجوفية في مزاب الواقعة على عمق يتراوح بين خمسمائة وثمانمائة متر[2].

بعض الإحصائيات لهذه الفترة في ملحقة غرداية[3]:

السنة	عدد النخيل	منتوج التمور
1919	207.441	15.000 قنطار
1920	200.200	10.000 قنطار
1921	193.875	29.320 قنطار

وهذه زراعة الحبوب في ملحقة غـــرداية[4]:

	عام 18-1919	20-19	21-20	22-21
قمح	100 هكتار	200	70	70
شعير	300 هكتار	400	140	250
قمح	300 قنطار	340	210	
شعير	1200 قنطار	200	1012	

من 1943 إلى 1949 سنون القحط، هلك فيها عشرات آلاف النّخيل في مزاب.

5- التّجـــارة :

في سنة 1932، كوّن التّجار المزابيون في الشّرق الجزائري نقابة دفاعية بعمالة قسنطينة، يرئسها الحاج صالح بن محمّد زكري، وكاتبها أيّوب بن عمر طلاّي، فأيّدوها عام 1936م، لمّا فدح أمر اليهود واشتدّت وطأتهم، بمؤسّسة

1-. R.E.E.S.S.A.
2- B.MERGHOUB : Le Développement Politique en Algérie, 72.
3- Les Territoires du Sud de l'Algérie, deuxième partie. 197 et 200.
4- IBID, 208,209,212.

أخرى تحت اسم شركة شرق الجزائر للمنسوجات. وبهاتين المؤسستين استطاع التجّار المزابيون أن يستوردوا الأقمشة والمنسوجات.

وفي نفس السّنة، دعّم المزابيون هاتين المؤسّستين بمؤسّسة عامّة ثالثة تحت اسم جمعية التّعاون العام، برئاسة الشّهيد إبراهيم بن بالحاج حجوط ونائبه الحاج إبراهيم أبي اليقظان. فكانت لهذه المؤسّسات الثّلاث أكبر أثر في إحباط مؤامرات اليهود في التّفليس والتّفقير[1].

تعرّض التجار المزابيون في الشرق الجزائري لمقاطعة من طرف الأهالي، دامت أربعة أشهر، من جوان إلى نهاية سبتمبر 1936 بسبب توتّر العلاقة بين مفدي زكريّاء وعبد الحميد بن باديس.

شكّل رئيس الغرفة التجارية لمدينة الجزائر بعثة تجارية إلى إفريقيا الغربية الفرنسية، تضمّ عشرة أعضاء، من بينهم عيسى بن قاسم باسعيد البرياني، قصد استكشاف السوق لترقية التبادل التجاري بين الجزائر والمستعمرات الفرنسية في إفريقيا الغربية.

أقلعت البعثة من البليدة يوم 12 جانفي 1936، على متن سرب من عشر طائرات عسكرية صغيرة، وزارت كلاّ من النيجر والداهومي (بنين حاليا) والطوقو وساحل العاج وغنيا الفرنسية (غينيا حاليا) والسنغال وموريطانيا والسودان الفرنسي (مالي حاليا)، ورجعت إلى الجزائر، ونزلت بمطار الدار البيضاء يوم فاتح مارس 1936.

من بين التوصيات الواردة في التقرير الذي حرّره عيسى باسعيد أن يقوم بنو مزاب بإنشاء وكالات ودكاكين في القرى الموجودة داخل المثلث قاو-باماكو- نيامي.

ولعلّه تحقيقا لهذه التوصية، فإنّه في نوفمبر 1940، تأسّست شركة (دوّاق وزكرياء) للتّجارة في قاو، من عمالة باماكو، عاصمة مالي حاليا، تضمّ السّادة دوّاق عمر بن داود ودوّاق إبراهيم بن صالح وزكرياء سعيد بن زكري وزكرياء يحيى بن زكري.

1- حمو عيسى النوري: دور الميزابيين، الجزء الأول، 388.

كان المزابيون العازمون على الخروج من مزاب للتجارة وغيرها، مجبرين على طلب رخصة من ملحقة غرداية، وقد بلغ المعدّل السنوي لعدد الرخص الممنوحة للسفر إلى التل، في الفترة الواقعة بين 1917 و1937 ألفين وخمسمائة رخصة. ألغيت وثيقة رخصة السفر بالنسبة لأهالي مناطق الجنوب بمرسوم مؤرخ يوم 20 أوت 1937، أصدره الوالي العام. أعيد العمل بهذه الوثيقة من 17 أكتوبر 1945 إلى 24 ديسمبر 1945.

في سنة 1938، سجّل عشرون تاجرا مزابيا بالتراب التونسي، وخمسة وثمانون مستخدما في الحمامات التونسية، ثمانون منهم من القراراة.

عاش الأهالي في مزاب، مثل غيرهم في المناطق الأخرى، ظروفا صعبة للغاية، خلال سنوات الحرب العالميّة الثانية، تمثّلت في إجراءات التقشّف وتقنين المحاصّة في شراء الموادّ الغذائيّة وغيرها.

من هذه الإجـــراءات:

- لا يباع الخبز إلاّ بعد 24 ساعة من خروجه من الفرن، باستثناء رمضان.
- بيع الصوف لصنع الألبسة: أقصى كمّيّة لكلّ عامل هي 20كغ شهريّا.
- كمّيّة قماش الكفن محدودة بخمسة أمتار للكبير ومتر ونصف للصبيّ.
- قطع الكهرباء في الخريف والشتاء من العاشرة ليلا إلى الخامسة والنصف صباحا.
- قطع الكهرباء في الربيع والصيف من الحادية عشرة ليلا إلى الخامسة والنصف صباحا، ومن الحادية عشرة صباحا إلى الثالثة مساء.

وهذا نموذج للحصص الشهريّة من المواد المقنّنة:

- السكر: 500غ لأكثر من 3 سنوات و1كغ للأصغر من 3 سنوات.
- الصابون: 140غ لأكثر من 3 سنوات و280غ للأصغر من 3 سنوات.
- القهوة: 250غ لأكثر من 3 سنوات.

- الأتاي: 45غ لأكثر من 3 سنوات.
- الزيت: نص لتر لكلّ نفس.
- السميد: 1كغ لكلّ نفس.
- الكاربور: 100غ لكلّ نفس.
- البترين: 75ل للسيارات النفعيّة والمحرّكات.

40ل للسيارات السياحيّة.

للحامل أن تأخذ 1,5 كغ سكر و1كغ صابون زيادة في بداية الحمل، ومثلهما عند الوضع.

6- التّجنيد الإجباري:

يقول لُوفِبْر[1]: «إنّ المزابيين أُرغموا على قبول فرنسا عندهم. إنّهم يتحمّلونها، يستفيدون منها إذا اقتضى الأمر، لكنّهم لا يحبّونها. إنّها لا تجد فيهم أيّة مساعدة، ولا يشاركون في الحياة الوطنية (الفرنسية)، وقد يفرحون لهزائمها، إذا كان سينتج عنها تشكيل الإمبراطورية الإباضية من جديد، بتوحيد المجموعات المختلفة المتشتّتة، والتي لا تزال تحافظ على العلاقات التي تربط بينها»[2].

المادّة الثامنة من قرار 3 فيفري 1912 بيّنت كيفية تجنيد الأهالي الجزائريين، في بلديات التّل، وعدّلتها المادّة الأولى من قرار 28 نوفمبر 1913 القاضية بتسجيل الأهالي البالغين تسعة عشر عاما، غير المولودين في تلك البلديات، والقاطنين بها منذ أكثر من سنة، في قوائم المجنّدين بهذه البلديات.

منذ صدور قرار 3 فيفري 1912 في الجريدة الرّسمية الملقّبة بالمبشر يوم 2 مارس 1912 وقبله، وبنو مزاب يحتجّون ضدّ التّجنيد الإجباري لشبابهم العاملين بالتّل.

1- LEFEBVRE.
2- Monographie de l'Annexe de Ghardaïa, 158-159.

في 23 فيفري 1912، بعثوا شكايات إلى كل من كومندان غرداية، والوالي العام، ورئيس الحكومة، ورئيس مجلس الوزراء، تبعها تقرير إلى رئيس الحكومة يوم 8 جوان 1912، يشرح أسباب رفض التّجنيد، التي تتلخّص أوّلا في تعارضه مع الدّين الإسلامي، ونتائجه الاقتصادية السيّئة على بني مزاب، ومخالفته لبنود معاهدة 1853. وتلا ذلك لقاء وفد من الأعيان بالوالي العامّ يوم 26 جوان 1912.

اجتمع أعيان جماعات بني مزاب في التل من العمالات الثلاث، واتّفقوا على إرسال وفد عنهم إلى باريس، لطلب إعفاء بني مزاب من التجنيد العسكري، وأطلقوا له التفويض التام. ضمّ هذا الوفد الحاج أحمد بن حمو بوجناح، يحيى بن قاسم، زكرياء بن سعيد، الحاج بكير بن الحاج قاسم بن الشيخ بالحاج. كان ذلك يوم 10 من ذي الحجة 1330هـ/20 نوفمبر 1912م. انضمّ إلى الوفد بعد ذلك الحاج يوسف بن الناصر.

وصلوا باريس يوم 26 نوفمبر، ورجعوا إلى مرسيليا يوم 5 ديسمبر، في طريق عودتهم إلى الجزائر.

في 11 جويلية 1913، استدعى الكومندان المكلف بشؤون العرب بالعاصمة، بأمر من الوالي العام، أعضاء جماعة قصور وادي مزاب السبعة، وأخبرهم على لسان وزير الحرب بأنّ شكايتهم مستحسنة، غير أنّ طلبهم في دفع غرامة حربية مؤبدة مقابل التجنيد غير مقبول، وأنّ الدولة تقبل فاديا على من يُقْبَلُ قانونا في ظرف السنتين 1913 و1914. وأمّا من سنة 1915 فصاعدا، فالدولة هي التي ستعيّن فاديا على من يُقبل قانونا، وما على المقبول أو جماعته إلاّ دفع ما يلزم قانونا. هذا الأمر خاص ببني مزاب الساكنين بمدن التل منذ سنة واحدة على الأقل.

في سنة 1914، أرسل بنو مزاب أيضا يحيى بن باحمد بالولو إلى باريس، للمطالبة بإعفائهم من التجنيد، رفقة يوسف بن الناصر من بونورة، وألزمتهما ظروف اندلاع الحرب العالمية الأولى المكوث بفرنسا ثمانية أشهر.

- الأتاي: 45غ لأكثر من 3 سنوات.
- الزيت: نص لتر لكلّ نفس.
- السميد: 1كغ لكلّ نفس.
- الكاربور: 100غ لكلّ نفس.
- البترين: 75ل للسيارات النفعيّة والمحرّكات.

40ل للسيارات السياحيّة.

للحامل أن تأخذ 1,5 كغ سكر و1كغ صابون زيادة في بداية الحمل، ومثلهما عند الوضع.

6- التّجنيد الإجباري:

يقول لُوفِبْر[1]: «إنّ المزابيين أُرغموا على قبول فرنسا عندهم. إنّهم يتحمّلونها، يستفيدون منها إذا اقتضى الأمر، لكنّهم لا يحبّونها. إنّها لا تجد فيهم أيّة مساعدة، ولا يشاركون في الحياة الوطنية (الفرنسية)، وقد يفرحون لهزائمها، إذا كان سينتج عنها تشكيل الإمبراطورية الإباضية من جديد، بتوحيد المجموعات المختلفة المتشتّتة، والتي لا تزال تحافظ على العلاقات التي تربط بينها»[2].

المادّة الثامنة من قرار 3 فيفري 1912 بيّنت كيفية تجنيد الأهالي الجزائريين، في بلديات التّل، وعدّلتها المادّة الأولى من قرار 28 نوفمبر 1913 القاضية بتسجيل الأهالي البالغين تسعة عشر عاما، غير المولودين في تلك البلديات، والقاطنين بها منذ أكثر من سنة، في قوائم المجنّدين بهذه البلديات.

منذ صدور قرار 3 فيفري 1912 في الجريدة الرّسمية المقبة بالمبشر يوم 2 مارس 1912 وقبله، وبنو مزاب يحتجّون ضدّ التّجنيد الإجباري لشبابهم العاملين بالتّل.

1- LEFEBVRE.
2- Monographie de l'Annexe de Ghardaïa, 158-159.

في 23 فيفري 1912، بعثوا شكايات إلى كل من كومندان غرداية، والوالي العام، ورئيس الحكومة، ورئيس مجلس الوزراء، تبعها تقرير إلى رئيس الحكومة يوم 8 جوان 1912، يشرح أسباب رفض التّجنيد، التي تتلخّص أوّلا في تعارضه مع الدّين الإسلامي، ونتائجه الاقتصادية السيّئة على بني مزاب، ومخالفته لبنود معاهدة 1853. وتلا ذلك لقاء وفد من الأعيان بالوالي العامّ يوم 26 جوان 1912..

اجتمع أعيان جماعات بني مزاب في التل من العمالات الثلاث، واتّفقوا على إرسال وفد عنهم إلى باريس، لطلب إعفاء بني مزاب من التجنيد العسكري، وأطلقوا له التفويض التام. ضمّ هذا الوفد الحاج أحمد بن حمو بوجناح، يحيى بن قاسم، زكرياء بن سعيد، الحاج بكير بن الحاج قاسم بن الشيخ بالحاج. كان ذلك يوم 10 من ذي الحجة 1330هـ/20 نوفمبر 1912م. انضمّ إلى الوفد بعد ذلك الحاج يوسف بن الناصر.

وصلوا باريس يوم 26 نوفمبر، ورجعوا إلى مرسيليا يوم 5 ديسمبر، في طريق عودتهم إلى الجزائر.

في 11 جويلية 1913، استدعى الكومندان المكلف بشؤون العرب بالعاصمة، بأمر من الوالي العام، أعضاء جماعة قصور وادي مزاب السبعة، وأخبرهم على لسان وزير الحرب بأنّ شكايتهم مستحسنة، غير أنّ طلبهم في دفع غرامة حربية مؤبدة مقابل التجنيد غير مقبول، وأنّ الدولة تقبل فاديا على من يُقْبَلُ قانونا في ظرف السنتين 1913 و1914. وأمّا من سنة 1915 فصاعدا، فالدولة هي التي ستعيّن فاديا على من يُقبل قانونا، وما على المقبول أو جماعته إلاّ دفع ما يلزم قانونا. هذا الأمر خاص ببني مزاب الساكنين بمدن التل منذ سنة واحدة على الأقل.

في سنة 1914، أرسل بنو مزاب أيضا يحيى بن باحمد بالولو إلى باريس، للمطالبة بإعفائهم من التجنيد، رفقة يوسف بن الناصر من بونورة، وألزمتهما ظروف اندلاع الحرب العالمية الأولى المكوث بفرنسا ثمانية أشهر.

وفي سنوات الحرب العالمية الأولى، استجابت جميع نواحي الجزائر بالتّل وبأراضي الجنوب إلى نداء فرنسا، فأرسلت أعدادا من العمّال والمتطوّعين في صفوف الجيش الفرنسي، إلاّ بنو مزاب، فإنّهم تمسّكوا بموقفهم الرّافض للتّجنيد.

وفي 1918، تقرّر التّجنيد الإجباري لـ238 شابا ضمن دفعة 1919. امتنعت جماعات قرى مزاب من وضع قوائم التّجنيد، واحتجّت مرّة أخرى برسالات مضمنة التبليغ، وجهت إلى عبد الله بن الحاج صالح بوكامل في العاصمة، لتبليغها مباشرة إلى الولاية العامّة.

يوم 1 جوان 1919، اكتفت السّلطات الفرنسية بمساعدة القوّاد، لتسمّي العدد المقرّر، وجنّدت بمنتهى العنف، نصف العدد تقريبا. أمّا الباقي فقد اختبؤوا في مدن مزاب وفي مدن التّل، واعتبروا متمرّدين. عندئذ قام الشّعب بمظاهرة سلمية في بوزيزة، أمام مقر الحاكم العسكري في غرداية. أمّا ردّ الحاكم العسكري على المظاهرة، فإنّه بعث بتقرير شديد اللّهجة إلى الوالي العام آبيل[1]، يعلن فيه تمرّد بني مزاب المسلّح وعصيانهم لفرنسا، فاستشاط الوالي العام غضبا، فأرسل من توّه فرقة من السينغاليين لاحتلال وادي مزاب بقوّة السّلاح.

هنا ذهب السيّد يحي بن قاسم باعامر إلى بوسعادة، فاجتمع بابن عمّه سليمان بن إبراهيم، فأبلغه الخبر الخطير، فأسرعا إلى الحاج نصر الدّين دِيني[2]، وهو فرنسي أسلم، زميل الوالي العام في الدّراسة وصديق سليمان باعامر. فأبـــرق الحاج نصر الدّين إلى الوالي العام أن يوقف الفرقة، ريثما يتّصل منه بتقرير في الموضوع. فأبـــرق الوالي إلى ثكنة بوغار لإيقاف الفرقة وإرجاعها إلى المديّة.

1- JEAN BAPTISTE ABEL : Gouverneur Général à Titre de Mission Temporaire du 31-07-1919 au 28-07-1921.

2- E.DINET : Artiste Peintre.

ثمّ إنّ الحاج نصر الدّين أطلع الوالي على حقيقة الأمر والمراد من المظاهرة السّلمية، وأحضرت صورة فوطوغرافية للمظاهرة، أخذها بعض السوّاح من فندق مقابل لبوزيزة، فكانت أصدق شاهد على استفزازات الحاكم لشعب مزاب. وطرد هنا الحاكم العسكري الكابيتان والي من مزاب، مع الكولونيل مَارْتَانْ من الأغواط[1].

توالت الاحتجاجات ضدّ التّجنيد الإجباري، إلى أن قَدَّم وزير الحرب إلى الوالي العام، يوم 12 ماي 1920، تقريرا يصرّح فيه أنّ المزابيين رعايا فرنسيين، مثل غيرهم من الجزائريين، وأنّهم ملزمون بالتّجنيد.

وفي 05 مارس 1921، أصدر مرسوما يبيّن شروط تطبيق التّجنيد الإجباري للأهالي في أراضي الجنوب.

عندئذ توالت الاجتماعات لضبط خطّة معارضة للتّجنيد الإجباري. ففي 19 مارس 1921، عقد أعيان بني يزقن جلسة حضرها قاضيها الحاج أحمد بن الحاج حمّو يدّر، للاحتجاج ضدّ رفع الخراج من خمسة وأربعين ألف فرنك إلى 135 ألف فرنك عام 1921، وضدّ التّجنيد الذي يضع المزابي الإباضي في خدمة الكفّار، معرّضا حياته في سبيلهم، علما أنّ الجهاد لا يصحّ إلاّ لنصرة الإسلام. عيّن المجتمعون مبعوثين، أحدهما إلى عمالة الجزائر وعمالة وهران، والثاني إلى عمالة قسنطينة، للقيام بتحسيس المزابيين في التّل.

في 25 من هذا الشهر، اجتمع كافّة أعيان المدن الخمس في غرداية، ليقدّموا عريضة احتجاج في هذين الموضوعين إلى الوالي العام، الذي سيزور مزاب قبل نهاية الشهر. إلاّ أنّ هذه الزّيارة ألغيت.

يوم 01 جويلية 1921، أُعلم كافّة القوّاد المزابيين أنّ الحصّة المقرّرة لدفعة 1921 هي مائة وخمسون شابا، موزّعة كما يلي: غرداية 42، بني يزقن 28،

1- حمو عيسى النوري: دور الميزابيين، الجزء الأوّل، 370.

القرارة 30، بريان 20، العطف 13، مليكة 11، بونورة 6، وأنّ هذا العدد يجب أن يكون مجنّدا قبل تمام العام، وأنّ التّعويض مقبول، ويجب على المعوّض الاكتتاب برضائه، والجماعة تتّفق معه على ما يأخذه من الفائدة المالية.

وإذا لم يجنّد العدد المطلوب في آخر السّنة، فإنّ الباقي يتعيّن بالقرعة، ويجب على القوّاد أن يفرضوا على عشائرهم عدد الشّباب الذي ينوب لكّل فرقة.

جُنِّد من هذا العدد أثناء 1921، واحد وعشرون متطوّعا عوضا، وستّة وثلاثون عوضا في الشّهور الخمسة الأولى من عام 1922. كما سجّل 223 شابا لسنة 1922، تقدّم من بينهم اثنان وستّون، جلّهم من البدو واليهود، كما جنّد 132 بصفة تلقائية، أغلبهم مزابيون.

في أوت 1922، قدّمت القرى السّبع بواسطة جماعات الضمّان والقواد، أوّل طعن لها إلى مجلس الدّولة ضدّ قرارات لجنة الفحص بغرداية، تتّهمها بالتّطبيق الخاطئ لمرسومي 3 فيفري 1912 و5 مارس 1921، إذ أنّ الأوّل يهم الأهالي المسلمين الجزائريين والثّاني لا يتعلّق إلاّ بسكّان مناطق الجنوب. فالمزابيون ليسوا أهالي مسلمين جزائريين ومزاب ليس منطقة جنوب ملحقة بفرنسا.

يوم 20 أكتوبر 1922، صدر قرار حكومي يصبح بمقتضاه التّجنيد بالاقتراع. هذا القرار حثّ بني مزاب على القيام بطعن جديد إلى مجلس الدّولة.

يوم 23 فيفري 1923، بعث الوالي العام برقية إلى المزابيين يؤجّل فيها إلى 07 مارس 1923، اعتبار المجنّدين لعام 1922 غير الملبّين للاستدعاء، متمرّدين، ويتوعّدهم بتطبيق العقوبات القانونية.

عمليات الفحص لدفعة 1923 التي أجريت بين 24 و29 ماي 1923، شملت 122 شابا من بين 280 مسجّلا. ثمانية وسبعون منهم اعتبروا غائبين بأعذار مقبولة وثمانون تمّ تجنيدهم تلقائيا.

يوم 10 ديسمبر 1923، يعلم المواطنون أنّ عدد الشّبّان الذي يجنّد من قرى مزاب لسنة 1924 هو مثل العدد الذي جُنِّد للسّنة الماضية، أي مائة، موزّعة كما يلي: غرداية 28، القرارة 20، بني يزقن 18، بريان 12، العطف 8، مليكة 6، بونورة 4، اليهود 4.

في 15 ماي 1925، أصدر مجلس شورى الدولة الفرنسية حكما يتضمّن أنّ بني مزاب يجري عليهم الحكم بالتّجنيد كسواهم. أيّد هذا الحكم حكم آخر بتاريخ 30 جوان 1926، مدّعيا أنّ قانون 24 ديسمبر 1902، الذي يحوي مزاب ضمن مناطق الجنوب، يقرّر ضمنيا الإلحاق الشّرعي لمزاب بفرنسا[1].

يقول بْرُونِيل[2]، المحامي لدى محكمة الاستئناف بالعاصمة: «إنّ الأمّة المستقلّة ذاتيا، والتي تدفع خراجا، لا تجب عليها الخدمة العسكرية، إلاّ إذا التزمت بمقتضى اتّفاق على ذلك مع الدّولة الأخرى التي تعاقدت معها. وهذه ليست حالة المزابيين، ومن الظّلم إدخالهم في الجندية»[3].

احتجاجا على حكم مجلس شورى الدّولة الفرنسية، نظّم بنو مزاب مظاهرة شعبية بغرداية، في 20 نوفمبر 1925، أمام الوالي العام موريس فيوليت[4]، ممّا أدّى إلى اعتقالات وملاحقات وتغريمات.

غير أنّ هذه المظاهرة أسفرت عن نتيجة إيجابية، حيث أنّ الحصة المفروضة من شبان طبقة 1926 انخفض مقدارها إلى خمسين، أي نصف ما حدّد للسنوات السابقة، مقسمة بنفس النسب على القرى المزابية. ثمّ إنّ هذا العدد اقتصر على ثلاثين شابا، بالنسبة لطبقة 1927، موزعة كما يلي: غـــرداية 8،

1- B.MERGHOUB : Le Développement Politique en Algérie, 69.
2- A.Prunnelle.
3- Le Recrutement des Indigènes Algériens, 70-71.
4- MAURICE VIOLETTE : Gouverneur Général à Titre Temporaire du 12 Mai 1925 au 19 Novembre 1927.

بني يزقن 5، بريان 5، القرارة 6، مليكة 2، العطف 2، بونورة 1، اليهود 1. بقي المجموع ثلاثين إلى طبقة 1946، حيث خفض إلى ثمانية، باستثناء طبقة 1941 التي أعفيت كلّيا من التجنيد.

في قضيّة التّجنيد هذه، كان للشّيخ داود بن الحاج بكير قاضي غرداية، موقف شاذ. فقد كان يصرّح يومئذ أنّ التّجنيد ضروري، لأنّ به يدرك المزابيون استعمال الأسلحة. فلمّا ظهرت للسّلطات الفرنسية حقيقة الرّجل، تيقّنت أنّ القاضي داود هو أكبر داعية لإشعال نار الثّورة، فأوعزت إلى أحد جنودها الصبائحية فأطلق عليه الرّصاص. إلاّ أنّه لم يمت، فنقل للعلاج في المستشفى. ولمّا تماثل للشّفاء سقته سما فمات، وذلك يوم 31 جويلية 1919.

لكن، حسب مراسلات السلطات العسكرية الفرنسية، فإنّ القاضي داود كان عميلا لها، وكان يمدّها بأخبار الثوار في الجنوب. وقد وقف ضدّ العزابة الذين كانوا يرفضون التجنيد، ممّا أدّى إلى قتله من طرف مناصريهم. وقد اعتقلت السلطات الفرنسية الباش عدل بابا بن الحاج داود والعدل حمو بن بكير باجو، بتهمة تورطهما في هذا الاغتيال، وذلك يوم 8 أوت 1919. أمّا القائد صالح بن يحيى البوال، فقد عُزل في مارس 1921، لعدم مساعدته العدالة عند التحقيق في هذه القضية.

إنّ آخر من بقي يطالب فرنسا بإلغاء التّجنيد الإجباري هي الأمّة المزابية. فقد انتدبت السيّد عمر بن عيسى الحاج امحمّد وكيلا مفوّضا للدّفاع عن قضاياها سنة 1930. ولم يتم إلغاء التّجنيد الإجباري للجزائريين إلاّ يوم 6 فيفري 1947، بقرار من الوزير المفوّض الوالي العام للجزائر شَاطِنْيُو[1].

1- Yves CHATAIGNEAU : Gouverneur Général à partir du 08-09-1944.

7- النّشاط السّياسي في القضايا المحلّية:

عام 1914، تقدّم بنو مزاب بعريضة إلى الاتّحاد من أجل الدّفاع عن حقوق الإنسان والمواطن في باريس، في موضوع عدم استشارتهم في تسمية القوّاد والقضاة.

وكانت سنة 1338هـ/1919م سنة عاصفة في القرارة، وقعت فيها معارك طاحنة بين الإصلاح والمعارضة. وقد رصد المعارضون في هذا العام جماعة من الإصلاح كانوا مسافرين، وتآمروا مع الجمالين، حتّى إذا وصلوا وادي نْسَا، غدر بهم الجمالون، فقتلوهم جميعا.

ثارت القرارة بهذه الجريمة، واستمال الإصلاح بعض الصّحف الفرنسية في الجزائر وباريس، فكتبت مقالات حارّة في هذه الجريمة، وفي الظّلم الذي يقع في وادي مزاب من الحكّام العسكريين وأذنابهم[1].

وفي 7 ماي 1930، قدّم بنو مزاب رسالة في قضيّة التّجنيد الإجباري إلى كلّ من رئيس الجمهورية دُومِيرق[2]، ورئيس مجلس الشّيوخ، ورئيس مجلس الأمّة الفرنسي، أثناء زيارتهم لقسنطينة. وقد كانت مرفقة بعريضتين، إحداهما لوكيل الأمّة المزابية عمر بن عيسى، والأخرى لكاتبه عدّون بن بكير. وكان الكلّ داخل محافظ جلدية فاخرة مطرّزة.

مطالب العريضة الأولى ثلاثـــة:

1- الإعفاء من التّجنيد الإجباري.

2- تخفيف الضّرائب، ولا سيّما ضريبة المواريث.

3- انتخاب أعضاء المجلس المكلّف بالنظر في ميزانية مزاب.

1- محمّد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة، الجزء الثاني، 204.

2- DOUMERGUE (Gaston) : 1924-1931.

أنواع الضـــرائب:

- أوّلا: ضريبة البزْرة، وهي الخراج المفروض على بني مزاب منذ الحماية عام 1853. توزع هذه الضريبة على عقارات البلاد بنسبة ما ينوب كلّ بلدة.
- ثانيا: ضريبة الكُورْفِي، وهي ضريبة الأشخاص والحيوانات.
- ثالثا: ضريبة المكس، وهي المضروبة في بداية القرن العشرين على أسواق مزاب.
- رابعا: ضريبة المواريث، وُضِعَتْ بعد الحرب العالميّة الأولى.

بعث بنو مزاب شكوى إلى الوالي العام، ضدّ تطبيق مرسومه المؤرخ يوم 29 جوليت 1932، والذي يشترط على من أراد الحصول على منصب قاض أو باش عدل في محكمة بأراضي الجنوب، أن يكون حاملا لشهادة الدراسة التي تمنحها إحدى المدارس الثلاث بالقطر الجزائري، وطلبوا تعليق تطبيق هذا المرسوم على المحاكم الإباضية بمزاب وخارجه، إلى أن تقوم الإدارة بإحداث كراسي لأساتذة إباضيين بهذه المدارس، لتعليم المذهب الإباضي رسميا، وتجهيز طبقات الناشئة المزابية لذلك، بواسطة مدرسين رسميين بمدن مزاب السبع، واقترحوا تشكيل لجنة بحث وإصلاح من طرف الولاية العامّة، تتألّف من علماء بني مزاب وأعيانهم، لدراسة مشكلة القضاء الإباضي بوادي مزاب، والمداولة فيما يجب اتخاذه لحلّها.

وفي 4 ذي الحجّة من عام 1350هـ/1932م، اجتمع عزّابة القرى الخمس في مسجد باعبد الرّحمن الكرتي، فاتّفقوا على التّحجير على الإخبار بالتّلفون أو التّلغراف، والعمل بهما في رؤية الهلال. وقد تمّ ربط مزاب بالجزائر بخطّ الهاتف يوم الجمعة 25 ماي 1928.

وفي 8 شوال 1351هـ/14 فيفري 1933م، جدّد هذا القرار، واتّفق أيضا على إبقاء العمل بقول: (إنّ البلاد إذا لم تختلف مطالعها كلّ الاختلاف وجب حمل بعضها على بعض)، كما قرّر في جلسة 3 صفر 1351هـ.

تزعّم الشّيخ بيّوض حركة الإصلاح بمزاب، ولقي من فريق المحافظين معارضة شديدة، من ذلك أنّ حلقة عزّابة بني يزقن أعلنت عام 1935 أنّ الشّيخ بيّوض في براءة المسلمين.

انعقد المؤتمر الإسلاميّ الجزائريّ بالجزائر العاصمة يوم 7 جوان 1936، وحدّد المؤتمرون مواقفهم إزاء المسألة الوطنيّة، تمثّلت في التشبّث بالشخصيّة الجزائريّة المسلمة المستقلّة، والمطالبة بإلحاق الجزائر بفرنسا رأسا، وقبول مشروع فيوليت. أمّا حزب نجم شمال أفريقيا فكان يدعو إلى استقلال الجزائر، وتكوين برلمان جزائريّ منتخب.

أمّا المزابيّون فيقول عنهم محفوظ قدّاش، متحدّثا عن موقفهم من المؤتمر الإسلاميّ، ما ترجمته: "غير أنّ صوتا مخالفا كان يسمع في ذلك الحين، هو صوت المزابيّين الإصلاحيّين الذين كانوا ينتصرون لمواقف قريبة من مواقف نجم الشمال الإفريقيّ. المزابيّون الإصلاحيّون اتّخذوا موقفا مضادّا لسياسة التجنيس والإلحاق التي تبنّاها المؤتمر، وانتقدوا على مسؤوليه إهمالهم لمطالب الشعب المزابيّ، وذكّروهم بأنّ مزاب محكوم من الناحية السياسيّة والاجتماعيّة بمعاهدة خاصّة..."

عقد المزابيّون مؤتمرا لبحث موقفهم من المؤتمر الإسلاميّ، يوم 2 جوليت 1936 بسيدي بَنُّورْ، حضره 190 ممثّلا وفدوا من مزاب ومدن التلّ، ترأّسه الشيخ أبو اليقظان، بمساعدة حجّوط إبراهيم والشيخ إبراهيم مطياز، وانتهى في جلسة ثانية يوم 3 جوليت بمسجد الإباضيّة في العاصمة إلى القرارين الآتيين:

- تكوين لجنة تحضـــيريّة مؤقّتة رئيسها حجّـــوط إبراهيم ونائبه الشيخ أبو اليقظان وكاتبها الشيخ إبراهيم مطياز ونائباه سليمان بوجناح ومفدي زكريّاء، مكلّفة بحوصلة الآراء التي ذكرت في اللقاءين، وبتكوين جمعيّة رسميّة للدفاع عن المصالح التجاريّة للمزابيّين.

- تشكيل لجنة من الشيخ أبي اليقظان وحجّوط إبراهيم وسليمان بن الحاج داود، مكلّفة بحضور اللقاء الذي سيعقده المؤتمر الإسلاميّ يوم 5 جوليت، لتعيين اللجنة التنفيذيّة النهائيّة للمؤتمر. وفيه يعرضون موقف المزابيّين من المؤتمر الإسلاميّ الذي يتلخّص في أنّ مصالحهم مختلفة عن مصالح أهالي مناطق الشمال. ولذلك سيضعون كرّاس مطالب سياسيّة خاصّة بهم، يعرضونها على الحكومة، بعد الإحراز على موافقة مشايخ مزاب ومسؤولي جماعات مدنه السبع.[1]

في 11 أوت 1936، سافر الوفد المكلّف بعرض كرّاس مطالب المزابيّين على حكومة الجبهة الشعبيّة، إلى فرنسا، مكوّنا من السادة إبراهيم حجّوط، إبراهيم حجاج وعيسى بن بكير بنكيح.

وفي 8 أفريل 1937، حلّت اللجنة البرلمانية بغرداية، وسلّم لها كتاب من أعضاء حلقات العزابة وجماعات الضمان لمدن مزاب، يتضمن المطالب الآتية:

1- إعفاء بني مزاب من التّجنيد الإجباري والتّعويض عنه.

2- احترام بنود معاهدة 29 أفريل 1853 وبلاغ 1 نوفمبر 1882، اللّذين ينصّان على إبقاء بني مزاب على حالتهم الدّينية وعوائدهم القومية، وعدم التدخّل في شأن من شؤونهم الدّاخلية.

3- تخفيف الضرائب، ومن بينها الزّيادة الواقعة في الخراج الذي كانت تؤدّيه الأمّة المزابية عام 1853، ومبلغه خمسة وأربعون ألف فرنك، ومنها ضريبة الإرث التي تزاحم الورثة وتضيق الخناق على الوصيّة.

4- إرجاع مجلس الاستئناف عمّي سعيد.

5- إرجاع محكمة العطف التي ألحقت بمحكمة بني يزقن عام 1928، ومحاكم مليكة وبونورة والقرارة الملغاة يوم 8 ديسمبر 1932، مع العلم بأنّ ما يصرف على هذه المحاكم لم يكن من الدولة، بل كان من أهل البلد منذ تأسيسها.

1- مصطفى حمّوده: مفدي زكريّاء وإنتاجه الأدبيّ إلى قيام الحرب العالميّة الثانيّة، 233-236.

6- إلغاء البغاء الرّسمي وبيع الكحول بمزاب.

7- الاحتجاج على التّمهيد لاستبدال الحكم المدنيّ أو الممزوج بالحكم العسكريّ.

8- أن تتولّى العشيرة وحدها التّوكيل والاستخلاف والتّحجير ورفعه، وكلّ ما يتعلّق بأمر قاصريها، طبقا لنصوص المذهب الإباضي.

وفي 15 فيفري 1938، اجتمع في مسجد باعبد الرّحمن الكرتي خمسة وتسعون من أعيان المدن السّبع من غير العزّابة، قصد إنهاء الخلاف بين المحافظين والإصلاح.

اجتمع العزّابة الإصلاحيون للقرارة في أوّل صفر 1357هـ/1938م، فقرّروا عزل رئيسهم، فوقع العزل في صباح الثّلاثاء 4 صفر/5 أفريل 1938، وفي صباح الخميس الموالي وقع الهجوم على مقر اجتماع العزّابة في المسجد، وهجم الرئيس المعزول على الشّيخ بيوّض، فحاول طعنه بسكّين، فوثب عليه بعض العزّابة وحالوا بينه وبين الشّيخ بيوض، الذي نزل مع الدرج، وأفلت من العصابة المسلّحة التي كانت تنتظره على باب تَامْنَيْتْ.

رجع الرئيس المعزول إلى مكانه بالمسجد، وعَزَلَ الشّيخَ بيّوض من الحلقة ومعه السيّد أحمد بن الحاج بكير كرشوش. لكن العزّابة المصلحين واظبوا على كلّ وظائفهم في المسجد.

وفي ليلة الجمعة قام الإمام، فأعلن على الملأ البراءة من أفراد العصابة الذين هجموا بالهراوي على المسجد، وأسرع السيّد عيسى بن عمارة خبزي من بسكرة، فعقد في مساء الجمعة 14 صفر جلسة في داره مع رؤساء المعارضة، وفي صباح السّبت 15 صفر مع الشّيخ بيوض وعزّابة الإصلاح، ثمّ جمع في المساء في داره أعيان القرارة كلّهم، وحضر الرّئيس المعزول وأصحابه العزّابة الأربعة، وأجبرهم الرّأي العام على التّوبة أو الانسحاب من الحلقة، فانسحب هو واثنان من أصحابه.

في 15 أوت 1938، وجّه الشّيخ بيّوض إلى الحاكم العسكري بغرداية المقيم بالأغواط، وثيقة تشرح أهداف حركة الإصلاح.

في 18 شعبان 1357هـ/13 أكتوبر 1938، التقى بمسجد عمّي سعيد وفد عزّابة برّيان، بدعوة منه، إخوانهم من عزّابة المدن الخمس، حول فتنة وقعت في برّيان، حيث عُزل ثلاثة من عزّابتها المناصرين للشيخ بيّوض، فقام بعض من العوامّ باقتحام المسجد وطرد بقيّة العزّابة منه. اتّفق عزّابة المدن الخمس الحاضرون على وجوب إرجاع المطرودين إلى حلقتهم، وتأييد قرار العزل.

وفي 25 مارس 1939، أمضى 116 شخصا عريضة، يطالبون فيها بحلّ جمعية الإصلاح ومنع الشّيخ بيوض من دخول غرداية.

وفي جوان 1939، وجّهت جماعة ضمّان بني يزقن طلبا إلى حاكم دائرة غرداية لمنع الشيخ بيّوض من دخول بلدهم.

إبّان الحرب العالمية الثّانية، وذات يوم من عام 1940، سافر الشّيخ سليمان بن الحاج داود إلى القرارة، ليجتمع بالشّيخ بيّوض، فأرسلت السّلطات الفرنسية قوّة على إثره، وألقت القبض عليهما. فلمّا حضرا أمام الملحقة بغرداية، وقد جمع الحاكم العسكري قواد مزاب لحضور محاكمتهما، أثنى باللاّئمة عليهم لتقصيرهم في واجب السّهر على أمن الدّولة، فقام قائد بني يزقن عبد الله ترشين وجابه الحاكم العسكري يقول: «إنّ الجوسسة على الأشخاص والبحث عن نزعاتهم السّياسية ليست من خصوصيات وظيفتنا». ثمّ أعلن الحاكم بوضع الشّيخ بيّوض تحت الإقامة الجبرية ثلاث سنوات في القرارة، وبنفي الشّيخ سليمان إلى قسنطينة ثلاث سنوات كذلك.

في ديسمبر 1943، شكّل الجنرال دُوغُول[1] لجنة الإصلاحات، واستمعت إلى الشّيخ بيوض يوم 3 جانفي 1944 في الجزائر العاصمة، حيث قدّم مطالب المزابيين المتمثّلة في احترام معاهدة 1853 مفصّلة في البنود الآتية:

1- DE GAULLE Charles (1890-1970).

- إلغاء التجنيد الإجباريّ.
- كفالة الحرّيات الشخصيّة في دائرة الدين والقانون.
- حرّية الاجتماع والنشر والتعليم العربيّ.
- توسيع نطاق التعليم الفرنسيّ وترقيته.
- الاعتناء بحفظ الصحّة العموميّة.
- إلغاء دور البغاء ومنع الميسر ومنع بيع الخمر وفتح الحانات.
- إصلاح الطرق وحفر الآباء الأرتوازيّة.

من جهة أخرى، فإنّ الآغا سليمان بن بكير باعماره، قدّم لهذه اللجنة بالجزائر العاصمة عريضة ممضاة من طرف قوّاد بني يزقن والعطف وبونورة يوم 28 ديسمبر 1943، الغرض منها المحافظة على مميّزات وطن مزاب وذاتيّته المضمّنة لاستقلاله الذاتيّ حسب معاهدة 1853.

عندما أُفرج عن الشيخ بيّوض من الإقامة الجبريّة في القرارة، قام بجولة قادته إلى غرداية أوّلا، فبني يزقن، فالعطف، فبونورة، فضاية بن ضحوة، ليختتمها ببرّيان، التي مكث فيها سبع ليال، حيث وصلها يوم 15 شوال 1363هـ/3 أكتوبر 1944.

وكانت الزيارة الأولى للشّيخ بيّوض إلى بني يزقن عشيّة الجمعة 4 شوّال 1363هـ/22 سبتمبر 1944م، حيث قصد برفقة وفده مكتب القائد عبد الله ترشين، ومنه محل السيّد يحي ترشين. فاجتمع فيه نحو أربعين شخصا من بني يزقن وبونورة والعطف وغرداية[1].

وبعد أسبوع، وباستدعاء من أعيان الإصلاح في بني يزقن، زارها مرّة ثانية، صباح يوم السّبت 12 شوّال/30 سبتمبر، بعد زيارته لبونورة. إلاّ أنّه وجد بباب المدينة ستّة معارضين يريدون منعه من الدّخول، فدخلها بالقوّة.

1- محمّد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء الرابع، 76.

وبعد أن ألقى خطبته في الشّارع واقفا على كرسي، أسرع الحاكم العسكري من غرداية وأمر الوفد بالخروج من بني يزقن، فخرجوا[1].

إنّ الوالي العام شَاطِينْيُو ألغى عام 1945 حقّ الفيتو الذي كان للحاكم العسكري في غرداية والأغواط في الانتخابات البلدية في مزاب. ذلك أنّه كان للحاكم العسكري حقّ رفض الضّامن المنتخب من طرف عشيرته، وحقّ تعيين شخص آخر مكانه إذا ما أصرّت العشيرة على اختيارها.

في 23 نوفمبر 1945، وقع خلاف بين عزّابة مسجدي العطف في موضوع تسمية عزّابة جدد، وتدخّلت عزّابة القرى الأربع المجاورة دون جدوى.

وفي 24 أفريل 1946، قدّم الشّيخ بيوض إلى الوالي العام شَاطِينْيُو عريضة، جاء فيها:

1- إلغاء وظيف القائد وجعله منتخبا انتخابا حرا من أعضاء مجلس الضمّان، وتسميته شيخ المدينة أو رئيس الجماعة.

2- إلغاء الحكم العسكري.

3- إلغاء التّجنيد الإجباري.

4- تعديل الحدود بين مزاب وبين الأغواط والجلفة وتقرت وورقلة.

5- إرجاع المحاكم الملغاة في بونورة ومليكة.

6- الرّجوع بمجلس الاستئناف عمّي سعيد إلى عهد مجيء فرنسا، وإلغاء القرار الذي يحدّد أجل طلب الاستئناف إليه بثلاثة أيّام، ويشترط اتّفاق الخصمين، فيكون الأجل شهرا وبرغبة المحكوم عليه فقط.

7- حرّية الاجتماع والنّشر والتّعليم العربي.

8- توسيع نطاق التّعليم الفرنسي وترقيته.

9- إلغاء دور البغاء ومنع الميسر وبيع الخمر وفتح الحانات.

10- إصلاح الطّرقات وحفر الآبار الأرتوازية.

1- نفس المصدر، 173.

وفي 3 جوان 1946، أُرسلت شكوى للوالي العام، مضمونها الاحتجاج ضدّ كلّ ما يطلبه الشّيخ بيوض نيابة عن الأمّة المزابية.

وفي 4 منه، قدّمت شكوى أخرى لرئيس إدارة غرداية، يطلب فيها ضُمّان وأعيان القرى الخمس، منع الشّيخ بيوض من القدوم إلى مزاب، إلاّ أنّه رخّص له بزيارة لبريان وغرداية في نهاية جوان 1946.

أرسل الشّيخ يوسف بن بكير شكوى إلى رئيس دائرة غرداية يوم 24 أوت 1946 ضدّ إبراهيم خير النّاس، لأمره النّاس تقديم أوقاف مسجد باسالم إليه في المسجد العتيق.

وفي 29 سبتمبر 1946، أُرسلت عرائض احتجاج لكلّ من رئيس مجلس النوّاب ورئيس الوزراء ووزير الدّاخلية والوالي العام، يُطلب فيها أن تبقى شؤون المزابيين تدار بواسطة الحكم العسكري.

وفي 9 جوان 1947، حصل الاتّفاق على أن يقدّم مطالب المزابيّين للوالي العامّ إِيفْ شَاطِنْيُو، باسم النيابة الدائمة للأمّة المزابيّة لدى الحكومة الفرنسيّة، وفد يتركّب من ثلاثة أعضاء: الشيخ بيّوض عن الإصلاح رئيسا، الحاج امحمّد عمر بن عيسى عن حزب المحافظين، باسعيد عدّون كاتبا، فقدّموها بواسطة الكولونيل تَانْ حاكم وطن غرداية العسكريّ بالأغواط.

وفي 20 سبتمبر 1947، قدّم المحافظون عريضة يطلبون فيها إبقاء نظام انتخاب رؤساء العشائر بيد صلحاء العشيرة لا من عامّتها.

في 30 أكتوبر 1947، أجري استفتاء لأعيان العشائر حول هذا الموضوع، إلاّ أنّ الولاية العامّة رأت أنّ هذا الاستفتاء غير مأمور به، وقرّرت عدم الاعتداد به أصلا.

ممّا جاء في عريضة احتجاج قدّمها ضمّان بني يزقن إلى كل من الوالي العام والحاكم العسكري لدائرة غرداية، يوم 24 سبتمبر 1947، ما يلي:

«تتلخّص مطالب الأمّة المزابية المشروعة في الاحترام التّام للمعاهدة المبرمة في 29 أفريل 1853م، بين الأمّة المزابية والحكومة الفرنسية...وفي تطبيق نصوصها، وفي إعادة النّظر في الضريبة الواجب دفعها على ميزاب...وفي تعديل الحدود الحالية بين ميزاب والأغواط وتفرت والجلفة وورقلة...ويجب الرّجوع إلى الحدود القديمة المبنية على قسمة المسافة أنصافا بين ميزاب والبلدان المتاخمة لها.

والأمّة الميزابية تشكو وتحتجّ لما وقع من العبث بحرمة المعاهدة بدون سبب شرعي معقول، وفيما يلي أمثلة لذلك:

أوّلا- إجبار الأمّة الميزابية من 1912 إلى 1947 على التّجنيد...

ثالثا- سلب هذه السّلط (حلقات العزّابة) الإشراف الذي كان لها على تنظيم القضاء الشّرعي، بتعيين وعزل القضاة وأعضاء محكمة الاستئناف الإباضية المسمّاة بمجلس عمّي سعيد.

رابعا- إلغاء بعض المحاكم...وإلحاق البعض...وتضييق الخناق على المحكمة الاستئنافية...

خامسا- رفع الضريبة المقرّرة على ميزاب في الاتّفاقية شيئا فشيئا...ثمّ إرهاق هذه الأمّة...بضرائب أخرى مختلفة الأسماء كمكس الأسواق والمجازر، وغرامة الكراء والطّرقات، والغرامة الشّخصية على الرّؤوس، وغرامة الإرث، وحقوق التانبر والتسجيل وغير ذلك.

سادسا- منع الجماعات البلدية في المدن السّبع من إدارة أراضي العروش والتصرّف فيها بالبيع والإيجار لمصلحة التّعمير والإنشاء، ولتسديد نفقات التكاليف الضّرورية لإصلاح الطّرقات والسّدود ومنابع المياه والجسور والأسوار والمقابر وغير ذلك من مصاريف البلدية.

سابعا- استحواذ الإدارة الفرنسية على أراضي ميزاب والتصرّف فيها بمنح امتيازات البحث والتّنقيب، واستغلال هذه الأراضي ظاهرا وباطنا، ولشركات أجنبية أو لهيئات حكومية...كما وقع أخيرا في أرض زلفانة.

ثامنا- منع الإدارة الفرنسية لأهل الوطن من حفر الآبار الفوارة في أراضيهم وبأموالهم الخاصّة.

تاسعا- سلب الميزابيين حرّيتهم في اختيار ممثّليهم في الجماعات البلدية وتخويل حاكم التّراب العسكري حقّ رفض المنتخب.

عاشرا- سلب الأمّة حقّها في انتخاب رئيس البلدية بإحداث وظيف القائد، الذي تتولّى الإدارة وحدها أمر تعيينه.

حادي عشر- تخويل القيّاد الذين هم موظّفون معيّنون من طرف الإدارة، لا منتخبون من قبل الأمّة، حقّ النّيابة جبرا على هذه الأمّة، وتمثيلها رسميا في اللّجنة البلدية الموجودة الآن في غرداية، والتي من اختصاصها المصادقة على ميزانية ميزاب وسنّ الضّرائب المتعدّدة...

ثاني عشر- خنق السّلط الإدارية لحرّية التّعليم الدّيني واللّغة العربية...

ثالث عشر- منح هذه السّلط نفسها، بسهولة مدهشة، لرخص منحوسة لإنشاء دور كثيرة للقصف والبغاء الرّسمي بميزاب وفتح حانات ومواخير عديدة...

رابع عشر- إدماج ميزاب ببعض مقاطعات الجزائر فيما يخصّ الإدارة والقضاء والنّيابة بالمجالس، مع أنّ ميزاب يمتاز بطابعه الخاص وبعاداته وبتقاليده وحقوقه الخاصّة التي يجب أن تبقى خاصّة به مدى الحياة...

وهي (الأمّة الميزابية) ترفض رفضا باتا الاعتراف بأيّ طلب أو شكوى يقدّم باسمها من أيّ فرد أو جماعة، بدون موافقتها بعد عرضه عليها في مجلس وطني عام، تختار أعضاؤه بصفة ديمقراطية حرّة، من جميع بلدان ميزاب، ومن جميع العشائر في كلّ بلد... كما ترفض أيّ تدخّل في شؤونها الدّاخلية أو استنقاص في حقوقها، أو إدماج في غيرها، أو ربط حظوظها بحظوظ أمّة أخرى... بدون علم الأمّة وموافقتها...».

8- مواصلة تدعيم بني مزاب للثّوار ضدّ الاستعمار:

إنّ إعلان الجهاد ضدّ فرنسا من طرف مفتي استنبول في 1914، لبعث الخلافة الإسلامية، استقبل بالتّرحيب في مزاب. ففي 1915، قام أحد الطّلبة في القرارة بجمع التبرّعات، بحجّة قدوم قريب لسليمان باشا الباروني، وذلك لتموين المدينة وتجديد أسوارها، استعدادا لتكون قاعدة عسكرية، ولإحباط أيّ حصار محتمل.

لذلك فقد تمّ عزل القائد كاسي بن بوهون، وسجن الطّالب المذكور بتاعضميت في نهاية الحرب العالمية الأولى[1].

كما أنّ الشّيخ صالح بن يحى أنشأ عام 1915 في القرارة فرعا للجمعية السرّية الثّورية، ترأسّه الشّيخ بكير العنق.

وعندما انفجرت ثورة الهقّار سنة 1916، جاءها المتطوّعون من مزاب، ملبّين الدّعوة للجهاد المقدّس ضدّ فرنسا الذي أعلنه الزّعيمان أحمد سلطان والشّيخ عبد السّلام[2].

يقول الكاتب الفرنسي دِيُون: إنّ بعض المناطق الجزائرية، مثل مزاب، قد استقبلت إعلان مفتي إستنبول للجهاد ضدّ فرنسا بالترحيب، وعندما انفجرت ثورة الهقار، سنة 1916، أيّدها الجزائريون في مزاب بحماس.

وأيّد بنو مزاب بالعون المالي زعيم الرّيف، عبد الكريم الخطابي، في ثورته بالمغرب من 1920 إلى 1926، كما يشهد على ذلك كاتبه حسن البغدادي[3].

في سنة 1930، صدر الكتاب الأبيض الإنجليزي حول فلسطين، وممّا جاء فيه:

1- تأسيس مجلس تشريعي في بلاد فلسطين يحتوي على اثنين وعشرين عضوا، منهم عشرة من موظّفي الحكومة الإنجليزية، وسبعة مسلمون وخمسة يهود.

1- G.MEYNIER : L'Algérie Révélée, 624.

2- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، 232.

3- علي يحى معمر: الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 599.

2- مد يد المساعدة للعرب لتبقى لهم أملاكهم.

3- توقيف الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

إثر صدور هذا الكتاب، يطالعنا مقال للفرقد (سليمان بن يحى بوجناح) في جريدة المغرب يوم 4 نوفمبر 1930، يبيّن فيه خطأ رأي أولئك الذين أحسنوا الظنّ بما جاء فيه، جازما بأنّها ورقة جديدة ألقت بها السّياسة الإنجليزية لتشغل بها الفلسطينيين عن حقّهم المشروع. ويؤكّد الفرقد بأنّ الحلّ الوحيد لن يكون إلاّ «بالاستقلال التّام عن أيّ سلطة أو حكومة أجنبية»[1].

في أوت 1937، شكّل حزب الشعب لجنة الدفاع والإغاثة من أجل فلسطين، برئاسة مصّالي الحاج، وكان مفدي زكريّاء أحد نائبَيه فيها.

في جوان 1948، تأسّست بالعاصمة لجنة لإعانة فلسطين، تهدف إلى تأكيد التضامن الجزائري الإسلامي مع شعب فلسطين. هذه اللجنة وضعت تحت إشراف الشيخ البشير الإبراهيمي، فرحات عباس، الشيخ بيوض، الشيخ الطيب العقبي. وفي أكتوبر 1948، جُمعت من بني مزاب تبرعات لفائدة الفلسطنيين، بلغت ثلاثة ملايين فرنكا.

9- النّشاط السّياسي لبني مزاب في شمال إفريقيا:

إنّ الحزب الحر الدّستوري الذي أسّسه الشّيخ عبد العزيز الثّعالبي وأنصاره في منتصف شهر فيفري 1920، قد كان من مؤسّسيه ومن مؤيّديه الأوّلين شخصيات بارزة من العلماء المزابيين، فكان أبرزهم صالح بن يحى آل الشّيخ اليزقني، كان من الأعضاء الإداريين في الحزب، وعضوا في اللّجنة التّنفيذية، وعضوا في لجنة الدّعاية، وعضوا في لجان المالية، وعضوا في الوفد.

1- محمّد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية، المجلد الأول، 413.

يقول أحمد توفيق المدني: «فإنّه لمّا تأزّمت الحالة بتونس وتقرّر إرسال الوفد، ولم يكن المال الموجود كافيا، سافر الشّيخ صالح إلى مزاب، وجمع منها المال، وصبّ في خزانة الوفد يومئذ أربعين ألف فرنك»[1].

هذه التبرّعات وأمثالها من المزابيين، مكّنت الشّيخ الثعالبي من السّفر إلى فرنسا وإلى جنيف، مقر عصبة الأمم، للتّعريف بقضيّة تونس. يذكر الأستاذ محمّد الصالح الجابريّ في كتابه "النشاط العلميّ والفكريّ للمهاجرين الجزائريّين بتونس" أنّ عددا من أبناء وادي ميزاب قد وضعوا كلّ إمكانياتهم المادّيّة والمعنويّة لدعم هذا الحزب وشدّ أزر قيادته.

في 28 أكتوبر 1920، ألقي القبض بتونس على صالح بن يحيى، ومثُل أمَام مجلس الحرب، بتهمة التّآمر ضدّ أمن الدّولة التّونسية، ولم يطلق سراحه إلاّ في جوليت 1921، بمقتضى قانون للعفو العام.

وفي 6 ديسمبر 1920، قامت السّلطات الفرنسية بتفتيش منازل قائد بني يزڤن سليمان بن عيسى، وزكري بن سعيد، والحاج عيسى بن محمّد، وإبراهيم ابن سليمان، والحاج بكير بن داود بزملال، للكشف عن وثائق تثبت صلتهم بالحزب الدّستوري. وفي 22 جانفي 1921، تمّ تفتيش مترلي الحاج بكير بن داود بزملال، اللّذين يفصل بينهما الشّارع، ويصلهما نفق، أنجزه منذ ستّة أشهر، بموافقة جماعة الضمّان لبلدة بني يزڤن.

إلى جانب هذه التّفتيشات، فإنّ السّلطات الفرنسية كانت تتّخذ إجراء وقائيا ضدّ كلّ من له نشاط سياسي مشبوه مناوئ لها، بأن تسجّل اسمه في الدّفتر (ب).

ومن بين من سُجّل فيه، نذكر السّادة زكري بن سعيد والإخوة باحمد وبكير وعمر أبناء داود بزملال وعيسى بن عمر يحمد وسليمان بن يحيى ابن الشيخ والتاجر محمّد بن بكير من بني يزڤن، والحاج عمر بن الحاج إبراهيم العنق من القرارة.

1- حياة كفاح، 158.

ويستفاد من تقرير للمخابرات الفرنسية مؤرّخ يوم 27 مارس 1922، وعدّة تقارير أخرى لرؤساء الملحقات، أنّه ابتداء من سنة 1922، تشكّلت لجنة سياسية في مزاب، برئاسة سليمان بن عيسى قائد بني يزڤن، وباحمد بن الحاج حمّو يدّر قاضيها. أرسلت هذه اللّجنة ثلاثة تجّار إلى سوق أهراس، ليكونوا همزة وصل بين تونس ومزاب، ودعاة للحزب الحر الدّستوري التّونسي. كان سليمان باشا الباروني محورا للعلاقات التي تربط تونس بمزاب، تصله التبرّعات التي يجمعها قائد بني يزڤن وقاضيها، فيرسلها بدوره إلى صالح بن يحيى آل الشّيخ عضو اللّجنة التّنفيذية للحزب المذكور. لقد جمع في هذه السّنة وحدها 226 ألف فرنك.

يقول الدكتور صالح خرفي: «ونقتصر هنا على بعض الشخصيات، لنبيّن انتشار أفكار الحزب الدستوري في مختلف مدن الجزائر...، كان من بين هؤلاء السادة: باعلي الحاج صالح بن محمّد...، وهو ملاك بناحية ڤالمة وقاطن ببني يزڤن، وكان مبعدا من طرف الفرنسيين إلى سجن تعضميت لموقفه المعادي لهم، وزكري بن سعيد، وهو تاجر بمدينة ڤالمة أيضا، وكان من أعضاء الوفد الجزائري الذي توجّه إلى باريس للاحتجاج ضدّ التجنيد الإجباري سنة 1912، وسيدي عيسى بن الحاج عبد العزيز بن محمّد، التاجر بمدينة الجزائر، وكان وكيلا في قضية التجنيد الإجباري، وترشين عبد الله بن الحاج حمو، التاجر بعنابة، وهو من مراسلي صحف المشرق العربي، وأبو كامل عبد الله بن الحاج صالح، التاجر بالجزائر العاصمة، وهو صديق ومكاتب سليمان الباروني، وكان وكيلا في قضية التجنيد الإجباري، وكان بصندوقه المالي هو وحده مبلغ مائتي ألف فرنك، جمعها لتمويل المقاومة في ليبيا، واسمه الحقيقي (البليدي)...، وأخوه بليدي محمّد، التاجر بعين الصفراء ووجده بالمغرب الأقصى ومدينة بشار، وبكير ابن الحاج عيسى بن بكير يعقوب، ملاك بمدينة ورڤلة، وخوطه الحاج عيسى بن موسى، ملاك في مدينة قصر البخاري القاطن ببني يزڤن...، وڤرڤوز الحاج محمّد بن

محمّد بن عيسى، ملاك بمدينة الشلف والمدية والجلفة، القاطن ببني يزقن، وابن بكير، ملاك بالبليدة ووكيل قضية التجنيد الإجباري»[1].

إنّ الأمير خالد، لمّا عزم على القيام بحركته الوطنية عام 1919، وترشيح نفسه للانتخابات، اتّخذ بطانته من المزابيين التجّار بعين مليلة وغيرها.

وبحكم اتّصاله بأولئك التجّار، أُطلِع الشّيخ أبو اليقظان، وهو إذ ذاك بتونس، على القضيّة، فنشر فصولا في الصّحافة التّونسية، تدعو الجزائريين لترشيح الأمير خالد للمجلس الجزائري، وتأييده وتأييد حركته، كما ناصرته أعيان المزابيين ومشايخهم في كثير من نواحي القطر.

وكان من مستشاريه ومؤيّديه ماديّا ومعنويا، السيّد إبراهيم بوجناح التّاجر بالمدية.

وقد تحدّث الشّيخ أبو إسحاق إبراهيم طفيش، العضو البارز في الحزب الحر الدّستوري التّونسي، أنّ الشّيخ الثّعالبي أرسله ثلاث مرّات إلى الأمير خالد في الجزائر، ليعرض عليه اتّحاد حزبه وحزب الدّستور، واتّباع خطّة واحدة في الجهاد. وكانت خطّة الشّيخ الثّعالبي أكثر حكمة، فأبى الأمير خالد إلاّ طريقته الصّارمة، التي عجّلت بالقضاء على جهاده. ظلّت الحكومة الاستعمارية تضايقه بشدّة، فتفرّقت عنه أصحابه، وظلّت إخوانه من المزابيين تلازمه وتشدّ أزره، منهم أحمد بن يحيى باعامر الذي انتخب معه في بلدية الجزائر، وشقيقه إدريس باعامر الذي كان يحرّر له المقالات في صحيفة الإقدام التي أنشأها الأمير. ولمّا أصدرت فرنسا أمر إبعاده إلى الإسكندرية عام 1924، تولّى صديقه الحميم الحاج يحيى النّعجة اليزقني اتّخاذ الإجراءات اللاّزمة لتيسير مرافقه، وتنقيل عائلته إلى الباخرة للذّهاب إلى فرنسا[2].

1- من أعماق الصحراء، 51.

2- حمو عيسى النوري: دور الميزابيين، الجزء الأوّل، 364.

حاول محمّد بن بكير التّاجر، مدير جريدة الصدّيق، في سنة 1921، إنشاء أوّل حركة مغاربية تهدف إلى استقلال الجزائر والمغرب وتونس، فكون لذلك (الجمعية الاقتصادية)، لرفع المستوى المادّي للأهالي المغاربة.

إنّ الإخوة خبزي ناضلوا في صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، وكانوا من بين المناضلين المتأثرين بالقضية الوطنية الجزائرية، ولم يتوقّفوا عن طرحها على قادة الحزب الأوروبيين.

وساند كذلك بنو مزاب وحدة النوّاب أو فيديرالية نواب مسلمي الجزائر التي أنشئت يوم 11 سبتمبر 1927، بزعامة الدّكتور ابن جلّول والدّكتور فرحات عبّاس.

فكان من أبرز العاملين فيها عيسى بن الحاج محمّد الحاج النّاصر ومحمّد ابن بكير الحاج النّاصر في ڤالمة، وإبراهيم بن حمّو بغباغة في شلغوم العيد (شاطودان سابقا)، وقاسم بن حمّو بغباغة في قسنطينة، الذي كان عضوا إداريا في وحدة النوّاب، وكان ضمن الوفود التي سافرت إلى فرنسا، لتطالب بحقوق الجزائريين، ومحمّد لالوت الذي كان رئيسا لقسم وحدة النوّاب بعمالة وهران، والحاج الزوّاي الذي كان معتمدا للوحدة في العاصمة.

ولمّا وقع انصداع بين وحدة النوّاب وجمعية العلماء، كانت جماعة المزابيّين في قسنطينة سببا في رتو الفتق ولمّ الشّعث[1].

انخرط الشاعر مفدي زكريّاء في حزب نجمة إفريقيا الشماليّة بالجزائر في شهر أوت 1936، وأوّل مسؤوليّة أسندت إليه عند تعيين المكتب التنفيذيّ للحزب في الجزائر، في أوّل أكتوبر 1936 هي: مراقب ومفوّض للدعاية. ثمّ في نفس السنة أصبح مفدي رئيسا للجنة التنفيذيّة العليا بالجزائر العاصمة. أمّا عيسى بن شريط من غرداية، فكان من جملة الجيل الثاني من الإطارات التي انخرطت في النجم[2].

1- نفس المصدر، 403.

2- بنيامين سطورا: مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية، 81.

عند رجوع مصالي الحاج (1898-1974)، رئيس النجم، إلى باريس، يوم 27 نوفمبر 1936، قدّم عرضا عن جولته في الجزائر. وقبل أن يختم كلمته، قام أحد الحاضرين يهتف وينشد النشيد الوطني الجزائري (فداء الجزائر روحي ومالي)، الذي ألّفه مفدي زكرياء بمدينة الجزائر في أكتوبر[1].

ومن أبرز رؤساء الحركة الوطنية وأكبرهم نشاطا في حزب الشّعب الجزائري، الذي أسّسه مصالي الحاج في 11 مارس 1937 بباريس، بعد حل نجم شمال إفريقيا يوم 26 جانفي 1937، إبراهيم غرافة (1892-1947) من غرداية. فقد كان دكّانه تجاه باب الجامع الكبير بالعاصمة مقرا لاجتماع رؤساء الحزب وأعضائه[2].

كان مفدي رئيس الدائرة الثالثة لمناضلي الحزب في العاصمة، وإبراهيم غرّافة نائب رئيس الدائرة الأولى فيها. أمّا محمّد العساكر فكان على رأس مناضلي البليدة.[3]

لقد كان إبراهيم غرافة ومحمّد مسطول، رفقة زوجة مصالي الحاج وابنهما علي، في استقبال مؤسّس حزب الشعب الجزائري، عند وصوله إلى ميناء الجزائر يوم 20 جوان 1937[4].

وفي 10 جوليت 1937، لمّا علم مصالي أنّ الحزب الشيوعي الجزائري يحضّر نفسه لتنظيم مهرجان، بمناسبة 14 جوليت، باسم الجبهة الشعبية، قرّر المشاركة في هذه المظاهرة، وحرّر منشور- استدعاء، وسلّمه إلى إبراهيم غرافة الذي أسرع به إلى المطبعة العربية لصاحبها الشيخ أبي اليقظان الكائنة بشارع رُفيقو[5].

1- نفس المصدر، 144.

2- حمو عيسى النوري: دور المزابيين، الجزء الأول، 374

3 -Salah BENDRISSOU : MOUFDI ZAKARIA, 31.

4- بنيامين سطورا: مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية، 165.

5- نفس المصدر، 169.

ولعلّ من المهم أن نذكر أنّ أوّل مجموعة من الجزائريين ألقي عليهم القبض يوم 27 أوت 1937، من أجل المطالبة بالاستقلال، كان فيها إبراهيم غرافة ومفدي زكرياء، مع مصالي الحاج وحسين لحول وخليفة بن عمار. ومن الجدير بالذّكر أنّ جريدة الأمّة التي كان يصدرها الشّيخ أبو اليقظان، هي الجريدة الوحيدة التي احتجّت في عددها 137، ضدّ اعتقال هذه المجموعة من الوطنيين، رغم وجود جرائد عديدة[1].

أمّا الأوّل غرافة، فقد حكمت عليه محكمة العاصمة يوم 4 نوفمبر 1937 بسنة سجنا، وأمّا الآخرون فبسنتين اثنتين.

محمّد بن سليمان لعساكر اعتقل في الجزائر يوم 31 مارس 1938 وحكم عليه يوم 30 جانفي 1939 بسنة سجنا.

ومن جملة المناضلين الذين اعتقلوا بتيارت يوم 8 أفريل 1938، السيد باحمد لَعْسَاكَرْ.

وضع تقرير لمركز الاستخبارات والدراسات لعمالة الجزائر، بتاريخ 8 جوان 1939، قائمة بأسماء خمسين شخصيّة من الشخصيّات البارزة في الحركة الوطنيّة، من مختلف اتّجاهاتها، ممّن لهم نشاط دوريّ في عمالة الجزائر، ونجد من المزابيّين في هذه القائمة سبع شخصيّات:

- حزب الشعب الجزائريّ : مفدي زكريّاء، إبراهيم غرّافة، محمّد لعساكر.
- العلماء المصلحـــون : الشيخ بيّوض إبراهيم، الشيخ أبو اليقظان.
- اتّجاهات متفرّقـــة : سليمان بوجناح، عمر بن عيسى الحاج امحمّد.

وبعد الحرب العالمية الثّانية، انضمّ فريق من بني مزاب إلى حركة الانتصار للحرّيات الدّيمقراطية، التي خلفت حزب الشّعب في نوفمبر 1946، وكذلك إلى

1- علي يحيى معمر: الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 597.

حزب الاتّحاد الدّيمقراطي للبيان الجزائري، الذي كوّنه السيّد فرحات عبّاس في أفريل 1946، بعد انفصاله عن وحدة النوّاب[1].

10- بنو مزاب والصّحافة:

في هذه الفترة، كان لبني مزاب نشاط عريض في ميدان الصّحافة.

أولى جرائدهم أنشأها محمّد بن بكير التّاجر، وهي صحيفة الصدّيق، وكان مديرها. صدر منها أربعة وخمسون عددا ما بين 12 أوت 1920 و22 مارس 1922. وكانت تصدر في يوم الإثنين بالجزائر. أمّا طابعها فإصلاحية اجتماعية. وكانت هذه الجريدة من أشدّ جرائد عصرها تهجّما على السياسة الاستعماريّة.

يوم 21 أفريل 1921، اشترى خمسة مزابيين بالجزائر العاصمة مطبعة (كْرِيسَانْزُو) التي تطبع بها جريدة الإقدام، وذلك قصد تزويد صحيفة الصدّيق بمطبعة مزابية تتولّى إصدارها.

أمّا مجلّة المنهاج، فقد أصدر منها الشّيخ أبو إسحاق طفيش بالقاهرة سبعة عشر عددا، أوّلها في فاتح محرّم 1344هـ/22 جوليت 1925م، وآخرها سنة 1350هـ/1930م. أغلب مقالاتها إسلامية.

أمّا الشّيخ أبو اليقظان، فقد أصدر في مدّة اثني عشر عاما ثماني جرائد وطنية بالجزائر، وهي على التّرتيب:

- وادي ميزاب، 119 عددا من 26/10/01 إلى 1929/01/18.
- ميزاب، عدد واحد يوم 1930/01/25.
- المغرب، ثمانية وثلاثون عددا من 1930/05/29 إلى 1931/03/09. يديرها ظاهريا رفيقه عيسى تَاعْمُودْتْ.

1- محمّد ناصر: .الشيخ القرادي، 192.

- النّور، ثمانية وسبعون عددا من 1931/09/15 إلى 1933/05/02.
- البستان، عشرة أعداد من 1933/04/27 إلى 1933/07/13. يديرها ظاهريا تَاعْمُودْتْ عيسى.
- النّبراس، ستّة أعداد من 1933/07/21 إلى 1933/08/22.
- الأمّة، 170 عددا من 1933/09/08 إلى 1938/06/06.
- الفرقان، ستّة أعداد من 1938/07/08 إلى 1938/08/03.

كان الشّيخ محمّد بن صالح الثّميني رئيس تحرير جريدة وادي ميزاب، وكانت تطبع بتونس وتوجّه إلى الجزائر. وتميّزت برصانتها ومعالجتها لشؤون فلسطين وقضايا العالم العربي والإسلامي بموضوعية، جعلت كبريات الصّحف العربية في المشرق تعتمدها وتنقل عنها، وحملت أمير البيان شكيب أرسلان على التّنويه بها، والإشادة بالقائمين عليها، وبجهادهم الصّادق[1].

يقول مفدي زكريّاء: "ولتأسيس جريدة وادي ميزاب أسباب كثيرة، أهمّها محاربة الإدارة الاستعماريّة لبعثات التعليم التي كانت تتقاطر من ميزاب على تونس...وقد اعتمدت الحكومة في هذه المعركة كعادتها طائفة من الرجعيّين...اتّخذتهم أبواقا لدعايتها المغرضة في مساجد ميزاب وبواديه، لتنذر الميزابيّين بالخطر الذي يتهدّد مذهبهم وعوائدهم إذا سمحوا لأبنائهم أن يتعلّموا بتونس في مدارس المخالفين.

...على أنّ هناك سببا آخر أقلّ أهمّيّة من الأوّل...وهو أنّ بعض الجرائد العربيّة الجزائريّة كانت تمتنع عن نشر أيّ شيء يتعلّق بميزاب..."[2]

وأصدرت جمعية (الوفاق) بالجزائر أوّل عدد من جريدة (الحياة) يوم أوّل أفريل 1933، وكان عدون بن بكير باسعيد (1907-1968) مديرها، ومفدي

1- جريدة الصباح التونسية ليوم 1970/12/17، 4.
2- تاريخ الصحافة العربيّة في الجزائر، 167-168.

زكرياء رئيس تحريرها. أمّا محتوياتها فهي متنوّعة، ما بين أدبية واجتماعية واقتصادية وسياسية، لكنّه لم يصدر منها سوى ثلاثة أعداد.

وكان مفدي زكرياء رئيس تحرير جريدة الشّعب، لسان حال حزب الشّعب، صدر عددها الأوّل يوم 27 أوت 1937 بالعاصمة. كما كان غرافة ضمن فرقة تحرير (العمل الجزائري)، أوّل جريدة سرية جزائرية، إلى جانب حسين عسلة ومحمّد عبدون. صدر العدد الأخير منها في ماي 1945.

وأصدر المحافظون بالبليدة جريدة (الرّوح) ضدّ حركة الإصلاح. وكان مديرها أبو العلا بكير بن الحاج سليمان مطهري. صدر منها حوالي ثلاثين عددا ما بين 15 أكتوبر 1937 وأوائل 1939.

وأبرز الكتّاب الذين نشروا مقالاتهم على أعمدة مختلف هذه الصّحف وغيرها من الصّحف المعاصرة هم:

أبو إسحاق إبراهيم طفيش، أبو اليقظان إبراهيم، محمّد بن الحاج إبراهيم الطّرابلسي، الفرقد سليمان بوجناح، عبد الرّحمن بن عمر باكلّي، رمضان حمّود، إبراهيم بيوض، عدّون بن بالحاج شريفي.

وتناولت مقالاتهم مواضيع دينية: كالإصلاح الدّيني، والطّرقية، والتّبشير، والخلافة الإسلامية، ومواضيع اجتماعية: كالأخلاق، والمجتمع، والمرأة المسلمة، والنّاشئة الإسلامية، ومواضيع سياسية: كسياسة الإدارة الاستعمارية، والتّجنيد العسكري الإجباري، والتّمثيل النّيابيّ، والتّجنيس، وقضايا الوطن العربي الإسلامي، والصّهيونية وقضيّة فلسطين، ومواضيع ثقافية: كالتعليم، واللّغة العربية، والصّحافة، ومواضيع اقتصاديّة: كالزّراعة، والتّجارة، والصّناعة[1].

1- محمّد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية، المجلد الثاني، 239-275.

11- شخصيات من الفترة الثّالثة:

أ- مامّه بنت سليمان بَابَّاز :

ولدت خلال سنة 1280هـ/1863م في غرداية. درست علوم الشّريعة واللّغة العربية مدّة ثلاث سنوات على الشّيخ بوهون أُوموسى، واستظهرت نصف القرآن. أكملت دراستها على زوجها الأوّل الذي بقيت معه عامين.

تولّت رئاسة الغاسلات عام 1906م، خلفا للسيّدة مامه بنت بالحاج التي شغلت المنصب ثلاثين سنة. من البدع التي حاربتها مامه بنت سليمان استقبال النّساء لسيلان الوادي بالزّغاريد، وكذلك عادة بوغنجة للاستسقاء، والهدايا بمناسبة شهر رمضان، كما ألغت الزّيارة التي كانت تقع بمناسبة (لا إله إلاّ الله) في الواحة.

إنّ هيئات الغاسلات لمدن مزاب نظّمن ملتقى من ملتقيات (لا إله إلاّ الله) تحت رئاستها، وقرّرن مقاطعة كلّ ما يتّصل بالفرنسيين من لباس ومواد وغيرها. وكان هذا الموقف من هذه المرأة المؤمنة، من المواقف التي رفعتها إلى مصاف زعيمات النّساء المسلمات في العصر الحديث. فقد اعتبرها صاحب كتاب (ثورات النّساء في الإسلام) الصحفي الإيطالي جوردون بيرون واحدة من اثنتي عشرة امرأة، اشتهرن بمواقف بطولية في العالم[1].

توفيت يوم 29 رمضان 1349هـ/18 فيفري 1931م، وخلفتها السيدة لالة بنت داود.

ب- الشّيخ الحاج صالح بن عمر لَعْلِي:

ولد في بني يزقن يوم الأربعاء لعشر بقيت من رمضان 1287هـ/1870م. وعندما بلغ الخامسة من عمره أصابه مرض الجدري، فأفقده بصره.

1- علي يحيى معمر: الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 584.

أوّل معلّميه جدّه الثّاني الشّيخ الحاج صالح بن إبراهيم. أخذ العلم عن خاليه: عمر والحاج سعيد ابني يوسف وِينْتَنْ، ثمّ انتقل إلى معهد الشّيخ امحمّد بن ادريسو الذي كان كفيف البصر مثله. فلمّا توفّي خلفه بمعهده وتولّى التّدريس فيه.

وقد درس الشّيخ الحاج صالح على القطب كتبا عالية في التّفسير والحديث والفقه وغيرها. كما درس على شيخ البلد الرسميّ خال جدّه الحاج محمّد بن عيسى زبار.

سافر على علّته إلى تونس مرّتين، فاجتمع بعلمائها وحضر دروسهم في الزّيتونة، كما حضر دروس الأزهر في طريقه إلى الحج. وقد حجّ مرّتين: أولاهما حوالي 1893م، وثانيتهما عام 1910م، وكان في كلّ مرّة يجتمع بعلماء الحجاز. أقام في الثانية عاما بالحجاز، أمضاه كلّه في القراءة ومجالسة العلماء.

تزوّج الشّيخ الحاج صالح مرّتين، وفي الثّانية اختار امرأة مثقّفة، فكانت هي التي تقرأ له في مكتبته وتكتب له ما يؤلّف، بالإضافة إلى كاتبه السيّد بكير قضّي.

كان نادرة زمانه في الحفظ وجودة الذّاكرة وتوقدّ القريحة. كان شديد النّكير على المترفين، مولعا بإصلاح ذات البين وجمع الشّمل.

ابتدأ التّدريس في دار بحي بَلْدُوعَاتْ عام 1308هـ، وكانت دروسه بها يومية بين طلوع الشّمس والزّوال. وفي 3 جمادى الأخيرة 1335هـ/27 مارس 1917م، دخل حلقة العزّابة، وشرع في إلقاء دروس الوعظ بالمسجد بين الظّهر والعصر صيفا، وبعد العشاء والفجر شتاء، ثمّ أسندت إليه المشيخة، خلفا للقطب، في منتصف جمادى الأولى 1336هـ/فيفريّ 1918م. عندئذ فتح باب الانخراط في سلك التّلاميذ، فانتهز هذه الفرصة تلاميذ كثيرون. كانت له دروس يومية في دار التّلاميذ ودروس للوعظ في المسجد.

ولمّا زار جربة عام 1338هـ/1919م، استنسخ من خزائنها مدونة أبي غانم في الفقه الإباضي، وكان يبعث إلى عمان فينسخون له الكتب النّفيسة.

ولمّا فرضت فرنسا التّجنيد الإجباري، وجنّدت جماعة من شباب وادي مزاب بالقوّة في سنة 1919، ألقى دروسا نارية هاجم فيها الحكومة الفرنسية، وألّف رسالة بيّن فيها حرمة التجنّد في الجيش الفرنسي ومضارّه، فأرسل إليه الحكّام العسكريون يهدّدونه.

في 15 شعبان 1341هـ/2 أفريل 1923م، ألقى درسا في المسجد، شنّع فيه على تعليم الأولاد الصغار في تونس، وعلى البعثات المتواردة عليها، والقائمين بها، خوفا من أن يتأثّروا ببيئة لا يأمنون فيها من الانحراف وسوء التربية، وهم صغار السن، لم ترسخ فيهم العقائد السليمة وفضائل الأخلاق التي تعصمهم من هذا الانحراف. عندئذ نشبت معركة بين الداعين إلى الدراسة في تونس والمنكرين، ميدانها الصحافة والرسائل والكتب، دامت نحو سنتين.

وفي سنة 1346هـ/1927م، أنشأ أوّل مدرسة نظامية تابعة للمسجد. ومن أعماله كذلك تنظيم مختلف مصالح أوقاف المسجد، وإحداث وظيف جديد فيها، سمّاه الوظيف العام، وتجديد الميضأة، وحفر بئر بجانبها في شعبان 1336هـ/1918م، وبناء حجبة المسجد قبلته عام 1926م.

ألّف عـدّة كتب، منها:

- مراقي العوام إلى معرفة مبادئ الإسلام.
- خلاصة المراقي إلى مبادئ طاعة الخلاّق.
- ثلاث قصائد في مدح الرّسول وسيرته.
- كشف القناع عن مسائل وقع فيها النّزاع.
- البراهين القاصفة لتمويهات متّبعي الفلاسفة.
- رسالة الوصايا الثماني.
- رسالة كشف اللّثام عن أغراض بعض اللئام.
- رسالة الانتقادات الثلاثة والعشرين.

- رسالة إلى العمانيين.
- رسالة العطفاء في سير الطّلبة والعزّابة.
- رسالة الصّوم والإفطار.
- مجموع فتاوي.
- حشى بعض أجزاء النّيل. وله حواشٍ على الإيضاح والقواعد والوضع والسّؤالات، وعقيدة العزّابة ومسند الرّبيع وكتاب الصّوم لعمّي يحى.
- له مؤلّف في التّفسير، سمّاه (القول الوجيز في كلام الله العزيز). وافاه أجله وهو في الجزء الأوّل الذي فسّر فيه جزءا من سورة البقرة.

توفّي في بني يزقن يوم السّبت لثلاث بقين من ربيع الثّاني عام 1347هـ/13 أكتوبر 1928م.

ج- حَمُّـودْ بن سليمان رمضان:

ولد في غرداية يوم 10 رمضان 1324هـ/1906م. انضمّ إلى البعثة التّعليمية بتونس، والتي يترأسها المشايخ أبو اليقظان وأبو إسحاق ومحمّد الثّميني، وهو في السّادسة عشرة من عمره.

تقلّب هناك في عدّة مدارس: مدرسة السّلام، فالمدرسة القرآنية الأهلية، فالمدرسة الخلدونية، ثمّ الجامع الأعظم جامع الزّيتونة.

عاد إلى الوطن واستقرّ في مسقط رأسه، وأثرى الصّحف الوطنية بمقالاته وشعره، نشر أولياتها في جريدة الشّهاب، ثمّ في جريدة وادي ميزاب، وألّف في هذه الأثناء كتابيه: الفتى في المرحلة الأولى، نشر سنة 1929، وبذور الحياة، الجزء الأوّل منه، طبع عام 1928، ولم يمهله القدر للوفاء بالجزء الثّاني للكتاب والمرحلة الثّانية للقصّة.

حمود رمضان «شاعر تبرّأ من السّياسة، ولكنّه كان سياسيا وطنيا ثائرا في كلّ كلمة تلفّظ بها، وبيت شعر أنشده، تلقّفه السّجن بعد إتمام

دراسته مباشرة، وتآمرت عليه فرنسا لاغتياله فأخطأته» هكذا عرّفه الدّكتور صالح الخرفي[1].

إنّ مرض السّل الذي بدأ ينهش رئتيه وهو ما يزال طالبا بتونس، لم تسلمه مخالبه، فتوفي سنة 1929 بغرداية.

د- عيسى بن بالحاج الحويذق:

ولد ببني يزقن. كان تاجرا في العاصمة وكان متوسّط الحال والمال، ولكنّه كان سيّد الأسخياء، وكان له محل خاص للضّيوف في العاصمة. وقد أعجز الضبّاط الفرنسيين في الرّماية وفاز بوسام الرّماية.

وهو الذي سعى في تكوين الخيمة الكبرى للحجّاج المزابيين التي تنصب لهم في عرفات، فجمعت التبرّعات في المساجد المزابية، وأنشئت بالجزائر عام 1347هـ/1929م، طولها ثمانون ذراعا وعرضها عشرون ذراعا. ذهب معها إلى الحجاز وتمنّى أن يتوفّاه الله هناك، ولمّا نصبها في عرفات، أدركته وفاته في اليوم التّاسع من ذي الحـــجّة 1347هـ/18 ماي 1929، وعمره إحدى وسبعون سنة، ودفن بجانب الخيمة[2].

هـ- الحاج بن يحيى الزَوَّايْ:

أصله من بني يزقن. هو صاحب المعملُ الفاخر للعطور الشرقيّة الخلاّبة ذات الشذى الساحر والصابون المعطّر الطاهر. أصبح معمله بالجزائر العاصمة يعدّ من أكبر المعامل في شمال أفريقيا. امتاز بالإتقان والدقّة[3]. من مساعيه الخيرية العامّة ما قام به في البقاع المقدّسة بالمدينة المنوّرة. وذلك أنّه في سنة 1936، بعث إلى السيّد الكبريتي، طواف المزابيين بمكّة المكرّمة، أن يحضر إلى

1- حمود رمضان، 34.
2- محمّد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة، الجزء الثاني، 241.
3- أحمد توفيق المدنيّ: كتاب الجزائر، 365.

الجزائر على نفقته. فلمّا حضر استقبلته جماعة المزابيين، فأعطى له السيّد الحاج الزواي من كيسه الخاص مبلغ ثلاثة ملايين فرنك ونصف مليون، وأمره بصرفه في إنارة الحرم النّبوي الشّريف والمسجد النّبوي.

ومن مكرماته أيضا، إعانة عرش أولاد داود التوابة بالأوراس على استرجاع أرضهم بواحة (لَمْدِينَه)، سنة 1928، عند ما عرضها المبشرون للبيع بالمزايدة. يقول الأستاذ محمّد الطاهر عزوي: «إلاّ أنّ الثمن كان باهظا يوم العرض، وكادت تضيع (واحة لَمْدِينَه) منهم، لولا أنّ الحاج الزواي الميزابي الإباضي هو الذي تدخّل يوم العرض، فأنقذهم بسلفة من ماله الخاص، وردّ إليهم ما اغتصب منهم في ثورة 1879، على أن يسدّدوا له سلفته بالتقسيط على مدى تسع عشرة سنة»[1].

من أعماله كذلك، محاولته مع بعض كبار المتمولين بالعاصمة، تكوين البنك الإسلامي الجزائري، والبذل بسخاء فائق في جمعية (الفلاح).

توفي عام 1963، ودفن بمقبرة سيدي امحمد بالعاصمة.

و- يحي بن قـــاسم باعامر:

أصله من مليكة. كان تاجرا في العاصمة قويّ الشّخصية، عزيز النّفس، قام بأعمال جبّارة موفّقة، منها:

1- موقفه في التّجنيد الإجباري بوادي مزاب سنة 1919م.

2- تموين الجيش العثماني من تونس في الحرب الإيطالية العثمانية بليبيا.

3- مساندته لولديه إدريس وأحمد في العمل بجنب الأمير خالد في حركته السّياسية.

4- في سنة 1912، أرسل إلى أمريكا آلافا من النّخيل من مزاب ونواحيه من نوع تَازِيزَاوتْ، فغرس منها في كَالِيفورْنيَا، فأتت بأجود تمر اشتهر في

1- تاريخ الأوراس، 153.

الأسواق العالمية. لمّا أثمرت، بعثت إليه الولايات المتّحدة بباخرة للسواح إلى الجزائر، لنقله إلى أمريكا، ليحضر في تدشين أوّل إنتاج من نخيلها.

5- قدّمت إليه عدّة نياشين، ولم يحفل إلاّ بالنّيشان الفلاحي الذي أهدته إليه فروع وزارة الفـــلاحة بالجزائر، لمّا شاهدت نخيلا غرسها في مدينة الأصنام (الشلف)، فأتت بأجود التمر من نـــوع الدالـــة، في حجم يفـــوق المعهود في الصّحراء.

توفّي في نحو الثّمانين من عمره، عام 1930م[1].

ز- الشّيخ الحاج محمّد بن باحمد شريف:

ولد ببني يزقن عام 1884م، وأخذ العلم عن القطب وعن الشّيخ الحاج إسماعيل زرقون وعن الشّيخ الحاج صالح لعلي.

رافق خاله القاضي الحاج أحمد بن حمّو يدّر إلى الحجّ، يوم 10 ذي القعدة 1331هـــ/10 أكتوبر 1913م، ومكث بالقاهرة أربع سنوات يتعلّم بجامع الأزهر، ثمّ رجع إلى مزاب يوم 13 ديسمبر 1917م. كان فقيها وأديبا وشيخ مسجد بني يزقن ومدرّسا.

توفّي يوم 26 جويلية 1940.

ح- الشّيخ الحاج بكير بن الحاج إبراهيم العنـــق:

ولد في القرارة سنة 1285هـــ/1868م. أخذ العلم عن الشّيخ الحاج عمر ابن يحيى. كانت له تجارة في تبسة. كان العامل الأكبر لتأسيس مشروع الجمعية الصدّيقية التي أنشأت أوّل مدرسة قرآنية عربية عصرية في الجزائر، بمدينة تبسة، والتي كانت نواة للبعثة العلمية المزابية بتونس سنة 1332هـــ/1913م.

كان رئيس فرع الجمعية السرّية الثّورية في القرارة الذي أنشأه صالح بن يحيى آل الشّيخ عام 1915م.

1- حمو عيسى النوري: دور الميزابيين، الجزء الأوّل، 372.

وقد ترأس وفد أعيان بني مزاب التجّار في عمالتي الجزائر وقسنطينة، للدّفاع لدى الحكومة الفرنسية عن عزّابة القرارة المحكوم عليهم بالسّجن والأشغال الشّاقة شهرين في تَعَضْميتْ، فكان يلقّبه شيخه بأسد القرارة.

ساهم في إغلاق دار الخنا بالقرارة وإبعادها خمسة كيلومترات عن البلد، وشراء الدّار من أهل البلد المحسنين وتركها خرابا.

اكترى دارا فجعلها نادي المصلحين في القرارة عام 1336هـ/1917م، وسمّيت دار الجماعة. بقيت كذلك إلى عام 1956م، حيث نقلت الاجتماعات إلى نادي الحياة.

كان على صلة وثيقة بالشّيخ عبد العزيز الثّعالبي في تونس وبالأمير خالد في الجزائر، وكان مشهورا بالدّهاء السّياسي.

التحق بحلقة العزابة عام 1345هـ/1926م، وسافر إلى الحجاز عام 1347هـ/1929م في رفقة من أنصاره، فاجتمع بكثير من زعماء العالم الإسلامي.

أصيب بسقوط جنبه الأيسر، وبقي يعالج نحو عامين، إلى أن توفّي يوم الإثنين 27 رمضان 1353هـ/17 ديسمبر 1934م في مسقط رأسه.

ط- الشيخ الحاج عمر بن الحاج مسعود:

ولد بالقرارة، وأخذ العلم عن الشيخ الحاج عمر بن يحيى، ثمّ انتقل إلى بني يزقن ليستكمل معلوماته على الشيخ الحاج صالح لَعْلِي. ولمّا رجع كان من المدرسين البارزين في معهد الشيخ الحاج عمر بن يحيى، وخلفه فيه بعد وفاته عام 1921.

وفي صيف 1342هـ/1924م، رأى الشيخ الحاج عمر بن الحاج مسعود وبعض إدارة المعهد نقل التعليم إلى داره، وقد اختاره العزابة مديرا لدار التلاميذ، ومدرّسا لبعض العلوم الشرعية والعربية فيها، فاستمرّ في جهاده العلمي إلى أن توفاه الله في أوّل رجب 1356هـ/31 أوت 1938، وعمره خمس وأربعون سنة، إثر إسقاط عاصفة ريح عليه شطرا من جدار.

خلفه في إدارة معهده والتدريس فيه تلميذه الشيخ الحاج موسى بن أحمد، إلى وفاته يوم 17 رجب 1369هـ/5 ماي 1950، وعمره تسع وثلاثون سنة.

ي- عائشة بنت عمر نوح:

ولدت بمليكة عام 1272هـ/1855م، عندما كان أبوها الشيخ عمر بن سليمان نوح منفيا إليها من بلده بني يزقن. تتلمذت على أبيها، ثمّ على قطب الأئمة الشيخ طفيش. ذكر الشيخ بوهون فخار، أحد تلاميذ القطب، أنّها وهبت للقطب دارها وخزانة الكتب التي ورثتها من أبيها.

كانت حافظة للقرآن العظيم، محبّة للعلم، حبست حياتها لأجله. تشهد الصّلوات الخمس في المسجد وتعود إلى تعليم البنات، وتقديم دروس الوعظ للنّساء.

كانت قائمة بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، صريحة في الحقّ، وكانت تجول في مدن مزاب واعظة ومرشدة، في لهجة قويّة، شديدة على العصاة المخالفين للدّين. وكانت ترافع أمام القاضي في قضايا المرأة، مستشهدة بكتاب النيل.

توفّيت عام 1356هـ/1938م.

ك- التّاجر محمّد بن بكير ابن زكري:

ولد عام 1869م ببني يزقن.

أخذ العلم عن القطب. حلّ بتبسة للتّجارة وترك فيها أثرا حسنا. كان عضوا في الجمعية الصديقية وإدارة مدرستها بها.

أنشأ في سنة 1337هـ/1918م مطبعة عربية في العاصمة لطبع تراث الجزائر العلمي والأدبي، ولإنشاء جريدة عربية، وقد دامت المطبعة إلى حوالي 1342هـ/1923م.

أنشأ عام 1338هـ/1920م في العاصمة جريدة (الصّدّيق)، تصدر في يوم الإثنين، وكان التّاجر مديرها، ورأس تحريرها عمر بن قدور، فالمولود بن محمّد الزريبي. استمرّت الجريدة سنتين وصدر منها أربعة وخمسون عددا.

حاول عام 1921 إنشاء أوّل حركة مغاربية، تهدف إلى استقلال الجزائر والمغرب وتونس، فكوّن لذلك (الجمعية الاقتصادية)، لرفع المستوى المادّي للأهالي المغاربة، واتّهمتها الإدارة الاستعماريّة بالبلشفيّة الشيوعيّة، وهو تعبير سائد حينئذ يطلق على كلّ حركة تحرّريّة.

رفض الوالي العام منحه رخصة لفتح دار للتّدريس ببني يزقن في سنة 1922م.

ثمّ أنشأ مدرسة قرآنية عصرية في وارجلان في أوّل الثّلاثينات، وتولّى التّعليم فيها. كما سعى لاستصلاح بعض الأراضي الفلاحية البور.

ألّف عام 1934 رسالة في أسباب تقهقر المسلمين سمّاها (الدّين الخالص).

توفّي في آخر الثّلاثينات.

ل- عبد الله بن الحـــاج صالح البليدي (بوكامل):

ولد في بني يزقن عام 1856م. استقرّ للتّجارة في العاصمة، فتعرّف بكثير من الموظفين الكبار في الولاية العامّة، وبالوالي العام نفسه، فكان يقضي بهم مصالحه في الولاية العامّة، ومصالح كلّ من يلتجئ إليه من معارفه. من ذلك تأييده لوفد القرارة في مساعيه لدى الولاية العامّة من أجل إغلاق دار البغاء، عام 1326هـــ/1908م.

بنت جماعة الإباضية بواسطته مسجد مقبرة سيدي بَنُّور التّحتاني.

كان ممّن حمى الشّيخ مبارك الميلي أيّام جهاده في الأغواط، وأيّد الجمعية الخيرية عند نشأتها فيها عام 1339هـــ/1920م، وشدّ أزرها بنفسه وماله.

سجّل ابنه محمّد في مدرسة بالعاصمة لتعليم الميكانيك، وأثناء الحرب العالمية الأولى تبعه أخواه أحمّد وأحمد. وفي صيف 1918م، أنشأ مؤسّسته للنّقل الجلفة-الأغواط-غرداية، ورعاها حتّى بلغت أكثر من أربعين حافلة، وجعل الأغواط قاعدة له، فكانت أحسن شركة للنّقل في الجنوب.

أمّا السبب المباشر لدخوله ميدان نقل المسافرين، فهو المجزرة التي راح ضحيتها، عام 1917، مجموعة من التجار المزابيين في بُوتْرَكْفِينْ، بين الأغواط وتِلْغَمْت، خلفت فيهم أربعة عشر قتيلا.

وفي أفريل 1934، لمّا كبرت سنّه، ترك المشروع لأبنائه الستّة، فقاموا به أحسن قيام، واستقرّ هو في بلده الذي أنشأ فيه معهدا للشّيخ إبراهيم بن بكير حفار[1].

توفّي يوم 25 نوفمبر 1956م.

م- الحاج سليمان بن إبراهيم باعـــامر:

ولد عام 1870م في بوسعادة. كان رجلا من رجال الآداب والشّعر. ألّف، بالاشتراك مع صديقه إثْيِينْ دِينِي (رسّام فرنسي أسلم وتسمّى بنصر الدّين)، عددا كبيرا من التّآليف باللّغة الفرنسية، أهمّها:

- الحجّ إلى بيت الله الحرام.
- حياة النّبي محمّد.
- الصّحـــراء.
- ربيع القلوب.
- ســـراب.
- خضراء، راقصة أولاد نايل، طبع عام 1900 بباريس.
- عنـــتر.
- لوحات الحياة العربية.
- الشّرق في نظر الغرب.

1- محمّد علي دبوز: أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء الخامس، 63.

ن- الشّيخ إبراهيم بن بكير حفّـــار:

ولد بالقرارة عام 1308هـــ/1890م. أدخله أبوه في معهد الشّيخ الحاج عمر بن يحيى سنة 1314هـــ، فحفظ القرآن واستظهره في سنة 1324هـــ/ 1905م، ثمّ أرسله شيخه عام 1325هـــ/1907م إلى القطب.

مكث في معهده خمس سنين، وتزوّج في بني يزقن.

وكان إبراهيم قد فقد إحدى عينيه في الطّفولة، فأجهد الأخرى في التّحصيل، فتضرّرت، فسافر إلى تونس سنة 1330هـــ/1912م لمداواتها، ولكنّه فقدها، فصار كفيفا. لم يمنعه ذلك من ملازمة حلق أكابر علماء الزّيتونة، فازداد علما واسعا، فرجع في سنة 1334هـــ/1915م إلى القرارة، حيث أنشأ معهده لتحفيظ القرآن وتلقين المبادئ في العربية، عمّر خمس سنين ثمّ أغلق.

وهو الذي تولّى إدارة المدرسة القرآنية التي أنشئت في غرداية عام 1920، ثمّ عصف بها الاستعمار عام 1922م، فرجع إلى القرارة، ثمّ استقدمه السيّد بوكامل عبد الله عام 1925 إلى بني يزقن، فواصل التّعليم فيها. وأثناء الحرب العالمية الثّانية نشأ خلاف بينهما، فاستغني عن الشّيخ حفار، وفتح له الشّيخ الحاج محمّد بابانو دارا للعلم. كان ذلك عام 1361هـــ/1941م.

درّس في هذه الدّار التي صارت فيـــما بعد المعهد الجابري، إلى أن توفّي ببني يزقن، يوم 17 ذي القعدة 1373هـــ/18 جويلية 1954م، وقد تخرّج عنه طلبة كثيرون.

كانت للشيخ إبراهيم حفّار في المعهد ثلاث حصص يومية:

- صباحا من التاسعة إلى الحادية عشرة، دروس في الفقه والأصول،
- عشية، دروس في النحو والبلاغة والعروض والمنطق،
- ليلا، دروس في التفسير والحديث،

وكانت له حصّة أسبوعية يوم الأربعاء، يتناول فيها الأخلاق والآداب.

من إنتاجـــه:

- منظومة الصّيام ومنظومة الحيض والنّفاس.
- حاشية على كتاب الفرائض للجيطالي.
- شرح المخمّسة.
- شرح تحريض الطّلبة.
- شرح خلاصة المراقي للشّيخ الحاج صالح لعلي.
- السلاسل الذهبيّة بالشمائل الطفيشيّة، ألّفها عام 1335هـــ.
- رسالة مطولة في شروط المفسر.

أمّا زوجه عائشة بنت بالحاج الهزيل فكانت من العالمات الصّالحات، اللّواتي حفظن القرآن العظيم. أخذت نصيبا وافرا من العلوم عن زوجها، ونفعت كثيرا بمعارفها.

س- الشّيخ محمّد بن صالح الثّميني:

ولد ببني يزقن عام 1314هـــ/1897م. أخذ العلم عن الشّيخ الحاج إسماعيل زرقون والشّيخ الحاج إبراهيم ابن ادريسو، ثمّ حلّ بتونس عام 1919م، حيث تابع تعلّمه بجامع الزّيتونة وتخرّج فيه. كان يحضر دروس الأساتذة الطّاهر ابن عاشور وأبي الحسن النجار والشّيخ محمّد بن يوسف وغيرهم.

تولّى استقبال البعثات العلمية المنظّمة إلى تونس في ثلاث ديار للمزابيين بها، فقام بإدارة شؤونها وتوجيهها علميا وسياسيا وخلقيا، فأنشأ أجيالا من العلماء والأدباء والشّعراء.

قام بشؤون طباعة صحيفة وادي ميزاب في تونس، بمساعدة الشّيخ قاسم بن الحاج عيسى، من 01 أكتوبر 1926 إلى 18 جانفي 1929، وكان رئيس تحريرها.

هو أوّل رئيس لجمعية الاستقامة بقالمة عام 1349هـ/1930م، وصاحب مكتبة الاستقامة بتونس، ومسؤولا على أوقاف الإباضية بها.

كان عام 1948م أحد وكلاء الأمّة المزابية.

قام بطبع ونشر (الورد البسّام في رياض الأحكام) لجدّه صاحب (النّيل)، وصحّح وطبع (التكميل لما أخلّ به كتاب النيل) لنفس المؤلّف.

حرر مقالات في مجلة العرب تحت عنوان: بعض حقائق عن وادي مزاب.

إنّ الحبيب بورقيبة حين شنّ حملة على خصومه، بعد أن انتخب رئيسا للجمهورية التونسية، أمر أعوانه بتتبّعهم أينما كانوا وحيثما حلّوا، إلاّ مكتبة الاستقامة «فلا أسمح لأحد منكم بدخولها مهما كان الشخص الذي هو فيها، لأنّ هذه المكتبة كانت في عهد الحماية مأوى لكلّ الأحرار»[1].

ثمّ إنّ الحبيب بورقيبة حافظ على زيارة مكتبة الاستقامة كلّ ليلة السابع والعشرين من رمضان، عند خروجه من الحفل الرّسمي الذي يقام في جامع الزيتونة، ولم يقطع هذه العادة إلاّ بعد وفاة صاحب المكتبة.[2]

توفّي الشّيخ الثّميني بتونس يوم 13 أكتوبر 1970.

ع- الشّيخ أبو إسحاق إبراهيم طْفَيَّشْ:

ولد ببني يزقن يوم السبت 14 صفر 1306هـ/20 أكتوبر 1888م. حفظ كتاب الله وقد جمعه وهو ابن إحدى عشرة سنة على شيخه عمر بن أحمد الزروالي، ثمّ اشتغل بدرس العلوم في الفنون المختلفة على الشّيخ الحاج إسماعيل بن الحاج إبراهيم زرقون، ومنه انتقل إلى القطب، ثمّ اشتغل بالتّجارة. وحوالي 1910م، اتّجه إلى الجزائر العاصمة، حيث تتلمذ على يد شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي، ثمّ عاد إلى بني يزقن لينقطع إلى الدّراسة

1- محمّد ناصر: الشيخ القرادي، 190.
2- علي يحيى معمر: الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 599.

والتعلّم على يد عمّه القطب. وفي سنة 1917، توجّه أبو إسحاق إلى تونس، وحضر دروس شيخ الإسلام الحنفي ابن يوسف وشيخ الإسلام المالكي الطّاهر بن عاشور، وتحمّل مع زميليه أبي اليقظان ومحمّد الثّميني مسؤولية الإشراف على أفراد البعثة المزابية بتونس.

دخل معترك النّضال السّياسي تحت لواء الحزب الحر الدّستوري، وكان همزة وصل بين الشّيخ عبد العزيز الثّعالبي بتونس وبين الأمير خالد في الجزائر، وما لبث أن أبلغه المقيم العام بتونس أنّ الحكومة الفرنسية تدعوك إلى الكفّ عن كلّ حركة عدائية، واختر لنفسك أيّ بلد شئت خارج هذا التّراب، فامتطى الباخرة إلى مصر يوم 3 فيفري 1923. في شهر أفريل الموالي، تمّ جمع التبرّعات ببني يسقن، بلغت سبعة آلاف فرنك، أرسلت إلى الشيخ أبي إسحاق للتّخفيف عنه من متاعب الغربة.

سُمح له بزيارة مزاب، لأوّل مرّة بعد نفيه، عام 1930. وفي جويلية 1936، زار أيضا مزاب ورجع إلى مصر يوم 21 أوت.

في سنة 1926، أسندت إليه الحكومة المصريّة مهمّة الإشراف على أوقاف الإباضيّة المغاربة في مصر، مثل وكالة الجاموس، بالقرب من جامع الأزهر، فحرّرها من المستولين عليها ونظّمها.

تزعّم في القاهرة الحركات الإصلاحية والجمعيات الإسلامية بمعية محب الدين الخطيب، وأحمد تيمور باشا، وأصدر بها مجلّة المنهاج من أوّل محرّم 1344هـ/22 جويلية 1925م إلى 1350هـ/1930م، أغلب مقالاتها ومواضيعها إسلامية. وكان يهاجم فيها الاستعمار في العالم الإسلامي عموما، والاستعمار الفرنسي في الجزائر خصوصا. وكان الشّيخ أبو إسحاق طفيش من الثلاثة الأولين القائمين بالدّعاية لتأسيس الجامعة العربية، مع الشّيخ الأمير الحسيني والشّيخ عبد العزيز الثّعالبي.

يقول الدكتور محمّد ناصر: «ومن أعماله في القاهرة عضويته الفعّالة في جمعية (تعاون جاليات شمال إفريقيا)، هذه الجمعية التي كانت تجمع تحت جناحها آمال وآلام شعوب المغرب العربي الكبير، وتضمّ الموجودين في القاهرة من الزّعماء العاملين لتحرير المغرب الكبير من الاستعمار الفرنسي. وكان من أعزّ أصدقائه في هذه الجمعية الشّيخ محمّد الخضر حسين، ومحيي الدّين القليبي، والحبيب بورقيبة، كما كان عضوا في تأسيس جمعية الهداية الإسلامية، إضافة إلى عضويته في اللّجنة المؤسسة لجمعية الإخوان المسلمين، إذ كانت تربطه بزعيمها الشّهيد حسن البنّا (1906-1949) صداقة حميمة، وكان ابنه البكر محمّد طفيش من أعضائها العاملين، وقد ألقى عليه بوليس الملك فاروق القبض لنشاطه السّياسي الإسلامي، ورحل إلى جبل الطور بصحراء سيناء مع جماعة من الإخوان المسلمين في حملة الاعتقالات التي شهدتها سنة 1949».

ويمضي الدكتور محمّد ناصر قائلا: «ومن سمات وطنية أبي إسحاق الحارّة اعتداده القوي بجزائريته. فقد عرضت عليه الجنسية المصرية... في العشرينات... ورفضها اعتزازا وإباء. كما عرضت عليه السّلطة الفرنسية إبّان السّماح له بزيارة الجزائر لأوّل مرّة بعد نفيه سنة 1930، أن يتعهّد بعدم الاشتغال بالسّياسة وتسمح له بالبقاء في وطنه، فرفض»[1].

ثمّ يضيف: «وفي سنة 1953، فتحت حكومة زنجبار معهدا للدّراسات الإسلامية فعرضت عليه أن يتولّى التّدريس به... فما كان منه... إلاّ أن رفض، لا لشيء إلاّ لأنّ الطّلب جاءه عن طريق الأنجليز»[2].

وفي جوان من سنة 1940م، التحق بقسم التّصحيح بدار الكتب المصرية. ومن أجلّ أعماله فيها انكبابه على تصحيح وتحقيق (الجامع لأحكام القرآن) في

1- الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي، 22-23.
2- نفس المصدر، 31.

التّفسير للقرطبي. كما شارك أيضا في تصحيح كتاب محمّد فؤاد عبد الباقي (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)، كما شارك في تصحيح الطّبعة الثانية من مصحف الملك فؤاد عام 1371هـ/1952م. وكان إلى جانب هذا مرجعا للفتوى في الشّريعة الإسلامية. شارك مشاركة فعّالة في تحرير مادة الموسوعة الفقهية، ولا سيما فيما يتعلّق بالمذهب الإباضي. وكان المرجع لكثير من المشاكل اللّغوية والمفردات التي أدمجت في متن اللّغة بواسطة المجمع اللّغوي، الذي أنشئ بمصر.

أهم مؤلّفات القطب التي قام بتحقيقها وبنشرها:

- الأجزاء الثلاثة الأخيرة من شرح النّيل وشفاء العليل، طبعها عام 1343هـ.
- الذّهب الخالص، علّق عليه وطبعه في نفس السّنة.
- شامل الأصل والفرع، طبعه عام 1348هـ /1928م.
- داعي العمل إلى يوم الأمل، طبعه في أربعة أجزاء، عام 1931.
- كتاب الرّسم، طبعه بالقاهرة عام 1349هـ/1929م.

كما حقّق وطبع لغير القطب عدّة مؤلّفات أخرى، نذكر منها:

- الجامع الصّحيح مسند الإمام الرّبيع بن حبيب، طبعه بالقاهرة عام 1349هـ/1929م.
- الوضع للشّيخ أبي زكرياء يحى الجناوني، طبعه بالقاهرة عام 1381هـ/1961م.
- جوهر النّظام في علمي الأديان والأحكام لعبد الله بن حميد السّالمي[1]، طبعه

1- **عبد الله بن حميد السالمي:** ولد بمدينة الرستاق العمانية عام 1286هـ /1869م وبها حفظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الإسلامية. ثمّ انتقل إلى بلدة المضيبي ثمّ استقرّ ببلدة القابل، وتفرّغ للتّدريس والتّأليف والفتوى. اتّسمت حركيته بالانضباط في الحل والترحال، مع سعة الأفق، والرغبة في المقارنة بين أقوال الإباضية وأقوال غيرهم، ومتانة العلاقة بينه وبين إباضية المغرب، بمراسلاته المستمرة مع محمد طفيش قطب الأئمة خاصة. إنّ مثل هذا النشاط العلمي مألوف بالنسبة إلى رجل ضرير، إلاّ أنّ غير المألوف يتمثّل في الحركية العلمية التي انتهت بإحياء الإمامة في عمان على يد الإمام سالم ابن راشد. وقد تخرّج على يديه عدد كبير من التلاميذ، نذكر منهم الإمام محمّد بن عبد الله الخليلي والإمام سالم بن راشد. كما ترك ثمانية وعشرين مؤلفا، نذكر منها:
- قصيدة أنوار العقول، في الأصول.
- شرحها: مشارق أنوار العقول.
- اللّمعة المرضية من أشعة الإباضية.

بالقاهرة عام 1344هـ/1924م.

- تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان لنفس المؤلّف، طبعه بالقاهرة عام 1350هـ/1930م.
- جامع أركان الإسلام للشيخ سيف بن ناصر الخروصي، طبعه بالقاهرة عام 1346هـ/1926م.

وحقّق متن عقيدة التّوحيد لأبي حفص عمرو بن جميع وشرحها لأبي العباس أحمد الشماخي، وطبعهما مع شرح أبي سليمان التلاتي عام 1353هـ/1934م.

كما حقّق أيضا مدوّنة أبي غانم وشرْح الملاحن لابن دريد وطبعه بالقاهرة عام 1347هـ/1927م.

استفاد تلميذه سالم بن يعقوب[1] كثيرا من دروسه ومكتبته في القاهرة، بدار الطلبة الإباضية، وهناك أخذ عنه كثير من العمانيين والنفوسيين.

- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، في التاريخ.
- العقد الثمين، في الفتاوي.
- جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام.
- تلقين الصبيان ما يلزم الإنسان، في التوحيد والفقه.
- غاية المراد في نظم الاعتقاد.
- كشف الحقيقة، في الرد على قادح في المذهب الإباضي.
- بذل المجهود في مخالفة النصارى واليهود.
- مدارج الكمال في نظم مختصر الخصال، في التوحيد والفقه.
- شرح طلعة الشمس على الألفية، في أصول الفقه.
- الحجج المقنعة في أحكام صلاة الجمعة.
- حاشية على مسند الربيع.
- الحق الجلي من سيرة شيخنا صالح بن علي الحارثي.

توفي الشيخ عبد الله السالمي ببلدة تنوف بسفح الجبل الأخضر عام 1331هـ/1914م.

1- **سالم بن يعقوب:** ولد بجربة في مطلع القرن العشرين. بقي أمّيًا إلى التاسعة عشرة من عمره، واستطاع أن يتدارك أمره بسرعة، وأقبل يتلهف على دروس شيخه عمر ابن مرزوق، من كبار المصلحين بجربة آنذاك، المتوفّى عام 1381هـ/1961م.

ثمّ رحل إلى تونس فعاش في مدرسة الإباضية هناك بالهنتاتي، وحرص على دروس شيخه محمد بن صالح الثميني المشرف على البعثات الإباضية الجزائرية بتونس، وبقي بها خمس سنوات من 1346هـ/1927م إلى 1351هـ /1933م. ثمّ انتقل إلى مصر حيث بقي كذلك خمس السنوات التالية، وعاش هناك في مدرسة الإباضية بطولون، وأخذ عن شيخه أبي إسحاق طفيش، وعكف على مكتبة الإباضية، فنسخ من مخطوطاتها، كما نسخ عدّة نصوص من دار الكتب.

ثمّ استقرّ في جربة مدرسا وواعظا إلى أن توفي في جانفي 1991م.

من مؤلّفاته:

- الدعاية إلى سبيل المؤمنين (ردّ على البراهين القاصفة) طبع بتونس عام 1342هـ/1922م.
- النّقد الجليل للعتب الجميل على أهل الجرح والتعديل، طبع عام 1342هـ/1922م.
- رسالة الصّوم بالتّلفون والتّلغراف، عام 1355هـ.
- تاريخ الإباضية، (كتاب ضخم في عدّة أجزاء)
- تأويل المتشابه.
- صلاة السّفر وأحكامها.
- عصمة الأنبياء والرّسل.
- ذكرى أبي الشّعثاء.
- منهاج السّلامة فيما عليه أهل الاستقامة.
- تفسير سورة الفاتحة.
- الفنون الحربية في الكتاب والسنة.
- مختصر الأصول والفقه للمدارس.
- كتاب نقض شبهات المؤرّخين.
- مسألة قراءة القرآن بالأجرة.
- رسالة عمان الإمامية.
- ترجمة الشيخ الحاج محمّد طفيش.
- رسالة الفرق بين الإباضية والخوارج.

له فتاوي عديدة، منها فتواه في ترجمة القرآن، وفي التّجنيس، وفي استعمال الكحول في المداواة.

وفي سنة 1952م، راح يبذل الجهد الجهيد يطلب من الإمام غالب بن علي لتعترف الجامعة العربية بعمان ضمن أعضائها. وفي سنة 1955م، كلّفته الجامعة

العربية للالتقاء بالإمام والسّلطان داخل عُمان، فرُدّ على أعقابه بعد أن وصل إلى صحار. ولقد لاقى في هذه الرحلة التي دامت حوالي ثلاثة أشهر أهوالا وعقبات شديدة، وكان الإنجليز له بالمرصاد، فمنعوه من أن يتّصل بالسلطان أو بالإمام، وأصدر حاكم الخليج قرارا بالقبض عليه حيّا أو ميّتا. ثمّ إنّ الإمام عيّنه سفيرا لعمان الإمامية يوم 10 محرّم 1375هـ/ 29 أوت 1955م، لدى حكومة جلالة الملك سعود وحكومة الرئيس جمال عبد الناصر ولدى جامعة الدول العربيّة. وفي بداية سنة 1961م، كلّفه بعرض قضية عمان على هيئة الأمم المتّحدة، فسافر إلى نيويورك رفقة الأمير حِمْيَر بن سليمان، ممثّلا لدولة إمامة عمان، واجتهد في مقابلة الوزراء والسفراء يكشف لهم عن عمان الإمامية واعتداء بريطانيا على الإمامة، منتهكة حرمة استقلال عمان، رغم وجود معاهدة السيب لعام 1920م.

عرضت القضية في الجلسة الأولى لدى اللّجنة السياسية، ثمّ في الجلسة الثّانية، فحازت القبول بالإجماع.

عقد الشّيخ أبو إسحاق رحلة إلى زنجبار سنة 1367هـ/ 1948م واعظا مرشدا، دامت نحو أربعين يوما، ورحلة ثانية إليها في حدود سنة 1956، وأخرى إلى نفوسة، وأخرى إلى القدس في رجب 1350هـ/1931م حيث انعقد هناك المؤتمر الإسلامي، ممثلا لإباضية المشرق. رافق الشّيخ حمير بن سليمان أمير الجبل الأخضر بدولة إمامة عمان، في زيارته إلى مزاب عام 1964م.

تزوّج ثانية سُبَيْعَة بنت قاسم الشماخي، فأنجبت له جميع أبنائه الخمسة وأختا لهم، وتزوّج ثالثة سعاد بنت سالم المعمريّة في زنجبار عام 1367هـ/ 1948م، ولم تنجب له.

توفّي يوم 20 شعبان 1385هـ /26 ديسمبر 1965م، ودفن بمقبرة آل الشماخي بالقبة في القاهرة. أقيم في مسجد بني يزقن يوم 28 جانفي 1966 حفل تأبين للمرحوم، حضره من القرى السبع جميع الهيئات الدّينية وجمع من الأدباء.

ف- الشّيخ أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى حمدي:

ولد بالقرارة ليلة الإثنين 29 صفر 1306هـ/ 5 نوفمبر 1888م. فقد أباه في رجب 1307هـ. زاول تعليمه الابتدائي بالقرارة عن الحاج عمر بن يحيى، واستظهر القرآن أمام الشّيخ الحاج إبراهيم بن كاسي إمام المسجد عام 1323هـ/1905م، وانتقل إلى بني يزقن عام 1325هـ/1907م ليتعلّم عن القطب.

في سنة 1328هـ، أبحر قاصدا البقاع المقدّسة.

سافر إلى تونس على رأس بعثة علمية من التلاميذ الصغار في ماي 1914، وكانت تضمّ عشرة تلاميذ، فلم تطل إقامتهم فيها، إذ لم تساعدهم الظروف بعد نشوب الحرب العالمية، فعاد ببعثته إلى القرارة في أفريل 1915، وفتح بها دارا للتعليم، استمرّت سنتين ثمّ تخلّى عنها، فأعاد الكرّة إلى تونس في جانفي 1917، على رأس بعثة علمية أخرى من أغلب مدن مزاب. فاستمرّ يرئس البعثات المتواردة عليه، ويشارك الطلبة الكبار في تنمية معارفه من مختلف المعاهد، حيث أخذ العلم عن الشيخ عبد العزيز جعيط والشيخ الطاهر بن عاشور في جامع الزيتونة، وعن غيرهما في المدرسة الخلدونية.

وفي تونس أعدّ عدّته للدخول في الصحافة. أوّل مقالاته الصحفية كانت في جريدة الفاروق، لصاحبها عمر بن قدور الأغواطي، عام 1913-1914.

في سنة 1920، كان عضوا بارزا في الحزب الحرّ الدستوري التونسي، وتربطه بزعيمه عبد العزيز الثعالبي صداقة شخصية.

وفي سنة 1925، ترك البعثات العلمية تحت رئاسة الشيخ قاسم بن الحاج عيسى ابن الشيخ، وعاد إلى الجزائر ليتفرّغ للصحافة.

أمّا أوّل الجرائد التي أصدرها فهي (وادي ميزاب) في أوّل أكتوبر 1926م، كانت تصدر في الجزائر وتطبع في تونس، ويبعث بها إلى الجزائر داخل جرائد النهضة والزهرة التونسيتين، ثمّ أنشأ المطبعة العربية بالجزائر العاصمة في

فيفري سنة 1931م، فكانت جرائده تطبع فيها. أصدر في مدّة اثني عشر عاما ثماني جرائد وطنية، صادرها الاستعمار واحدة تلو الأخرى، وهي على التّرتيب الزمني: وادي ميزاب، ميزاب، المغرب، النور، البستان، النبراس، الأمة، الفرقان.

شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، وفي دورتها الثانية عام 1934، انتخب عضوا في مجلس الإدارة، وعيّن نائبا لأمين المال. بقي في هذا المنصب إلى أن انسحب من الجمعية في نوفمبر 1939، نتيجة لأحداث الحرب العالمية وتطوراتها، والمراقبة المشدّدة عليه من طرف الإدارة الاستعمارية، وتدهور حالة ابن باديس الصحية، وسجن الكثير من العلماء، ونفي البعض الآخر، ووضع زعماء آخرين تحت الإقامة الجبرية.

كان أحد أساطين النهضة الجزائرية، وكان السند القوي للشيخ بيوض.

انخرط في حلقة العزابة بالقرارة عام 1936.

لقد كان الشيخ يمتاز بورع صادق، وعفاف مخلص، لا يكف عن التضرع لله تعالى والابتهال إليه آناء الليل وأطراف النهار، ذا شخصية قوية في الحق، صلبة في المبدأ.

أصيب بمرض الشلل في جنبه الأيسر في رمضان 1376هـ/أفريل 1957م، فألزمه الفراش إلى أن توفي بالقرارة يوم 25 صفر 1393هـ/30 مارس 1973م.

ترك ما يقرب من ستين مؤلّفا، منها:

- ديوانه في الشعر، طبع الجزء الأوّل منه في المطبعة العربية بالجزائر عام 1931، والثاني عام 1989 بالجزائر كذلك.
- سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، جزءان طبعا في المطبعة العربية بالجزائر عام 1956.
- سلم الاستقامة، في سبعة أجزاء، طبعت في المطبعة العربية بالجزائر عام 1385هـ.
- فتح نوافذ القرآن، طبع في بيروت عام 1973.

- سبيل المؤمن البصير إلى الله، طبع في لبنان عام 1389هـ.
- إرشاد الحائرين، طبع بتونس عام 1923. (ردّ على كشف اللثام عن أغراض بعض اللثام).
- حكمة التشريع الإسلامي، طبع في عمان عام 1991.
- اللغة العربية غريبة في دارها، طبع في الجزائر عام 1993 (ط2).
- الثقة بالنفس، طبع في عمان عام 1993.
- من دسائس المبشرين، طبع في عمان عام 1993.
- وباء الفجور، طبع بالجزائر عام 1993.
- تاريخ صحف أبي اليقظان.
- حياة أبي اليقظان.
- نشأتي
- ملحق سير الشماخي من القرن العاشر الهجري إلى القرن الرابع عشر (ثلاث حلقات).
- أفذاذ علماء الإباضية في وادي ميزاب في العهد الأخير.
- ترجمة الإمام عبد الله بن إباض المري التميمي.
- ترجمة الإمام أبي عمار عبد الكافي.
- ترجمة الإمام أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني.
- ترجمة الإمام أبي عبد الله محمّد بن بكر النفوسي.
- ترجمة الإمام أبي إسحاق إبراهيم طفيش.
- الشيخ الثميني كما أعرفه.
- باباعمي الحاج أحمد كما أعرفه.
- الإباضية في شمال إفريقيا، في حلقتين.
- تفسير الجزء الثلاثين من القرآن.
- رسالة الإسلام ونظام المساجد في وادي ميزاب.
- رسالة الإسلام ونظام العشيرة في وادي ميزاب.
- رسالة أضواء على بعض أمثال القرآن.

- عناصر الفتح من سورة الفتح.
- صبر يوسف يتجلّى في محنه.
- أطوار التكوين والفناء في القرآن.
- تحفة أبي اليقظان للصبيان.
- خطبة العيدين.
- مأساة فلسطين.
- رحلتي للحج إلى بيت الله.
- أهدافي العليا بالعمل في هذه الحياة.
- الإنسانية المؤمنة بين حزب الله وحزب الشيطان.
- أشعة النور من سورة النور في الحجاب والسفور.
- نماذج إمارات الدفاع.
- رسالة تاريخ ميزاب وعوائد أهله.
- تاريخ الصحافة العربية في الجزائر.
- الجزائريين عهدين: الاستغلال والاستقلال.
- دفع شبه الباطل عن الإباضية الوهبية المحقة.
- عنوان الحضارة في تاريخ القرارة.
- طور جديد في الجزائر ووادي ميزاب.
- نظام إمسطوردان في غرداية.
- مشاهد الزيارة في القرارة.
- رسالة العزابة.
- بيانات واضحة عن الإباضية ووادي ميزاب.
- هل للإباضية وجود في سوف في الزمن القديم؟
- خلاصة التاريخ الإسلامي للجزائر.
- فذات النساء الإباضيات في وادي ميزاب في العهد الأخير.
- اقتحام الصعاب في نشوء صحف الجزائر ووادي ميزاب.

ص- الشّاعر مفدي زكرياء بن سليمان الشيخ:

ولد ببني يزقن يوم 12 ربيع الأوّل 1326هـ/ 15 أفريل 1908م. ذهب في جوليت 1920 إلى تونس ليكمل دراسته تحت رعاية عمّه صالح بن يحيى، أحد مؤسّسي حزب الدّستور التّونسي.

تلقّى تعلّمه الابتدائي والثّانوي بكل من مدرسة السّلام والمدرسة الأهلية والخلدونية ومدرسة الآداب والترجمة بالعطارين، وأخيرا بجامع الزيتونة.

في سنة 1929، أسّس في العاصمة الجزائرية هو وجماعة من التجّار المزابيين جمعية الوفاق، التي أصدرت يوم 1 أفريل 1933 جريدة باسم الحياة، وكان مدير تحريرها، وكانت جريدة متعدّدة الاهتمامات. فهي اجتماعية وسياسية واقتصادية وأدبية أيضا، ولكنّها لم تستمر طويلا إذ لم يصدر منها سوى ثلاثة أعداد.

التقى مفدي زكريّاء في شهر أوت 1936 بزعيم حزب نجم الشمال الإفريقيّ، لدى عودته من فرنسا، وأوّل مسؤوليّة أسندت إليه عند تعيين المكتب التنفيذيّ للحزب في الجزائر، في أوائل أكتوبر 1936، هي: مراقب ومفوّض للدعاية. قام مفدي بإنشاء "النشيد الوطنيّ الجزائريّ" ومطلعه "فداء الجزائر روحي ومالي" وطبع في المطبعة العربيّة يوم 1 شعبان 1355هـ/17 أكتوبر 1936م. وفي نفس السنة أصبح مفدي رئيسا للجنة التنفيذيّة العليا بالجزائر العاصمة. ثمّ بعد أن عمدت السّلطة الاستعمارية على حلّ نجمة إفريقيا الشمالية في 26 جانفي 1937، وتأسيس بدلا عنه حزب الشعب يوم 11 مارس 1937، بقي أمينا عاما له، وعيّن رئيس تحرير جريدة الشعب، لسان حال الحزب.

في انتخابات الأقاليم لعام 1937، رشّح مفدي زكرياء نفسه ضمن قائمة حزب الشعب الجزائري بقسنطينة[1].

1- بنيامين سطورا: مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية، 168.

إنّ مفدي زكرياء، إلى جانب اعتزازه الدائم بالشخصية الجزائرية، حريص كلّ الحرص على مقاومة كل سياسات الفرنسة والمسخ والتذويب والإدماج. يقول الدكتور محمد ناصر: «وأحسب أنّ من أشهر قصائده وأقواها فكرة وفنا قصيدته التي عنوانها (بردة الوطنية الجزائرية) التي ألقاها في فيفري من سنة 1937 في مهرجان وطني بتونس، وهي رد صارخ على مشروع بْلُومْ - فُيُولِيتْ الإدماجي[1] الذي اغترّ به بعض الجزائريين، ظنا منهم أنّ من ورائه الحصول على الحقوق السّياسية»[2].

ألقت السلطات الفرنسية القبض، يوم 27 أوت 1937، على مصالي وعلى مفدي زكرياء وثلاثة من أعضاء المجلس الإداري للحزب: خليفة ابن عمّار وحسين لحول وإبراهيم غرافة. في 4 نوفمبر 1937، حكمت على الأخير محكمة العاصمة بسنة واحدة سجنا، وعلى الآخرين بسنتين. ولكي يستفيدوا إلى أقصى حدّ من الوقت الحر الذي يتوفرون عليه في السجن، تكفّل مفدي زكرياء بتعليم اللغة العربية، وحسين لحول بالفرنسية، وعيّن مصالي لتنظيم دروس سياسية[3]. أُفرج عنهم يوم 27 أوت 1939، وتمّ حلّ حزب الشعب يوم 26 سبتمبر 1939.

هناك في سجن باربروس، نظم مفدي زكرياء، يوم 29 نوفمبر 1937، نشيد الشّهداء (اعصفي يا رياح) الذي وزّع كمنشور في القصبة في جوليت 1938، فصار نشيد الشباب. في سنة 1956، صدر الأمر من جبهة التحرير الوطني إلى المحكوم عليهم بالإعدام أن يردّدوا هذا النشيد قبل الصعود إلى المقصلة.

1- Maurice VIOLETTE : Gouverneur Genèral de l'Algérie du (12-05-25) au (10-11-27) a inspiré le Président du Conseil LEON BLUM.

2- مفدي زكرياء: شاعر النضال والثورة، 40.

3- نفس المصدر، 180.

اعتقل مرّة أخرى يوم 22 فيفريّ 1940 وحكم عليه بستة أشهر سجنا، وبعد حوادث ماي 1945، قبض عليه وزجّ في السجن ثلاثة أشهر، وبعد سراحه، واصل نشاطه السياسي في حزب (الانتصار للحريات الديمقراطية) الذي أنشئ في مطلع سنة 1947، بدلا عن حزب الشعب بعد حلّه، والذي انبثقت منه اللّجنة المركزية، وأعلنت الثّورة المسلّحة في فاتح نوفمبر 1954.

ترشّح في مزاب للنّيابة في المجلس الجزائري في انتخابات 4 أفريل 1948، وفاز عليه منافسه الشيخ بيوض بـ 52% من الأصوات.

وفي 1949، دخل مفدي السجن لمدّة شهرين، ثمّ دخله عام 1951 لستّة أشهر. وفي 1955، التحق بصفوف جبهة التحرير، وألّف نشيد (قسما)، نشيد الثورة الجزائرية والنشيد الرسمي للدولة الجزائرية بعد الاستقلال، وذلك بطلب من بن يوسف بن خدّة وعبّان رمضان، عن طريق الأخضر ربّاح، خلال ديسمبر 1955. لحنّه أوّل الأمر الفنان التونسي محمّد التريكي، وأوّل تمرين على هذا اللّحن، لتسجيله وتهريبه إلى جيش التحرير في الجزائر، كان في دار البعثة المزابية في تونس، ومن طلاب البعثة. وبعد ذلك أعيد تلحينه من طرف الفنان المصري محمّد فوزي.

في نفس السّنة، اتّخذت السلطات بغرداية قرارا يمنع مفدي زكرياء ومحمّد الحاج الناصر من دخول مزاب.

قبضت عليه السلطات الاستعمارية في 19 أفريل 1956 وحبس في سجن باربروس، ثمّ في معتقل برواقية، وصودرت أمواله، وأطلق سراحه بعد ثلاث سنوات، وفرّ إلى المغرب يوم 13 مارس 1959، ثمّ انتقل إلى تونس، وشارك بنشاط في الصفحات الثقافية لجريدة المجاهد إلى سنة 1962.

في سنة 1961، انتقل من تونس إلى بيروت لمتابعة طبع ديوانه (اللهب المقدس)، واغتنم الفرصة للمشاركة في المهرجان الثالث للشعر العربي الذي

انعقد بدمشق في شهر سبتمبر من تلك السنة، فتعرّف الشعراء العرب على شاعر الثورة عن قرب، بعد أن قرؤوا أشعاره وأعجبوا به.

بعد استقلال الجزائر، عاد مفدي إلى وطنه، واستقرّ بالعاصمة، حيث ألّف ما سمّاه دليل المغرب العربي الاقتصادي، ثمّ رحل إلى تونس وعاش بها من 1963 إلى 1969م. وفي 1969م، غادر تونس ليستقرّ بالدّار البيضاء بالمغرب، حيث استفاد من رخصة فتح مدرسة ثانوية للتّعليم، وشارك بشعره ومناقشاته في جلّ ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر، بدعوة من زميله وصديقه الأستاذ مولود قاسم. ولعلّ أعظم ما ختم به حياته الإبداعية الطويلة إلياذته الشّهيرة التي هي تمجيد حار لتاريخ الجزائر.

يقول الدكتور محمد ناصر: «لا نحسب أنّ إطلاق لقب (شاعر المغرب العربي) على مفدي زكرياء، هو من قبيل إطلاق التسميات والألقاب جزافا... فإنّ هذه التسمية في حقيقة أمرها، تعريف بالشاعر أكثر من كونها تشريفا له.

...إنّ أهمية شعر مفدي زكرياء في هذا الاتجاه تكمن في تميّزه الواضح عن غيره من الشعراء، الذين عالجوا قضية المغرب الكبير، فقد نجد هذه القضية مطروحة عند هذا الشاعر أو ذاك، ولكن لا تعدو كونها خواطر سريعة وتلميحات عابرة، تكتفي ببعض الأبيات في هذه القصيدة أو تلك، أمّا عند مفدي زكرياء فتغدو عقيدة راسخة تمتدّ جذورها في أعماق أعماله الشعرية، ومبدأ سياسيا ناضل من أجل تحقيقه منذ يفاعته حتى آخر لحظات عمره، ومشاركة فعلية في المؤتمرات والملتقيات الوطنية، وتواجدا منفعلا عبر كلّ مراحل شعره الاستنهاضي والنضالي والثوري، أصبحت معه هذه القضية فكرة محورية، دار حولها شعره منذ سنة 1925 حتى سنة 1977م»[1].

1- نفس المصدر، 82.

توفي مفدي زكرياء في تونس يوم 3 رمضان 1397هـ /17 أوت 1977، ودفن بمسقط رأسه بني يزقن، ثمّ سُمّي باسمه مطار غرداية – نومرات، بقرار رئاسي مؤرّخ يوم 31 جوليت 1999م.

من مؤلّفاته:

- اللهب المقدّس، طبع في بيروت عام 1961.
- تحت ظلال الزيتون، طبع بتونس عام 1965.
- من وحي الأطلس، طبع بالرباط عام 1976.
- المعركة السياسية في الجزائر من 1935 إلى 1954.
- إلياذة الجزائر، عام 1392هـ/1972م، في ألف بيت وبيت.
- تاريخ الصحافة العربية الجزائرية.
- الأدب العربي بالجزائر عبر التاريخ.
- تاريخ الفلكلور الجزائري.
- أضواء على وادي مزاب.
- نحو مجتمع أفضل.
- سبع سنوات في سجون فرنسا.
- حواء المغرب العربي الكبير في معركة التحرير.
- قاموس المغرب العربي الكبير في اللهجات العربية.
- العادات والتقاليد في المغرب الموحد.
- الثورة الكبرى (أوبرت).
- اليتيم في العيد (رواية).
- عوائق انبعاث القصة العربية.
- مائة يوم ويوم في المشرق العربي.

- الجزائر بين الماضي والحاضر.
- مذكراتي.
- الصراع بين الشعر الأصيل والشعر الدخيل.
- انطلاقة.
- الخافق المعذب.
- ديوان محاولات طفولة.
- الزحف المقدّس، باللغة الشعبية.
- في شعر الكفاح السياسيّ.
- في الشعر الذاتيّ.
- الشعر الشعبيّ الجزائريّ.
- تقويم المغرب العربيّ الكبير.

أشهر أناشيده الثورية:

- فداء الجزائر روحي ومالي.
- قسما بالنازلات الماحقات.
- اعصفي يا رياح.
- هذي دمانا الغالية دفاقة.
- نحن جند الاتّحاد والعمل.
- نحن طلاب الجزائر.
- عشت يا علم.
- أنا بنت الجزائر.
- نشيد معركة بترت.

وكتب مفدي كلمات مجموعة من الأغاني التي قدّمت خلال الفترة الواقعة بين 1939 و1950، ومن أبرز عناوينها: يا طير الهناء، لطيفة حلوة، ياسايقين الإبل، آه يا فاتني.

أنشأ بالاشتراك مع محمّد التوري، فريد باي ومصطفى سكندراني، في ماي 1944 جمعيّة موسيقيّة ومسرحيّة باسم (مسرح الفنّ الأندلسيّ الشرقيّ: ألف ليلة وليلة) وكان مديرها.[1]

ق- الشيخ إبراهيم بن بانوح مَطْيَازْ:

ولد ببني يزقن يوم 10 ربيع الأوّل 1316هـ/1895م. تلقّى العلم أوّلا عن الحاج يوسف مِوْرِيغْ أحد أعضاء الحلقة في محضرة المسجد، ثمّ على ابن عمّه عيسى بن بكير، وختم القرآن عند الحاج داود بزملال وعمره ستة عشر عاما تقريبا، ثمّ درس عن الشيخ الحاج إسماعيل زرقون كل الفنون المتداولة، من عقيدة وفقه ولغة عربية، مدّة ما يقرب من سبعة عشر عاما، كما كان يحضر دروس العامة للقطب في المسجد بعد صلاة الفجر، ويستفتيه في معهده كلّما أشكل عليه أمر. كان مهتما بالتّاريخ يقيّد الأحداث والوقائع.

انتقل إلى القرارة عام 1922، وأكمل دراسته مدّة سنتين على يد الشيخ إبراهيم بن بكير حفّار.

في الفاتح نوفمبر 1924، وضع الحجر الأوّل لمدرسة بونورة، درّس فيها تسعة أشهر، ثمّ أناب بها غيره، وانتقل إلى الجزائر العاصمة عام 1925، وأنشأ فيها مدرسة عصرية قام بإدارتها والتربية والتعليم فيها.

1- صالح ابن ادريسو: مفدي زكريّاء من خلال تقارير الإدارة الاستعماريّة الفرنسيّة، 81.

تعرّف عام 1926 على المستشرق البولوني سْمُوغُورْفَسْكِي، وأمدّه بمراجع مختلفة. من خلال هذه العلاقة تحصّل على كرسيّ لتدريس اللغة العربيّة في جامعة لْفُوفْ ببولونيا، إلاّ أن أباه رفض انضمامه إلى هذه الجامعة.

كان من أعضاد أبي اليقظان في جهاده الصحفي، وعضوا عاملا في جمعية العلماء منذ تأسيسها، ومن أنصار نادي الترقي. ترأس ببني يزقن جمعية التوفيق التي حصلت على رخصتها يوم 25 جانفي 1947.

ترك مخطوطات، منها:

- مثال في الخير يحتذى، وهو قصيدة في مدح القاضي الحاج سعيد مصري، عندما زوّد البلدة بالماء العذب من الواحة، بواسطة أنابيب.
- تاريخ رجال الإباضية في الأيام الماضية.
- مخطوطان في تاريخ وادي مزاب.
- نظام حلقة العزابة.
- نظام العشائر في وادي مزاب.

توفي يوم الجمعة 9 جانفي 1981 ببني يزقن.

ر- الفرقد سليمان بن يحيى بوجناح:

ولد بغرداية عام 1903. بدأ الدراسة بأحد كتاتيبها، ثمّ سافر إلى تونس وعاد ليتمّ دراسته الثانوية بثانوية بِيجُو (الأمير عبد القادر حاليا) بالجزائر العاصمة.

عرف بحماسه الوطني وقلمه الناري منذ الصغر. حارب الاستعمار والتبشير، وحرم من دخول امتحان الباكالوريا انتقاما منه لما كتب ضد التبشير. زجّت به السلطات الاستعمارية في سجن باربروس سنة 1929.

في تلك السنة، كان أحد مؤسّسي جمعية الوفاق بالعاصمة وكاتبها العام. أمّا رئيسها فهو المرحوم سعيد بن بكير خالدي النِفْني. ولَمّا نفى الاستعمار الفرقد، يوم 24 جوان 1931، إلى بني عبّاس جنوب بشّار، لترعته الوطنية، توقفت الجمعية مدة سنتين.

نفي مرّة ثانية إلى أدرار لمدّة سنتين، يوم 27 نوفمبر 1933، لإقدامه على ترجمة مقالات تدعو إلى الاستقلال.[1]

من آثاره كتاب الفرقد، وهو مجموعة مقالات اجتماعية وسياسية بالعربية. وله مقالات كثيرة بالفرنسية موزعة في الصحف الفرنسية ذات الاتّجاه الشيوعي والاشتراكي[2].

من ذلك، مقال صدر في جريدة (الجزائر الجمهورية) يوم 7 أوت 1939، يدعو فيه إلى إنشاء الجبهة الإسلامية الجزائرية، لتحقيق الوحدة بين مختلف التشكيلات السياسية الجزائرية، ضدّ الموقف المتصلب للاستعمار.

توفي عام 1988.

12- أحداث متفرّقة:

- 1913: وادي الجراد.
- 9 فيفري 1914: فيضان كبير معبر عنه بالمساح.
- ذي القعدة 1336هـ/1918م: وباء عظيم مرض فيه أهل القصور السبعة وفشا الموت خاصة في النساء والصبيان.
- 10 جوان 1918: السيّد الحاج عيسى بن إبراهيم الشقمة يهب قطعة أرض بيضاء في مداوروش، مساحتها 1,28 هكتارا، لتكون مقبرة للإباضيّة.

1- SALAH BENDRISSOU: MOUFDI ZAKARIA, 85.

2- محمّد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية، الجزء الثاني، 223.

- 1 أوت 1919: إلغاء سجن تَاعَضمِيتْ بقرار من الوالي العام.
- 1920: مجاعة.
- جويلية 1920: قرار بأنّ كلّ العقود التي لم تسجل لدى إدارة التسجيل لا يصدر بها حكم.
- مارس 1921: وباء التيفوس راح ضحيته 2500 مزابي عدا الوفيات غير المسجلة، وأدّى إلى غلق مدرستي القرارة وبريان حتى نهاية الموسم الدراسي.
- 1922: وادي البرد.
- 1923: أصبح رئيس (الأمة اليهودية) في غرداية عضوا في اللجنة البلدية لغرداية إلى جانب القواد السبعة المزابيين والقواد الثلاثة لشعانبة متليلي.
- 18 فيفري 1926: الاتّحاد الطرقي البلجيكي يقيم نصبا تذكاريا للسائح البلجيكي البارون بْيِيرْ دُوكْرَاوْهِيزْ[1] الذي ورد مزاب سنة 1898م بأوّل سيارة أوطُومُبِيلْ، شقت الصحراء، وذلك تنفيذا لوصيته، وهو من أهل الثروة العظيمة في بلجيكا. وقد وضعوا هذا النصب عند مفترق الطريقين القديم والجديد بسفح جبل بوهراوة. وهو من رخام يزن ثمانية عشر قنطارا، كتب عليه اسم السائح وتاريخ دخوله الوطن، كل ذلك بالذهب الوهاج. جاء بهذا التذكار شقيق صاحبه ووزيران بلجيكيان وثلاثة سفراء.

وهذا التذكار أوّل ما نصب بالوطن، وهو يشعرنا بمقدار اعتناء الأوروبيين بالاكتشاف[2].

- 1926: استقبل ملك بلجيكا أَلْبِيرْتْ الأول وحرمه الملكة إِليزابيتْ في غرداية.

1- LE BARON PIERRE DE CRAWHEZ.

2- أبو إسحاق طفيش: المنهاج، 447.

كانا يعدان من جملة المسافرين الأوائل في رحلة عبر الصحراء، نظمتها مؤسسة سِيطَرْوَانْ[1].

- 26 فيفري 1927: اتفقت جماعة بني يزقن على اقتطاع ستّة آلاف فرنك من كيس البلدة، والتبرع بها لفائدة مسجد باريس.
- ماي 1927: الشروع في بناء فندق تْرَانْزَ اتْلاَنْتِيكْ.
- 17 أكتوبر 1927: تدشين الوالي العامّ موريس فيوليت لطريق السيارات بني يزقن-العطف.
- 1347هـ/1929م: جمع التبرعات في المساجد المزابية لإصلاح خيمة الحجاج المزابيين التي تنصب بمنى.
- شعبان 1348هـ/جانفي 1930: زيارة أحمد حمزة الرفاعي، مزوّر المزابيّين، لمزاب.
- 24 أفريل 1931: الوالي العام ينشئ (الحالة المدنية) في مزاب.
- أكتوبر 1934: زيارة محمود قطّان، مطوّف المزابيّين، لمزاب.
- 1349هـ: الشيخ أحمد توفيق المدنيّ يقوم بمساعي حثيثة موفّقة لإخماد نار الفتنة بين المالكيّة والإباضيّة، بسبب إحداث الأذان من مسجد المالكيّة بغرداية.
- ليلة الجمعة 7 أوت 1936: تدشين الإنارة الكهربائية في غرداية. في هذه السنة زودت بالكهرباء غرداية (بواحتها مع ضاية ابن ضحوة)، مليكة، بني يزقن، العطف. أمّا بونورة فتمّ تزويدها بها يوم 30 جوان 1946.
- أكتوبر 1936: سقط البرد في رأس أَنْتِيسَا وحمل الوادي على غفلة من الناس وهم يقطعون التمر، دون أن يترل عليهم المطر.
- 30 أفريل 1937: مجلس الدولة - قسم النوازل بباريس يحكم للمزابيين بإلغاء القرار المؤرخ يوم 11 أكتوبر 1932 الصادر من عامل عمالة قسنطينة،

3- CITROEN.

المتعلق بترع المقبرة المزابية العتيقة بقسنطينة وتحويلها إلى طريق عمومي، حيث أنّ أرض هذه المقبرة حازتها الجماعة بالشراء في زمن البايات عام 1243هـ/1826م، وليست هبة من البلدية.

- 1937: بنو مزاب يشترون دارا لإيواء حجاجهم في المدينة المنورة مجاورة للمسجد النبوي الشريف.

- 1938: شراء أرض العالية بالعاصمة.

- 7 مارس 1946: صدر قانون يقضي بتطبيق مرسوم كْرِيمْيُو على يهود مزاب.

- 7 جوان 1947: رئيس ملحقة غرداية يقرّر أن يكون الخط عين صالح – أَوْلَفْ – تِيمي هو الحد الشمالي لتنقل أغنام بَادَمَّانْ.

الباب الثامن

الفترة الأخيرة من العهد الرابع

من 1366هـ / 1947م إلى 1382هـ / 1962م

نتناول في دراسة هذه الفترة ما يلي:

1- إحصاءات السكّان.

2- وسائل النقل والمواصلات

3- امتداد العمران

4- التّعليم.

5- الفلاحة والرّي.

6- التّجارة.

7- الصناعة.

8- التطورات السياسية المحلية.

9- النضال السياسي والعسكري من أجل وحدة الجزائر واستقلالها.

10- أعلام من الفترة الأخيرة.

11- أحداث متفرّقة.

1- إحصاءات السكان.

إحصاء عـــام 1948:

غرداية	العطف	بني يزقن	بونورة	مليكة	بريان	القرارة	مزاب
16909	2518	4862	1974	2076	4483	9112	41934

إحصاء عـــام 1954[1]:

البلدة	مسلمون	يهود	المجموع
غرداية	14046	1555	15601
مليكة	2829		2829
بني يزقن	4293		4293
بونورة	1753		1753
العطف	2720		2720
بريان	4759		4759
القرارة	7719		7719
مزاب	38119	1555	39674

تفصيل عدد السكان المسلمين في غرداية: 8.024 إباضي و6.022 مالكي.

عام 1955: عدد السكان الإجمالي: 52641.

- عدد الأوروبيين منه: 164.
- عدد اليـــهود: 1242.

وتفصيله: 1199 في غرداية و15 في بريان و28 في القرارة.

يلاحظ انخفاض عدد اليهود بسبب بداية الهجرة إلى فلسطين.

1- Les Cahiers d'Outre-Mer, n° 89, 54.

إحصاء عـــام 1960[1]:

البلدة	المسلمون	غيرهم	المجموع
غرداية	19.444	1.057	20.501
مليكة	5.765	356	6.121
بني يزقن	5.383	7	5.390
بونورة	2.119	5	2.124
العطف	3.798		3.798
بريان	8.239	170	8.409
القرارة	11.879	105	11.984
مزاب	56.627	1700	58.327

بعد 1960، اختار يهود مزاب الرحيل إلى إسرائيل، وبالضبط إلى صحراء النقب، بتحفيز ودفع من الوكالة الصهيونية العالمية، والرابطة الإسرائيلية العالمية، اللتين تكفلتا بتنظيم الهجرة وتمويلها، كما اختار بعضهم فرنسا، حيث تجمعت أغلب عائلاتهم في سْتْرَسْبُورْغْ، وفي باريس بدرجة أقل[2].

وممّا سهّل اندماجهم في فرنسا، حصولهم على الجنسيّة الفرنسيّة، بموجب قرار مؤرّخ يوم 13 جوان 1962، صادر من الوزارة المكلّفة بالشؤون الجزائريّة.

ولتعجيل الهجرة، نظّمت الرابطة الإسرائيليّة العالميّة جسرا جويّا بين مطار نومرات ومرسيليا، لنقل 900 يهوديّ، بواسطة عشر طائرات، في ظرف خمسة عشر يوما. وفي فاتح جوليت 1962، لم يبق منهم في غرداية سوى ثلاثة تجّار، اختاروا البقاء من أجل أملاكهم.

1- Pierre STIGER : Le M'Zab, 2.

2- فوزي سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، 119.

2- وسائل النقل والمواصلات :

تمّ تزفيت الطريق الرابط بين غرداية والأغواط عام 1952. وعلى بعد أحد عشر كيلو مترا من غرداية، ينطلق منه طريق آخر نحو الشرق، يتفرّع بعد ثلاثين كيلو مترا إلى فرعين يؤديان إلى القرارة وإلى ورقلة.

وفي سنة 1955، تمّ تزفيت الطريق الرابط بين بني يزقن والعطف، وأنشئت يوم 11 أفريل 1961 (شركة النقل الحضري) بغرداية، للعمل بين القصر والواحة.

من جهة أخرى، فإنّ في سنة 1947، تمّ تشغيل مطار غرداية — نومرات، لأهداف عسكرية. وفي 21 مارس 1957، فُتح للملاحة الجويّة المدنية، وشهِد أشغال توسيع، وزُوِّد بمحطّة للأرصاد الجوية خلال 1958.

3- امتداد العمران :

مع بداية الخمسينات، بدأت تنتشر أحياء جديدة حول غرداية ومليكة، تستقبل البدو. هذه الأحياء هي مرماد، العين، بابا السعد، داده علي، ثنية المخزن.

وفي سنة 1955، شرع في دراسة المخطط المعماري لوادي مزاب، وأصدر الوزير المنتدب لدى الوزير الأوّل قرارا يوم 12 سبتمبر 1959، يقضي بوضع مخطط جهوي لتهيئة التجمع العمراني غرداية– مليكة- بني يزقن- بونورة- العطف- نومرات. ووضع رَفِيرُو[1] مخططه المعماري الرائد عام 1960، صودق عليه يوم 30 أفريل 1962. وشرع كذلك في وضع مخطط معماري رائد لبريان عام 1962.

كما درست مشروعات لتصريف المياه المستعملة ومعالجتها، أوّلها لمياه العطف عام 1960م، ثانيها لمياه غرداية ومليكة وبني يزقن وبونورة عام 1962، وثالثها خاص ببريان في نفس السّنة.

1- RAVEREAU (André).

عام 1960 بلغ عدد سكان ثنية المخزن حوالي 1200،

وعدد سكان دَادَهْ عَلِي حوالي 1100،

وعدد سكان مرماد حوالي 2000،

وعدد سكان العين حوالي 1600[1].

4- التّعليم :

أ- التّعليم الحر الإسلامي:

في سنة 1947، فتح الأستاذ إبراهيم بن باعلي لعساكر مترله ببريان لتعليم البنات بالتلقين، فأصدرت إدارة الحكم العسكري أمرها بإيقافه، يوم 13 أفريل 1953، بدعوى أنّه لا رخصة له. فلم يسع جمعية الفتح إلاّ أن تتبنّى المشروع. لكن التلميذات انتظرن أربع سنوات بعد ذلك، ليسمح لهنّ بالتعلّم بواسطة الكتابة والقراءة.

في 10 ديسمبر 1950، افتتحت حركة الإصلاح بغرداية مدرسة للبنات في مترل الأستاذ عمر بن إبراهيم رأس النعامة، بلغ عدد الوافدات إليها ستين بنتا، يتراوح أعمارهنّ بين سبع واثنتي عشرة سنة.

في نوفمبر 1955، انتقل تعليم البنين التابع للمسجد العتيق بالعطف إلى أقسام مدرسة النهضة الحالية، وبقيت أقسام المسجد العتيق خاصّة بالبنات، حتّى سنة 1959، عندما قرّر العزابة إعادة بناء المسجد، حيث تحولت البنات إلى مدرسة النهضة.

في سنة 1949، أنشأت المدارس القرآنية التابعة للمحافظين هيئة، سمّوها (هيئة توحيد المعارف)، تعنى بالتنسيق بينها.

في سنة 1948، وقع تطوير منهج معهد الحياة، وأصبح معهدا ثانويا، تستغرق الدراسة فيه ست سنوات، وأضيف إليه مواد الجغرافيا، والعلوم الطبيعية، ومبادئ التربية، والفلسفة، واللغة الفرنسية.

1- Les Cahiers d'Outre-Mer, n° 89, 61.

وفي سنة 1949، أنشأت جمعية قدماء معهد الحياة جمعية للكشافة، باسم كشافة الجنوب، مركزها القرارة، ولها فروع في كلّ من غرداية والعطف وبريان. وكشافة الجنوب، مع اعتنائها بالأعمال الكشفية التربوية، تعتني بالتربية الدينية، وتقوم بخدمات تطوعية، وتمرّن أعضاءها على تسلق النخيل والسباحة في الآبار.

في سنة 1953، تمّ بناء فصول، بجانب المسجد، لمعهد الحياة، فانتقل التعليم إليها، وكان قبل في المسجد على الْحُصُر.

وفي بني يزڤن، رُخّص يوم 4 جوان 1952، لجمعية التوفيق، بفتح مدرسة (العرفان)، درّس فيها الشيخان عمر عبد الرحمن وعمر شريفي.

في سنة 1954، خلف الشيخ يوسف بن بكير حمّو أُو علي الشيخ إبراهيم ابن بكير حفّار، في التدريس بالمعهد الجابري. وقد تولّى التدريس فيه، إلى جانب كلّ منهما، الأستاذ محمّد بن بانوح نوح مفنون، الذي كان يدرّس لطلبته، من السابعة إلى التاسعة صباحا، مواد التوحيد والنّحو والبلاغة، ثمّ أضاف إليها التجويد والمنطق.

هذا إحصاء التعليم الحر العربي يوم 1 أكتوبر 1956:

البلدة	عدد الأقسام	عدد التلاميذ
غرداية	6	290
العطف	3	100
بريان	5	200
القرارة	7	345

في سنة 1957، فتحت مدرسة النور ببونورة قسمين للبنات، وكان عدد التلميذات، عام 1959، في التعليم الحر بكلّ من بريان والقرارة، مائتين.

في أفريل 1959، شهدت مليكة تأسيس جمعية النصر.

هذا إحصاء التلاميذ في المدارس القرآنية يوم 1 جانفي 1960:

البلدة	المدرسة	عدد التلاميذ
غرداية	مدرسة الإصلاح	حوالي 510
	المحاضر السبع	حوالي 300
	مدرسة بوكامل	حوالي 110
بني يزڤن	المحضرة	حوالي 90
	مدرسة التوفيق	حوالي 100
	مدرسة الاستقامة	حوالي 25
	مدرسة بليدي بوكامل	حوالي 15
العطف	مدرسة النهضة	حوالي 125
مليكة	المحضرة	حوالي 150
بريان	مدرسة الفتح	468

في 8 جمادى الأولى 1379هـ/10 نوفمبر 1959م، اتّفقت إدارات (المدرسة الجابرية) و(مدرسة العرفان) و(مدرسة الرشاد) على توحيد تعليمها تحت إدارة واحدة، وتوحّدت بذلك كافّة مدارس بني يزڤن، إلاّ (مدرسة الاستقامة)، ثمّ أعيد بناء أقسام المدرسة الجابرية الابتدائية، على أنقاض محضرتين ومدرسة الرشاد. وتمّ التدشين يوم 11 مارس 1962.

ابتداء من عام 1960، أصبح معهد الحياة يمنح للمتخرجين فيه شهادة إتمام الدراسة الثانوية.

وفي سنة 60-1961، بنى الشيخ بيوض، بتبرعات المحسنين، داخلية البعثة، في ضاحية القرارة، بإمكانها استقبال ثلاثمائة طالب في المعهد، من خارج القرارة.

ودشنت في نوفمبر 1961م /1380هـ أوّل مدرسة عصرية تابعة للمسجد في غرداية، بنيت على أنقاض محضرة بوهون أُو علي ومحضرة باسعيد أُو علي وقسم ثالث داخل المسجد، أشرف عليها الشيخ حمّو عمّي سعيد إمام المسجد والحاج داود حوّاش وكيل المسجد.

ب- التعليم الرسمي:

1- التعليم العام:

عند زيارة وزير التعليم نِيجْلِينْ لمزاب، يوم 29 مارس 1947، برفقة الوالي العام، وضع الوزير الحجر الأساسي لمدرسة ابتدائية جديدة في غرداية.

إحصاء يوم 01 أكتوبر 1956:

البلدة	عدد الأقسام	عدد التلاميذ
غرداية	15 قسما	740 تلميذا
غرداية	4 أقسام	189 تلميذة
الضاية	قسمان	50 تلميذا
مليكة	3 أقسام	102 تلميذا
بني يزقن	قسمان	85 تلميذا
بونورة	3 أقسام	50 تلميذا
العطف	4 أقسام	166 تلميذا
بـــريان	7 أقسام	359 تلميذا
القرارة	10 أقسام	442 تلميذا
مزاب	50 قسما	2183 تلميذا

في 11 جويلية 1959، قرّر الوزير المنتدب لدى الوزير الأوّل أنّه ابتـــداء من فاتح أكتوبر 1958، قد:

- أضيف قسم رابع لمدرسة البنين ببني يزقن،
- أضيفت ثلاثة أقسام لمدرسة البنين ببريان (القسمان التاسع والعاشر للبـــنين، والقسم الحادي عشر للبنات)،
- أنشئ قسم للبنات بمدرسة القرارة.

إحصاء عامي 1958 و1959:

البلدة	عام 1958		عام 1959	
	بنون	بنات	بنون	بنات
غرداية	800	219	880	239
بريان	405	45	420	75
القرارة	553	25	611	40
العطف	190		237	
مليكة	109	7	140	16
بني يزقن	129		183	
بونورة	135		142	
مرماد			36	
مزاب	2321	296	2649	370

في بريان عدد التلميذات عام 1958 هو خمس وأربعـــون، مـــن بينـــهنّ عشرون مزابية.

في بريان كذلك عدد التلميذات عام 1959 هو خمس وســـبعون، مـــن بينهنّ خمسون مزابية.

فتح أوّل قسم من التعليم التكميلي العام بغرداية في أكتوبر 1959، ليقدم أول دفعة من المترشحين إلى شهادة دروس المرحلة الأولى من التعليم الثانوي في ماي 1963.

2- التعليم المهـــني في غرداية:

في أكتوبر 1948، مدرسة تجارية تفتح أبوابها في غرداية.

إحصاء 1 أكتوبر 1956:

	عدد الأقسام	عدد التلاميذ
النجارة ونقش النحاس	3	40
التجارة	3	27
التعليم المنزلي للبنات	3	37

في 11 جويلية 1959، قرّر الوزير المنتدب لدى الوزير الأوّل أنّه، ابتداء من فاتح أكتوبر 1958، قد أضيف قسم إلى التعليم التكميلي المهني والتعليم التجاري بغرداية.

جـ- التعليم المسيحي:

إحصاء 1 أكتوبر 1956:

	عدد الأقسام	عدد التلاميذ
في مدرسة الآباء البيض	6	259
في مدرسة الأخوات البيض (تعليم عام)	4	110
في مدرسة الأخوات البيض (تعليم مترلي ونسج)	3	66

إحصاء سنتي 1958 و1959:

في مدرسة الآباء البيض 276 تلميذا عام 1958 و312 عام 1959.

في مدرسة الأخوات البيض 151 تلميذة عام 1958 و158 عام 1959، من بينهنّ عشر مزابيات.

5- الفلاحة والرّي :

من 1946 إلى 1948، تمّ حفر أوّل بئر أرتوازية في زلفانة، وفي مارس 1949، شرع في حفر مثلها في القرارة، بأمر من الوالي العام مؤرخ يوم 26 نوفمبر 1948، الذي زار مزاب في أكتوبر، وقدّم إليه طلب بهذا الشأن، وتمّ حفرها عام 1950. إلاّ أنّ تأسيس (وكالة استغلال المياه الجوفية للجنوب الجزائري) يوم 30 ديسمبر 1947، تبعته موجة من الاحتجاجات، يطالب فيها

سكان مزاب بملكيتهم على المياه الألبية وحقهم في استغلالها. من هذه الاحتجاجات، العريضة التي قدّمها وكلاء (الأمة المزابية) محمّد بن صالح الثميني، وعمر بن عيسى الحاج امحمد، وإبراهيم بن بالحاج حجوط، إلى الوالي العام، ضدّ حفر آبار أرتوازية، من طرف شركة غير مزابية، وتأسّست الجمعية النقابية الحرة للقرارة، برئاسة عيسى بن عمارة خبزي، نائب رئيسها الشيخ بيوض، مهمتها المطالبة برخصة حفر بئر أرتوازية بالقرارة، ثمّ تسيير استغلال البئر التي حفرتها السلطات، وعدم وضعها بين يدي الوكالة المذكورة. وتدخّل الشيخ بيوض يوم 6 مارس 1951 في المجلس الجزائري، مطالبا بحل الوكالة. ورافق هذه الاحتجاجات إضراب المواطنين عن استغلال مياه الوكالة سنوات، إلى أن تمّ تخفيض سعر المتر المكعب من مائة فرنك إلى تسعين في الاستهلاك المترلي، وستين في مصالح البناء، وأحد عشر في الحقول والأجنة[1].

هذا الموقف اصطدم بالمشاكل الميدانية في حفر آبار خاصة إلى طبقة الألبية، وانتهت في ديسمبر 1953 بقبول الشيخ بيوض استغلال الوكالة للمياه الألبية، وقَبِلَ أن يكون عضوا في مجلس إدارتها.

تواصل حفر الآبار حتى بلغت عام 1957 تسعا:

في القرارة: عين أرتوازية عمقها 1170م تنتج في الساعة 450م^3،

وبقية الآبار نصف أرتوازية:

في غرداية: عين لُبُو عمقها 440م تنتج 80م^3 في الساعة،

في غرداية: عين لُوهُورُو[2] عمقها 435م تنتج 100م^3 في الساعة،

في غرداية – ابن غنم: بئر عمقها 400م تنتج 120م^3 في الساعة،

1- حمّو عيسى النّوري: دور الميزابيين، الجزء الأوّل، 148.

2 - Capitaine Léon-Joseph Lehuraux, Commandant des Territoires du Sud, Vice-Gouverneur Général.

في غرداية – توزوز: بئر عمقها 520م في طريق التجهيز،

في بونورة: بئر عمقها 388م في طريق التجهيز،

في بني يزقن: بئر عمقها 435م تنتج 100م^3 في الساعة،

في العطف: بئر عمقها 450م تنتج 150م^3 في الساعة،

في بريان: بئر عمقها 500م تنتج 120م^3 في الساعة.

هذا بالإضافة إلى عينين أرتوازيتين في زلفانة.

وفي سنة 1962، بلغ عدد الآبار المحفورة في مزاب والمستغلة سبع عشرة بئرا.

من جهة أخرى، فإنّ استغلال الآبار التقليدية استمر، بواسطة الدواب وحدها، إلى الأربعينات، فقد كان الحمار الواحد يترح حوالي ثلاثة أمتار مكعبة من الماء في الساعة.

ثمّ شرع بنو مزاب في استعمال المضخات المحركة بالكهرباء أو البترين أو المازوت. عندئذ وقعت مشاكل بين الجيران، سببها أنّ هذه المضخات القوية كانت تغرف ماء آبارها والآبار المجاورة لها. لذلك أصدرت البلدية الأهلية لغرداية، يوم 17 جوان 1949، قرارا يحدّد قوّة المضخات بحصانين لكل هكتار تسقيه المضخة.

من سنة 1944 إلى 1961، تمّ تجهيز مختلف واحات مزاب بنحو مائتين وخمسين مضخة أفقية، وثلاثمائة وخمسين مضخة شاقولية، 50% منها تشغل بالمازوت، و30% بالبترين، و20% بالكهرباء.

في عهد القائدين سليمان بن عمر بودي وابنه عمر، بنيت ثلاثة سدود في واحة بريان، بتبرعات بني مزاب وجهودهم الخاصّة. منها أكبرها، وهو سد بالُّوحْ، الذي انطلقت أشغاله في جوان 1947، طوله من الشرق إلى الغرب نحو أربعمائة متر، وعلوه نحو خمسة أمتار، وسمك أعلاه نحو ثلاثة أمتار. وهو بالإسمنت والجير والحجر وأبواب الحديد الأوتوماتيكية. ومثله سد غابة السودان، طوله نحو ثلاثمائة متر، وعلوه نحو أربعة أمتار.

في سنة 1952، أحصي عدد النخيل بمزاب وكان 175 ألفا، منها واحد وثمانون ألف نخلة منتجة فقط، وأنتجت 2430 طنا من التمور، وهو شيء قليل جدا.

لذلك فإنّ مزاب كانت تستورد التمور من ورقلة والمنيعة، كما كانت تستورد الخضر والفواكه من المدية ومتيجة، ومن الهضاب العليا كل ما تحتاجه تقريبا من الحبوب. فقد بلغ حجم وارداتها عام 1961 عشرين ألف قنطار من القمح وستة آلاف قنطار من الشعير.

في سنة 1962، تم وضع مشاريع لاستصلاح ثلاثمائة هكتار في الضاية، و813 هكتار في القرارة بِلَعْمِيَّدْ على بعد كيلومترين من المدينة، وناحية كاف الدخان في العطف على بعد خمسة عشر كيلومترا من السد الكبير.

6- التّجارة :

في سنة 1367هـ/1948م، أنشأت جمعية (النور) شركة (فتح النور) التجارية، للبيع بالجملة في قلب العاصمة، زاحمت اليهود في تجارة الجملة، وكانت مركزا لمصلحي الجنوب في العاصمة.

في نفس الفترة، أنشأ الحاج يحى بن محمّد أَلْجُونْ، في الحرّاش، بمعيّة زملائه، شركة "نور الهدى"، تختصّ بتجارة الجملة في الموادّ الغذائيّة.

وقد بلغ العدد الإجمالي للمزابيين العاملين في التجارة خارج مزاب في الخمسينات حوالي ستة آلاف. أمّا عدد الدكاكين فكان 1418 دكانا عام 1953، وتفصيله:

- 645 في عمالة الجزائر، بمدن الجزائر والحراش والبليدة والخميس والجلفة وغيرها،
- 445 في عمالة قسنطينة، بمدن قسنطينة وسطيف وعنابة وسكيكدة وقالمة وسوق أهراس والعلمة وغيرها،
- 196 في عمالة وهران، بمدن وهران وتيارت ومستغانم وغليزان وغيرها،

- 123 في مناطق الجنوب، ببسكرة وتقرت وغيرهما،
- تسعة في القطر التونسي.

وكان يملك منها:

أهل بني يزقن 267 دكانا.

أهل مليكة 87 دكانا.

أهل غرداية 413 دكانا.

أهل القرارة 201 دكانا.

أهل العطف 180 دكانا.

أهل بريان 160 دكانا.

أهل بونورة 110 دكانا.

أمّا محليا، فإنّ تعميم استعمال الشاحنات في نقل البضائع، جعل عدد القوافل التجارية التي كانت تربط منطقة ورقلة بالهضاب العليا الغربية، عبر مزاب، يتضاءل تدريجيا.

لقد كانت قبائل البدو المجاورة: أرباع الأغواط، وأولاد نايل الجلفة، وأولاد يعقوب آفلو، تقوم بتزويد مزاب بما يحتاجه من الصوف واللحم والسمن، مقابل ما تنتجه المزابيات من الألبسة الصوفية.

7- الصناعة :

إنّ صناعة الزرابي التي كانت تشغل ستة آلاف عاملة عام 1893م، تقلّصت إلى أن أصبح عددهنّ حوالي 1500 فقط عام 1955[1].

أنشأ بعض الجريئين في بني يزقن معملا عصريّا لنسج المناديل الحريريّة المطرّزة بالأسلاك الفضيّة، والحياك الحريريّة المستعملة للالتحاف، ومعملا عصريّا للنجارة وصنع الموبيليا على النمط الحديث.[2]

1- Les Cahiers d'Outre-Mer, n° 89, 69.

2- مفدي زكريّاء: أضواء على وادي ميزاب، 221.

لقد كان أوّل حفر للتنقيب عن البترول في الصحراء الجزائرية، في منطقة بريان، سنة 1952، قامت به الشركة الوطنية للبحث واستغلال البترول في الجزائر، وأظهرت النتائج الأوّلية مؤشرات نجاح العملية في ماي 1953[1].

في 1956، تمّ اكتشاف الغاز الطبيعي في حاسي الرمل والبترول في حاسي مسعود. ومنذ ذلك الحين، بدأ استخراج الغاز من ناحية حاسي الرمل، التي توجد على بعد خمسين كيلومترا غرب مدينة بريان. هذا الغاز ينقل إلى ميناء أرزيو على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بواسطة أنبوب طوله 506 كلم، ومنه إلى الموانئ الأوروبية.

وفي سنة 1959، شرع في إنشاء منطقة صناعية في النومرات على بعد ثلاثة عشر كيلومترا جنوب شرق غرداية، وأوّل معمل أقيم بها (أفران الجبس لشمال إفريقيا)[2]. يمثل في هذه الشركة المساهمين المزابيين محمّد بن سليمان بودي، ممثّل مزاب في مجلس العموم بباريس.

وصحب هذا المشروع الصناعي مشروع إنشاء مركز للتكوين المهني السريع للكبار في النومرات، لاستقبال مائتي طالب داخلي، إلاّ أنّه لم ينجز.

8- التطورات السياسية المحلية :

يوم 20 سبتمبر 1947، صدر القانون الأساسي للجزائر الذي ينص، في مادته الخمسين، على إزالة الحكم العسكري عن أراضي الجنوب وضمّها للشّمال. إنّ هذا القانون وضع مزاب في محيط أكثر جزأرة من ذي قبل، مع المحافظة على مميّزاته الخاصّة.

ولمّا ظهرت مسألة الانتخاب للمجلس الجزائري انقسم حولها المزابيون إلى فريقين: فريق الإصلاح الذي يريد المشاركة فيه، معتقدا أنّ تلك المشاركة

1- الحاج موسى ابن عمر: السياسة النفطية الفرنسية في الجزائر، 79، 83.

2- PLAT.N.A.

ستجرّ منافع كثيرة للوطن، وفريق المحافظين الذي يرى أنّها تؤدّي إلى القضاء على شخصية المزابيين، وعلى مميّزاتهم إذا ما أدمج مزاب في الجزائر. وتوالت الاحتجاجات. ففي 13 نوفمبر 1947، أرسلت إلى رئيس المجلس الوطني الفرنسي، ووزير الداخلية، والوالي العام، برقية رفض المشاركة في انتخابات المجلس الجزائري، تلتها عريضة يوم 24 منه، إلى الوالي العام، ووزير الداخلية، ومدير الشؤون الأهلية بالجزائر، وأخرى يوم 25 ديسمبر إلى الوالي العام.

عندما سمع الشيخ بيّوض بتقديم مشروع "موك" إلى اللجنة الداخليّة للمجلس الوطنيّ، أبرق إلى رئيس الوزراء ووزير الداخليّة ورئيس تلك اللجنة ومقرّرها وإلى مدير الشؤون الإسلاميّة ورئيس كتلة النوّاب المسلمين، يوم 7 فيفريّ 1948، برقيّات جاء فيها "باسم السكّان الميزابيّين أتشرّف بالاحتجاج ضدّ المساعي الرامية إلى حرمان ملحقة غرداية من كلّ نيابة في المجلس الجزائريّ لإبقائه تحت نظام مناطق الجنوب "الحكم العسكريّ"...نطلب منكم إنشاء دائرة خاصّة بمنطقة غرداية..." [1]

أمّا المحافظون، فقد سبق أن استفتوا الأستاذ أحمد توفيق المدنيّ، يوم 10 ديسمبر 1947، فأجابهم بعد تحليل المسألة بما يلي: أرى أنّ المسألة لا تخلو من أحد أمرين:

أوّلا- إمّا أن تكون بلاد ميزاب قد رضيت بالتنازل عن امتيازاتها الدينيّة والسياسيّة والإداريّة، التي ضمنتها معاهدة 1853، ورغبت بالدخول طوعا واختيارا ضمن النظام السياسيّ الجزائريّ الذي لا يزال من سوء الحظّ قائما على قاعدة الاستعمار. وعندئذ يمكن لميزاب أن يشارك في انتخاب المجلس الجزائريّ الجديد...على أنّني في هذه الحالة أنصح لإخواني الميزابيّين المطالبة بإلحاح بأن يكون لهم ضمن المجلس ممثّل خاص ببلادهم يعني أن تكون بلاد ميزاب منطقة انتخابيّة مستقلّة.

1- عبد الرحمن بن عمر بكلي: مسيرة الإصلاح في جيل 1918-1948، 264.

ثانيا- وإمّا أن تكون بلاد ميزاب لا ترغب عن استقلالها الداخليّ...ولا تسلّم في شيء من ميزاتها الخاصّة التي ضمنتها معاهدة الحماية لها. وعندئذ أقول...إنّ واجبها هو الابتعاد بصفة مطلقة حاسمة عن هذه الانتخابات...بحيث يجب أن لا يفتح مكتب واحد من مكاتب الانتخاب في أيّ قرية من قرى ميزاب..."

وقبل ختام الفتوى، نبّههم لوجوب جمع الكلمة وتناسي الخلافات والشقاق حول مسائل اجتهاديّة. [1]

طبع المحافظون هذه الفتوى ونشروها.

وفي 24 فيفريّ 1948، أرسل المحافظون برقيّات إلى رئيس الجمهوريّة ورئيس المجلس الوطنيّ ورئيس اللجنة الداخليّة وإلى مقرّرها ومدير الشؤون الإسلاميّة ووزير الداخليّة، نصّها: "نوفد إلى شخصيّتكم مندوبين: مفدي زكريّاء وبسّخواض زكري، يمثّلون سكّان ميزاب. نطلب احترام تطبيق اتفاقيّة 1853 المبرمة بين ميزاب وفرنسا". توجّه الوفد إلى باريس، واستمعت إليه اللجنة الداخليّة يوم 25 فيفريّ 1948.

بعد أخذ وردّ في المجلسين الوطنيّ والجمهوريّ، أسفر النقاش يوم 26 فيفريّ على تخصيص مدن مزاب السبع بدائرة انتخابيّة مستقلّة، ونقل المنيعة ومتليلي التابعتين لملحقة غرداية إلى دائرة الجلفة والأغواط.

انعقد مؤتمر بالجزائر العاصمة في الفاتح ربيع الأوّل 1367هـ مارس 1948، ضمّ أعيان الحركة الإصلاحيّة، وصوّتت الأغلبيّة على اختيار الشيخ بيّوض ممثّلا لها.

وجرت الانتخابات يوم 4 أفريل 1948، وكان لدائرة غرداية خمسة مرشحين لمقعد واحد:

1- الشيخ بيّوض، تحت عنوان رئيس الحركة الإصلاحيّة والديموقراطيّة.

2- مفدي زكريّاء، باسم المحافظين.

3- بوحميدة الطيّب، مرشّح المالكيّة.

1- نفس المصدر، 268.

4- عيسى بن عمر باعلي (1915-2001)، باسم الاتحاد للدفاع عن مصالح الميزابيّين.

5- محمّد بن سليمان البكّاي (1890-1976)، مرشح الحزب الشيوعيّ والاتحاد الديمقراطيّ.

امتنع عن التصويت أكثر من 3000 إباضيّ، معارضين لخوض مزاب في هذه الانتخابات، وحوالي 700 مالكيّ، وكلّ اليهود.

أسفر الفرز في دائرة غرداية عن النتائج الآتية:

الأصوات المعبّرة	4920	
الشيخ بيّوض	2584 صوتا	% 52,52
مفدي زكريّاء	1224 صوتا	% 24,87
بوحميدة الطيّب	1047 صوتا	% 21,23
عيسى باعلي	48 صوتا	أقل من 1 %
محمّد البكّاي	17 صوتا	

ودخل الشيخ بيّوض المجلس الجزائريّ.[1]

وفيما يلي تفصيل الأعداد السابقة حسب المدن المزابية السبع:[2]

	بيّوض	زكريّاء	بوحميدة	باعلي	بكّاي
غرداية	798	200	647	9	7
بني يزقن	38	609	1	33	2
بونورة	53	77	0	0	0
العطف	298	59	0	0	2
مليكة	30	206	35	1	1
برّيان	499	52	147	4	6
القرارة	868	21	215	1	1
المجاميع	2584	1224	1045	48	19

1- نفس المصدر، 349.

2- د. محمّد صالح ناصر: مشايخي كما عرفتهم، 123.

في 6 أفريل 1948، وكّل بنو مزاب السيّد عمر بن عيسى الحاج امحمّد، ليدافع عن حرمة المعاهدة المبرمة مع فرنسا عام 1853 والمؤيدة سنة 1884، ضدّ إدماج (الأمة المزابية) في الجزائر. وفي 24 جوان 1948، طلب وكلاء (الأمة المزابية): محمّد بن صالح الثميني، وعمر بن عيسى الحاج امحمّد، وإبراهيم بن بالحاج حجوط، من الوالي العام، إلغاء تمثيل مزاب من المجلس الجزائري.

بناء على قانون 20 سبتمبر 1947، فقد وقع إنهاء الإدارة العسكرية في مزاب عام 1950، واستبدل على رأس الملحقة ضابط القضايا الصحراوية بأدْمِينِسْطْرَاتُور[1] مدني[2].

وفي نفس السنة، صوّت المجلس الجزائري لفائدة فصل متليلي عن بلدية غرداية وإبقائها في المنطقة الصحراوية، وضم باقي البلدية إلى عمالة الجزائر.

وعند التجديد الجزئي للمجلس يومي 4 و11 فيفري 1951، تنافس الشيخ بيوض مع بالولو باشاغا غرداية، ففاز الأول بـ3594 صوتا والثاني بـ2744 صوتا. عدد المسجلين عندئذ 9831، وعدد المصوتين 6429.

ووقع تجديد جماعات الضُمَّان في انتخابات 22 أفريل 1953، وأسفرت على النتائج التالية:

البلدة	المسجلون	المصوتون	ضمان الإصلاح	ضمان المحافظين	ضمان المالكية
غرداية	3139	1614	13	6	3
القرارة	2260	937	7	2	5
بريان	1516	753	7	1	3
بني يزقن	1496	672	0	26	0
بونورة	416	167	2	4	0
مليكة	531	240	1	4	0
العطف	830	283	4	3	0
مزاب	10188	4666	34	46	11

1- ADMINISTRATEUR.

2- B.MERGHOUB : Développement Politique en Algérie, 65.

فيما يلي تفصيل المسجلين في هذه الانتخابات:

البلدة	الإباضيون	المالكية	المجموع
غرداية	2729	410	3139
القرارة	1663	597	2260
بريان	1107	409	1516
بني يزڤن	1496		1496
مليكة	531		531
العطف	830		830
بونورة	416		416
مـــزاب	8772	1416	10188

المسجلون كلّهم ذكور، فالمرأة لم تكن تشارك بعد في الانتخابات.

وابتداء من الأربعينات، وقع نقاش سياسي بـــين الإدارة الاســـتعمارية والمزابيين حول الاستيلاء على أراضي مزابية، مثل أراضي زلفانة، أين أنـــشأت الإدارة واحة ومجموعة سكنية للبدو المستقرين. وفي 6 أوت 1955، بعث وكيل (الأمة المزابية) عمر بن عيسى الحاج امحمّد احتجاجا إلى الوالي العام، ضدّ قراره بإلحاق أرض زلفانة والنومرات إلى أرض متليلي. واستمرّ الاحتجاج بعد ذلك. ففي 28 أفريل 1958، طلب المجلس البلدي لغرداية من وزير الصحراء دراســـة معمقة لمطالب المزابيين باسترجاع منطقة زلفانة إلى بلدية غرداية.

ولأوّل مرّة دعت السلطات الاستعمارية المرأة في مزاب للتصويت في اســـتفتاء 28 سبتمبر 1958، حول دستور الجمهورية الخامسة. وفي 20 منه، بعـــث الـــشيّخ يوسف بن بكير حمو أُو علي، والشيخ الحاج محمد بن باحمد بابا أُوموسى، والوكيـــل عمر بن عيسى الحاج امحمّد، احتجاجا إلى الحاكم العسكري بالأغواط ضدّ تصويت المرأة المزابية. ووقع الاســـتفتاء، وامتنعت النساء عن التصويت بنسبة: 2% في بريـــان و26,5 % في القرارة و8% في بونورة و75% في بني يزڤن و1% في الضاية[1].

1- IBID, 78.

في 30 نوفمبر 1958، تمّ انتخاب الغول محمّد بن سليمان بودي، المولود عام 1920 ببريان، التاجر بغرداية، أحد النواب الثلاثة لعمالـــة الواحـــات، في المجلس الوطني الفرنسي، يخلفه قائد غرداية، عيسى بن يحي بَالُولُّو.

وصدر قرار وزاري يوم 20 ديسمبر 1958 يلغي البلدية الأهلية لغردايـــة ويجزّئها إلى سبع بلديات، فأصبحت جماعة رؤساء العشائر (الـــضمّان) تقـــوم بدور المجلس البلدي، وصارت كلّ عشيرة دائرة انتخابية. فكان مجموع النواب في البلديات السبع 111، منهم أربعة وأربعون إباضية محافظون، ومثلهم إباضية مصلحون، وعشرون مالكية، ويهودي واحد، وأوروبيان[1].

وهذه تشكيلة العشائر آنذاك في المدن السبع:

في غرداية: عدد العشائر الإباضية 20 والمالكية 7.

في بني يزڤن: عدد العشائر الإباضية 26 والمالكية 0.

في مليكة: عدد العشائر الإباضية 5 والمالكية 3.

في العطف: عدد العشائر الإباضية 7 والمالكية 1.

في بونورة: عدد العشائر الإباضية 7 والمالكية 1.

في القرارة: عدد العشائر الإباضية 14 والمالكية 4.

في بريان: عدد العشائر الإباضية 9 والمالكية 4.

تمّت الانتخابات البلدية يوم 8 مارس 1959، رغم العريضة التي قـــدّمت إلى وزير الصحراء جَاكْ سُوسْتِيلْ[2] في فيفري 1959، والحاملة لمائتي إمـــضاء، وقد زار سوستيل مزاب في جانفي من نفس السنة.

أسفرت هذه الانتخابات التي شاركت فيها النساء، على انتخاب سليمان ابن باحمد أولاد حاجو، وباسعيد أبي إسماعيل، وعلي بن عمر الناصر، والقائـــد

1- IBID, 82.

2- Jacques SOUSTELLE.

محمّد بن صالح يحي، والقائد عمر بن سليمان بودي، وباعمور بن صالح باعمارة، وبابا بن حموده حموده، على الترتيب، رئيسا لبلديات العطف، بونورة، غرداية، بني يزقن، بريان، مليكة، القرارة.

9- النّضال السّياسي والعسكري من أجل وحدة الجزائر واستقلالها:

اتّخذ المخطّطون الفرنسيون لفصل الصّحراء عن الجزائر، منذ نشأة شركة ريبال[1] للتّنقيب عن البترول سنة 1946، محور ارتكازهم على بني مزاب خاصة، باعتبارهم، سياسيا وجغرافيا وتاريخيا، العنصر الأساسي الحسّاس في الصحراء، يعتمدون عليهم في الدّرجة الأولى في إنشاء الجمهورية الصحراوية[2].

اضطرّت الحكومة الفرنسية، وقد أحرجها الموقف المتصلّب للشّيخ بيوض في المجلس الجزائري، إلى إرسال لجنة برلمانية إلى مزاب سنة 1951. فقام الشّعب بمظاهرات سلمية في كلّ مدينة، أمام أعضاء اللّجنة، يعبّرون عن تمسّكهم بفكرة ربط مزاب بالشّمال في السّياسة والإدارة، وقد ألقى الشّيخ بيّوض أمام هذه اللّجنة خطابا، يؤكّد فيه رفض فصل وادي مزاب عن الشّمال وربطه بالجنوب.

وفي 16 مارس 1952، قدِمت لجنة برلمانية أخرى لنفس الغرض، فكانت النّتيجة كذلك أنّ مزاب لا يريد بأيّ ثمن فصله عن الشّمال.

ولّما رأت فرنسا ذلك التّصميم المحكم، فاجأت المزابيين بمؤامرة مقاطعة تجارهم ببعض مدن التّل في ماي 1955، على يد الريحاني وأشياع (الحركة الوطنية الجزائرية)[3]، ذهب ضحيّتها كثير من الشّهداء، وأحرقت دكاكينهم وانتهبت أموالهم في العاصمة وبوفاريك والبليدة والأوراس وغيرها.

1- REPAL.

2- حمّو عيسى النّوري: دور الميزابيين، الجزء الثاني، 284.

3- الحركة الوطنية الجزائرية: تأسّست في ديسمبر 1954 من طرف مصالي، بعد الانشقاق الذي وقع في حزب الشّعب الجزائري – حركة الانتصار للحرّيات الديمقراطية.

لقد تلقّى بعض المزابيّين تهديدات، تطالبهم بدفع مبالغ ماليّة تتراوح بين 250 ألف فرنك ومليوني فرنك. كان محمّد ع. البقّال بالعاصمة، أوّل ضحايا هذه المأساة، في اغتيال استهدفه مساء يوم 13 سبتمبر 1955، فأغلق التجّار المزابيّون في الجزائر وبوفاريك محلاّتهم طوعيّا في 15 سبتمبر، من الثامنة إلى التاسعة صباحا، تعبيرا عن حزنهم، وشاركوا بعدد غفير في جنازة الفقيد، وعقدوا اجتماعا بالمناسبة في مسجد سيدي بَتُّورْ.[1]

كان مفدي زكريّاء، بصفته معيّنا من طرف قيادة الثورة محافظا سياسيّا مكلّفا بتنظيم خلايا جبهة التحرير الوطنيّ في أوساط التجّار المزابيّين، كان في طليعة من تصدّى لهذه الحملة، فجنّد لذلك كلّ طاقاته، وكثّف اتصالاته على مختلف الأصعدة داخل الجزائر وخارجها، وأساسا مع قادة الثورة آنذاك، وتحديدا مع عبّان رمضان عن طريق رفيق دربه في النضال الوطنيّ ربّاح الأخضر.[2]

وعندما انتقل مفدي إلى تونس في أواخر سبتمبر 1955، قام باتصالات مع قادة الحزب الحرّ الدستوريّ، أسفرت عن تصريحات وبيانات في الصحف التونسيّة التي نشرت بالمناسبة البيان الذي أذاعه زعيم حزب الاستقلال المغربيّ علاّل الفاسيّ من القاهرة في إذاعة صوت العرب ليلة 25 أكتوبر 1955. كما نشرت نداء طلاب الدول والشعوب العربيّة بباريس. ومن تونس كذلك وقّع مفدي زكريّاء مع محمّد الحاج الطاهر يوم 24 أكتوبر 1955، نصّ نداء موجّه إلى أعضاء المكتب التنفيذيّ لجمعيّة العلماء المسلمين، يحثّهم على التصدّي لمحاولة المساس بالوحدة الوطنيّة وزرع الفتنة بين أفراد الشعب.[3]

على الصعيد الوطنيّ، فإنّ أُولى المواقف الصريحة التي أشارت بوضوح بأصابع الاتّهام إلى الاستعمار وأذنابه، جاءت في بيان جبهة التحرير الوطنيّ، يوم

1- صالح ابن ادريسو: مفدي زكريّاء من خلال تقارير الإدارة الاستعماريّة الفرنسيّة، 112-113.

2- نفس المصدر، 145.

3- نفس المصدر، 146.

15 جوان 1955، تدين فيه أعمال العنف، وتدعو المزابيّين إلى التحلّي بضبط النفس والمناضلين إلى المساهمة في إحباط مناورات الاستعمار.

بعد ثلاثة أشهر، صدر بيان آخر في 15 سبتمبر 1955، عن الجبهة حدّدت فيه المسؤول عن اعتداءات كثيرة تعرّض لها التجّار المزابيّون في البليدة يدعى الريحانيّ وهو مفتّش في المخابرات الفرنسيّة.[1]

في أواخر مارس 1956، أصدرت الجبهة بيانا ثالثا موجّها بصفة خاصّة إلى سكّان مدينتي البليدة وبوفاريك. كان البيان شديد اللهجة بسبب استمرار المقاطعة وعدم الاستجابة إلى تعليمات الجبهة، في حين كانت الاستجابة عامّة في القطر الجزائريّ بعد البيان الثاني.

في بداية أفريل، توقّفت المقاطعة في البليدة، وفي 19 منه دخل مفدي زكريّاء السجن، بعد أن تمكّن من إطفاء نار أراد لها الاستعمار أن تستمرّ وتأتي على الأخضر واليابس.[2]

على الصعيد المغاربيّ، فإنّ ردود الأفعال في الصحافة التونسيّة جاءت متسلسلة على النحو الآتي:

أوّلها: في جريدة الأسبوع التونسية عدد 399 يوم 19 سبتمبر 1955، تحت عنوان: فتنة لعن الله من أيقظها، بإمضاء نور الدّين بن محمود.

ثانيها: في جريدة الصّباح التّونسية عدد 1165 يوم 9 أكتوبر، فيه نداء الزّعيم صالح ابن يوسف إلى الجزائريين: أن يحذروا مقاطعة بني مزاب، وخطاب له في الموضوع.

ثالثها: في الأسبوع عدد 403 يوم 10 أكتوبر تحت عنوان: الاعتداء على التجّار المزابيين ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾، بإمضاء نور الدين بن محمود كذلك.

1- نفس المصدر، 150.

2- مؤسّسة مفدي زكريّاء: مفدي زكريّاء شاعر الوحدة، 164.

رابعها وخامسها، في البلاغ التّونسي عدد 111 يوم 21 أكتوبر: إلى أبناء الجزائر العربية المسلمة، بإمضاء محمّد الحفيظ، والجزائر تتحرّر بالاتّحاد، بإمضاء محمّد الشاذلي النيفر الكاتب العام لجمعية الشبّان المسلمين.

سادسها: في جريدة الاستقلال التّونسية عدد 4 يوم 21 أكتوبر تحت عنوان: نداء إلى الوحدة، بإمضاء صالح فرحات عن اللّجنة التّنفيذية للحزب الحر الدستوري.

سابعها: في البلاغ التّونسي عدد 112 يوم 22 أكتوبر نداء من طلبة الدّول العربية واستنكار مقاطعة المزابيين تحت عنوان: إليكم يا أبناء الجزائر.

ثامنها: في البلاغ عدد 123 يوم 4 نوفمبر نداء استنكار وتحذير، بإمضاء علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال المراكشي.

تاسعها: في الأسبوع عدد 411 يوم 26 ديسمبر تحت عنوان: لا خوارج إلاّ من تواطأ مع الاستعمار، بإمضاء أبي حفص.

من جهة أخرى، فقد قام مفدي زكريّاء ومحمّد الحاج الناصر بتوزيع مناشير لفائدة جبهة التحرير الوطنيّ، في بني يزقن، بمساعدة جمعيّة (نادي شبّان الاستقامة). وفي صبيحة يوم 17 ماي 1956، تمّ تفتيش منازل ومحلاّت الأعضاء الأكثر نشاطا في هذا النادي: الشيخ إبراهيم مطياز والحاج سعيد بكّاي وصالح بن صالح باباعمي.

أصدرت فرنسا يوم 7 أوت 1957 المرسوم القاضي بإنشاء عمالتي الواحات والساورة، وما سمّته بالمنظّمة المشتركة للمناطق الصحراوية، التي كانت تشمل بعض البلدان الإفريقية الخاضعة للاستعمار الفرنسي: التشاد، النّيجر، مالي، وموريطانيا[1]. تبلغ مساحة عمالة الواحات 1.302.000 كلم2، وعدد سكانها عندئذ 350.000 نسمة.

أنشأت فرنسا وزارة خاصّة بالصّحراء في نفس السّنة، وكان مركز عمالة الواحات مدينة الأغواط، ثمّ تحوّل إلى ورقلة يوم 1 جانفي 1960. وضع على رأس

1- حمّو عيسى النّوري: المصدر السّابق، 304.

العمالة مجلس استشاري عام، يُعنَى بدراسة مشاريع تنمية العمالة والسّياسة المالية ومناقشة الميزانية السنوية. في انتخابات 26 أفريل 1959 لأعضاء المجلس الاستشاري العمالي، فاز الشيخ بيوض بتمثيل القرارة وبريان، ومحمّد بن صالح يحى بتمثيل بني يزقن وبونورة والعطف، أمّا غرداية ومليكة والضاية، فقد تمّ إلغاء فوز عيسى بن يحى بَالُولُّو بتمثيلها من طرف منافسه بابا بن إبراهيم بوعروة، ليعاد انتخاب بالولو مرّة أخرى لهذا المنصب يوم 4 جوان 1961. فكان الشيخ بيوض عضوا في كل من لجنة المالية، ولجنة الأشغال العمومية والنقل، ولجنة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. أمّا عيسى بالولو فكان رئيس لجنة الأشغال العمومية والنّقل، وعضوا في كلّ من لجنة المالية، ولجنة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولجنة تنظيم العمران والبناءات المدرسية. وكان محمّد بن صالح يحى نائب رئيس المجلس الاستشاري العام للواحات، وعضوا في كل من لجنة الأشغال العمومية والنقل، ولجنة المالية، ولجنة تنظيم العمران والبناءات المدرسية، وممثّل المجلس لدى اللّجنة التقنية العمالية للنقل.

وسبق المجلس الاستشاري العام المجلس الإداري المؤقّت لعمالة الواحات.

إنّ الصحراء بالنسبة لدوغول، ذات أهمية سياسية. وهي المستودع البترولي الذي يضمن لفرنسا استقلالها الاقتصادي عن الولايات المتحدة الأمريكية، وهي أيضا ميدان للتجارب النووية الفرنسية، ومركز للاتّصالات المستقبلية.

أوفد الجنرال دوغول في أكتوبر 1959 رئيس الوزراء مِيشَالْ دُوبْرِي[1] والكولونيل الجزائري علي مراد من الأغواط إلى وادي مزاب، فعقدا اجتماعا في قصر بلدية غرداية، حضره النّائب في المجلس الوطني الفرنسي الغول محمّد بن سليمان بودي، والأعضاء في المجلس العمَالي، ورؤساء البلديات في مزاب، فبذلا محاولات يائسة في إقناعهم بقبول فصل الصّحراء عن الجزائر فلم يفلحا[2].

1- Michel DEBRE, Premier Ministre Français de 1959 à 1962.

2- حمّو عيسى النّوري: دور الميزابيين، الجزء الثّاني، 293.

وكان دعاة الفصل يجمعون على أنّ بني مزاب إذا لم يقبلوا انفصال الصّحراء عن الجزائر، فإنّ شيئا من ذلك لا يتم، فقبولهم ضروري، ووجودهم ضمن هذه الجمهورية الصّحراوية هو ضمان وجودها وبقائها.

في أواخر سبتمبر 1960، أوعزت قوّات الاستعمار إلى قوات ابن الونيس المتمركزة في ضاية ابن ضحوة، بالهجوم المفاجئ على الشّعب الأعزل، فهجموا على جماعة من المزابيين، خرجوا من المسجد بعد صلاة المغرب في بوشمجان من أجنة غرداية، فقتلوا أربعة منهم رميا بالرّصاص، على مرأى ومسمع من قوات العدو[1]. هؤلاء الشّهداء هم إبراهيم بن سليمان علوط ومحمّد بن باعيسى عطفاوي ومحمّد بن باحمد فخار وحمّو بن عمر أُوبَكَّة.

وفي 7 ديسمبر 1960، أصدر دوغول أمره بفصل الصحراء عن الجزائر وربطها رأسا بفرنسا. والجدير بالذّكر أنّ الجنرال لم يتلقّ أيّ برقية قبول وتأييد في ذلك من مزاب.

عندئذ، أوفد دُوغُولْ إلى مزاب وزير الدّفاع أُلِيفِي قِيشَار[2]، فاجتمع بالشيخ بيوض، ومعهما رئيس دائرة غرداية الكولونيل كْلاَنْ كْلاَش[3]، والسيّد علي الناصري رئيس بلدية غرداية. وبعد تفاوضهم في وحدة التّراب وفصل الصّحراء، طلب الوزير من الشّيخ بيوض بإلحاح شديد أن يوافق على الفصل، وعلى تأسيس دولة حرّة قاعدتها مزاب، فأجابه الشيخ بيوض: «بما أنّ الصحراء تضمّ خليطا من السكّان، بني مزاب والشعانبة والمخاليف وغيرهم، فالجواب على طلبكم يكون على طريق استفتاء حر، فالقضية قضيّة الجميع لا تخصّنا نحن المزابيين».

النتيجة التي أسفرت عنها كلّ المحاولات التي قامت بها السلطات الفرنسية، لتليين جانب الشيخ بيوض والمزابيين، يدلي بها السيد رضا مالك،

1- نفس المصدر، 294.

2- Olivier GUICHARD.

3- C. KLEINKNECHT.

الناطق الرسمي للوفد الجزائري في مفاوضات إيفيان: «سمعت من أوليفي قيشار مستشار برئاسة الجمهورية الفرنسية، أنّ الجنرال دوغول أرسله إلى الصحراء سنة 1960، ليتّصل بالمزابيين، يعرض عليهم تكوين مملكة ميزابية، كما كلّفه بالاتصال بسكان تامنغاست لنفس الغرض. ويقول أوليفي قيشار: اتّصلت بالشيخ بيوض بغرداية لهذا الغرض، فرفض هذه الفكرة وهذا العرض رفضا قاطعا، وقال لي الشيخ بيوض: إنّ منطقة مزاب جزء لا يتجزّا من التراب الجزائري»[1].

في 13 أوت 1961، أشعل المستعمرون وأذنابهم من الانفصاليين فتنة عمياء بين الإباضية والمالكية في وارجلان، دامت نحو شهر، جرت أثناءه حوادث قتل وتمثيل، ونهب دكاكين الإباضية، وإحراق ستور الجريد حول نخيلهم، وإفساد غللها. وبدأ دخان هذه الفتنة يظهر في غير وارجلان.

وفي مناسبة جنازة الشّاب القتيل القراري من ضحايا هذه الفتنة في وارجلان، بكير بن أحمد سليمان بوعصبانة، ألقى الشّيخ بيوض دروسا مدّة ثلاثة أيّام في القرارة لإخماد نار الفتنة، حضرها آلاف من الإباضية والمالكية.

من جهة أخرى، فإنّ الضابط الثّاني في جيش التّحرير الوطني أحمد طالبي بعث برسائل تهديد وإنذار إلى الرّؤساء في وارجلان: علي الصديق، والطالب الطيّب إمام مسجد المالكية، وقائد العيد النّائب العمّالي، وبوعافية الخليفة شيخ البلدية، الذين يبيّتون باللّيل مع نائب عامل العمالة مَارْتَانْ أَرْبِيلاَنْ إذكاء هذه الفتنة[2].

وكرد فعل على انطفاء هذه الفتنة في مهدها، وعلى إصرار بني مزاب على الحفاظ على وحدة التراب الوطني، تعرّض التجار المزابيون في الشمال إلى مضايقات واستفزازات من البنك الجزائري، والبنك الشعبي خاصّة، لخنق

1- محمد ناصر بوحجام: الشيخ بيوض وقضية فصل الصحراء عن الشمال، 32،31.
2- حمّو عيسى النّوري: دور الميزابيين، الجزء الثّاني، 324.

تجارتهم، وهُدّدوا بالإفلاس، وذلك بامتناع البنوك عن تغطية مصاريفهم، وبمطالبتهم بتسديد الديون في الحال.

ثمّ جرّب العدو أسلوب العنف، فمكروا بالقرارة مكرا لم تشهده قرية في الصحراء. ففي يوم 28 أكتوبر 1961، طوقت البلدة بالدبابات والمصفحات، وأخرج الرّجال كلّهم من المدينة، وحشدوا في مركز التجمّع لاستنطاقهم، لمدّة ثلاثة أيّام كاملة، ولم تسلم المدينة من التفتيش الدّقيق من قبل الحركيين الذين فاق عددهم 1500[1].

ومن بين الأعوان الذين سخّرتهم فرنسا لخدمة أغراضها حمزة بوباكر، رئيس المجلس العمّالي والنّائب العام على دائرة متليلي. فبعد فشله في حمل الشّخصيات الصّحراوية على الفصل، بالوعود تارة وبالتّهديد تارة، قام في 4 ديسمبر 1961 بزيارة إلى النّيجر، برفقة الوزير السّابق للصّحراء مَاكْسْ لُوجُونْ، وحاول أن يتحدّث، بوصفه ممثّلا لسكّان الصّحراء، مع رئيس النّيجر السيد حماني ديوري، يستميله لتأييد المشروع القديم (الجمهورية الصحراوية المستقلّة). لكن ديوري واجهه برفض صارم وقال له: «لن أعين أبدا على خلق كاطنغا صحراوية»[2].

في أفريل 1962، ألغيت الوزارة الخاصّة بالصحراء.

أمّا عن حرب التّحرير، فإنّ الولاية السّادسة تكوّنت بعد مؤتمر الصّومام في 20 أوت 1956، تحت قيادة العقيد أحمد بن عبد الرزّاق في مركزها الأوّل وهو غابة الحاجب ببسكرة، التي هي ملك لآل خبزي القراري، وانضمّ كلّ أبنائه إلى صفوف الثّورة.

وقد توقّف إطلاق النّار سنة 1962، ومركز قيادة المنطقة الخامسة من الولاية السّادسة في العطف. وكانت مساحة هذه المنطقة تمتدّ ما بين الحدود التّونسية بوادي سوف شرقا، إلى الأغواط غربا، إلى تامنراست جنوبا.

1- بكير عوشت: الإمام إبراهيم بيوض، 81.
2- إبراهيم بيوض: أعمالي في الثّورة، 54.

أمّا سكّان المنطقة فقد شرعوا في العمل الثوريّ حين جاء الحاج سليمان لغزال مبعوثا من طرف الشيخ عاشور زيان في سنة 1955، فكوّن مجلسا تحت رئاسة الشيخ بيّوض، يتكوّن من عضو عن كلّ قرية من قرى مزاب. جمعوا الأسلحة والمؤونة والملابس والذخائر.[1]

في أوائل 1956، بعثت قيادة جبهة التّحرير من العاصمة جيشا تحت قيادة ابن القهيوة، تمركز في سطافة قرب بريان. وفي نفس العام أتى محمّد جغابة بأوّل جيش إلى وادي مزاب من بسكرة، فتمكّن بواسطة أولاد خبزي وأولاد بوهون من تنظيم أوّل قاعدة للثّورة في المنطقة، فأسّسوا يومي 23 و24 أكتوبر خلية رسمية لبني مزاب في غرداية، تشتمل على أربعة عشر شخصا من علماء المدن السبع وأعيانها، مركز اجتماعاتها بقاعة في متجر السيّد علي بن عمر الناصري.

وفي نفس الشّهر، بعث العقيد الحواس إلى مزاب جيشا آخر من بسكرة.

وفي ديسمبر 1956، بعث العقيد عاشور زيان قائد منطقة الصحراء يومئذ إلى وادي مزاب جيشا ثالثا تحت قيادة بالخير العيفاوي من نواحي الجلفة، وتمركز في مدينة العطف إلى أواخر 1957.

وفي 27 جانفي 1957، كانت الاستجابة عامّة من جميع شرائح المجتمع لإضراب ثمانية أيّام، حيث شلّت كلّ الحركات الاقتصاديّة والتعليميّة.

ثمّ إنّ العقيد الزيان أرسل إلى الشّيخ بيوض الغزال الحاج سليمان، وكلّفه بتنظيم خلايا جبهة التّحرير الوطني في القرارة، وأصبح الشّيخ بيوض مسؤولا عن هذه الخلايا إلى الاستقلال. وإنّ حصار القرارة من قبل الاستعمار في 31 جانفي 1957، وأخذ المواطنين بالقوّة من ديارهم، دليل قاطع على أنّ أبناء هذه المدينة قد انخرطوا بقوّة في جبهة التحرير الوطني.

1- باحمد بن حمّو بكليّ: تاجنينت (العطف) وثورة التحرير المباركة، 30.

بات المزابيون في مشكل العمل مع ثلاثة جيوش في ناحية مزاب: جيش ابن القهيوة المتّصل بالعاصمة، وجيش محمّد جغابة المتّصل بالعقيد الحواس، وجيش بالخير العيفاوي المتّصل بالعقيد الزيان. وكانوا يسعون دوما للتّوفيق بينهم وتوحيد الخطّة، وكان الكومندان محمّد علي الأحوج مبعوثا من طرف لجنة التّنسيق والتّنفيذ بالعاصمة لهذا الغرض في ماي 1957، فاجتمعوا في العطف، فتمّ الاتّفاق على توحيد الخطّة تحت جبهة التّحرير، وكان الشّيخ سليمان ابن يوسف قد بذل في هذا الأمر وإزالة هذا المشكل مساعي حميدة[1].

وما كدر الصّفو بعد انضمام الجيوش إلى بعضها إلاّ وصول جيش ابن الونيس إلى مزاب في سبتمبر 1957، حيث قام بمعارك في العطف في أكتوبر الموالي، وسعى في القبض على الكومندان محمّد علي، الذي نجا بمساعدة المزابيين له، رغم مساندة القوات الاستعمارية لجيش ابن الونيس. تعطّلت حركة الكفاح نوعا ما مدّة ثلاثة شهور إلى يوم 22 ديسمبر، حيث قدِم أحمد طالبي ورشيد الصائم لتجديد النّظام في الكفاح، وتمركز طالبي في مدينتي بريان والقرارة.

وكان في كلّ بلدة مزابية خلية لجبهة التحرير الوطني، وكان الإشراف على:

- خلية غرداية لعلي ناصري
- خلية بونورة لعمر داودي ومحمّد داودي (لَمْدَبّر)
- خلية بني يزڤن لإبراهيم بن صالح دواق.
- خلية مليكة لعمر بن سليمان سكوتي.
- خلية العطف لإبراهيم ڤرادي وسليمان ابن يوسف.
- خلية بريان للقائد أوراغ وعمر بن سليمان بودي.
- خلية القرارة للشيخ بيوض.

1- حمّو عيسى النّوري: المصدر السّابق، 93.

وفي يوم 29 جانفي 1959، ألقي القبض على غزال الحاج سليمان، وتبعا لذلك ألقي القبض على خلية القرارة وخلية غرداية، بعد اكتشاف أمرهم ممّن لا يطيقون كتمان السر.

بالانضمام العضوي لمزاب إلى الثورة، وجدت كلّ مشاكل السوقيات تقريبا حلها في المنطقة. إنّ التّنظيم السّياسي والإداري للمدن السّبع كان يزوّدها بسخاء بالدّراهم والغذاء والدّواء والسّلاح والذّخيرة المستوردة من ليبيا. نقل هذه البضائع كان مضمونا من طرف السيّد محمّد بن عبد الله بليدي بوكامل الذي كان يكلّف أبناءه للمناسبة لسياقة شاحناته. ويشهد السيّد ياسين دمرجي، ضابط سابق في جيش التّحرير الوطني ومستشار سابق في وزارة الثّقافة، أنّ السيّد نور الدّين بليدي بوكامل لم يبخل على الثّورة الجزائرية بطائرته الخاصّة التي كان يضعها في خدمة المجاهدين.

وفي يوم 13 جوان 1960، جاء إلى وادي مزاب رابح الأبيض بجيشه، فصاروا يتجوّلون في نواحي مزاب. وفي نهاية المطاف نزلوا بونورة فاستقبلهم مجلسها المدني.

وكان أمر هذا الجيش مكشوفا لدى السّلطات الاستعمارية، فحاصرت الوادي للتّفتيش عنه، بما أدّى في النّهاية إلى نشوب معركة شعبة النيشان بغرداية يوم 17 جوان 1960، قتل فيها من جنود العدو أربعة وثمانون. وقد حاصر العدو مدينة بونورة بعد أن غادرها الجيش في نصف اللّيل، ومكثوا في أجنّتها نحو شهرين يمكرون ويفسدون الحرث[1].

وفي 10 أكتوبر 1960، لم يكد يطلع الفجر حتّى شوهدت القوّات الفرنسيّة تحاصر أجنّة العطف، وشاركت في هذا الحصار الدبّابات والطائرات العموديّة.[2]

1- نفس المصدر، 170.
2- باحمد بن حمّو بكلّي: تجنينت (العطف) وثورة التحرير المباركة، 53.

وتمركز الملازم الأوّل مسؤول الناحية الثالثة أحمد طالبي في غرداية مع بداية أكتوبر 1961، وحوصرت مليكة يوم 5 أكتوبر، وفي 6 منه، وقعت المعركة الضارية في الأنهج والمنازل والسطوح، ودمّر الاستعمار بقنبلة من الطّائرة الدّار التي كان الثوّار يقاومون منها، فاستشهد أحمد طالبي وعطب سعيد عبادو، وقد ترك العدو في المعركة عددا كبيرا من القتلى المظلّيين وغيرهم[1].

وفي أوائل 1962، قدم الضابط عليّ الشريف، وتقرّر تكوين المنطقة الخامسة من الولاية السادسة، وتولّى رئاستها. وكان مقرّها بالعطف في دار بكلّي حاجّو بن الحاج سليمان، وكانت تضمّ الأغواط ووادي سوف ووادي أريغ ووارجلان إلى تمنراست مع عين صالح ومتليلي وغرداية.[2]

والجدير بالذّكر أنّ العطف كانت من بين المناطق المنصوص عليها في اتّفاقيّات إيفيان منطقة محرّمة على الجيش الاستعماريّ.

هذا عن الثورة التحريرية في مزاب، أمّا عن دور المزابيين فيها خارجه، فإنّ متاجرهم في جميع أنحاء التّراب الوطني أدّت دورا حساسا في حرب التّحرير، حيث كانت مراكز هامّة لنشاطات الثّورة.

قد يبلغ عددها في العاصمة وحدها نحو ثمانية وعشرين مركزا، منها نحو سبعة رئيسة في أحياء غلاة المستعمرين، كانت مقر اجتماعات لجنة التّنسيق والتّنفيذ ونشاطاتها ومستودع أسرارها.

يقول السيّد ابن يوسف ابن خدّة، عضو لجنة التّنسيق والتّنفيذ لجبهة التّحرير الوطني (1956-1957م) ورئيس الحكومة المؤقّتة للجمهورية الجزائرية (1961-1962م): «كان التجّار المزابيون من أخلص المساعدين الذين عملت معهم، كانوا يتمتّعون بجدّية وطنية فائقة، فوجودهم داخل الحي الأوروبي قد

1- نفس المصدر 171.
2- باحمد بن حمّو بكلّي: تجنينت (العطف) وثورة التحرير المباركة، 58 و 63.

سهّل كثيرا مهمّة لجنة التّنسيق والتّنفيذ... كانت محلاّتهم مراكز للبريد ومستودعات للوثائق والمناشير والجرائد، والأسلحة والذّخائر، ومراكز للطّباعة السرّية، وملتقيات للمناضلين المطاردين من طرف الشّرطة الاستعمارية، نقلوا في سيّاراتهم الخاصّة الأسلحة والذّخائر ومختلف الوثائق، رغم الخطر الذي يتعرّضون له، فهم صورة ناصعة للمناضل الجزائري الوفي»[1].

كان محل الحاج إسماعيل بن محمّد سماوي أحد هذه المراكز. فقد قام بأعمال جليلة منذ اندلاع الثّورة، واشتدّ عليه الطّلب بأمر من الجنرال مَاسُو، فاقتحم خط مُوريسْ لاجئا إلى تونس، ودخل عاصمتها يوم 11 ديسمبر 1957. ولمّا تأسّست الحكومة المؤقتة في 19 سبتمبر 1958، عيّنته داعية للجبهة في المشرق العربي، فقام بواجبه على أكمل وجه، انطلاقا من الأردن، فمصر، ثمّ المملكة العربية السعودية، مرورا بسوريا، ليستقر به المقام بالمدينة المنورة في ديسمبر 1960 إلى سبتمبر 1961، ثمّ عاد إلى تونس ومفاوضات إيفيان على قدم وساق. وفي الهدنة رجع إلى بومرداس[2]. وتعرّض دكّانه للتّدمير ثلاث مرّات عام 1961.

كان دكّان الحاج عمر بن باحمد جلمامي، سنوات 55-57، في الرّتبة الثّانية من الأهمّية بعد دكّان الحاج إسماعيل سماوي، مركزا من مراكز لجنة التّنسيق والتّنفيذ.

كانت أختام الجنرال بِيجَارْ ومَاسُو وعامل عمالة الجزائر، التي تمكّنوا من الحصول عليها، قد أودعوها في محل جلمامي، تختم بها الجوازات ورخص السّير والتنقّل، وبطاقات التّعريف للأسماء الحربية.

أضف إلى هذين المتجرين:

- متجر آل ابن عيسى، حيث كانت تطبع المناشير بالدهليز، ومنها قرارات مؤتمر الصومام في خريف 1956.

1- بكير عوشت: وادي ميزاب في ظلّ الحضارة الإسلامية، 122.

2- حمو عيسى النّوري: دور الميزابيين، الجزء الثّاني، 124.

- متجر سليمان باباعدون وأحمد بن محمّد سعيد.
- متجر الحاج عبد الله زرقون.
- متجر باحمد بن بكير سماوي.
- متجر إسماعيل باباعمي.

في 12 مارس 1957، احتجزت السّلطات الاستعمارية في زنزانة (طَرْوَا كَافْ)[1] بالحراش، عن كلّ مدينة من مدن مزاب السّبع، شخصا، بأمر من الكابتان شَارْبُونْيِي، للاستنطاق في أمر الشّبكة المكشوفة من طرف الخونة، لخلايا بني مزاب، وكان من بين هؤلاء المحتجزين بجاح الحاج أحمد محمّد بن باحمد قاضي المحكمة الإباضية بالعاصمة.

إنّ السيّدين ابن يوسف ابن خدّه والعربي ابن مهيدي أدارا معركة الجزائر العاصمة من ثمانية عشر مركزا، كانت كلّها للمزابيين في الأحياء الأوروبية[2].

أدلى السيّد لخضر ابن طوبال، وزير الداخلية في الحكومة المؤقتة الأولى والثانية لجمعية قدماء تلاميذ معهد الحياة بالقرارة، يوم 25 فيفري 1990، ما يلي: «...وكانوا (المزابيون) دائما إلى جانب جبهة التحرير الوطني، ولم تحاكم جبهة التحرير قط مزابيا واحدا على الخيانة والإجرام. إنّني أعرفهم منذ كنت على رأس الولاية الثانية بقسنطينة...وكانت ثقتنا فيهم كاملة. عندما نحتاج إلى مبلغ مالي ضخم...يكفي أن نتصل بمسؤولهم...كثيرون مثلا يجهلون أنّ نساء ميزابيات ناضلن في صفوف الفدائيين،...فأنا شخصيا أعرف ثلاثا منهنّ كنّ يعملن في صفوفنا بقسنطينة، وإحداهن ماتت تحت التعذيب دون أن تقر باسم واحد».

وفي بسكرة كان بستان أولاد خبزي عيسى مكانا استراتيجيا، اتخذه الوطنيون مركز تجمعاتهم واستعداداتهم قبل اندلاع الثورة. فلمّا اندلعت اتخذه

1- TROIS CAVES.

2- محمّد ناصر: الشّيخ القرادي، 202.

الثوار معقلا حربيا، لوجود مكامن آمنة فيه تحت الأرض للجيش، بمنافذ متعددة محروسة، كما كان مستشفى لمعالجة الجنود، وذلك إلى أوائل سنة 1957.

يقول الشّيخ الفرادي: «ولا شكّ أنّ السّطحيين الذين ينظرون إلى الظّواهر، قد تخدعهم قلّة الأسماء في جبهات القتال، غافلين عن النّسبة العددية. ومع ذلك فقد لمعت هناك أسماء وسجّل شهداء، ورجع من جبهات القتال بعد الانتصار مناضلون، ولم يطلبوا من الدّولة ثمنا لوطنيّتهم، بمنحهم ألقابا أو سلطة، وإنّما رجعوا في تواضع إلى أعمالهم الحرّة... دون ضجيج ولا صخب... أمّا الدّور الذي قام به المزابيون في هذا النّضال...فلعلّه يتلخّص في الخطوات الهامّة الآتية:

أوّلا- في جبهات القتال:

قد أخذ المزابيون في هذا المجال قسطهم الذي يتناسب مع حجمهم وربّما كان أكبر قليلا...

ثانيا- التمويل:

لا شكّ أنّ تمويل الثّورة لا يقلّ أهمّية عن حمل السّلاح فيها، وقد اعتمدت الثّورة الجزائرية ضدّ الاستعمار اعتمادا كاملا على متاجر المزابيين...

ثالثا- تأمين الأشخاص:

بمجرّد ما يحسّ أحد رجال الثّورة... برقابة السّلطة الاستعمارية أو بتتبّعها له، فإنّ أوّل متجر للمزابيين يقع في طريقه يكون صالحا لأن يكون مخبأ أمينا له، فيلجأ إليه في الحال...

رابعا- تأمين المواصلات:

فقد كانت مطالب الثّورة تنتقل على أيديهم من بلد إلى بلد، في صورة لبضائع في متجر من متاجرهم، لتصل بالتّدريج... إلى أماكنها من جبهات القتال، في بطون الأودية ورؤوس الجبال...

خامسا- تأمين المخابرات:

قد قام التجّار المزابيون في تونس وأفراد البعثة العلمية هناك بربط كثير الحلقات بين الحكومة الجزائرية المؤقّتة في تونس وقيادة النّضال في داخل الجزائر. وقد كانت بعض متاجر المزابيين في أغلب المدن الجزائرية بمثابة دور البريد أو مراكز المخابرات للثّورة...».

لقد كان يحيى بن حمو الواهج، من بريان، يقوم بالوساطة بين الحكومة المؤقتة الجزائرية بتونس والولايات الست بالجزائر، ينقل ملفات الأسرار من الحكومة إلى رؤساء الولايات، ويقوم بتبليغ الرسائل المتبادلة بين الجنود واللاجئين إلى تونس وبين أوليائهم في الجزائر.

ويمضي الشّيخ الفرادي قائلا: «ولقد نال التجّارَ المزابيين بسبب هذه الأعمال كلّها كثير من الشرّ والأذى، كالسّجن والضّرب والتّعذيب بأنواعه المختلفة، ومصادرة الأموال.

ولكنّ الاستعمار في جميع حالاته تلك، لم يستطع بجهازه التّعذيبي الجهنّمي و بطاقمه الوحشي أن ينتزع سرا من مزابي واحد... ولقد لقي بعضهم حتفه تحت التّعذيب، دون أن تنفرج شفتاه عن أيّ سر من أسرار الثّورة...

وكان أوّل ثلاثة الأطباء، انضمّوا إلى صفوف الجيش في أوّل يوم، من المزابيين، استشهد منهم اثنان وهما إبراهيم ترشين في نواحي الونشريس في نهاية 1961 قرب الأصنام (الشلف)، وبكير قضي في جبال سوق أهراس عام 1960... أمّا الدّكتور الثالث فهو عبد الرّحمن باباعمر، ولم يكن من أبناء المزابيين طبيب غيرهم...»[1].

نذكر بالإضافة إلى هذين الشّهيدين آخرين:

1- نفس المصدر، 195-202.

- محمّد بن إبراهيم دادي حمو المولود ببني يزقن عام 1919، ألقي عليه القبض يوم 13 نوفمبر 1958، واغتاله الجيش الفرنسي في بوقادير (الشلف).
- الممرّضة مريم بنت عبد العزيز عبد العزيز التي استشهدت في سطيف يوم 15 مارس 1957.
- الرّائد عبد الكريم بن يوسف موكا الذي استشهد في معركة ببريكة عام 1960.
- وكيل (الأمّة المزابية) إبراهيم بن بالحاج حجوط الذي استشهد يوم 24 جوان 1962.
- الضّابط في الولاية الخامسة سليمان بن محمّد بودي.
- إبراهيم بن إبراهيم الحاج عيسى الشّهيد في جانفي 1960 قرب حمّام بوزيان.
- الضّابط حمو بن إبراهيم اعمر التّاجر بقسنطينة، استشهد عام 1962.
- قاسم بن إسماعيل تاجرونه الشّهيد في 9 فيفري 1959 بناحية تاخمرت.
- حمّو بن قاسم بابا أو إسماعيل الشّهيد يوم 22 أكتوبر 1957 قرب واد زناتي.
- محمّد بن يوسف جهلان الشّهيد في تيهرت.
- محمّد بن مسعود شرع الله الشّهيد يوم 4 ديسمبر 1958 قرب بريكة.
- حمّو بن بالحاج معلال الشّهيد في ديسمبر 1960 في عنابة.
- يحيى بن عمر الطّالب باحمد الشّهيد في 13 ديسمبر 1958، بناحية سيقوس، قرب عين مليلة.
- صالح بن الحاج إبراهيم كريم الشّهيد قرب الأغواط، في سيدي مخلوف، يوم 15 سبتمبر 1959.
- قاسم بن الحاج بكير بلعديس الشّهيد يوم 6 مارس 1962.
- إبراهيم بن عيسى الكبش الشّهيد عام 1960 بوهران.
- عيسى بن علي أُقمْغَارْ الشهيد يوم 10 أفريل 1962 بحسين داي بالعاصمة.
- إبراهيم بن عيسى أُقمْغَارْ الشهيد يوم 10 أفريل 1962 بحسين داي بالعاصمة.
- عمر بن محمّد بابا عمّي الشّهيد يوم 21 جانفي 1962 بالحراش.

- محمّد بن محمّد يعقوب الشّهيد في ورقلة يوم 8 جانفي 1958.
- إبراهيم بن محمّد يعقوب الشهيد في ورقلة في 12 أكتوبر 1959.
- المنور إبراهيم بن قاسم باسليمان الشّهيد في الأغواط، يوم 18 أوت 1957.
- الحاج محمّد بن بالحاج عبد العزيز الشّهيد عام 1955 بالعاصمة.
- محمّد بن باحمد بسيس الشّهيد عام 1961 ببوسعادة.
- بكير بن أحمد سليمان بوعصبانة الشّهيد في أوت 1961 بورقلة.
- صالح بن عيسى حماني الشّهيد في أوت 1961 بورقلة.
- عباس بن خويلد لالوت الشّهيد في سيدي بلعباس.
- محمّد بن يحيى زكري الشّهيد يوم 1 جوان 1962 بعنابة.
- الحاج محمّد بن باحمد جلمامي يوم 30 مارس 1957 بالحراش.
- محمّد بن بالحاج الشريفي الشّهيد في أفريل 1959 بالبليدة.
- محمّد بن سليمان بودبرة في جويلية 1957 بالثنية.
- قاسم بن الحاج محمّد بوسحابة في سبتمبر 1957 قرب سطيف.
- موسى بن يحيى زنداري التّاجر بمداوروش عام 1961.
- الحاج إبراهيم بن يحيى زنذاري التّاجر بسدراته، يوم 21 مارس 1958.
- عمر بن أحمد كيوكيو التّاجر بسطيف.
- أحمد بن يحيى دجال.
- عمر بن إبراهيم دجال.
- عمر بن الحاج إبراهيم الزيتون الشّهيد في جويلية 1956 بالبليدة.
- عبد الله بن محمّد مرغوب الشّهيد في فرنسا، في مدينة نانسي يوم 30 جوان 1962.
- سليمان بن حمّو أبو العلا الشّهيد عام 1957 في ندرومة.
- أحمد علواني الشّهيد عام 1957 في ندرومة.
- صالح بن الأخضر حمدي عيسى الشهيد عام 1957 في ندرومة.

- عبد الكريم بن أحمد ابن رابح الشهيد بالعاصمة عام 1960.
- باحمد بن محمّد باعماره الشهيد بالعاصمة عام 1962.
- مسعود بن بابه الأزوش الشهيد ببسكرة عام 1956.
- سعيد بن قاسم البكاي الشهيد ببسكرة عام 1956.
- بانوح بن محمّد علواني الشهيد بالعاصمة.
- عمر بن محمد علواني الشهيد بالعاصمة.
- قاسم بن علي الجعدي الشهيد بالعاصمة.
- صالح بن إبراهيم بكوش الشهيد بالعاصمة.
- الشيخ بن صالح بوستة الشهيد بالعاصمة.
- عمر بن محمّد أبو القاسم من مواليد القرارة.
- أحمد بن محمّد شرع الله من مواليد مليكة، استشهد عام 1958.
- يحيى بن باحمد كعبوش الشهيد بوهران.
- أحمد بن عمر عوف الشهيد عام 1958.
- بكير بن عيسى الحاج أيّوب الشهيد بالجزائر في ديسمبر 1961.
- عيسى بن يحيى حمّو عبد الله الشهيد بالعلّمة في سبتمبر 1956.
- إبراهيم علّوط الشهيد بغرداية في خريف 1960.
- محمّد عطفاوي الشهيد بغرداية في خريف 1960.
- محمّد فخّار الشهيد بغرداية في خريف 1960.
- حمُّو أُوبَكّهْ الشهيد بغرداية في خريف 1960.

ولا ننسى ضحايا حقد منظمة الجيش السرّي الإرهابي الذي اتّبع سياسة الأرض المحروقة، أمام اقتراب موعد الاستقلال المحتوم، فأخذ يطلق النّار على المدنيين العزّل ويخرّب المحلاّت بقنابله البلاستيكية، وطالت بذلك قائمة المعطوبين من بني مزاب في مدن التّل، وتعرّضت متاجرهم للتّدمير والإحراق.

من بين هذه المحلاّت نذكر على سبيل المثال شركة فتح النّور لتجارة الجملة في العاصمة، وكانت من أهم المراكز للثّورة الجزائرية، فقد هجم عليها الجيش السرّي في 27 ماي 1962، فنهبوا ودمّروا بالقنابل البلاستيكية، وأشعلوا النّيران فيها، فاحترقت عن آخرها. ويذكر التّقرير الذي قدّمته الغرفة التّجارية والصّناعية بغرداية حول هذه الأحداث ما يلي:

أوّلا– إنّ المحال التّجارية والمخازن التي أغلقت لأصحابها من سكّان وادي مزاب في جميع مدن التّل بلغ عددها 417.

ثانيا– عدد أرباب العمل الذين شلّت حركتهم 524، وعدد الصنّاع والعمّال المحرومين من الشغل 1500 عاملا.

ثالثا– قيمة الخسارة المالية 51536529.00 فرنكا جديدا.

في تونس لمّا دعي الطّلبة باسم اتّحاد الطّلبة المسلمين الجزائريين للتّجنيد، إلى مراكز التّكوين العسكري والسّياسي بالكاف وساقية سيدي يوسف وغيرهما، استجابت نخبة من طلبة البعثة المزابية، وكان من أبرزهم الطّالب بكير أولاد بابهون الذي قضى فترته التّدريبية، وأبدى فيها كفاءة ومقدرة، فعيّن بدوره مدرّبا في نفس المركز بالكاف، فخرّج أفواجا من الجنود والضبّاط قبل أن يسمح له بمواصلة دراسته بالكويت ثمّ بالولايات المتّحدة، بتوجيه من الحكومة المؤقتة الجزائرية[1].

لقد كان لأبناء مزاب دور هام في تكوين أفواج الكشافة الإسلامية الجزائرية بتونس، إبّان الثّورة، خاصّة قاسم بابكر الذي استشهد في حادث سيارة، في طريق عودته من أوّل مؤتمر تعقده قيادة الكشّافة بعد الاستقلال. ومثله كذلك الأستاذ أيّوب سماوي الذي انتخب عضوا في المجلس الأعلى للكشافة

1- البعثة المزابية في تونس، 11.

التونسية عام 1957، وعضوا في المكتب التنفيذي لاتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين (فرع تونس) مكلف بالشؤون الكشفية والرياضية في نفس السنة.

ولمّا تأسّست المنظّمات الرّياضية للشّباب الجزائري المغترب في تونس، تحت إشراف المجلس الأعلى للشّباب والرّياضة، انتدب نائب رئيس البعثة المزابية الأستاذ أيّوب سماوي عضوا بالمجلس الأعلى للشّباب والرّياضة الجزائري، ونائب مسؤول فريق جيش التحرير الوطني لكرة القدم، لمّا قام بجولته التاريخية عبر العالم العربي، وقد أجرى فيها ما يزيد عن ثمانين مباراة، من ديسمبر 1957 إلى ماي 1958، قصد الدعاية للثورة الجزائرية والتعريف بها عن طريق الرياضة.

10- أعلام من الفترة الأخيرة:

أ- الشّيخ حمّو بن باحمد بابا أُوموسى:

ولد بغرداية عام 1865م. تتلمذ على القطب وتقلّد مشيخة غرداية يوم 12 محرّم 1322هـ/1904م. شرع في التّدريس بالمسجد عام 1357هـ/1938م، وكان من قبل يلقي دروسه اليومية بداره. بعد وفاة شيخه القطب أطلق عليه اسم مفتي وادي مزاب. ألّف:

- الحجج الدّامغة لبدع الفئة الزّائغة، عام 1355هـ/1936م.
- ترغيب الرّاهب وترهيب الرّاغب.
- الرّحلة السنية المقتفية للأحكام القرآنية والسنية، عام 1356هـ
- سيرة العزابة.
- ترتيب الفرائد من العوائد والفوائد، وهي مسائل فقهية جمعها عن القطب.
- مناقب ومشاهد قرى وادي ميزاب وبريان.

توفّي يوم 29 جمادى الأولى 1376هـ/2 جانفي 1957م، وخلفه أخوه الحاج محمّد يوم 24 جمادى الثّانية 1376هـ.

ب- الدكتور بكير بن عيسى قضّي:

ولد في بني يزقن عام 1929م. زاول تعليمه في سوق أهراس إلى أن تحصّل على الأهلية، ثمّ التحق بالثّانوي في عنّابة فتحصّل على البكالوريا بها، ثمّ التحق بكلّية الطّب بِمُونْبُولْيِيهْ بفرنسا عام 1950م. وفي سنة 1954، أتمّ دراسته التّطبيقية. دخل إلى المغرب عام 1956م حيث اشتغل بمرافقة الدكتور التيجيني هدام.

وفي سنة 1960م، استشهد في ميدان الشّرف في معركة بجبال سوق أهراس برتبة رائد.

ج- الدكتور إبراهيم بن عبد الله تِرِشِينْ:

ولد ببني يزقن عام 1927م. عيّن أبوه قائد البلدة يوم 14 أوت 1934. تلقّى إبراهيم معلوماته الأوّلية بمدرسة الاستقامة بقالمة والمدرسة الرّسمية بها، ثمّ التحق بتونس عام 1942م وانتظم بالمدرسة الصادقية. وبعد أن تخرّج فيها سنة 1946م، التحق بالأقسام التحضيرية للطّب بتونس، ثمّ دخل كلّية الطّب بالجزائر العاصمة، فتخرّج فيها سنة 1953.

وهو أوّل طبيب جزائري جراحي في أمراض الدّماغ والأعصاب، وكان عميدا لكلّية الطّب بالعاصمة.

هو الذي نبّه الطبيب لوكوتور وابنته الطبيبة إلى أنّ الحمّى الواقعة في مزاب عام 1953، ليست بوباء التيفوس، وإنّما هي حمّى المستنقعات، بعدما هلك كثير من المواطنين بسبب علاجهما لهم.

هو الذي أنشأ سنة 1949م منظّمة الاتّحاد العام للطّلبة المسلمين الجزائريين. التحق بصفوف المجاهدين في مستهلّ سنة 1955م برفقة المارتينكي فْرَانْزْ فَانُونْ، وهو الذي أمر في يوم 9 أوت 1957 الطّلبة الجزائريين بالالتحاق بصفوف المجاهدين.

حضر معركة استشهاد العقيد عميروش في جبل تامر، فيها كسرت قصبة فخذه اليسرى، ثمّ كسرت رجله ثانية في معركة قرب مَارْغُرِتْ بجبل زكار، آل به الأمر إلى بترها، ثمّ استشهد في معركة مُوزَايَا فِيلْ قبل إيقاف القتال، وهي آخر معركة وقعت على سفوح جبال شفة وسهل متيجة، وذلك في أواخر عام 1961م[1].

د- الشّهيد إبراهيم بن بالحاج حجوط:

ولد ببني يزقن عام 1897م. كان تاجرا بالعاصمة وكان من رؤساء جماعة الإباضية بها، كما كان أحد وكلاء (الأمّة المزابية) ورئيس فدرالية منتخبي مزاب.

شارك بإيمان وإخلاص في الحركات السياسية الرامية إلى تحرير الجزائر، فلمّا اندلعت الثّورة المسلّحة اندفع وغامر بنفس الإيمان والإخلاص في الجهاد المقدّس، وتخلّى عن الاهتمام بتجارته.

اعتقل أوّل مرّة عام 1956م، وكان أكبر دور قام به واستشهد في سبيله هو جمع الأموال الطّائلة للثّورة في الوطن وخارجه.

ألقى البوليس السرّي القبض عليه في سكناه ببلكور، فوضع تحت التّعذيب، ونُقل مع الشّهيد علي بومنجل إلى الأبيار.

تعرّض لأبشع أنواع التّعذيب، ثمّ إلى عملية تسمّم اختلّ بها عقله، فاستشهد يوم 24 جوان 1962م، ونقل إلى مسقط رأسه فدفن في حفل مشهود.

هـ- المجاهد عمر بن عيسى الحاج أمحمّد:

ولد بالعطف حوالي 1884م. تلقّى تعليمه الابتدائي بمحضرة العطف أين حفظ القرآن وتلقّى مبادئه الدّينية، إلاّ أنّ عهده بالتّعليم لم يطل والتحق بالتّجارة.

1- حمّو عيسى النّوري: دور الميزابيين، الجزء الثالث، 277.

أوّل قضيّة شغلته هي قضيّة التّجنيد الإجباري للجزائريين عامّة، والمزابيين بصفة خاصّة، وذلك ابتداء من عام 1912م.

القضية الثانية التي اهتمّ بها هي مسألة مشاركة مزاب عام 1948م في انتخابات المجلس الجزائري. رَفَض الدّخول في هذه الانتخابات، لأنّها تتضمّن دخول مزاب تحت السّيطرة الفرنسية المباشرة، بينما معاهدة 1853، تصرّح بالاستقلال الدّاخلي لمزاب.

لقد عيّن وكيلا للأمّة المزابية سنة 1930 لشرح المطالب المزابية لدى السّلطات الفرنسية، وقد ترأس الوفد المزابي الذي قابل مُورِيسْ فُيُولِيتْ، رئيس اللجنة البرلمانية، يوم 28 أفريل 1931م، وكان لعمر بن عيسى مواقف متشدّدة ضدّ اغتصاب أراضي زلفانة التّابعة للعطف.

أهمّ أعماله الاجتماعية والثّقافية إنشاء مدرسة عصرية بالعطف في ربيع الثّاني 1351هـ/1932م، تعرف حاليا بمدرسة النّهضة، وترأس جمعيتها لسنوات.

ومن أعماله كذلك معارضته لإنشاء وكالة استغلال المياه الجوفية بالجنوب الجزائري عام 1947م.

ساند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وسافر ضمن الوفد إلى فرنسا عام 1939.

عام 1944م، فُرضت عليه الإقامة الجبرية بالعطف نظرا لمواقفه السّياسية. إنّ متجره بالحرّاش كان من المراكز الكبيرة للثّورة منذ اندلاعها إلى سنة 1957م، حين ألقي فيها القبض على أحد أبنائه، وأغلقت السّلطات الاستعمارية المتجر.

قُدّم إلى المحاكمة بتهمة حيازة الأسلحة، وقضى في سجن الأغواط أربعة أشهر، وفي سجن البليدة عاما ونصفا، ثمّ أطلق سراحه نظرا لكبر سنّه.

أمّا بعد انتهاء الحرب التّحريرية، فلم يتخلّ عن مهمّته كوكيل للأمّة المزابية رغم تقدّم سنّه، حيث قابل عدّة شخصيات في الحزب الواحد والدّولة، يطالبهم باتّباع قواعد الشّريعة الإسلامية.

ترك ثلاثة مؤلّفات:

- بيان حقيقة عن التّجنيد الإجباري وما ينتج عنه بوادي مزاب، باللّغتين العربية والفرنسية. وهو عريضة قدّمت بمناسبة الذّكرى المئوية للاحتلال إلى رئيس الجمهورية الفرنسية ورئيس الجمعية الوطنية ورئيس مجلس الشيوخ.
- كشف اللّثام عمّا شغل فكر الخاص والعام، بيّن فيه وجهات النّظر حول انتخابات المجلس الجزائري.
- مذكّرات ووثائق رسمية عن وادي مزاب.

توفّي يوم 29 ديسمبر 1973م.

و- الحاج إبراهيم بن الحاج بكير دَادِّي أُوعْمَر:

ولد بغرداية عام 1906م. من رؤساء هيئة إِيمَصُّورْدَا. قام بنشاط كبير في الثّورة المسلّحة، اسمه الثّوري (مخلص). باشر المسؤولية لجيش النّاحية ابتداء من ماي 1956م إلى جويلية 1962م. كلّف بتسيير المكتب المالي في المجلس البلدي بغرداية للولاية السادسة - المنطقة الثالثة بالنّاحية الثانية.

ألقي عليه القبض وسجن من أوت 1956 إلى ديسمبر 1958م، ثمّ سجن كذلك من 12 ديسمبر 1959 إلى أفريل 1962، بعدما قطع مراحل التّعذيب في الاستنطاق في سجون الأغواط والبليدة والبرواقية والحراش وبربروس، فكان من معطوبي الحرب[1].

ز- الشيخ صالح بن قاسم بابكر:

ولد بغرداية عام 1904. ولّما بلغ سبع سنوات أدخله والده زاوية الشيخ علي الجربي بعين البيضاء. أرسله عام 1920 إلى تونس، حيث التحق بمدرسة السلام. رجع منها عام 1925.

1- نفس المصدر: الجزء الثاني، 372.

تمكّن الشيخ صالح بابكر من جمع خريجي مدارس تونس وبعض الشباب الآخرين، وأنشؤوا بغرداية جمعية الإصلاح عام 1346هـ/1928م، وانتخبوه رئيسا لها.

تولّى إدارة مدرسة الإصلاح منذ نشأتها في آخر شهر رمضان 1351هـ/12 جانفي 1932م، صحبة الشيخ أحمد بن عيسى قزريط، والشاعر حمود بن سليمان رمضان، والأستاذ بابا بن إبراهيم بوعروة، والشيخ سليمان ابن بانوح، والسيّد سليمان بن بكير أدباش.

ناضل ضدّ الاستعمار حتّى زجّ به في السجن العسكري بغرداية سنة 1938، وأثناء الثورة التحريرية عام 1957، سجن بالأغواط مع رفقائه علي بن عمر الناصري، وإبراهيم بن صالح رمضان وخمسة آخرين، وحكمت عليهم المحكمة العسكرية بستة أشهر سجنا.

بعد الاستقلال، أفرغ جهده في التربية ومعالجة القضايا الاجتماعية بمعية الأستاذ حمو بن عمر فخار، إلى أن توفي بغرداية يوم 21 مارس 1976.

ح- الشّيخ إبراهيم بن عمر بَيُّوضْ:

ولد بالقرارة يوم 12 ذي الحجة 1316هـ/22 أفريل 1899م. درس على الشّيخ محمّد بن الحاج يوسف العطفاوي، ثمّ على الشّيخ الحاج إبراهيم بن عيسى الأبريكي ابتداء من عام 1908م. ثمّ بعد وفاته عام 1911م، خلفه الشّيخ عبد الله بن إبراهيم أبو العلا، وانتقل الشّيخ بيوض عام 1913م إلى معهد الشّيخ الحاج عمر بن يحيى المليكي. درس عليه نحوا من سنتين، وما لبث أن رشّحه للتّدريس، فعمل معه إلى أن توفّاه الله عام 1921م. بقي الشّيخ بيوض يدرّس في معهد شيخه نحوا من أربع سنين، انتقل بعدها إلى دار وقفها أبوه للتّعليم، كانت نواة لمعهد الحياة الذي تأسّس بافتتاح الدّروس فيها يوم الجمعة 28 شوال 1343هـ/21 ماي 1925م. أدّى فريضة الحجّ عام 1347هـ/1929م.

دخل حلقة العزابة سنة 1922م وأظهر قدرة فائقة في الوعظ. بعد انتهائه من تفسير جزء عم، درّس صحيح الرّبيع بن حبيب في سنتين أو ثلاث، ثمّ انتقل عام 1931م إلى فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وأتمّه بحفل عظيم يوم 22 ربيع الأوّل 1365هـ/25 فيفري 1946م بالمسجد.

ومن جهة أخرى، فإنّه افتتح دروس تفسير القرآن في غرّة محرّم 1353هـ/6 أفريل 1935م، واختتمه يوم 25 ربع الثّاني 1400هـ/12 فيفري 1980م، وأقيم له مهرجان قرآني عظيم للختم يوم 23 ماي 1980م.

بداية من السبت 23 صفر 1381هـ/5 أوت 1961م، بدأ التسجيل الصوتي لدروس تفسير الشيخ، بداية من قول الله تعالى: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾ في سورة الإسراء، وبلغ عدد الدروس المسجلة 1127 درسا، ألقيت خلال سبع عشرة سنة.

كان أحد واضعي القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وشغل وظيفة أمين صندوق مساعد فيها، وذلك في ماي 1931م.

أسّس في القرارة جمعية الحياة عام 1937م، وترأس حلقة العزّابة عام 1940م.

إبّان الحرب العالمية الثّانية، حُكم على الشّيخ بيوض بالإقامة الجبرية في القرارة مدّة أربع سنوات 1940-1944م.

ممّا ورد في كلمة الشّيخ عبد الرّحمن باكلّي، التي ألقيت في مهرجان تأبين الشّيخ بيوض، حول صراعه باسم الأمّة المزابية ضدّ الاستعمار العسكري: «أمّا مظاهر هذا الصّراع، فيمكننا أن نستشفّ بعضها من المواقف الآتية:

أوّلا– موقفه يوم أن قدّم مطالب الأمّة أمام لجنة الإصلاحات... في أواخر الحرب العالمية الثّانية.

ثانيا– انتخابه نائبا عن منطقة غرداية في المجلس الجزائري (عام 1948 و1951م)، والأدوار التي قام بها على منبره وفي معاركه، للقضاء على

شركة استغلال مياه ما تحت أراضي الجنوب الجزائري، وللقضاء على الحكم العسكري، ولربط الصّحراء بشمال الجزائر.

ثالثا– تعيينه ببومرداس عضوا في الحكومة الانتقالية، باتّفاق من جبهة التّحرير وفرنسا معا، ومواقفه هناك...

رابعا– الأدوار التي قام بها في إحباط قضيّة فصل الصّحراء عن الجزائر.

خامسا– استقالته من عضوية المجلس الجزائري في نوفمبر 1955، كغيره من النوّاب الوطنيين، تأييدا للثّورة التّحريرية.

سادسا– مواقفه إزاء الثّورة التّحريرية التي جمعها في عرض (أعمالي في الثّورة).

سابعا– مواقفه التي لا تكاد تعد، كلّما حاولت إدارة الاستعمار هضم حق من حقوق الشّعب، أو إلغاء مؤسّسة عامّة، أو فرض غرامة، أو إحداث ما يضرّ بكيان الأمّة، لا سيما ما يمسّ بدينها...»[1].

لمّا شكّل مزغنة في القاهرة لجنة تضمّ جميع الشخصيات للدفاع عن الثورة، وجاء الإعلان عنها يوم 11 جانفي 1955، ثمّ توسعت بعد ذلك، ضمّت الشيخ بيوض ممثّلا للاتّحاد الديمقراطي لعباس فرحات[2].

أسندت إليه عام 1956م مهمّة تكوين العمل الثّوري، ليتّصل مع المزابيين في الشّمال، ليدفعوا عجلة الثّورة إلى الأمام. واتّصل بقيادة العقيد الحوّاس قائد الولاية السّادسة في أواخر 1956، وكانت له عدّة مراسلات سرّية بينه وبين جبهة التّحرير الوطني والحكومة المؤقّتة للجمهورية الجزائرية في تونس. وهذه المراسلات كانت تدور على الأوضاع السّياسية السّائدة في السّاحة، لا سيّما قضيّة فصل الصّحراء عن الجزائر، حيث أدّى فيها دورا وطنيا خالصا[3].

1- محمّد ناصر: في رحاب القرآن، الإمام الشّيخ بيوض، 113.

2- بنيامين سطورا: مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية، 232.

3- بكير عوشت: الإمام إبراهيم بيوض، 82.

كان عضوا في اللّجنة الإدارية المؤقّتة لعمالة الواحات دائرة الأغواط عام 1958م، ثمّ مستشارا عاما لمزاب، وأسندت إليه مندوبية الشّؤون الثّقافية في الهيئة التّنفيذية المؤقّتة التي ترأسها عبد الرّحمن فارس في الصّخرة السّوداء ببومرداس من مارس إلى سبتمبر 1962م.

في سنة 1963، عمل على بعث الهيئة العليا لعزّابة مساجد وادي مزاب ووارجلان، وانتخب رئيسا لها إلى يوم وفاته.

استمرّ الشّيخ بيوض في الجهاد بعد الاستقلال، بيد أنّ أعداء العلم الصّحيح والحقّ شرعوا يضايقونه في أمواله ودروسه، فأمّمت أملاكه بقرار من عامل عمالة الواحات يوم 30 سبتمبر 1964، واعتقل من 13 أكتوبر 1964 إلى 31 ديسمبر 1964 دون محاكمة، ووضع في الإقامة الجبرية بالقرارة يوم 9 ديسمبر 1966، بقرار من العامل أيضا.

وفي 8 أوت 1967، استدعاه رئيس قسمة الحزب الواحد، وأمره بإيقاف درس الوعظ والإرشاد والتفسير الذي كان يلقيه في المسجد.

ترك أربعة مؤلّفات:

- في رحاب القرآن (تفسير سورة النّور).
- فتاوي الإمام الشّيخ بيوض، في جزأين، رتّبها بكير محمّد الشّيخ بالحاج.
- أعمالي في الثّورة.
- رسالة في تاريخ وادي ميزاب.

توفّي في القرارة يوم 8 ربيع الأوّل 1401هـ /14 جانفي 1981، وشيّع جثمانه في موكب حاشد حضره نخبة من مسؤولي الدّولة، من بينهم خمسة وزراء.

ط- الشّيخ محمّد بن علي دبّوز:

ولد ببريان في فيفري 1919م /1337هـ. بدأ دراسته فيها على يد الشّيخ الحاج موسى بن صالح موسى المال إمام البلدة، ثمّ الشّيخ صالح بن يوسف لبسيس.

وفي سنة 1934م، نقله والده إلى القرارة، فتتلمذ على الشّيخ بيوض والشّيخ عدون وغيرهما.

وفي شهر شعبان من سنة 1944م، أرسله والده وأستاذه الشّيخ بيوض إلى جامع الزيتونة ومعهد ابن خلدون بتونس. وبعد عامين، انتقل منها إلى مصر، مستخفيا عن الاستعمار، حتّى بلغها بعد ستّة وعشرين يوما قطعها سيرا على الأقدام. توجّه إلى كلّية الآداب من جامعة القاهرة وبقي فيها حتّى سنة 1948م، حيث رجع إلى الجزائر بعد أن نال بغيته من العلم هناك.

اختاره معهد الحياة بالقرارة مدرّسا فيه لمادّتي التّاريخ والأدب، ثمّ أضاف إليهما التّربية وعلم النّفس، ودخل ميدان التّأليف سنة 1950م وترك لنا:

- تاريخ المغرب الكبير، في ثلاثة أجزاء.
- أعلام الإصلاح في الجزائر، في خمسة أجزاء.
- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، في ثلاثة أجزاء، طبع بالشّام عام 1960م.

توّفي يوم 16 محرّم 1402هـ / 13 نوفمبر 1981م.

ي- الشّيخ يوسف بن بكير حمو أُوعْلِي:

ولد بالعطف عام 1306هـ/1889م. ونشأ فقيرا يتيما ضريرا، حيث فقد بصره وهو ابن تسع سنين. بعد أن قضى فترة الصّبا عاملا ومتعلّما بمحضرة باسالم، أرسله الحاج حموده بن الحاج يحيى بوهون أُوعلي إلى القرارة عام 1909. فيها حفظ القرآن وأخذ مبادئ الدّين بمعهد الشّيخ الحاج عمر بن يحيى، وانضمّ إلى حلقة إِرْوَانْ بالقرارة. وعندما رجع منها، واصل تعلّمه على الشّيخ الحاج عمر باكلّي الذي وجّهه إلى معهد القطب ببني يزقن سنة 1913م.

وفي سنة 1917م، سافر إلى تونس مع البعثة العلمية المزابية، واستمرّ في التّحصيل اللّغوي والدّيني بجامع الزّيتونة عند الشّيخ النحلي وابن يوسف وغيرهما.

في سنة 1923م، رجع إلى الوطن، واختير عضوا بحلقة العزابة، وتولّى الفتوى ومشيخة المسجدين، والتّدريس بدار إروان بالعطف.

وفي سنة 1954م، انتقل إلى بني يزقن للتّدريس بالمعهد الجابري، خلفا للشّيخ إبراهيم حفّار، و لم يتخلّ عن هذه المهام إلى أن قعد به المرض والعجز سنة 1981م.

في سنة 1963، عيّن نائبا لرئيس مجلس عمّي سعيد، وتولّى رئاسته الشّرفية عام 1981م، ونظرا لكبر سنّه عهد بشؤون المجلس لتلميذه الشّيخ عبد الرّحمن بن عمر باكلّي.

توفّي يوم 5 ربيع الثاني 1405هـ / 28 ديسمبر 1984م بالعطف.

ك- الشّيخ عبد الرّحمن بن عمر بَاكَلّي:

ولد بالعطف يوم 13 أكتوبر 1901. حفظ القرآن بمسقط رأسه، ثمّ أخذ علوم القرآن والعربية على عمّه الشّيخ الحاج عمر بن حمّو باكلّي، ثم على الشّيخ يوسف بن بكير حمو أُوعلي، ثمّ انتقل إلى الجزائر العاصمة وأخذ عن الشّيخ المولود بن محمّد الزريبي الأزهري، ثمّ انتقل إلى تونس أواخر سنة 1922، ودرس عدّة سنوات في جامع الزّيتونة والمدرسة الخلدونية.

كان العضد الأيمن للشّيخ أبي اليقظان في تسيير البعثة العلمية المزابية بتونس، وعايش نشوء الحركة الدّستورية التي قادها الزّعيم الثّعالبي. وبعد عودته للجزائر، أسهم في تأسيس جمعية العلماء الجزائريين، وعُيّن عضوا في لجنة صياغة قانونها الأساسيّ.

عيّن في سنة 1934م عضوا بحلقة العزّابة بالعطف، وفي سنة 1939م، انتقل إلى بريّان فكان معلّما ومديرا لمدرستها وداعيا مرشدا بمسجدها.

وفي سنة 1957م، ألقي عليه القبض مع زميله في الكفاح الشّهيد المنوَّر إبراهيم باسليمان في بريّان، واعتقلا في الأغواط لعدّة شهور.

في سنة 1386هـ/1966م، عيّن عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى، وعضوا في لجنة الفتوى لدى هذا المجلس. ناب عن الشّيخ بيوض في رئاسة مجلس عمي سعيد حين قعد به المرض وعجز الشّيخ يوسف بن بكير عن الحضور. توفّي يوم 14 جانفي 1986.

حقّق كتاب النّيل للشّيخ عبد العزيز الثّميني، وكتاب قواعد الإسلام للشّيخ إسماعيل الجيطالي. ألّف:

- ديوان شعر.
- كتاب تاريخ الحركة الإصلاحية في نصف قرن.
- رسالة تتناول علماء مزاب في القرون 10و11و12 الهجرية، إجابة عن أسئلة وردت إليه عام 1984م.
- مجلس عمي سعيد.
- فتاوي البكري، في جزأين. والبكري هو الاسم الذي كان يمضي به مقالاته الصّحفية، سيما في جرائد الشّيخ أبي اليقظان.
- محاكمة عزابة بريان.
- خلاصة حركة التّعليم ببريان وتاريخ مدرسة الفتح.
- ميزاب منذ مائة سنة.
- خلاصة تاريخ الجزائر، للمدارس الابتدائية.
- لطائف التّاريخ من صور إسلامية.
- الجن ودعوة الرّسول إليهم.
- اقتصاد ميزاب، ألّف الرّسالة في 1949م.
- شرح مقامات أبي نصر الملوشائي.
- تعقيب على اتّفاقية الكرتي في الصّوم والإفطار بخبر التّلفون.
- المعارضة.
- التّمارين المفيدة على القراءة الرّشيدة.

- رسالة عمان.
- جمهرة خطب البكري.
- سجل الأحداث.
- جمهرة رسائل البكري.

ل- الشّيخ الحاج محمّد بن الحاج يوسف بابانـــو:

ولد ببني يزقن عام 1313هـ/1896م. تتلمذ على الشّيخ الحاج إبراهيم ابن ادريسو، والحاج سليمان ابن ادريسو، وأيوب بن عبد الله بونورة، ثمّ اشتغل مبكرا بالتّجارة.

وفي سنة 1919م، عبر الحدود مستخفيا إلى تونس، وانـــضمّ إلى بعثـــة الشّيخ الحاج صالح بن الحاج علي باعلي والتحق بجامع الزّيتونـــة، ودرس بـــه مختلف الفنون على الشّيخ التونسي والشّيخ محمّد النيفر وغيرهما، كما حـــضر دروسا بالخلدونية. رجع من تونس عام 1923م.

قصد القرارة عام 1925م لاستظهار القرآن في مدرسة الشّيخ الحاج عمر ابن الحاج مسعود ابن غسر، ولّما تمّ له ذلك، عاد إلى بني يزقن عام 1927م، أين تلقّفه الشّيخ الحاج صالح لعلي، شيخ المسجد، ليدرّس معه في المدرسة الجديـــدة التي بناها بجوار المسجد، وعُيّن عضوا في حلقة العزابة في نفس السنة.

ولّما توفّي الشّيـــخ الحـــاج صالح في العام المـــوالي، استمرّ الشّيخ بابانو في التّدريس.

وفي سنة 1941م، فتح دارا للعلم للشّيخ إبراهيم بن بكير حفّار ليـــدرّس فيها، وسمّى المشروع بالمعهد الجابري، ولاقى معارضة كبيرة اضطرّته إلى تحويل مدرسته من دار إلى أخرى، ولجأ إلى التّعليم بدار سكناه، إلى أن بـــنى الـــسيّد الحاج صالح زهار دارا سنة 1948م آوى إليها المشروع.

من جهة أخرى، فإنّه في 31 ديسمبر 1946، وإثر عودة الشيخ بابانو إلى الحلقة، تمّ الاتّفاق على دمج (المدرسة الجابرية) مع (مدرسة الرشاد) العاملـــة في المؤسّسة الإضافية المجاورة لمحاضر المسجد.

كانت دار الغرباء المجاورة لسكنى الشّيخ بابانو تأوي طلبة القرى البعيدة، وكانت زوجه شاشه بنت عمر باكلي تقوم بإعداد ما يلزمهم من الطّعام.

ولّما توفّي الشّيخ حفار عام 1954م، خلفه بالمعهد الجابري الشّيخ يوسف ابن بكير حمو أُوعلي إلى سنة 1981م.

بعد الاستقلال ورجوع الطّلبة من تونس، قام بعض قـــدماء الجابريـــة بنهضة جديدة لإعطاء نفس جديد للمؤسّسة، وضعت عن الشّيخ بابانو بعـــض الأعباء التي كانت تثقل كاهله.

كان الشّيخ بالإضافة إلى الجابرية يلقي دروسا في مترله على النّساء، كما كان يشجّع طلبة الجابرية على إحياء حفلات الأعراس بحجبة المـــسجد علـــى الطّريقـــة الإسلامية، إلى أن أنشأ عام 1965م جمعية المديح الشّعبي (جمعية التّثقيف الشّعبي حاليا).

وفي أفريل من سنة 1974م، كان له دور كبير في موافقة حلقة العزّابـــة على إنشاء أوّل مدرسة حرّة للبنات ببني يزقن، تبنّاها المسجد عامين بعد ذلك.

آلت إليه رئاسة حلقة عزّابة بني يزقن بعد وفاة الشيخ عيسى بـــن داود بزّملال في صفر 1395هـــ/ فيفريّ 1975م.

تولّى رئاسة مجلس عمّي سعيد يوم 27 جمادى الأولى عام 1406هـــ / 6 فيفري 1986م، وعمل جادا لتوثيق الرّابطة وجمع الكلمة رغم شيخوخته ومرضه المزمن.

توفّي رحمه الله يوم الثلاثاء 16 صفر 1409هـــ/27 سبتمبر 1988م.

م- الشّاعر صالح بن صالح الخـــرفي:

ولد بالقرارة عام 1932، درس سنتين بمدرسة التربية والتعليم ببانتة، والتحـــق عام 1941 بمدرسة الحياة، وأكمل حفظ القرآن، واستظهره عـــام 1946، وواصـــل دراسته بمعهد الحياة. سافر إلى تـــونس عام 1953، ودرس بجامع الزيتونة والخلدونية.

نشر في الصحافة التونسية، وأذاع في الإذاعة التونسية، بكنية أبي عبد الله صالح. جمعه العمل مع الطلبة الجزائريين الذين غادروا الجزائر لـــنفس الهـــدف،

تحت مظلة اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، بفرع تونس سنة 1956، فكان عضوا في إدارته.

وفي سنة 1957، رحل إلى مصر متنكرا، بجواز سفر تونسي باسم جديد هو حموده الحبيب، ودخل كلية الآداب بجامعة القاهرة، أين حصل على الليسانس في اللغة العربية وآدابها، سنة 1960. ترأس الوفد الجزائري إلى المؤتمر الرابع للأدباء العرب في الكويت سنة 1958.

مثّل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في مهرجانات الشعر العربي المقامة في دمشق، سنوات 1959، 1960، 1961، ومثّلها أيضا بحضور المؤتمر الإسلامي في القدس، المنعقد في جانفي 1960.

لعلّه لم يرتفع في إذاعة صوت العرب بالقاهرة، طيلة سني النّضال المسلّح للثّورة الجزائرية، صوت شاعر جزائري، كما ارتفع صوت صالح خرفي، معبّرا عن وجدان الثّورة الجزائرية وأحاسيسها، صارخا بصوتها القويّ يهزّ مشاعر الأفراد والجماعات، حتّى خيّل لكثير من متابعي صوت العرب أنّ صالح خرفي كان هو الصّوت الرّسمي للثّورة الجزائرية في القاهرة[1].

في سنة 1961، وبتكليف من وزارة الداخلية في الحكومة المؤقتة الجزائرية، تولّى مهمّة التعبئة السياسية في أوساط اللاّجئين الجزائريين في تونس، في المنطقة الرابعة (منطقة الكاف)، حتّى إعلان الاستقلال.

بعد الاستقلال، عيّن مسؤولا للعلاقات الثّقافية مع البلاد العربية في أوّل وزارة جزائرية للتّربية.

من 1964 إلى 1976، كان أستاذ الأدب الجزائري الحديث بجامعة الجزائر، تحصّل على الماجستير في شعر المقاومة الجزائرية عام 1966 بجامعة القاهرة، والدكتورا في الشّعر الجزائري الحديث عام 1970بنفس الجامعة.

1- علي يحي معمر: الإباضية في الجزائر، الجزء الثاني، 608.

كان ضمن المثقفين الأوّلين الذين فكّروا في تأسيس اتحاد الكتاب الجزائريين، سنة 1964.

كان رئيس تحرير مجلّة الثّقافة التي صدرت عن وزارة الإعلام والثّقافة من 1971 إلى 1976، ورئيس دائرة اللّغة والثّقافة العربية بجامعة الجزائر في نفس الفترة.

اختارته الجزائر ليمثلها في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بالقاهرة سنة 1976، حيث شغل منصب مدير الثقافة إلى غاية 1992، سنة تقاعده، وتولّى رئاسة تحرير مجلتها (المجلة العربية للثقافة) سنة 1981.

توفي في تونس العاصمة يوم 24 نوفمبر 1998، ودفن في القرارة.

من تآليفه:

- صرخة الجزائر الثائرة، طبع في قطر عام 1958.
- نوفمبر، طبع في قطر عام 1961.
- أطلس المعجزات، طبع في الجزائر عام 1967.
- شعراء من الجزائر، طبع في القاهرة عام 1969.
- صفحات من الجزائر، طبع في الجزائر عام 1974.
- أنت ليلاي، طبع في الجزائر عام 1974.
- الشعر الجزائري الحديث، طبع في الجزائر عام 1975.
- الجزائر والأصالة الثورية، طبع في الجزائر عام 1978.
- شعر المقاومة الجزائرية، طبع في الجزائر عام 1982.
- المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، طبع في الجزائر عام 1983.
- حمود رمضان، طبع في الجزائر عام 1983.
- في ذكرى الأمير عبد القادر الجزائري، طبع في الجزائر عام 1984.
- عمر بن قدور الجزائري، طبع في الجزائر عام 1984.
- في رحاب المغرب العربي، طبع في بيروت عام 1985.

- محمّد السعيد الزاهري، طبع في الجزائر عام 1986.
- محمّد العيد خليفة، طبع في الجزائر عام 1986.
- الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو في الحجاز (1935-1945)، طبع في بيروت عام 1991.
- من أعماق الصحراء، طبع في لبنان عام 1991.

11- أحداث متفرّقة :

- 12 نوفمبر 1948: تزويد بريان بالكهرباء.
- 1949: إنشاء مستوصف بالقرارة.
- 1949: إنشاء الملعب البلدي بغرداية.
- 1949: قام السيّد الحاج صالح بن الحاج يحي يحمد اليزقني وكيل المزابيين بإنقاذ دار مكّة من المستولة عليها من الكباريتي الحجازية.
- في يوم السبت 2 ذي القعدة 1368هـ/28 أوت 1949م، أقامت هيئات عزّابة مدن مزاب السبع، برئاسة الشيخ حمّو بن باحمد مأدبة تكريم في غرداية، احتفاء بفضيلة المطوّف الشيخ قطّان محمود صالح.
- 22 ذي الحجة 1370هـ /1951: اشترى السيّد الحاج صالح بن الحاج علي باعلي اليزقني عقارا في جدّة مساحته نحو 340 مترا مربّعا ووقّفه على سكنى الحجيج الإباضيين من القرى السّبع ووارجلان.
- 2 أكتوبر 1951: امتلأ سَدًّا بني يزقن وسد العطف وبقي وادي مزاب ووادي أنتيسا يسيلان أربعا وعشرين ساعة إلى أن وصل ماؤهما أنقوسة. انكسرت الساقية الغربية وساقية الزقاق ببني يزقن.
- 4 مارس 1952: الوالي العام يمنح خمسة ملايين فرنكا لمنكوبي فيضان أكتوبر 1951 بمزاب.
- 24 أفريل 1952: فيضان آخر.
- 23 سبتمبر 1952: نزلت بعد البرَد أمطار غزيرة واقتلعت هذا البرد في شكل

أحجار حطّمت كلّ ما اصطدمت به. جرف وادي انتيسا شطرا من السّد الكبير وثنى بالسّد الصّغير في واحة بني يزقن.

- 24 مارس 1953: دعي القواد والقضاة والأعيان المزابيون لحضور العرض الذي تقوم به، بقاعة جماعة غرداية، يوم الخميس 26 مارس، الآنسة مارغريت فان برشام[1]، المديرة السابقة للمعهد السويسري للفن والآثار القديمة بروما، عن نتائج أعمالها في الكشف عن آثار مدينة سدراته. وقد ساهمت العشائر المزابية بمبالغ مالية في عملية الحفريات هذه.
- 2 فيفري 1954: سقوط الثلج بمزاب، وبلوغ سمكه عشرة سنتمترات في بعض الأماكن.
- 1954: الإمام محمّد بن باحمد يحي يقتنع بإدخال الكهرباء إلى مسجد بني يزقن.
- 1955: تمّ بناء محكمة الصّلح بغرداية.
- 1956: تمّ إنجاز مستشفى جديد بغرداية، يحتوي على أربعين سريرا، وقسم للجراحة.
- 28 فيفري 1958: تزويد القرارة بالكهرباء.
- الثلاثاء 16 شعبان 1378هـ/24 فيفريّ 1959م، أطلق في القرارة ضوء الكهرباء لعامّة البلد عشيّة، بعد تجربة الأزقّة ضحوة.
- 1959: أدرج سور بني يزقن في قائمة الآثار التّاريخية لليونسكو.
- 1959: السيّد بكير بن داود بسّخواض يبني السّور الجديد لمقبرة سيدي بَنُّورْ التّحتاني في العاصمة، بمعونة السيّد بالحاج بن عدون قشار، مع مرافق الطّهارة وغسل الأموات.
- 4 فيفري 1959: المرسوم الذي يمنع تزويج البنات دون الخامسة عشرة لا يطبّق على المزابيات.
- 1961: شراء أوّل حوش بمنى.
- 5 جوان 1961: بلغ سيلان وادي مزاب باب سالم أوعيسى، وقد خلّف هلاك 15 شخصا.

1- MARGUERITE VAN BERCHEM.

الخاتمة

أعتقد أنّ القارئ الكريم، عند فراغه من قراءة الأبواب الثّمانية، يكون قد أخذ فكرة ما عن هذه الفئة من الشّعب الجزائري، بني مزاب. لقد عملت جهدي ليشمل هذا البحث كافّة جوانب حياتهم، من عقيدة وسياسة واقتصاد وثقافة، معتمدا على ما وفّقت إلى جمعه من مادّة، كي تكون اللّوحة شاملة متّزنة.

لا شكّ أنّك لاحظت، أخي القارئ، أنّ القرنين الأخيرين ممّا تناولته في دراسة تاريخ بني مزاب، كانا أكثر حظا ممّا سبقهما. ذلك راجع إلى ندرة المصادر والوثائق، ندرة تشتدّ حدّتها كلّما توغّلت عبر العصور الغابرة.

لقد التزمت طول الكتاب بالموضوعية قدر الإمكان، فعرضت الأحداث بأمانة، مشيرا إلى أسبابها، ملمّحا إلى نتائجها، تارة بصراحة وتارة بصفة ضمنية، وتركت للقارئ حرّية تقدير الأحداث والمواقف، محتفظا برأيي الخاص، إلاّ قليلا.

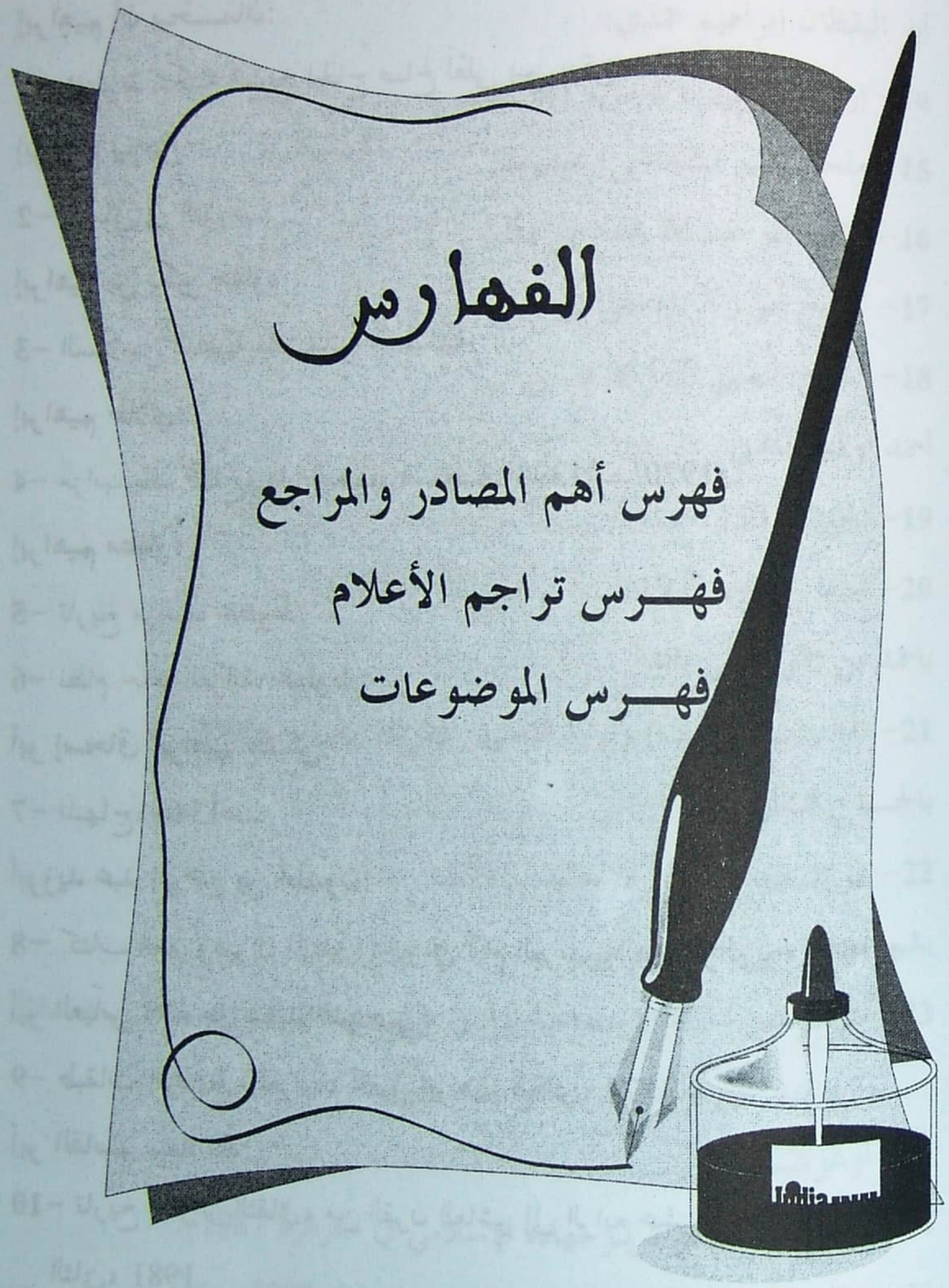
أملي أن تكون هذه الدّراسة وما تتّسم به من نقص، حافزا لهواة التّاريخ، أن يبادروا بإثرائها وإتمامها وتصحيح ما قد يكون اندسّ فيها من أخطاء.

وأودّ من جهة أخرى أن يدفعنا هذا البحث إلى مزيد من الاعتناء بتراثنا الفكري وتراثنا المادّي، وذلك بالتّنقيب عنه، واستغلاله وترقيته والاعتزاز به وتخليده.

لا بدّ لنا من استخلاص العبر من تاريخنا، وتوظيف هذه العبر في حياتنا الحاضرة، ربحا للوقت وتوفيرا لمجهود التّجربة.

أرجو أنّني حقّقت مقاصدي من القيام بهذا البحث، واستطعت أن أصحّح بعض الشّائعات الخاطئة في حقّ بني مزاب وتاريخهم، وأن أرفع اللّبس وأبدّد الأحكام المسبقة، بفضل الحجّة القاطعة، بعيدا عن أسلوب العاطفة.

وأخيرا أحمد الله وأثني عليه، وأسأله أن يتقبّل منّي عملي هذا ويثيبني عليه، ويجعله خالصا لوجهه الكريم.



فهرس أهم المصادر والمراجع باللّغة العربية

إبراهيم أَنْ بِيحْـمَانْ:

1- مخطوط بمكتبة الشيخ الحاج صالح لَعْلي ببني يزقن.

إبراهيم بيوض:

2- أعمالي في الثّورة.

إبراهيم بن بكير حفّار:

3- السلاسل الذهبيّة بالشمائل الطفيشيّة.

إبراهيم طلاّي:

4- مزاب بلد كفاح، دار البعث، قسنطينة، 1390هـ/1970م.

إبراهيم مطياز:

5- تاريخ مزاب، مخطوط.

6- نظام حلقة العزّابة، مخطوط.

أبو إسحاق إبراهيم طفيش:

7- المنهاج، 1346هـ.

أبوزيد عبد الرحمن بن خلدون:

8- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر، 1847.

أبو العبّاس أحمد بن سعيد الدرجيني:

9- طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، 1974.

أبو القاسم سعد الله:

10- تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، الجزء الثاني، 1981.

11- الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأوّل (القسم الأوّل)، 1992.

12- الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، 1900 – 1930، 1983.

أبو يعقوب يوسف بن حمو:

13- تقييد أحداث، مخطوط.

أبو اليقظان إبراهيم حمدي:

14- إرشاد الحائرين، تونس، 1341هـ.

15- ملحق لسير الشماخي، مخطوط.

16- الإمام أبو عبد الله محمّد بن بكر.

17- الشّيخ أبو زكرياء يحى بن صالح.

18- الشّيخ الثّميني كما أعرفه.

أحمد توفيق المدني:

19- الجزائر، 1350هـ.

20- حياة كفاح، 1973.

باحمد بن حمّو بكلّي بابه:

21- تاجْنينت (العطف) وثورة التحرير المباركة، غرداية، 2006.

بالحـاج قشار:

22- عوائد ميزاب سنن لا تقاليد، 1992.

بشير بن موسى الحاج موسى:

23- ملامح عن الحياة الاجتماعيّة بوادي مزاب في القرن 13هـ من خلال نوازل عمر بن يوسف بن عدّون اليسجنيّ.

بكير أُوعُوشَتْ:

24- الإمام إبراهيم بيوض وجهاده الإسلامي في الجزائر، 1987م.

25- قطب الأئمة محمّد بن يوسف اطفيش، غرداية، 1989م.

بلقاسم ابن عبد الله:

26- مفدي زكرياء، شاعر مجد الثورة، 1990.

بنيامين سطـــورا:

27- مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية، 1998.

جمعية التراث:

28- معجم أعلام الإباضية، 1999.

الحاج موسى ابن عمر:

29- السياسة النفطية الفرنسية في الجزائر 1952-1962، 2004.

حمدان بن عثمان خوجة:

30- المرآة، 1982.

حمو بن عمر فخار:

31- الشيخ صالح بابكر، 2002.

32- إبراهيم بن بابا بوعروة، الشيخ بابا ثامر، 2003.

حمّو عيس التوري:

33- دور الميزابيين في تاريخ الجزائر، قديما وحديثا، 1984.

رابـــح تركي:

34- التعليم القومي والشخصية الجزائرية، 1981.

زاهـــر إحدادن:

35- الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة 1930، 1986.

الزبير سيف الإسلام:

36- تاريخ الصحافة في الجزائر، 1982-1985.

سالـــم بن يعقوب:

37- تاريخ جزيرة جربة، 1406هـ/1986م.

سعيـــد شريفي:

38- معهد الحياة، نشأته وتطوره، 1989.

صالح ابن ادريسو:

39- مفدي زكريّاء من خلال تقارير الإدارة الاستعماريّة الفرنسيّة – ترجمة مصطفى حمّودة، غرداية، 2012.

صالح باهـــون:

40- معرض الكتاب الإباضي، 1984.

صالح الخـــرفي:

41- حمود رمضان، الجزائر، 1985م.

42- من أعماق الصحراء، 1991.

عبد الرحمن بن عمر بكلّي:

43- مسيرة الإصلاح في جيل 1918-1948.

عبد الرّحمن الجيلالي:

44- تاريخ الجزائر العام، 1980.

عبد القادر جغلول:

45- الاستعمار والصّراعات الثّقافية في الجزائر، 1984.

عثمان الكعاك:

46- البربر، 1375هـ.

47- تاريخ الجزائر، 1344هـ.

عدون جهلان:

48- الفكر السّياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمّد بن يوسف اطفيش.

علي يحيى معمّـــر:

49- الإباضية في الجزائر، غرداية، 1987م.

عمر إسماعيـــل:

50- ضياء الدين الشيخ عبد العزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني، 1999.

عمر بن الحاج محمّد بن أحمد:

51- انكشاف الحالة لذوي الألباب والعيون في أعمال عائلة أولاد بوهون، 1906.

عمر بن عيسى الحاج امحمّد:

52- بيان حقيقة عن التّجنيد الإجباري، الجزائر، 1350هـ.

53- كشف اللثام عمّا شغل فكر الخاص والعام، 1948.

عمر بن يوسف عبد الرّحمن:

54- تقييد بعض الأحداث والاتّفاقات والمراسلات، مخطوط.

عوض محمّد خليفات:

55- النّظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية، عَمَّان، 1982م.

عيسى بن محمّد بوراس:

56- توثيق الوقف العقاريّ في الفقه الإسلاميّ والقانون الجزائريّ، الجزائر، 2012.

فتيحة يطّو:

57- رسالة الردّ على إلحاق ميزاب والاعتراض على تعديل قانون الملكيّة العقاريّة بالجزائر-دراسة وتحقيق، 2006.

فرحات الجعبيري:

58- البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، 1991.

59- نظام العزّابة عند الإباضية الوهبية في جربة، 1975.

فوزي سعد الله:

60- يهود الجزائر، هؤلاء المجهولون، 1996.

قطب الأئمة الشّيخ طفيش:

61- الإمكان في ما جاز أن يكون أو كان، 1304هـ.

62- الرّسالة الشّافية في بعض تواريخ أهل وادي ميزاب، 1299هـ.

63- إن لم تعرف الإباضية يا عقبي، تونس، 1321هـ.

الكاملي عبد الله بوراس:

64- أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، قسنطينة، 1385هـ/1966م.

مبارك بن محمد الميلي:

65- تاريخ الجزائر في القديم والحديث.

محمّد الحسن فضلاء:

66- المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، القطاع الجزائري، 1999.

محمّد بن سليمان جهلان:

67- تاريخ القرارة، مخطوط.

محمّد بن شتيوي بن سليمان:

68- تاريخ القرارة، مخطوط.

محمّد بن قاسم ناصر بوحجام:

69- أبو اليقظان في الدوريات العربية، 1985.

70- الشيخ بيوض والعمل السياسي، 1991.

محمّد علي دبوز:

71- أعلام الإصلاح في الجزائر، قسنطينة 1403هـ.

72- تاريخ المغرب الكبير، القاهرة، 1963م.

73- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، الجزائر، 1386هـ.

محمّد ناصر:

74- الصّحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، 1980.

75- في رحاب القرآن، الإمام الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض، 1989م.

76- مفدي زكرياء شاعر النّضال والثّورة، 1989.

77- المقالة الصّحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1931، 1978.

78- رمضان حمود الشّاعر الثّائر، 1978.

79- الشّيخ القرادي، حياته وآثاره، 1990م.

80- حلقة العزّابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، 1989م.

81- الشيخ إبراهيم طفيش في جهاده الإسلامي، 1991.

82- محمّد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ، 1994.

محمّد الهادي الزاهريّ:

83- شعراء الجزائر في العصر الحاضر-الجزء الأوّل، تونس، 1926

مصطفى بن الحاج بكير حمّوده:

84- من تاريخ جماعة بني يزقن (الضمّان)، 2008.

85- مفدي زكريّاء وإنتاجه الأدبيّ إلى قيام الحرب العالميّة الثانية-الجزء الأوّل، غرداية، 2012.

مفـــدي زكريّاء:

86- تاريخ الصحافة العربيّة في الجزائر، الجزائر، 2003.

87- أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، الجزائر، 2010.

مؤسّسة مفدي زكريّاء:

88- مفدي زكريّاء شاعر الوحدة، الجزائر، 2007.

يحيى بن بهون الحاج امحمّد:

89- رحلة القطب، دراسة وتحقيق، غرداية، 2007.

مخطوطات لمؤلفين مجهولين.

90- بلدة غرداية وعمارة وادي ميزاب.

91- سدراته وعمارة العطف ونسب أولاد عبد الله.

92- سير أوائلنا وأسلافنا.

93- العجب العجاب في منتخب أحوال بني مزاب.

المجـــلات:

وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية:

94- مجلة الأصالة، الأعداد 6،8، 14،15، 1972-1973.

معهد الحياة – القرارة:

95- مجلّة الحياة-العدد الأوّل، جانفي 1998.

معهد الحياة وجمعيّة التراث- القرارة:

96- مجلّة الحياة – العدد الثاني عشر، أكتوبر 2008.

المركز الجامعيّ - غـــرداية:

97- مجلّة الواحات للبحوث والدراسات –العدد الأوّل، ديسمبر 2006.

فهرس أهم المصادر والمراجع باللّغة الفرنسية

AMAT (Charles) :
1. LE M'ZAB & LES M'ZABITES, 1888.
ARMAGNAC (Lieutenant d') :
2. LE M'ZAB & LES PAYS CHAAMBA, 1934.
AUCAPITAINE H. :
3. LES BENI M'ZAB, SAHARA ALGERIEN, 1868.
BENDRISSOU (Salah):
4. IMPLANTATION DES MOZABITES DANS L'ALGEROIS ENTRE LES DEUX GUERRES, 2000.
5. MOUFDI ZAKARIA VU PAR L'ADMINISTRATION COLONIALE, 2006.
BENYOUCEF (Brahim):
6. LE M'ZAB - LES PRATIQUES DE L'ESPACE, 1986.
BONETE (Yves et Yvette) :
7. CONTRIBUTIOIN A L'ETUDE DE L'HABITAT AU M'ZAB, 1959.
8. LA FEMME AU M'ZAB , 1961.
BOUSQUET G.H. :
9. TRADUCTION DE «RECUEIL DE DELIBERATIONS A LA MOSQUEE DE BENI ISGUEN », 1951.
BROCHIER J. &A. :
10. LIVRE D'OR DE L'ALGERIE, 1937.
BRUNHES (Jean) :
11. LES OASIS DU SOUF ET DU M'ZAB, 1902.
BRUNO (Charles - Dominique) :
12. LA PROPAGANDE ANTI-FRANÇAISE AU M'ZAB AU DEBUT DES ANNEES 1920, 1988.
CAPOT-REY :
13. LE SAHARA FRANÇAIS, 1953.
CAUNEILLE A . :
14. LES CHAAMBA & LEUR NOMADISME SOUS L'ADMINISTRATION FRANÇAISE, 1968.
CAUVET G. :
15. LA CULTURE DU PALMIER DANS LE SUD ALGERIEN, 1902.
CHARLET (Lt).
16- LES PALMIERS DU M'ZAB, 1961.
COYNE (Capitaine A.):
17. LE M'ZAB, 1879.
CUPERLY (Pierre) :
18. APERÇUS SUR L'HISTOIRE DE L'IBADISME AU M'ZAB, 1973.
DAUMAS (Lieutenant-Colonel) :
19. LE SAHARA ALGERIEN, 1845.

DAVID (Louis) :
20. LES MECHAIKH DU M'ZAB.
DUVEYRIER (Henry) :
21. COUP D'ŒIL SUR LE PAYS DES BENI-M'ZAB ET SUR CELUI DES CHAAMBA OCCIDENTAUX, 1860.
FELIU E. :
22. ETUDE SUR LA LEGISLATION DES EAUX DANS LA CHEBKA DU M'ZAB, 1908.
GAÏD (Mouloud) :
23. LES BERBERS DANS L'HISTOIRE, 1990.
24. L'ALGERIE SOUS LES TURCS, 1991.
GARDI (René) :
25. LE SAHARA, 1971.
GERS (José) :
26. TERRE MOZABITE, 1933.
GOICHON A. – M. :
27.LA VIE FEMININE AU M'ZAB, 1927 et 1931.
GOICHON M. et E.:
28. LE KHAREDJISME, MONOGRAPHIE DU M'ZAB, 1926.
GROSSMANN C. :
29. LE REFORMISME IBADHITE, 1959.
HAEDO (FRAY DIEGO DE):
30.HISTOIRE DES ROIS D'ALGER.
31. TOPOGRAPHIE & HISTOIRE GENERALE D'ALGER, 1612.
HUGUET (Dr. J.) :
32. RECHERCHES SUR LES HABITANTS DU M'ZAB, 1906.
33. ORIGINES & MIGRATIONS DES TRIBUS BERBERES & PARTICULIEREMENT DES BENI M'ZAB, 1906.
34. LE PAYS DU M'ZAB, 1898.
35.- LES JUIFS DU M'ZAB, 1902.
IHADDADEN (Zahir) :
36. LA PRESSE MUSULMANE ALGERIENNE DE 1830 A 1930, 1986.
JOSSE R. :
37. CROISSANCE URBAINE AU SAHARA, 1970.
KADDACHE (Mahfoud) :
38. HISTOIRE DU NATIONALISME ALGERIEN, 1993.
LEFEBVRE :
39. MONOGRAPHIE DE L'ANNEXE DE GHARDAIA, 1924.
LESPES R. :
40. QUELQUES DOCUMENTS SUR LA CORPORATION DES MOZABITES, 1925.
LETHIELLEUX (JEAN) :
41. OUARGLA - CITE SAHARIENNE, 1984.

LEWICKI (TADEUSZ) :
42. HALKA IN ENCYCLOPEDIE DE L'ISLAM.
LIOREL (Jules) :
43. DANS LE M'ZAB, 1893.
MARCY (Georges) :
44. LE M'ZAB & LES BERBERES ABADHITES DE L'ALGERIE, 1941.
MASQUERAY (EMILE):
45. FORMATION DES CITES CHEZ LES POPULATIONS SEDENTAIRES DE L'ALGERIE, 1886.
MELIA (JEAN) :
46. GHARDAIA, 1930.
MERCIER E. :
47- LES MOZABITES, 1887.
MERCIER (MARCEL) :
48. ETUDE SUR LE WAQF IBADHITE & SES APPLICATIONS AU M'ZAB, 1927.
49. LA CIVILISATION URBAINE AU M'ZAB, 1927.
MERGHOUB BAELHADJ :
50. LE DEVELOPPEMENT POLITIQUE EN ALGERIE, 1972.
MEYNIER (GILBERT) :
51. L'ALGERIE REVELEE, 1981.
MILLIOT L. :
52. RECUEIL DE DELIBERATIONS DES DJEMAA DU M'ZAB, 1930.
MORAND M. :
53. LES KANOUNS DU M'ZAB, 1903.
MOTYLINSKI :
54. GUERRARA DEPUIS SA FONDATION, 1885.
MOULIAS (Daniel) :
55. L'EAU DANS LES OASIS SAHARIENNES, 1927.
PARMENTIER H. :
56. L'ENTRAIDE CHEZ LES BERBERES IBADITES DU M'ZAB, 1946.
PAULINE – MARIE (Soeur) :
57. LE TISSAGE DANS LA VIE FEMININE AU M'ZAB, 1950.
PRUNNELLE H. :
58. LE RECRUTEMENT DES INDIGENES ALGERIENS, 1913.
REICHLEN (ANNE-MARIE ABDERRAHIM):
59. CONTRIBUTION A L'ETUDE DE LA VIE SOCIALE & ECONOMIQUE DE LA COMMUNAUTE IBADITE DU M'ZAB, 1980.
RINN L. :
60. DES JURIDICTIONS COMPETENTES EN MATIERE DE LITIGE INTERESSANT LES MOZABITES RESIDANT HORS DU M'ZAB, 1887.
ROBERT (CLAUDE MAURICE) :
61. LES MOZABITES «HOME RULERS » DU SUD.

ROBIN (Ct) :
62. LE M'ZAB ET SON ANNEXION A LA FRANCE, 1884.
ROUARD DE CARD E . :
63. L'ANNEXION DU M'ZAB, 1897.
SCHACHT :
64. BIBLIOTHEQUES & MANUSCRITS IBADITES, 1956.
STIGER (PIERRE) :
65. LE M'ZAB & SON ANNEXION A LA FRANCE.
TARRY (Harold) :
66. L'OCCUPATION DU M'ZAB, 1882.
TIRMAN :
67. LE M'ZAB & SON ANNEXION A LA FRANCE.
TROTIGNON (Lucien) :
68. LE M'ZAB ET SES SEPT VILLES, 1897.
VIGOUROUS CL. :
69. L'EMIGRATION MOZABITE DANS LES VILLES DU TELL ALGERIEN, 1945.
WATIN L :
70. LES TOLBA DU M'ZAB, 1913.
YVER (Georges) :
71. CORRESPONDANCE DU MARECHAL VALEE III.

REVUES ET PERIODIQUES :

72. LES CAHIERS D'OUTRE-MER N° 89, 1970.
73. BULLETIN D'AGRONOMIE SAHARIENNE, Juin 1975.
74. BULLETIN DE LIASON SAHARIENNE N° 29, MARS 1958.
75. DOCUMENTS ALGERIENS N° 16 & 17, 1955.
76. LES TERRITOIRES DU SUD DE L'ALGERIE deuxième partie, 1922.
77. MONITEUR ALGERIEN N°325, 9-2-1838.
78. REVUE AFRICAINE N°s 3,4,8,11,28,37,40. 1859-1860-1864-1867-1884-1893-1896.

LEWICKI (TADEUSZ) :
42. HALKA IN ENCYCLOPEDIE DE L'ISLAM.
LIOREL (Jules) :
43. DANS LE M'ZAB, 1893.
MARCY (Georges) :
44. LE M'ZAB & LES BERBERES ABADHITES DE L'ALGERIE, 1941.
MASQUERAY (EMILE):
45. FORMATION DES CITES CHEZ LES POPULATIONS SEDENTAIRES DE L'ALGERIE, 1886.
MELIA (JEAN) :
46. GHARDAIA, 1930.
MERCIER E. :
47- LES MOZABITES, 1887.
MERCIER (MARCEL) :
48. ETUDE SUR LE WAQF IBADHITE & SES APPLICATIONS AU M'ZAB, 1927.
49. LA CIVILISATION URBAINE AU M'ZAB, 1927.
MERGHOUB BAELHADJ :
50. LE DEVELOPPEMENT POLITIQUE EN ALGERIE, 1972.
MEYNIER (GILBERT) :
51. L'ALGERIE REVELEE, 1981.
MILLIOT L. :
52. RECUEIL DE DELIBERATIONS DES DJEMAA DU M'ZAB, 1930.
MORAND M. :
53. LES KANOUNS DU M'ZAB, 1903.
MOTYLINSKI :
54. GUERRARA DEPUIS SA FONDATION, 1885.
MOULIAS (Daniel) :
55. L'EAU DANS LES OASIS SAHARIENNES, 1927.
PARMENTIER H. :
56. L'ENTRAIDE CHEZ LES BERBERES IBADITES DU M'ZAB, 1946.
PAULINE – MARIE (Soeur) :
57. LE TISSAGE DANS LA VIE FEMININE AU M'ZAB, 1950.
PRUNNELLE H. :
58. LE RECRUTEMENT DES INDIGENES ALGERIENS, 1913.
REICHLEN (ANNE-MARIE ABDERRAHIM):
59. CONTRIBUTION A L'ETUDE DE LA VIE SOCIALE & ECONOMIQUE DE LA COMMUNAUTE IBADITE DU M'ZAB, 1980.
RINN L. :
60. DES JURIDICTIONS COMPETENTES EN MATIERE DE LITIGE INTERESSANT LES MOZABITES RESIDANT HORS DU M'ZAB, 1887.
ROBERT (CLAUDE MAURICE) :
61. LES MOZABITES «HOME RULERS » DU SUD.

ROBIN (Ct) :
62. LE M'ZAB ET SON ANNEXION A LA FRANCE, 1884.
ROUARD DE CARD E . :
63. L'ANNEXION DU M'ZAB, 1897.
SCHACHT :
64. BIBLIOTHEQUES & MANUSCRITS IBADITES, 1956.
STIGER (PIERRE) :
65. LE M'ZAB & SON ANNEXION A LA FRANCE.
TARRY (Harold) :
66. L'OCCUPATION DU M'ZAB, 1882.
TIRMAN :
67. LE M'ZAB & SON ANNEXION A LA FRANCE.
TROTIGNON (Lucien) :
68. LE M'ZAB ET SES SEPT VILLES, 1897.
VIGOUROUS CL. :
69. L'EMIGRATION MOZABITE DANS LES VILLES DU TELL ALGERIEN, 1945.
WATIN L :
70. LES TOLBA DU M'ZAB, 1913.
YVER (Georges) :
71. CORRESPONDANCE DU MARECHAL VALEE III.

REVUES ET PERIODIQUES :

72. LES CAHIERS D'OUTRE-MER N° 89, 1970.
73. BULLETIN D'AGRONOMIE SAHARIENNE, Juin 1975.
74. BULLETIN DE LIASON SAHARIENNE N° 29, MARS 1958.
75. DOCUMENTS ALGERIENS N° 16 & 17, 1955.
76. LES TERRITOIRES DU SUD DE L'ALGERIE deuxième partie, 1922.
77. MONITEUR ALGERIEN N°325, 9-2-1838.
78. REVUE AFRICAINE N°s 3,4,8,11,28,37,40. 1859-1860-1864-1867-1884-1893-1896.

فهرس تراجم الأعلام

- أ -

1 إبراهيم بن بالحاج حجوط. 342
2 إبراهيم بن بانوح مطياز. 293
3 إبراهيم بن بكير حفار. 274
4 الحاج إبراهيم بن الحاج بكير دَادِّي أُوعمر. 344
5 إبراهيم بن بِيحْمَانْ. 116
6 الحاج إبراهيم بن دَادِّي حَنِّي هبة. 146
7 إبراهيم بن عبد الله تِرِشِينْ. 341
8 إبراهيمْ بن عمر بيوض. 345
9 الحاج إبراهيم بن عيسى الابريكي. 206
10 الحاج إبراهيم بن يوسف طفيش. 146
11 أبو إسحاق إبراهيم طفيش. 276
12 أبو جعفر الحاج مسعود الزناتي. 37
13 أبو حفص عمرو بن جميع. 195
14 أبو زكرياء يحيى الجناوني. 109
15 أبو زكرياء يحيى بن صالح. 110
16 أبو ساكن عامر الشماخي. 65
17 أبو سليمان داود التلاتي. 105
18 أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني. 28
19 أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي. 109
20 أبو العباس أحمد بن محمّد بن بكر. 113
21 أبو عبد الله محمّد بن بكر الفرسطائي. 20
22 أبو عبد الله محمّد بن زكرياء الباروني. 105
23 أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة. 22

24 أبو عمّار عبد الكافي. 28
25 أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي. 197
26 أبو غانم بشر بن غانم الخراساني. 197
27 أبو مهدي عيسى بن إسماعيل. 105
28 أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي. 115
29 أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني. 114
30 أبو يعقوب يوسف بن حَمُّو بن عَدُّون. 118
31 أبو يعقوب يوسف بن محمّد المصعبي. 107
32 أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى حمدي. 283
33 الحاج أحمد بن داود معيز. 187
34 أحمد بن سليمان بن النضر العماني. 196
35 الحاج إسماعيل بن الحاج إبراهيم زرقون. 208
36 إسماعيل الجيطالي. 109

- ب -

37 بابا موسى بن الفضل. 103
38 الحاج بابكر بن الحاج مسعود. 188
39 باحمد أُو أيوب. 106
40 باحمد بن الحاج سليمان بن عبد الله. 119
41 بَاحَيُّو بن موسى. 104
42 باعبد الرّحمن الكرتي الزناتي. 38
43 بالحاج بن سعيد. 106
44 بالحاج بن كاسي. 117
45 بامحمّد بن عبد العزيز. 106
46 بايحمد بن سليمان بن نوح. 37
47 بايزيد القاضي. 38
48 الحاج بكير بن الحاج إبرهيم العنق. 269
49 بكير بن عيسى قَضِّي. 341

- ت -

50 التاجر محمّد بن بكير ابن زكري. 271

51 تبغورين بن عيسى الملشوطي. 108

- ح -

52 الحاج بن يحيى الزواي. 267

53 حاجة بن الشيخ عبد العزيز الثميني. 149

54 حَمُّو أُوالحاج الغرداوي. 106

55 حَمُّو بن باحمد بابا أُوموسى. 340

56 حمّو بن باحمد باكلّي. 147

57 حمّو بن يوسف. 102

58 حمّود بن سليمان رمضان. 266

- د -

59 داود بن يوسف. 110

- س -

60 سالم بن يعقوب. 280

61 سعيد بن علي بن تعاريت. 190

62 سعيد بن يحيى الجادوي. 107

63 الحاج سعيد بن يوسف وِينْتَنْ. 144

64 الحاج سليمان بن إبراهيم باعامر. 273

65 سليمان باشا الباروني. 203

66 الحاج سليمان بن عيسى. 144

- ص -

67 صالح بن صالح الخرفي. 353

68 الحاج صالح بن عمر لَعْلِي. 263

69 صالح بن قاسم بابكر. 344

70 صالح بن كاسي الغرداوي. 147

71 الحاج صالح بن محمّد بومعقل. 205

- ض -

72 ضياء الدّين عبد العزيز الثميني. 111

- ع -

73 عائشة بنت عمر نوح. 271

74 عبد الرّحمن بن عمر باكلّي. 350

75 الحاج عبد الرّحمن بن عمر نوح. 188

76 عبد العزيز بن داود. 145

77 عبد الله بن حميد السالمي. 279

78 عبد الله بن الحاج صالح البليدي بوكامل. 272

79 عبد الله بن يحيى. 38

80 علي يحيى معمر. 10

81 الحاج عمر بن حَمّو باكلّي. 209

82 عمر بن سليمان نوح. 145

83 عمر بن علي السدويكشي. 107

84 عمر بن عيسى الحاج امحمّد. 342

85 الحاج عمر بن الحاج مسعود. 270

86 الحاج عمر بن يحيى المليكي. 207

87 عمرو بن رمضان التلاتي. 110

88 عمي سعيد بن علي الجربي. 103

89 عيسى بن بالحاج الحويذق. 267

- ف -

90 الفرقد سليمان بن يحيى بوجناح. 294

- ق -

91 قطب الأئمة امحمّد بن الحاج يوسف طفيش. 188

- م -

92 مامه بنت سليمان. 263

93 الحاج محمّد بن باحمد شريف. 269

94	محمّد بن سليمان بن ادريسو.	148
95	محمّد بن صالح الثّميني.	275
96	محمّد بن علي دبوز.	349
97	الحاج محمّد بن عيسى زبّارْ.	145
98	الحاج محمّد بن الحاج قاسم.	205
99	الحاج محمّد بن الحاج يوسف بابانو.	352
100	مفدي زكرياء بن سليمان الشّيخ.	287
	– ن –	
101	الحاج الناصر بن الحاج إبراهيم الداغور.	205
	– ي –	
102	يحيى بن قاسم باعامر.	268
103	يوسف بن بكير حمّو أُو عْلِي.	349

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثالثة	ب
مقدمة الطبعة الثانية	ج
مقدمة الطبعة الأولى	د
الباب الأوّل: بلاد الشّبكة	1
1- بلاد الشبكة.....	1
2- التطوّر الحضاري لمزاب.	3
الباب الثاني: العهد الأوّل	5
1- من هم البربر؟	5
2- من هم بنو مزاب؟	6
3- ديانة البربر قبل الإسلام.	8
4- أوّل مذاهب بني مصعب في الإسلام.	10
5- حياة بني مصعب الاقتصادية.	10
6- اللّغة المزابية.	11
7- قرى بني مصعب الأولى.	12
8- النّظام الاجتماعي عند بني مصعب.	14
الباب الثالث: العهد الثاني	15
1- تأسيس قرى جديدة على وادي مزاب.	15
2- تحوّل بني مصعب من الاعتزال إلى المذهب الإباضي.	20
3- استقبال بني مصعب للمهاجرين من مختلف الجهات.	23

4- الحياة الاقتصادية. 25
5- حلقة العزّابة. 26
6- ذكر بعض ما ورد عن مشايخ العهد الثاني. 37

الباب الرابع: العهد الثالث. 39

1- الحياة الاقتصادية : 40
أ- الفلاحة والرّي. 40
ب- الصّناعة. 46
ج- التّجارة. 51
2- الحياة السّياسية والاجتماعية : 56
أ- الحياة السياسية على مستوى كلّ قرية. 56
ب- الحياة السياسية على مستوى وادي مزاب. 58
ج- الحياة الاجتماعية. 59
د- علاقة مزاب بالعثمانيين. 68
هـ- تنظيم حياة المزابيين في مدن التّل. 71
3- امتداد العمران واستقرار طوائف جديدة: 74
أ- اتّساع القرى. 74
ب- قدوم عائلات يهودية إلى مزاب. 75
ج- قدوم بني مرزوق. 76
د- قدوم المذابيح. 77
هـ- بنو مزاب في متليلي. 77
و- بنو مزاب في الأغواط. 78
ز- إنشاء قصر المبرتخ. 78

ح- إنشاء القرارة. 79
ط- إنشاء بريان. 80
4- مشاركة بني مزاب في مقاومة احتلال الأوروبيين لشمال إفريقيا: 81
أ- بنو مزاب في جربة عام 916هـ / 1510م. 81
ب- بنو مزاب في مدينة الجزائر عام 924هـ / 1518م. 81
ج- بنو مزاب في الجزائر العاصمة عام 1830م. 83
د- بنو مزاب في سهول متيجة. 84
هـ- بنو مزاب والأمير عبد القادر. 84
و- بنو مزاب على أسوار قسنطينة عام 1837م. 85
5- تعرّض مزاب للغزاة ورفض بنيه التخلّي عن استقلالهم الذّاتي: 86
أ- أبو عمرو عثمان بن محمّد (839هـ -893هـ). 87
ب- محاولة صالح باي قسنطينة ضم مزاب إلى ولايته عام 1206هـ. 87
ج- نجدة بني مزاب لإباضية وارجلان عام 1226هـ / 1811م. 89
د- رفض تسليم قرى مزاب للأمير عبد القادر عام 1838م. 89
هـ- رد بني مزاب لمحمّد بن عبد الله عام 1852م. 91
و- مناوشات مع الأعراش المجاورة. 91
6- الفتن الدّاخلية. 94
7- النّهضة الفكرية. 102
8- أعلام العهد الثّالث. 102
9- الفن المعماري عند بني مزاب. 119
أ- المدينة. 119
ب- المنازل. 122
ج- مواد البناء. 125

د- الواحة. 126
10- أحداث متفرّقة. 127

الباب الخامس: الفترة الأولى من العهد الرابع. 129

1- معاهدة الحماية. 130
2- الآغا يتح اليهودي. 134
3- استقبال الإمبراطور نَابُلْيُون الثالث في الجزائر العاصمة. 135
4- تأييد الثوّار ضدّ الاستعمار الفرنسي. 135
5- إحداث واحة ضاية ابن ضحوة. 137
6- مقاومة المزابيين لبشوشة. 138
7- فتن داخلية. 140
8- شخصيات من هذه الفترة. 144
9- أحداث متفرّقة. 149

الباب السادس: الفترة الثانية من العهد الرابع. 151

1- قرار إلحاق مزاب بفرنسا. 151
2- القضاء. 162
3- التّعليم: 168
أ- التّعليم الإسلامي الحر. 168
ب- التّعليم الرّسمي الفرنسي. 171
ج- مدارس الآباء والأخوات البيض. 173
4- الأوقاف. 173
5- إحصاءات السكّان. 178
6- الفلاحة والرّي. 179

7- مواصلة تأييد المقاومة ضدّ الاستعمار. 183
8- المشاكل الدّاخلية. 184
9- شخصيات من هذه الفترة. 187
10- أحداث متفرّقة. 210

الباب السابع: الفترة الثالثة من العهد الرابع. 213

1- إحصاءات السكّان. 214
2- حول المزابيّين المغتربين. 215
3- التّعليم : 219
أ- التّعليم الإسلامي الحر. 219
ب- التّعليم الرّسمي. 229
ج- التعليم المسيحي. 229
4- الفلاحة والرّي. 230
5- التّجارة. 231
6- التّجنيد الإجباري. 234
7- النشاط السّياسي في القضايا المحلّية. 241
8- مواصلة تدعيم بني مزاب للثّوار ضدّ الاستعمار. 252
9- النشاط السّياسي لبني مزاب في شمال إفريقيا. 253
10- بنو مزاب والصّحافة. 260
11- شخصيات من الفترة الثالثة. 263
12- أحداث متفرّقة 295

الباب الثامن: الفترة الأخيرة من العهد الرابع. 299

1- إحصاءات السكّان. 300

2- وسائل النقل والمواصلات. 302
3- امتداد العمران. 302
4- التّعليم: 303
أ- التّعليم الإسلامي الحر. 303
ب- التّعليم الرّسمي. 306
ج- التّعليم المسيحي. 308
5- الفلاحة والرّي. 308
6- التّجارة. 311
7- الصّناعة. 312
8- التطوّرات السّياسية المحلّية. 313
9- النّضال السّياسي والعسكري من أجل وحدة الجزائر واستقلالها. 320
10- أعلام من الفترة الأخيرة. 340
11- أحداث متفرّقة. 356

الخـــاتمة 358

فهرس أهم المصادر والمراجع باللّغة العربية 360

فهرس أهم المصادر والمراجع باللّغة الفرنسية. 368

فهرس تراجم الأعلام. 372

فهرس الموضوعات. 377

- ض -

72 ضياء الدّين عبد العزيز الثميني. 111

- ع -

73 عائشة بنت عمر نوح. 271
74 عبد الرّحمن بن عمر باكلّي. 350
75 الحاج عبد الرّحمن بن عمر نوح. 188
76 عبد العزيز بن داود. 145
77 عبد الله بن حميد السالمي. 279
78 عبد الله بن الحاج صالح البليدي بوكامل. 272
79 عبد الله بن يحيى. 38
80 علي يحيى معمر. 10
81 الحاج عمر بن حَمّو باكلّي. 209
82 عمر بن سليمان نوح. 145
83 عمر بن علي السدويكشي. 107
84 عمر بن عيسى الحاج امحمّد. 342
85 الحاج عمر بن الحاج مسعود. 270
86 الحاج عمر بن يحيى المليكي. 207
87 عمرو بن رمضان التلاتي. 110
88 عمي سعيد بن علي الجربي. 103
89 عيسى بن بالحاج الحويذق. 267

- ف -

90 الفرقد سليمان بن يحيى بوجناح. 294

- ق -

91 قطب الأئمة امحمّد بن الحاج يوسف طفيش. 188

- م -

92 مامه بنت سليمان. 263
93 الحاج محمّد بن باحمد شريف. 269

94	محمّد بن سليمان بن ادريسو.	148
95	محمّد بن صالح التّميني.	275
96	محمّد بن علي دبوز.	349
97	الحاج محمّد بن عيسى زّبّارْ.	145
98	الحاج محمّد بن الحاج قاسم.	205
99	الحاج محمّد بن الحاج يوسف بابانو.	352
100	مفدي زكرياء بن سليمان الشّيخ.	287
	– ن –	
101	الحاج الناصر بن الحاج إبراهيم الداغور.	205
	– ي –	
102	يحيى بن قاسم باعامر.	268
103	يوسف بن بكير حمّو أُو علْي.	349

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقـــدمة الطبعة الثالثة	ب
مقـــدمة الطبعة الثانية	ج
مقـــدمة الطبعة الأولى	د
الباب الأوّل: بلاد الشّبكة	1
1- بلاد الشبكة.....	1
2- التطوّر الحضاري لمزاب.	3
الباب الثاني: العهد الأوّل	5
1- من هم البربر؟	5
2- من هم بنو مزاب؟	6
3- ديانة البربر قبل الإسلام.	8
4- أوّل مذاهب بني مصعب في الإسلام.	10
5- حياة بني مصعب الاقتصادية.	10
6- اللّغة المزابية.	11
7- قرى بني مصعب الأولى.	12
8- النّظام الاجتماعي عند بني مصعب.	14
الباب الثالث: العهد الثاني	15
1- تأسيس قرى جديدة على وادي مزاب.	15
2- تحوّل بني مصعب من الاعتزال إلى المذهب الإباضي.	20
3- استقبال بني مصعب للمهاجرين من مختلف الجهات.	23

4- الحياة الاقتصادية. 25
5- حلقة العزّابة. 26
6- ذكر بعض ما ورد عن مشايخ العهد الثاني. 37

الباب الرابع: العهد الثالث. 39

1- الحياة الاقتصادية : 40
أ- الفلاحة والرّي. 40
ب- الصّناعة. 46
ج- التّجارة. 51
2- الحياة السّياسية والاجتماعية : 56
أ- الحياة السياسية على مستوى كلّ قرية. 56
ب- الحياة السياسية على مستوى وادي مزاب. 58
ج- الحياة الاجتماعية. 59
د- علاقة مزاب بالعثمانيين. 68
هـ- تنظيم حياة المزابيين في مدن التّل. 71
3- امتداد العمران واستقرار طوائف جديدة: 74
أ- اتّساع القرى. 74
ب- قدوم عائلات يهودية إلى مزاب. 75
ج- قدوم بني مرزوق. 76
د- قـدوم المذابيح. 77
هـ- بنو مزاب في متليلي. 77
و- بنو مزاب في الأغواط. 78
ز- إنشاء قصر المبرتخ. 78

ح- إنشاء القرارة. 79
ط- إنشاء بريان. 80
4- مشاركة بني مزاب في مقاومة احتلال الأوروبيين لشمال إفريقيا: 81
أ- بنو مزاب في جربة عام 916هـ / 1510م. 81
ب- بنو مزاب في مدينة الجزائر عام 924هـ / 1518م. 81
ج- بنو مزاب في الجزائر العاصمة عام 1830م. 83
د- بنو مزاب في سهول متيجة. 84
هـ- بنو مزاب والأمير عبد القادر. 84
و- بنو مزاب على أسوار قسنطينة عام 1837م. 85
5- تعرّض مزاب للغزاة ورفض بنيه التخلّي عن استقلالهم الذّاتي: 86
أ- أبو عمرو عثمان بن محمّد (839هـ -893هـ). 87
ب- محاولة صالح باي قسنطينة ضم مزاب إلى ولايته عام 1206هـ. 87
ج- نجدة بني مزاب لإباضية وارجلان عام 1226هـ / 1811م. 89
د- رفض تسليم قرى مزاب للأمير عبد القادر عام 1838م. 89
هـ- رد بني مزاب لمحمّد بن عبد الله عام 1852م. 91
و- مناوشات مع الأعراش المجاورة. 91
6- الفتن الدّاخلية. 94
7- النّهضة الفكرية. 102
8- أعلام العهد الثّالث. 102
9- الفن المعماري عند بني مزاب. 119
أ- المدينة. 119
ب- المنازل. 122
ج- مواد البناء. 125

د- الواحة. 126
10- أحداث متفرّقة. 127

الباب الخامس: الفترة الأولى من العهد الرابع. 129

1- معاهدة الحماية. 130
2- الآغا يتح اليهودي. 134
3- استقبال الإمبراطور نَابُلْيُون الثالث في الجزائر العاصمة. 135
4- تأييد الثوّار ضدّ الاستعمار الفرنسي. 135
5- إحداث واحة ضاية ابن ضحوة. 137
6- مقاومة المزابيين لبشوشة. 138
7- فتن داخلية. 140
8- شخصيات من هذه الفترة. 144
9- أحداث متفرّقة. 149

الباب السادس: الفترة الثانية من العهد الرابع. 151

1- قرار إلحاق مزاب بفرنسا. 151
2- القضاء. 162
3- التّعليم: 168
أ- التّعليم الإسلامي الحر. 168
ب- التّعليم الرّسمي الفرنسي. 171
ج- مدارس الآباء والأخوات البيض. 173
4- الأوقاف. 173
5- إحصاءات السكّان. 178
6- الفلاحة والرّي. 179

7- مواصلة تأييد المقاومة ضدّ الاستعمار. 183
8- المشاكل الدّاخلية. 184
9- شخصيات من هذه الفترة. 187
10- أحداث متفرّقة. 210

الباب السابع: الفترة الثالثة من العهد الرابع. 213

1- إحصاءات السكّان. 214
2- حول المزابيّين المغتربين. 215
3- التّعليم : 219
أ- التّعليم الإسلامي الحر. 219
ب- التّعليم الرّسمي. 229
ج- التعليم المسيحي. 230
4- الفلاحة والرّي. 231
5- التّجارة. 234
6- التّجنيد الإجباري. 241
7- النشاط السّياسي في القضايا المحلّية. 252
8- مواصلة تدعيم بني مزاب للثّوار ضدّ الاستعمار. 253
9- النشاط السّياسي لبني مزاب في شمال إفريقيا. 260
10- بنو مزاب والصّحافة. 263
11- شخصيات من الفترة الثالثة. 295
12- أحداث متفرّقة 299

الباب الثامن: الفترة الأخيرة من العهد الرابع. 300

1- إحصاءات السكّان. .....

2- وسائل النقل والمواصلات. 302
3- امتداد العمران. 302
4- التّعليم: 303
أ- التّعليم الإسلامي الحر. 303
ب- التّعليم الرّسمي. 306
ج- التّعليم المسيحي. 308
5- الفلاحة والرّي. 308
6- التّجارة. 311
7- الصّناعة. 312
8- التطوّرات السّياسية المحلّية. 313
9- النّضال السّياسي والعسكري من أجل وحدة الجزائر واستقلالها. 320
10- أعلام من الفترة الأخيرة. 340
11- أحداث متفرّقة. 356
الخـــاتمة 358
فهرس أهم المصادر والمراجع باللّغة العربية 360
فهرس أهم المصادر والمراجع باللّغة الفرنسية. 368
فهرس تراجم الأعلام. 372
فهرس الموضوعات. 377



المؤلف في سطور

ولد يوسف بن بكير الحاج سعيد ببني يزقن (مزاب) يوم 12 نوفمبر 1946.

التحق بجامعة الجزائر عام 1965، أين تحصل على ليسانس التعليم في مادة الرياضيات، تخرج في المدرسة العليا للأساتذة بالقبة في جوان 1969.

عمل إستادا، ثم مفتشا عاما في التعليم الثانوي و التكوين.

هو حاليا مدير المعهد الجابري للبنات ببني يزقن.

صدرله، بالإضافة إلى " تاريخ بني مزاب":

- المسجد العتيق لبلدة بني يزقن.
- الوجه الحي لمقابر مزاب.
- الهوية المزابية.
- Aperçu sur l'histoire des Beni Mzab
- حياة الشيخ حاجي و آثاره الأدبية.
- بلدة بني يزقن من خلال المجتمع المدني.

ردمك: I.S.B.N: 978-9947-845- 69-1

المطبعة العربية

تصميم الغلاف نورالدين بن محمد بكاي